الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -02- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

إسهامات الأويغور الأتراك في الحضارة الإسلامية (335-608هـ/850-1212م).

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: أحمد جلا يلي

إشراف الأستاذة الدكتورة: نبيلة عبد الشكور

لجنة المناقشة:

أ.د قويدر بشار	رئيسا.
أ.د نبيلة عبد الشكور	مشرفا ومقررا.
أ.د أحمد شريفي	مناقشا.
أ.د أحمد الحمدي	مناقشا.
د. فاطمة بوعمامة	مناقشا.

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م.

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -02- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

إسهامات الأويغور الأتراك في الحضارة الإسلامية

(335-608هـ/850-1212م).

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

أحمد جلا يلي

إشراف الأستاذة الدكتورة:

نبيلة عبد الشكور

لجنة المناقشة:

أ.د قويدر بشار	رئيسا.
أ.د نبيلة عبد الشكور	مشرفا ومقررا.
أ.د أحمد شريفي	مناقشا.
أ.د أحمد الحمدي	مناقشا.
د. فاطمة بوعمامة	مناقشا.

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على إنجاز هذا العمل ووفقني لإتمامه .

لاشك أن عملي هذا لم يكن ليتم لولا مساعدة الآخرين لي، ومن هنا رأيت من واجبي أن أتوجه بجزيل الشكر والإمتنان إلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهني من صعوبات، وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة المشرفة نبيلة عبد الشكور التي لم تبخل عليا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة، فلها مني جزيل الشكر والتقدير.

ولا يفوتني أن أشكر من وفر لي الأجواء المناسبة من أجل إتمام هذا العمل، فقد كانت زوجتي الكريمة الأستاذ **وفاء بوغرارة** توفر لي الأجواء المناسبة لتحرير هذا العمل، فأشكرها على صبرها معي، فقد كان ذلك على حساب وقتها ووقت ابنتي **ريتال**، ففي أغلب الأحيان كنت منشغلا عنهما منصبا على قرأة الكتب، وسوف أعوض لهما إنشاء الله.

أخص بالشكر أساتذتي الأجلاء الذين تعلمت على أيديهم، وعلى رأسهم أبي وأستاذي **أحمد شريفي**، وبشار قويدر.

كما أتقدم بالشكر إلى أصدقائي الأويغور: **عبد الوارث وعبد الجليل طوران وعبد السلام** الذين ساعدوني في الحصول على المصادر والمراجع. وأشكر أخي وزميلي في الدراسة الباحث الواعد **"محمد زرقوق"**، على تدعيه لي.

إهداء

أهدي هذا العمل

أهدي ثمرة جهدي إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما ولا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما، إلى والدي العزيزين أطال لله في عمرهما، إلى من قال فيها الرسول الكريم أمك ثم أمك ثم أمك،أمي العزيزة **"نعيمة بن زارة"**، التي سهرت على تربيتي مذ كنت وليدا، فقد كانت دائما تشجعني على بذل المزيد، كما أشكر والدي العزيز **"قدور جلايلي"**، الذي أنفق على تربيتي لكي أصل إلى أعلى المراتب.

وأهديه إلى جدتي شريفة أطال الله في عمرها.

أهديه إلى زوجتي ورفيقة دربي الأستاذ "وفاء بوغرارة"، وإلى قرة عيني "ريتال" حفضها الله.

كما أهديه إلى أختي **العاليا** وزوجها **شوقي مختاري** وأبناؤهم:**"نور الإيمان وعبد الكريم و محمد فارس"**.

وإلى إخوتي: **"خليل و نصر الدين"** وإبن خالي:**"محمد بن زارة"**، الذين قدموا لي يد المساعدة.

إلى كل من عاشلة جلايلي وبن زهرة وبوغرارة

إلى الأمة الأويغورية المسلمة المجاهدة.


مقدّمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أله وأصحابه إلى يوم الدين.

يعتبر تاريخ الشعوب الآسيوية المعتنقة للإسلام من بين المواضيع الهامة للبحث، فهي أضافت رصيدا حضاريا في التاريخ الإسلامي، وقد رَكَزَتْ الأبحاث الأكاديمية في إبراز المَجهودات التي قام بها المسلمون لتحويل هؤلاء إلى الإسلام، والقليل من تلك الأبحاث ما كان يعالج الإسهامات الحضارية التي قامت بها تلك الأمم.

ويُعتبر إقليم آسيا الوسطى من بين أكثر المناطق الذي أسهمت شعوبه في تعزيز الحضارة الإسلامية، فقد برز العنصر التركي كإحدى أشهر تلك الأقوام الإستبسية التي لعبت دورا بارزا في التاريخ السياسي والحضاري، وقد ظهر اسم الأتراك لأول مرة على مسرح الأحداث خلال القرن الأول الهجري/السادس الميلادي، وأولى العديد من المؤرخين والباحثين إهتمامهم بدراسة تاريخ شعوبه، وخاصة تلك التي أسلمت وأسست دُول ومَمَالك تابعة للخلافة العباسية: كالغزنويين والسلاجقة، وركزوا في دراستهم على القبائل**"الغزية"** التى انحدر منها هؤلاء، حيث كتب عنهم المؤرخون أمثال ابن الأثير(ت: 630هـ).

وقد عرف الإقليم العديد من القبائل التركية الآخرى التي اعتنقت الإسلام ولم ترحل صوب أراضي الخلافة العباسية، وفضّلت البقاء في منطقتها الأصلية المعروفة بـ"تركستان"، ورَّكزت جهودها في نشر الإسلام بين سكان وسط آسيا، ومن ثّم أسهمت في تعزيز الإسلام في تلك المناطق، فقدمت خدمات جليلة للإسلام، ويؤسفنا أن الدراسات عن هذه المنطقة الإسلامية باللغة العربية في هذا الاتجاه قليلة.

من بين الشعوب التركية التي لفتت انتباهي وأنا بصدد إعدادي لمذكرة الماجستير، والتي حملت عنوان: "إسلام مغول تركستان"، هي **"القبائل الأويغورية"**، حيث لاحظت وقتها أن هؤلاء اعتنقوا الإسلام في وقت مُبَّكِر عن القبائل التركية الأخرى، وأنَّ هذه القبائل من بين أكثر الشعوب الإستبسية تحضرا، فقد كانوا يلقبون بـ:**"أساتذة الحضارة"**.

مقدمة

يطلق مصطلح الأويغور الذي يعني**"الإتحاد أو التحالف"** على القبائل التركية القاطنة في آسيا الوسطى، والتي استطاعت في حوالي سنة 125هـ/744م الإطاحة بإمبراطورية **"الكوك ترك"** التركية المتركزة في منطقة منغوليا، وأَسَّست على أنقاضها دولتها **الأورخونية،** امتدت جغرافيا من بحر قزوين غربا حتى منشوريا شمالا وشرق الصين والكوريتان، وعاصمتها**"أوردوبالق"**، استمرت الإمبراطورية في الحكم إلى غاية سنة 224هـ/840م أين سقطت على يد قبائل القرغيز التركية.

بعد ذلك هاجر الأويغور من منغوليا إلى بلاد**"تركستان الشرقية"** أو ما يعرف اليوم بـ:**"إقليم سينكيانج"** الواقع تحت الاحتلال الصيني منذ عام 1949م، في تلك المنطقة تخلوا عن حياة التّنقل والترحال وتمثلوا حياة الاستقرار والتَّمَدُن، فأسّس فرع منهم كيان سياسي جديد، عرف بالدولة **القراخانية(235-608هـ/850-1212م)**، واتخذوا من مدينة**"بلاساغون"** عاصمة لهم، وقد أسلم خاقانهم**"ستوق بغرخان"** وأسهم في إسلام العنصر الأويغوري.

استمرت تلك الدولة في لعب أدوارا مهمة في التاريخ الإسلامي إلى أن سيطر عليها قوم الخَطَا الوثنيين، بينما أسس فرع أخر من الأويغور في الجهة الغربية **دولة الإيديقوت**(235-735هـ/850-1335م) وبقوا على بوذيتهم، وكِلتا الدولتان استمرتا موجودتان إلى غاية الغزو المغولي لتركستان، أين دخل الأويغور جميعا تحت لوائهم.

من هذه الحوصلة كان اختياري لعنوان البحث الموسوم بـ:**"إسهامات الأويغور الأتراك في الحضارة الإسلامية"(335-608هـ/850-1212م)**، ليكون دراسة لنيل أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، والبحث يحاول إماطة اللثام عن الجوانب المشرقة في تاريخ الأويغور الأتراك، وقد حددت سنة 335هـ/850م لتكون بداية البحث، أين أسس فيها الأويغور الدولة القراخانية في بلاد تركستان الشرقية، إلى غاية سنة 608هـ/1212م، التي ضَم فيها المغول بقيادة قائدهم الشهير جنكيزخان مملكة أويغور الإديقوت، وأدمجها في إمبراطوريته، واستفاد من حضارتهم حيث جعل لغتهم هي اللّغة الرسمية لإمبراطوريته.

مقدمة

تَكْمُنُ أهمية الموضوع في التّحول الذي أحدثه اعتناق الأويغور الأتراك الإسلام بقيادة خاقانهم الأول **"ستوق بغرخان"** حوالي سنة 320هـ/932م، فقد أدى إسلامه إلى انقلاب جذري في تاريخ الأتراك وآسيا الوسطى، لأن قبيلة الأويغور هي أول قبيلة التركية أسلمت وأنشأت علاقات سياسية وثقافية مع الخلافة العباسية.

الأهمية الثانية أنه بعد هذه السنة بدأت أنظار الأويغور تتجه صوب الغرب تجاه بلاد ما وراء النهر، من هنا بدأ احتكاكهم شيء فشيء بالإسلام، ثم أصبحوا في وقت قصير العنصر الرئيسي للجيش العباسي، فساعدوها في القضاء على الثورات والتمردات التي واجهتها داخليا، بل استطاعوا رغم حداثة اعتناقهم الإسلام نصرة المذهب السني على المذهب الشيعي.

كما يعتبر هذا الأمر عامل مهم يساعد على معرفة التغيرات الجيوسياسية في منطقة وسط آسيا، فبعد تحويل الأويغور عاصمتهم إلى الجهة الغربية بجوار مدينة**"كاشغر"**، دخلوا في صراع مستمر مع كل من: الدولة السامانية والدولة الغزنوية على حكم أراضي بلاد ما وراء النهر وخرسان، ولهذا الأمر أهمية تاريخية كبرى، فعلى أساسهم ترتب توسع السلاجقة والقبائل التركية الآخرى - فيما بعد - على حساب أراضي الخلافة العباسية، من هنا قامت الدولة القراخانية بدور مهم في تحديد وجهة الشعوب التركية تجاه أراضي الخلافة الإسلامية، ففي سنة 1037م أصبحت مدينة **"نيسابور"** عاصمة للدولة السلجوقة، وقَطع هؤلاء علاقاتهم بدول الشرق الأقصى، وتبنوا الإسلام، وكذلك فعل أل عثمان فيما بعد عندما أسسوا الخلافة العثمانية التي سيطرت على كل منطقة الأناضول، وورثت جميع أراضي الإمبراطورية البيزنطية المنهارة، وسيطرت على أغلب العالم الإسلامي.

أما فيما يخص الحياة الدينية فقد أدى اعتناق الخقان الأويغوري**"ستوق بغرخان"** الدين الإسلامي في بلاد تركستان إلى تحول جذري لدي الأويغور، حيث نبذ هؤلاء المعتقد الوثني الشاماني، وعكفوا على تعلم الدين الإسلامي، وعملوا على نشره بين مختلف شعوب آسيا الوسطى، كما عملوا على تبني الحضارة الإسلامية، مما أدى إلى ازدهار دولتهم.

وقد أدت عدة دوافع إلى إختيار الموضوع أذكرها فما يلي:

1- معرفة تاريخ شعوب وقبائل آسيا الوسطى، التي إعتنقت الدين الإسلامي.

2- تشجيع الأستاذ الدكتور أحمد شريفي صاحب مشروع الماجستير الموسوم بـ"العالم الإسلامي وقارة آسيا"، لنا للبحث في الموضوعات الخاصة بالشعوب الآسيوية.

3- العمل على إثراء المكتبة الجزائرية بموضوعات متخصصة في تاريخ العالم الإسلامي وآسيا، وخاصة أن هذا النوع من الدراسات تكاد تنعدم في الجامعات الجزائرية.

4- رَغبة مني في التخصص في تاريخ المشرق الإسلامي، وهذه الرغبة نابعة من نقص الأساتذة المتخصصين في هذا المجال.

سعت هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن إجمالها في النقاط التالية:

1- التَّعرف على أصل شعوب الأويغور، وتحديد موطنهم الأصلي مع تسليط الضوء على أهم معتقداتهم الوثنية.

2- دراسة الحضارة الأولى التي أنشأها الأويغور في وادي أورخون في منغوليا، ومعرفة عن من أخذوها، هل عن الصينيين أم عن المغول، أم كانت من نتاجهم الخاص.

3- معرفة العوامل التي جعلت الأويغور يعتنقون الدين الإسلامي ويحافظون على هويتهم الإسلامية إلى غاية اليوم، رغم كل الويلات التي تعرضوا ويتعرضون لها من طرف الصينيين.

4- تسليط الضوء على الدور المهم الذي لعبوه في نشر الإسلام بين الشعوب الآسيوية الأخرى.

5- تسليط الضوء على الحضارة الإسلامية التي أسّسها الأويغور في تركستان الشرقية وبلاد ما وراء النهر، والدّور الهام الذي أدّوه كحلقة وصل بين مختلف الثقافات الأسيوية من صينية ومغولية وتركية وفارسية وهندية.

مقدمة

تسعى الدراسة إلى إماطة اللثام عن تاريخ الأويغور اللذين يحتفظون بهويتهم الإسلامية إلى غاية اليوم، رغم ما تعرضوا له من محن وويلات واضطهدات عبر التاريخ، في الفترة الأولى من طرف الخَطَا والمغول، ثم من طرف الصين الشيوعية والسوفيات الروس، وما يعانونه اليوم من طرف الدولة الصينية، رغم ذلك لا يزالون يتمسكون إلى حد اليوم بالهوية الإسلامية.

أتت إشكالية الموضوع لتَدْرس: الشعوب التي أسلمت وقدمت خدمات جليلة للحضارة الإسلامية، وعلى رأسهم الأويغور الذين نافسوا الشعوب الآخرى في ذلك.

ومن التساؤلات الجزئية التي تطرح هي:

1- من هم الأويغور ؟ إلى أي القبائل التركية ينتمون ؟
2- هل كانت تركستان الشرقية(سنجيانج) هي الموطن الأصلى لهم ؟ وكيف اعتنقوا الدين الإسلامي ؟
3- لماذا إختاروا المذهب الحنفي على المذهب الشافعي ؟
4- كيف استطاع الأويغور أن يكونوا حلقة وصل بين العالم الإسلامي والشرق الأقصى ؟
5- ما هي إسهامات التي قدموها للحضارة الإسلامية ؟
6- ما هو سر محافضتهم على هويتهم الإسلامية إلى غاية اليوم ؟

إن مشكلة الغموض والتكتم حول إسهامات الأويغور الأتراك في الحضارة الإسلامية، لا يكمن مرده إلى شح المادة المصدرية والوثائقية فحسب، بل يكمن في اعتقادي إلى توجه عموم الباحثين إلى دراسة التاريخ السياسي العام لتلك الشعوب، وإهمال الجوانب الأخرى كالاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

إستعملت المنهج التاريخي لمعالجة هذه الدراسة، ويتضمن لأسلوب الوصفي لعرض المعلومات والحوادث في شكل مرتب، والأسلوب التحليلي القائم على استنطاق النصوص وتحليلها ونقدها ثم المقارنة بينها، وهذا المنهج فرضته طبيعة الدراسة بحكم اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، المحيطة بتاريخ الأويغور الأتراك في آسيا الوسطى.

مقدمة

ولمعالجة الموضوع وضعت خطة، حيث قسمت البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وخمسة فصول يحتوي كل فصل على أربعة مباحث، وأتبعت هذه الفصول بخاتمة.

- مقدمة: مهدت فيها للموضوع والدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع ثم طرحت إشكالية البحث والنقاط المسطرة لمعالجته، وتحديد الخطة المتبعة.

جاء عنوان **الفصل التمهيدي**: **بـ"التعريف بالأويغور"**، وقسمته إلى مبحثين.

حيث تعرضت إلى أصل والموطن الأويغور، وإلى الانتماء العرقي للقبائل الأويغورية، ودرست قضية الموطن الأصلي لهم. كما تكلمت عن بنية المجتمع وطراز الحياة، من خلال ذكر ملامح الأويغور الخلقية، ونظامهم الاجتماعي، وأهم المميزات التي كانت تميزهم عن القبائل التركية الأخرى، من أهمها التَّحَضُر.

أما الفصل الأول: الموسوم بـ**"الحياة الدينية والسياسية للأويغور قبل إسلامهم"**، فهو يحتوي على أربعة مباحث.

تحدثت في هذا الفصل عن معتقادات الأويغور الدينية قبل إسلامهم، مثل إعتناقهم الوثنية/الشامانية، والبوذية، والزرادشتية، والمانوية، ثم الديانة المسيحية النسطوري. ثم تتبعت أوضاع القبائل التركية الأويغورية في منغوليا في عهد حكم الأتراك الهون وفي عهد التبغاج. ثم كيف تعايشوا مع دولة"الكوك تورك" التي كانت موجودة في منطقة منغوليا، حيث اندمج هؤلاء معهم وكونوا إتحادا سياسيا ساعدوا به هذه الدولة على جميع المستويات.

بعدها بيّنت كيف استطاع الأويغور الإطاحة بدولة"كوك توك" التركية في منغوليا، وأسّسوا على أنقاضها دولتهم، وأعطيت لمحة وجيزة عن الحضارة التي بنوها هناك.

أما **الفصل الثاني**: فعنونته بـ**"التفاعل السياسي للأويغور بعد إسلامهم"**، وقسمته إلى ثلاثة مباحث.

تكلمت عن هجرة الأويغور من منغوليا إلى تركستان، وبرهنت أن القبائل الأويغورية هم من

أسّس الدولة القراخانية. وبعدها درست نوعية النظام السياسي والإداري لهذه الدولة التي إعتنقت الإسلام، وكيف كان نظامها العسكري، والاجتماعي والاقتصادي.

بعدها تكلمت عن علاقة الدولة السياسية بالقوى المجاورة لها، وركزت على العلاقات مع الدولة السامانية، والغزنوية، والسلاجقة، ثم تتبعت أوضاع الأويغور بعد سيطر الخطا الوثنيين على دولتهم.

وعنونت **الفصل الثالث:** بـ**"إسهاماتهم في المجال الديني"**، وقسمته إلى أربعة مباحث.

حيث تطرقت فيه إلى كيفية إعتناق الأويغور القراخانيون الدين الإسلامي وكيف تمسك خاقاناتهم بالإسلام. وتتبعت الجهود التي بذلوها لنشر الدين الإسلامي، وذكرت أهم النتائج التي ترتبت على ذلك. ومن أهمها إسهماتهم في بناء المنشآت الدينية، مثل: بناء المساجد والمدارس الأضرحة.

وذكرت إهتمام خانات الدولة القراخانية بالعلم والعلماء، من خلال رعايتهم العلم والعاملين عليه، وأعطيت لمحة عن التواصل العلمي الذي كان بين حواضر الدولة القراخانية وحواضر الخلافة العباسية.

أما **الفصل الرابع:** فعنونته بـ**"إسهاماتهم في المجال الثقافي"**، وقسمته إلى أربعة عناصر، حيث درست فيه أصل اللغة الأويغورية وتطورها إلى أن أصبحت تستعمل الحروف العربية في تدوينها، وتكلمت عن مدى تطور الطباعة والترجمة لدى الأويغور، وحدثت عن الإنتاج الأدبي الأويغوري. من خلال ذكر عدد من الأدباء وكتبهم، أمثال: الفارابي الفيلسوف الأديب، وإسماعيل بن حماد الجوهري، والإمام الزمخشري، وأدباء مدينتي الشاش وإخسكث.

الفصل الخامس: عنونته بـ**"اسهامات الأويغور في مجال العمارة والفن"**، وقسمته إلى أربعة مباحث.

حيث تطرقت إلى تشييد الأويغور المدن والقصور ومحاط الرحال(الربط والخانات).أما في مجال الفن، فقد أسهموا في تطوير الموسيقى والمسرح. كما برعوا في "فن التصوير"، حيث

أسسوا مدرسة خاصة بهم في التصوير، وقد أثروا على التصوير الإسلامي"، في مختلف الفترات، الفترة العباسية(132-656هـ/750-1258م)، والفترة السلجوقية(447-656هـ/1055-1258م)، وفي الفترة المغولية.

- خاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

من أجل تحقيق هذه الخطة، إستعنت بعدد من المصادر والمراجع، منها من يصب مباشرة في صميم الموضوع، وأخرى تُعالج بعض جوانبها، وسوف أحاول عرضها في هذه الجزئية:

أولا- المصادر:

- كتاب **"ديوان لغات الترك"، لمحمود الكاشغري القراخاني الأويغوري**، مصدر مهم ألفه في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، ما بين: 464 و466هـ/1072-1074م، باللغة العربية في بغداد زمن السلاجقة، وقدمه كهدية للخليفة العباسي أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدى بأمر الله(467-487هـ/1075-1094م)، والكتاب على جانب كبير من الأهمية يقدم لنا وجهة نظر تاريخ الحضارة التركية الأويغورية الإسلامية، ويبرز حياة الأتراك السياسية والاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم.

كما هو عبارة عن دائرة معارف نُظمت طبقا للترتيب الأبجدي للهجات التركية المتحدث بها والمكتوبة في زمانه، والكتاب عبارة عن قاموس يعطي لسبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية مقابلها العربي، فهو يرقى إلى درجة دائرة معارف ثمينة، حفظت تراث لغة وثقافة الأتراك.

قام بترجمة طبعة "ديوان لغات الترك" التي بين يداي الباحث التركي: بسيم أطالاى(1939-1941م)، والتي ظهرت ضمن نشريات مجمع اللغة التركية، وقد أفادني الكتاب كثيرا، خاصة في دراسة التاريخ التركي وأساطيره والأدب الشعبي، وعن معرفة

جغرافية القبائل التركية وعددها ومواطنها، خاصة أنه جال في مواطنهم، فكان شاهد عيان، وفي التعريف باللغة التركية واللغة الأويغوري ومميزاتها.

- كتاب**"تاريخ فاتح العالم"(جهان كشاي)** الذي ألفه: **علاء الدين عطا ملك الجويني**، باللغة الفارسية وحققه محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمه الأستاذ: السباعي محمد السباعي، والكتاب يتكون من مجلدين، عثرت على المجلد الأول فقط الذي إستعملته في إنجاز بحثي، يتكون هذا الجزء من 281 صفحة، ويعتبر من بين المصادر المهمة التي استعنت بها، فقد كان مؤلفه الذي توفي سنة 681هـ واحدا من رجالات الدولة المغولية، شاهد أحداثها وكتب هذا المؤلف مسيرة تطور الأدب الفارسي.

احتوي الكتاب على معلومات غاية في الأهمية عن الأويغور، حيث تطرق إلى أصلهم وموطنهم، مستنبط ذلك من بعض ملاحمهم وأساطيرهم القديمة، فقد ذكر بدقة نسب الأويغور الإيدقوت وموطنهم وبعض عاداتهم وكيفية إنضمامهم إلى دولة جنكيزخان، وكان ذلك في الصفحات الممتدة من 81 إلى 93، إلاّ أنّ الكتاب أغلبه كان يتحدث عن المغول واحتلاله أراضي الصين والمسلمين، إلاّ أنه أفادنى كثيرا في الإطلاع على تاريخ الأويغور المبكر مثل الأصل والموطن.

ثانيا- المراجع:

- كتاب:**"أتراك الأويغور"، لأركين آلبتكين،** مكتوب باللغة التركية وترجمه إلى اللغة العربية الدكتور محمد السيد محمد جاد الحق، وهو كتاب صغير يتألف من 175 صفحة، تناول في طياته عدة مواضيع مهمة، منها الوطن الأم للأويغور وتاريخهم السياسي، والشيء المهم في هذا المؤلف هو تطرقه إلى الجوانب الثقافية والحضارية للأويغور سواء قبل أو بعد إسلامهم، وقد أفادني كثيرا في معرفة الأدب الأويغوري في المرحلتين، والتعرف على اهم الشعراء الكلاسيكيين والمحدثين، كما أفادني في التعرف على رواد الموسيقى والمسرح، والأمر الإيجابي في هذا الكتاب هو إعطاء صورة واضحة على الأبجدية الأويغورية

وتطورها، حيث تتبع جميع مراحلها تطور هذه اللغة، والكتاب غني بالمادة العلمية الخاصة بالمنشآت الأويغورية.

الشيء السلبي على هذا المؤلف هو اقتضاب وتشتت بعض معلوماته، ويرجع ذلك في اعتقادي إلى ضعف الترجمة، ففي كثير من الأحيان كانت تلك الترجمة ركيكة لا تفي المعنى التركي، ولكن على العموم الكتاب أفادني كثيرا، فقد وجدت فيه مبتغاي وغطيت به النقص الذي صادفني في الجوانب الثقافية والحضارية للدولة القراخانية الأويغورية.

- كتاب **"القراخانيون دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية"(315-607هـ/927-1210م)**، للأستاذة الدكتورة العراقية: **سعاد هادي حسن إرحيم الطائي**، صدر حديثا في سنة 2016م عن دار صفحات، ويتكون من 189 صفحة، تناولت في الفصل الأول منه: الأصول التاريخية للقراخانيين، وكيفية إعتناقهم الدين الإسلامي، وإهتمامهم بالعمارة، أما الفصل الثاني والثالث: فتطرقت فيهما إلى علاقة هذه الدولة بكل من الدولة السامانية والغزنوية، وذكرت في الفصل الرابع: عوامل سقوط الدولة القراخانية، وخصصت الفصل الخامس: للتكلم عن الحياة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عصر الدولة.

الكتاب مهم من حيث عنوانه فقد سمعت عنه في الفترة التي تم إصداره فيها، وحاولت لإتصال بالدكتورة لكي تمدني بنسخة منه، ولكن لم ترد عليا، فإتصلت ببعض الأساتذة الأصدقاء المتواجدين ببغداد قصد الحصول عليه، ولكن لسوء الحض الأوضاع الأمنية المتوترة بها حالت دون ذلك، وبعدها علمت بأن المؤلف كان موجود في معرض الكتاب بالجزائر العاصمة 2016م، ومع الأسف أنني لم أذهب إلى ذلك المعرض لبعد المسافة بين ولاية أدرار والعاصمة، وكذلك لكثرة إنشغلاتى الإدارية، ومن محاسن الصدف أننى وجدته في أثناء رحلتى إلى مدينة إستانبول، حيث أعطاني إياه الأخ والصديق الأويغوري، عبد السلام، الذي يعمل بجمعية "المعارف"، الموجودة بمنطقة "فندق زاده" بعمارة رقم: 108، فجازه الله كل خير هو والأخ عبد الأحد عبد الرحمن، وكل الإخوى الأويغور الذين تعاونوا معي.

مقدمة

كانت فرحتى كبيرة بالحصول على الكتاب، وخاصة أن عنوانه يخدم موضوعي، ولكن أُصِبت بالدهشة عندما تصفحته، حيث وجدت معلوماته سطحية غير متعمقة، كنت قد تطرقت إلى جميعها في بحثي، فهي لم تتعمق في تحديد أصول القراخانيين التاريخية، وإكتفت بما ذهب إليه المؤرخ الروسي بارتولد فقط، كما أنها لم تعطينا صورة واضحة عن كيفية إسلام الحاكم الأويغوري "ساتوق بوغراخان"، وإكتفت بنقل الرواية الموجودة عند المؤرخ إبن الأثير والأكاديمي بارتولد، وقد أعطتنا فكرة مقتضبة عن المنشآت المعمارية للدولة القراخانية.

في المقابل أسهبت الدكتورة في ذكر العلاقات السياسية والعسكرية بين الدولة القراخانية والدولة السامانية والغزنوية والخلافة العباسية، وهذه المعلومات موجودة بغزارة عند المؤرخ البيهقي والكرديزي والعتبي، وكنت قد إستعملتها في بحثي، لذلك لم تمدنى بأي جديد في هذه الجزئية، وقد كانت معلوماتها في الحياة العلمية للدولة القراخانية جد مختصرة فهي لم تتوسع فيها.

مع ذلك الكتاب مهم لمن أراد أن يأخذ فكرة بسيطة عن الدولة القراخانية، فهو مفيد ومختصر، تناولت فيه بوضوح جميع جوانب هذه الدولة بإختصار مفيد، والكتاب حديث صر في سنة 2016م عن دار صادر السورية.

- كتاب **"فنون الترك وعمائرهم"، لاوقطاي آصلان آبا**، الصادر عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، باستانبول، في سنة 1407هـ/1987م، وهو كتاب كبير يصل عدد صفحاته إلى 442 صفحة، وهو مهم جدا يتألف من ثلاثين فصل، تطرقت جميعها إلى المنشآت المعمارية للأتراك، منذ القديم إلى غاية العصر الحديث، وما أفادنى منه هو الفصل الأول والثاني، حيث تطرق فيهما المؤلف إلى فنون الأويغور قبل الإسلام، وفنونهم المعمارية بعد إسلامهم، وتأسيسهم الدولة القراخانية، فقد غطيت به النقص الذي صادفنى في بحثي، خاصة في مجال بناء القصور والخانات والمساجد والأضرحة الجنائزية، فالكتاب جد مهم ومتخصص.

مقدمة

- كتاب **"فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي"، لربيعة حامد خليفة** المصري، الذي ألفه في سنة 1996م، والكتاب صغير الحجم يتألف من 143 صفحة، ولكنه قيم جدا، فهو يتكون من ثلاثة فصول زائد مقدمة وخاتمة، تناول في الفصل الأول منه:التعريف بالأويغور وموطنهم ومعتقداتهم، ثم تطرق إلى تأسيسهم الدولة القراخانية ودرس علاقاتها بكل من الغزنويون والسلاجقة وأمراء خوارزم ثم المغول.

أفادني ما جاء في الفصلين الثاني والثالث من الكتاب، حيث تطرق إلى فن التصوير الأويغوري، مثل: الرسم على الجدار والتصوير على المخطوطات، كما تطرق إلى تأثير كل من المدرسة الصينية والفارسية والهندية في فن التصوير الأويغوري، أما الفصل الثالث الذي تطرق فيه إلى تأثير فن التصوير الأويغوري بفن التصوير الإسلامي، وهذا ما ساعدني على تغطية الجوانب الفنية لبحثي.

- كتاب **"العرب والإسلام في أوزبكستان تاريخ آسيا الوسطى من أيام الأسرة الحاكمة حتى اليوم"**، للباحثين الأوزباكيين: **بوريبوي أحمدوف وزاهد الله منوروف**، الطبعة الثانية 1999م، يصل عدد صفحات المؤلف إلى 464 صفة، ويتكون من خمس عشرة فصل، وقد أفادتني الفصول الأولى من هذا الكتاب خاصة من الفصل الثالث إلى الفصل الثامن، المتناولة الأحوال السياسية للأتراك في آسيا الوسطى، وفي الفصل السادس تحدث عن بلاد ما وراء النهر في عهد الدولة القاراخانية الأويغورية، وقد وجدت معلومات دقيقة عن أسماء وألقاب الحكام القراخانيون، كما ساعدني هذا الفصل في تغطية الأحوال الاجتماعية للدولة القراخانية، وقد كانت معلومات الكتاب قيمة احتوت تفاصيل دقيقة عن أحول القراخانيين الاجتماعية لم أجدها في المصنفات الأخرى، فالكتاب فريد في نوعه لمن أراد التطرق إلى أحول آسيا الوسطى في مختلف العصور لا في العصر الأويغوري فقط.

- كتاب **"تاريخ الترك في آسيا الوسطي"** و**"تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي"**، للمستشرق الروسي **بارتولد**، أما الأول فهو عبارة عن عشرة محاضرات مهمة لخصت لنا ما وصل إليه العلماء الروس والأوربيون عن دراسة تارخ الترك وشعوب آسيا الوسطى، وقد جاءت المحاضرات غنية بمعلومات وتفاصيل دقيقة لا نجدها في المراجع

الأخرى، وقد أفادني هذا الكتاب في التّعرف على أصل الأتراك والأويغور وموطنهم الأصلي، وعن أصل اللّغة الأورخونية والأويغورية، والملاحظ على هذا المؤلف اهتمامه بالحياة الدينية، فقد أمدني بمعلومات وافرة عن المعتقدات التي اعتنقها الأويغور منذ القديم إلى إعتناقهم الإسلام، وقد قدم هذا الكتاب تخمينات عن كيفية انتقال تلك المعتقدات إلى الأتراك والأويغور، ولكن لا يمكن تقبل كل ما جاء به بارتولد لأن معلوماته في كثير من الأحيان كانت غامضة تحتاج إلى توضيح، وعلى العموم الكتاب كان غني بالمعلومات عن أقوام وسط آسيا في فترة دراستي وقد أفادني كثيرا.

أما الكتاب الثاني المعنون **بـ"تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي"**، فقد ألفه باللغة الروسية ونقله إلى اللّغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم، وكانت الطبعة الأولى في سنة 1401هـ/1981م، طبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالكويت، ويحتوي على 1037 صفحة، مقسمة إلى خمسة فصول مهمة زائد ملاحق غنية بالنصوص التاريخية، تطرق في المدخل إلى أحوال آسيا الوسطى في العصور السابقة للغزو المغولي وفترة الغزو، وأشار إلى أهم البحوث الأوروبية التي أجريت على ذلك، وتطرق في فصول إلى تعريف بلاد ما وراء النهر وتركستان، كما أعطانا أهم المصادر والمراجع المتحدثة عن تلك البلاد الشاسعة، ثم أمدنا بمعلومات تاريخية مهمة عن أوضاع تلك المنطقة قبل الغزو المغولي، حيث تطرق إلى أهم الممالك والدول التركية وغير التركية التي تأسست هناك، ثم تكلم عن بلاد ما وراء النهر وتركستان في عهد المغول.

أفادنى هذا الكتاب المهم في التّعرف على تاريخ قبيلة الأويغور منذ القديم وأهم المعتقدات الدينية التي اعتقدوها وكيف تسربت إليهم، ثم كيف أسسوا أول دولة لهم في منغوليا وبعدها انتقلوا إلى تركستان وأسسوا الدولة القراخانية، وقد أمدنى الكتاب بمعلومات دقيقة عن أصل الأويغور، وما هو سر كثرة تبنيهم الكثير من معتقد، وما علاقة ذلك بالتجارة، كما تطرق إلى الصراع الذي كان قائما بين القبائل والممالك والدول في آسيا الوسطى.

فالكتاب جد مهم لمن أراد أن يدرس تاريخ آسيا الوسطى، فيمكن القول أنه لا يتم فهم تاريخ تلك المنطقة دون الرجوع إلى هذا الكتاب القدير، الذي أعطى فيه مؤلفه معلومات

أكاديمية تمتاز بالدقة، مع ذلك لا يجب الانسياق كليا وراء صحة معلومات بارتولد، ويجب إعادة تحقيق وتمحيص بعض النظريات والأفكار الذي ساقها في الكتاب، وقد نبهت إلى ذلك في أثناء بحثي.

واستغرقت وقتا طويلا للظفر بهذا المؤلف المهم، حيث بدأت رحلة البحث عنه منذ فترة تحضيري لشهادة الماجستير، وقد بلغني أنه موجود عند أحد الأصدقاء من الدفعة، فطلبت منه إعارته إياي من أجل تصوير نسخة وإرجاعه له ولكنه لم يفعل ذلك، هذا الشيء حز في نفسي كثيرا وقررت مواصلة رحلة البحث عنه، وسافرت على حسابي الخاص إلى تركيا قصد الظفر به، ومن محاسن الصدف أنني وجدته عند صديقين لي من الأويغور، كل من: عبد الوارث وعبد الجليل توران، اللذان زودوني بنسخة على شكل (PDF)، فجزاهما الله كل الجزاء، وقد أهديت هذا الكتاب إلى كل من احتاجه.

- كتاب **"المدخل إلى التاريخ التركي"، ليالماز أوزطونا**، والكتاب يتألف من 448 صفحة، وهو مكتوب باللغة التركية وترجمه أرشد الهرمزي، طبعة الدار العربية للموسوعات، سنة 1426هـ/2005م، في لبنان، استعملت الجزء الأول منه، الذي تناول فيه نشأة الأتراك وحدد مناطقهم الجغرافية، وتعرض إلى الدول الكبرى التي أسسوها في آسيا الوسطى ومنغوليا والصين والهند وأراضي العالم الإسلامي، وتطرق في جزئه الثاني إلى تاريخهم في الأناضول.

يُعد الكتاب ملف وثائقي مهم يكشف إسهامات الأتراك في حضارة الإسلامية، كما يشكل مرجعا لا غنى عنه لكل ما يتعلق بالأمة التركية قبل نشوء الإمبراطورية العثمانية.

أفادني هذا المرجع كثيرا في معرفة الأقوام التركية ومناطقهم الجغرافية، كما ساعدني في تتبع التسلسل التاريخي للدول المُؤسسة من قبل الأتراك في آسيا الوسطى منذ غابر التاريخ، كما أعانني على معرفة القبائل التركية وعداتها وتقاليدها، كما ساعدني في تتبع الأويغور قبل تأسيسهم دولتهم حيث كانوا يعيشون في خضم الإمبراطوريات الكبرى، وأمدني بمعلومات دقيقة عن علاقات الأويغور بالقبائل التركية الأخرى وعلاقاتهم مع الصين، والشيء

المهم الذي حصلت عليه من هذا المرجع هو أحوال الدولة الأويغورية التي أسسوها في منغوليا، وأسماء خاناتها وأحول الدولة اجتماعيا وحضاريا، كما أمدني بمعلومات دقيقة عن دولة القراخانيين التي أسسوها في تركستان، والحضارة التي بنوها هناك، وكيفية اعتناقهم الإسلام والأدب الذي أنتجوه.

فالكتاب مهم من حيث دقة معلوماته وتفاصيله التي لم أجدها في المراجع الأخرى، كيف لا والمؤلف تركي الأصل، يقطن في تركيا، اهتم بتدوين تاريخ أجداده الأوائل وعلى رأسهم الأويغور، الذين يعود لهم الفضل في دفع قبائل الغز التركية للهجرة نحو الغرب واعتناق الإسلام ثم تأسيس الدولة العثمانية، وبعدها الدولة التركية الحديثة.

- كتاب **روني قروسي (René GROUSSET)** الموسوم بـ**" L'EMPIRE DES STEPPES"**، المتألف من 669 صفحة، وقد تحدث عن مناطق الإستبس في أوراسيا، وعن القبائل التركية المغولية، وتكلم عن الحياة السياسية في آسيا الوسطى، وعن تأسيس الأتراك الإمبراطوريات سواء في منغوليا أو تركستان، مثل إمبراطورية الهاون وأتراك طوكيو، وتطرق إلى الهيمنة الصينية على آسيا الوسطى من قبل أسرة تانغ، وثم ذكر تاريخ الدولة السامانية والسلجوقية والخطا والدولة الخوارزمية، وأوضاع روسيا ثم ذكر الغزو المغولي وتأسيسهم إمبراطورية واسعة، حيث تتبع تاريخهم إلى سنة 1360م.

الشيء المهم الذي أفادني في هذا المؤلف هو تطرقه إلى إمبراطورية الأويغور الأتراك في منغوليا من صفحة 157 إلى صفحة 174، والدولة القراخانية المسلمة في الصفحات الممتد من الصفحة 195 إلى الصفحة 199، وكانت معلوماته دقيقة ومهمة، ساعدتني على أخذ معلومات أخرى عن الأويغور لم أجدها لدى المصادر والمراجع السابقة.

لا شك أن أي بحث لا يخلو من صعوبات، وقد صادفتها في إعداد هذه الأطروحة، من بينها: قلة المصادر والمراجع المتناولة لتاريخ الأويغور، وإن وجدت فهي تسهب الكلام عن الجوانب السياسية والعسكرية، دون التطرق إلى الحياة الاجتماعية والثقافية والعمرانية، وقد حاولت تدارك هذا النقص بالسفر إلى تركيا علنى أجد ضآلتي، واتصلت ببعض الأويغور

هناك، ولكن أغلب المراجع التي وجدتها بحوزتهم إما مكتوبة باللغة الأويغورية التي أجهلها، وإما تتناول تاريخ الأويغور في العصر الحديث والمعاصر، وخاصة بعد احتلال الصين لتركستان الشرقية سنة 1949م.

الصعوبة الآخرى هي ارتباط تاريخ الأويغور بالكثير من الأساطير والملاحم الشعبية، وكذلك التحامها بعدد من القبائل التركية الأخرى في تكوين إتحاد حاكم في آسيا الوسطى، هذا ما صعب عليا تتبع سيرورة تطور تاريخهم إلى غاية تكوين دول مهمة في منغوليا وتركستان الشرقية.

من بين الصعوبات كذلك تشتت تاريخ الأويغور بين عدة لغات آسيوية، فكثير من المعلومات موجودة في المصادر الصينية التي لا يمكننا الوثوق بمعلوماتها بشكل كبير، وذلك لما للصينيين من تفكير إيديولوجي الساعي إلى تزعم آسيا الوسطى منذ القديم وإلى الوقت الحاضر، فالصين تحشد معلوماتها لتدعيم فكرة مفادها أن تركستان الشرقية هي جزء لا يتجزء من أراضيها منذ القديم، لذلك تواصل التمسك باحتلالها منطقة موطن الأويغور الأصلية، وتطلق عليها اسم "سنغيانغ" ومعناها "المستعمرة ذاتية الحكم"، وفي الحقيقة أنّ عدم معرفتي باللغة الصينية جعلني أفتقر للمعلومات المهمة الموجودة في مصادرهم، ومن ثم لم أتمكن من نقد الفرضيات الصينية التي تطرحها عن: أصل موطن الأويغور؟ وعن فرضية تركستان تاريخيا هي أرض صينية ؟ رغم ذلك حاولت تحديد الموطن الأصلي للأويغور وهو تركستان الشرقية، ودعمت هذا الأمر بالحجج.

كما أدى عدم معرفتي باللغة الفارسية والتركية والأويغورية إلى فوات كثير من المعلومات والأخبار عن الأويغور، وقد حاولت تعلم اللغة التركية خاصة عندما كنت متواجدا في العاصمة، وسجلت في مركز متخصص في تعليم اللغة التركية المتواجد في دالي براهيم، ولكن للأسف لم أتمكن المواصلة في هذا المشروع لأنني انتقلت للعمل في جامعة أدرار، ونظرا لبعد المسافة وعدم وجود متخصصين في تعليم هذه اللغة في ولاية أدرار حال دون ذلك، ولكن حاولت تدارك هذا النقص بالرجوع إلى بعض الكتب المترجمة عن هذه اللغات.

مقدمة

أشكر الله القدير العليم الذي أمدني بالقدرة اللازمة لإتمام هذا البحث، وأشكر المشرفة الكريمة الأستاذة الدكتوره نبيلة عبد الشكور التي سهرت على قراءة وتصويب هذا العمل، فهي لم تبخل يوما عن إفادتي بملاحظاتها القيمة، وأشكر الأستاذ الدكتور الكريم أحمد شيريفي رئيس مشروع الماجستير، الذي لم يبخل عليا بنصائحه وملاحظاته الدقيقة، أبقاهما الله ذخرا للعلم والعلماء.

كما أتوجه بالشكر إلى إخوتى الأويغور المتواجدين في تركيا الذين أعطوني بعض المراجع المتحدثة عن تاريخهم، وأخص بالذكر كل من الأستاذ عبد الفارس وعبد الجليل طوران وعبد السلام الذين أكرموا وفادتنا أنا وزميلي محمد زرقوق، فلهم مني كل التقدير والإحترام وجزيل الشكر، كما لا أنسى شكر زميلي الأستاذ زرقوق الذي كان رفيقي وأنيسي في رحلتى الأولي إلى تركيا للبحث عن المصادر والمراجع المتخصصة في موضوعي.

الفصل التمهيدي:

التعريف بالأويغور.

المبحث الأول: الأويغور الأصل والموطن.

المبحث الثاني: بنية المجتمع وطراز الحياة.

المبحث الأول: الأويغور الأصل والموطن:

أولا: الانتماء العرقي للأويغور:

الأويغور من بين القبائل التركية(أنظر الخريطة رقم:02)[1] المشهورة التي استوطنت آسيا الوسطى[2] ، وعن الأتراك التي ينتمي إليهم هؤلاء، يقول المؤرخ محمود الكاشغري، أنهم في الأصل عشرون قبيلة، ولكل قبيلة بطون لا يحصيهم إلاّ الله، وأول قبيلــة قريبـــة من حــدود الـــــــرُّوم[3] هــي: بجنـــــك ثـم تليهــــــا قفجـاق[4] ثـــــــم

---

[1]- أنظر خريطة رقم: 01، ص. 380.

[2]- آسِيَا: بكسر السين وياءٍ وألف مقصورة، وهي كلمة يونانية، فقد كان هؤلاء يقسمون المعمورة من الأرض بأقسام ثلاثة: لوبية، وأورفى، وما استقبل هاتين القطعتين من المشرق يسمى آسيا، ووصفت بالكبرى، لأن رُقعتها أضعاف الأخريين في السعة، ويحدّها من جانب الغرب، النهرُ والخليجُ المذكورين الفاصلان إياها عن أُورفى، ومن جهة الجنوب بحر اليمن والهند، ومن المشرق أقصى أرض الصين، ومن الشمال أَقصى أرض الترك وأجناسهم، وأصل هذه القسمة من أهل مصر، وعليه بقيت عادتُهم إلى الآن، فإنهم يُسمون ما عن أيمانهم إذا استقبلوا الجنوب مغربًا، وما عن شمائلهم مشرقا، وهو كذلك بالإضافة إليهم، إلا أنهم رفعوا الإضافة وأطلقوا الاسمَين، فصار المشرق لذلك أضعاف المغرب، ولما اخترق بحر الروم قسم المغرب بالطول، سمّوا جنوبّي القسمين لوبية، وشماليهما أوفي، وأما المشرق فتركوه على حاله قسما واحدا من أجل أنه لم يقسمه شيءٌ كما قسم البحر المغربَ، وبَعُدَت ممالكه أيضا عنهم، فلم يظهر لهم ظهور المغربية حتى كانوا يعلنون تحديدها، ونسب جالينوس في تفسيره لكتاب الأهوية والبلدان هذه القسمة، إلى أسيوس، هكذا حال القسمة الثلاثية التي يظن بها أنها الأولى بعد الاجتماع، وذكر جالينوس في تربيعها أن من الناس من يقسم آسيا إلى قطعتين فتكون آسيا الصغرى، هي العراق وفارس والجبال وخراسان، وآسيا العظمى هي الهند والصين والترك، وحكي عن أرُوذَطِس أنه قسم المعمورة إلى: أُورفى، ولوبية، وناحية مصر، وآسيا، وهو قريب مما تقدم، والأرض بالممالك، منقسمة بالأرباع، فقد كان يُذكر كبارها فيما مضى، أعني: مملكة فارس، ومملكة الروم، ومملكة الهند، ومملكة الترك، وسائرها تابعة لها.(أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج.3، دار صادر، بيروت، د.ت.ن، ص ص، 246-247.).

[3]- الرُّومُ: هم جيل يقطنون في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم، يحدها من الجهة الشرقية وشمالية الترك والخزر والروس، وجنوبهم بلاد الشام ومن الغرب البحر والأندلس، وكانت الرّقّة والشامات تُعدّ في حدود الروم أيّام حكم الأكاسرة، وكانت دار الملك مدينة أنطاكيا إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.3، ص ص، 97-98.).

[4]- القفجاق: أصلها التركية بالباء الفارسية بد الفاء، ولما عرّبت أبدلت فاء، والقفجاق قبائل كثيرة وشهيرة من بين الأقوام التركية وقديمة جدا باقية من عصر أوغوزخان، ولهم معاملات ومحاربات كثيرة مع الروس أكثر من معاملات من سواهم من الأقوام التركية، حتى تكررت بينهما المصاهرة وبذلك صارت لحمة الروس من التركية مع الاشتباه في سداها، وكانت لهم سلطنة ببرية قزاق وقرغيز، وسميت هذه البرية بدشت قفجق بمعنى برية القفجاق. (أنظر، الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تح: إبراهيم شمس الدين، ج.1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1423هـ/2002م، ص.214. فما بعدها.).

أغز[1] ثم يمك ثم بشغرت ثم يسمل(باسميل) ثم قاي ثم يباقو ثم تتار ثم قرقز(قرغيز)، أما القبائل المتوسطة بين الجنوب والشمال، فهناك: جيكل ثم تخسى ثم يغما ثم اغراق ثم جرق ثم جمل(جيكل) ثم أيغر(الأويغور) ثم تنكت(التانكوت) ثم ختاي(الخطا) وهي الصين[2] ثم تفغاج[3]، ويبدو أن المؤرخ بدر الدين العيني أخذ المعلومات عن هذا الأخير لأنه يذكر نفس الترتيب[4].

ولم تخبرنا المصادر التاريخية من أي القبائل التركية ينحدر الأويغور، وقد ذكر الباحثون عدة أراء في ذلك، فالمؤرخ ربيع حامد خليفة، يقول: أنهم ينحدرون من قبائل "هواى هو" التي تعتبر فرعا من فروع "الهيونغ نو"(الهاون) - سأتحدث عنها لاحقًا في البحث-، ويذكر بأن الصينيين يُرجِعونهم إلى قبيلة "تله وت/ Televut"[5]، ويرى المؤرخ التركي أركين ألبتكين، نقلا عن المؤرخ إبراهيم قفص أوغلو: أن أقوام "تولس"(قاوق/ القارلوق)[6] هم أجداد الأويغور[7]، أما المؤرخ التركي الأخر يالماز أوزتونا فيرجعهم إلى بقايا القوم والدولة القديمة

---

[1] - أُغُزْ: هي قبيلة من الترك، وهم التركمان، يتفرعون إلى 22 بطنا، لكل بطن منها علامة وسمة على دوابهم يعرف بعضهم بعضا بها، أوليها وسرّتهم "قِنِقْ"، منها السلاطين وبطون الغز هي كما يلي: 2- قَيِغْ، 3- بايندر، 4- إقا، 5- سَلْغُر، 6- أَفْشار، 7- بَكْتلي، 8- بُكدُزْ، 9- بَياتْ، 10- يَزْغِرْ، 11- بيْمُرْ، 12- قرابُلَكْ، 13- القابُلكْ، 14- إِكْدَرْ، 15- أُرَكِرْ، 16- تُوترْقا، 17- أُولايُنْدُلُغْ، 18- تُوكَرْ، 19- بَجَنَكْ، 20- جُوَلْدَرْ، 21- جَبْنى، 22- جَرْقْلُغْ.(أنظر، محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري:ديوان لغات الترك، ج.1، دار الخلافة العلية- مطبعة عامره، 1333هـ، ص ص، 56-57.).

[2] - الصين: بالكسر وآخره نون: بلاد في بحر المشرق مائلة إلى الجنوب وشماليها الترك. (أنظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.3، ص.440.).

[3] - محمد الكاشغرى، المصدر السابق، مج.1، ص ص. 27-28.

[4] - بدر الدين العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد"شيخ المحمودي"، حققه نسيم محمد علوى شلتوت، راجعه، محمد مصطفى زيادة،ط.2، دار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1998م، ص ص. 19-20.

[5] - ربيع حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، كلية الأثار، جامعة مصر، 1996م، ص.5.

[6] - القارلوق: تقع بلادهم إلى الشرق من بلاد الاغوز، وأهم قبيلة للقارلوق خي الجيغيل، وكان القاراخانيون الممثلون للدولة التركية الكبرى يستندون إلى دعم القارلوق. (أنظر، يالماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، تر. أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 1426هـ/2005م، ص. 243.)

[7] - أركين ألبتكين: أتراك الأويغور، سلسلة دراسات تركستان الشرقية (1)، تر. محمد السيد محمد جاد الحق، وقف تركستان الشرقية، يناير، 2012م، ص19.

المسماة بنفس الاسم أي الأويغور[1]، وللمؤرخ نصر الله مبشر الطيرازي رأي أخر، حيث يقول: بأن قبيلة سينبي(Siyanpi)[2] هم أجداد الأويغور وطقوز أوغوز، وفي موقع أخر يذكر أنهم ينتمون إلى قبائل "هوكوت"(Ko-guth)[3]، ومن الممكن أن تكون هذه الأخيرة هي فرع من فروع قبيلة "سيانبي" الأم، ومن الصعب الفصل في هذه الأراء ذلك لإنعدام الأدلة لديا، ولكن يمكن الترجيح بأنهم من أحفاد التولس(القارلوق) أو سيانبي.

وقد ظهر مصطلح الأويغور لأول مرة في نقوش أورخون[4]،(أنظر الصورة رقم:01 +02)[5] حيث حَمَلَ رؤساءهم لقب "ئلتبير"(Eltebir) الذي يعني الوالي، وهو لقب متواضع

---

[1] - يالماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص.30.

[2] - السيانبيون أو التبغاج(216-394)، إستلمت سلالة سيانبي- توبا مقاليد الأمور في الدولة التركية الكبرى عوض عن الهون في عام 216 وقد حكمت هذه السلالة 178سنة حتى عام 394م وتوالى على الحكم 16 إمبراطور(يابكو)، وحكم اثنان من حكامهم اثنان من سلالة سيانبي الأصلية في التسعة عشر سنة الأولى بين 216-235 بينما كان الأربعة عشر الذين تلوا هؤلاء من سلالة سيانبي- توبا، وقد كانت قبيلة السيانبيين وسلالتها الحاكمة ضمن الكتل الكبيرة التي ضمتها الإمبراطورية التركية الكبرى في عهد الهون، ومن أمرائهم المعروفين: بين- هو(ت 60 م)، وكيو- لون (120)، تان- شي- هواي(135-180)، وكياو- مان وكان تابعا للهون ثم أتى أخوه تان- شي – هواي، وأطاح بو- تو كين بحكم الهون واعتلى عرش الإمبراطورية الكبرى، ثم قتل سنة 233 وأعقبه ابنه هو- بو- نم وقتل 235 ثم جاءت سلالة سيانبي- توبا(بالتركية تابغاج) وحكموا من سنة 235 إلى سنة 394.(أنظر، نفسه، ص ص، 69-70.).

[3] - نصر الله مبشر الطيرازي: تركستان ماضيها وحاضرها، مكتبة الآداب، القاهرة، 1431هـ/2010م، ص ص، 74-75.

[4] - تعد منطقة أورخون مركز الثقافة الأول للأتراك، وهي تحتوي على أهم أثار للترك المتمثلة في نقوش أورخو، وهي كتابة بقت لنا من عصر دولة الكوك تورك(Gokturk) المؤسسة من قبل قبائل الهاون(Hunlar) في عصور قبل الميلاد، وكانت نقوش أورخون نتاج عصر بلكه قاغان، النقش الأول هو نقش لكول تكين، والذي أمر بنقشه ونصبه أخوه الأكبر بلكه قاغان في عام 732م، أما النقش الثاني فهو نقش لبلكه قاغان حاكم الكوك ترك الشرقية الذي شيده في سنة 734م، فقد أقام نصبين تذكاريين مزينان بالكتابات المزخرفة الجميلة والرسومات المنقوشة في مرتفعات أورخون، أحدهما شيده لنفسه والأخر شيده أخوه "كول تكين" في سنة 732م، أما النقش الثالث والذي يحمل اسم الوزير "طون يوقوق" فقد أمر الوزير هو نفسه بنقشه، فيما بين أعوام 720-725م، ولما كانت هذه الأنصبة المنقوشة قد وجدت على ضفاف نهر أورخون فقد نسبت إلى حيث وجدت، وقد سادت كتابة أورخون بين الأتراك إلى ألاف السنين، ولقد تم اكتشاف كتابات أخرى في ضواحي هذه المنطقة بلغت ست أبجديان. أنظر،(الصفصافي أحمد القاطولي: إطلالة على ثقافة الترك وحضارتهم القديمة، مطبعة النسر الذهبي، القاهرة، 1427هـ/2006م، ص.88. فما بعدها؛ بولات تورفاني: تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، تر: إسلام صالح عبد الفاتح، دار اليسر، القاهرة، 1431هـ/2010م، ص.35.)

[5] - أنظر الصورة رقم: 01 +02، ص. 404.

مقارنة باللقب الذي كان يحمله الأتراك القرغيز[1]، وكان القوم الذين يرأسهم ال"تيبير"(ئلته بيرلك بودون) أقل أهمية من الأقوام الذين كان يرأسهم "قاغان"(قاغانقغ بودوك)[2].

وقد ذكر مصطلح الأويغور لأول مرة في نقش أورخون مرتبطا بثورتهم التي شنوها ضد سيادة إمبراطورية الكوك تورك الأتراك، وكان ذلك في عام 717[3]، في حين رواية أخرى بأن مصطلح الأويغور المذكور في نقوش الكوك تورك(نفسها نقوش أورخون)، كان بمناسبة تخليد ذكرى وفاة مؤسس دولة الأويغور القاغان "قويول"، ونقش في نفس النصب المذكور أن أوغوزخان أتى إلى مدينة "كور" أثناء عودته من حربه في بلاد الهند، ثم سار من هناك إلى بلاد البلغار[4] من أجل حماية القطر التركي في مدينة سمرقند[5]،

[1] - القرغيز: هم قبيلة كبيرة من قبائل الترك من بقايا ذرية أوغوزخان أو ذرية بعض مقربيه وأمرائه ولكن غز مخفف أوغوز، وقد خرجوا إلى الديار الإسلامية في أوائل القرن الخامس الهجري، وجرت لهم فيها وقائع كثيرة واشتهروا باسم غز وغزية، و"قر": في لغة الترك معناها البرية، ومعنى قرغزي هو غز البرية، وذلك بإضافة غز إلى قر والبرية، ومساكنهم في جبال لآلاطاغ باقرب من الروس والمتروس والإفرنج، والقرغز دخلوا إلى الإسلام فلم يتمذهب أحد منهم بغير الإسلام، إلاّ أنّ الجهل سائد فيهم. (أنظر، الرمزي، المصدر السابق، ج.1، ص262.).

[2] - بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى، تر. أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م، ص.50.

[3] - اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، تر: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، 1987ن، ص.3.

[4]- كان بلغار الدانوب يعيشون جنبا إلى جنب مع أتراك الفولجا ثم اضطروا تحت تأثير ضغط الخزر إلى الهجرة مع قبائل الكوتريغور والاوتريغور، وإتحدوا بقيادة كوبرات(قورت) خان عام 584 بسهل المجر، وعرفوا باسم البلغار، وقد أخضع كوبرات (قورت) خان من أحفاد ايرنك بن آتيلا البلغار الساكنين بين نهري تورلا(الدينستر) وأوزو(الدنيبر) فامتدت رقعتة دولة الأوار التي حلت محل هون أوربا إلى سواحل الدنيبر شرقا، وقد حكم أبناء كوبرات خان الثلاثة قبائل البلغار الثلاث، فقد كان ابنه الأكبر بايان(باتا بايان) خان خاضعا لدولة الخزر، أما ابنه الثاني قوتراغ خان فقد هاجر إلى الشمال ولم شعب بلغار الفولجا، وانتسبوا إليه، أما الابن الثالث آسباروخ(اسبريه) خان فقد تولى قيادة بلغار الدانوب، وقد استقرت كتلة البلغار التي كان يقودها بايان خان في ققفاسيا الشمالية، خاضعة للخزر، وظهرت زمرة قاره – بلغار (البلغار السود)، أما البلغار الخاضعون "لا سبريه خان" فقد اجتازوا شمال الدانوب واستقروا هناك بمساعدة الإمبراطورية البيزنطية، وقد وضع بلغار الدانوب في عام 659 أسس الامبراطورية في دلتا الدانوب وما جاوره من المناطق، ولم يعرهم البيزنطيون الذين كانوا مشغولين بالصراع مع العرب أهمية كبرى، وكان من تأثير ذلك أن الجيش البيزنطي الذي سار إلى البلغار في 679 مني بخسارة فادحة، وسيطر البلغار نتيجة لذلك على النصف الشمالي من بلغاريا الحالية، أي المساحات الواقعة بين جبال البلقان ونهر الدانوب.(أنظر، يالماز، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص. 230.)

[5] - سَمَرْقَنْدُ: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سُمْران، قيل أنها من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصُغْد مبنية على وادى الصغد مرتفعة عليه، وهي في الإقليم الرابع، طولها تسع وثمانون درجة ونصف، وعرضها ست وثلاثون ودرجة ونصف،تحاط بسور طوله 12 فرسخا(حوالي 5 كلم) ولها 12 باب من حديد، وقال الأزهري: بناها شمر أبو كرب فسميت شمر كنت فأعربت فقيل سمرقند، وقيل أن سمرقند من بناء الإسكندر.(أنظر، ياقوت الحموي: المصدر الاسابق، مج.3، ص ص، 246-247.).

(أنظر الخريطة رقم:04)[1]، ومعنى ذلك أنّ الأويغور كانوا يعرفون على مسرح الأحداث السياسية لآسيا الوسطي ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد[2].

يشاطر هذا الرأي المؤرخ التركي محمود الكاشغري، الذي عاصر الدولة القراخانية، حيث يقول: بأن تسمية الأويغور عرفت اعتبارا من سنة 327-329 ق.م، وأنها كانت تنطق في الأصل"خود خور"، ثم حُرِفَت إلى"أودخور"، طبقا لقاعدة "خو/v-K h"، ثم حُرِفَت بعد ذلك إلى كلمة "أويغور" طبقا لقاعدة يو-DH Y [3]. يُعْتَبَر هذا الأخير محقا فيما يقول، لأنه في سنة 788م شاهدنا الحاكم الأويغوري "باغاطارقان" يبعث سفارة إلى بلاط أسرة تانغ الصينية، يطلب فيها استبدال الإسم الذي أطلق على شعبه من "هويخه"(Houei He) إلى لقب "هويخو"(Hou Houei)(أويغور)[4].

عاش الأويغور في أزمنة مختلفة وعرفوا بأسماء متعددة، فقد أطلق عليهم إسم "جيوش" ومعناها (مهاجري الشمال الحمراء)، ذلك عندما أسّسوا إمارة تأثرت بحضارة الإمبراطورية الصينية، وبعد انسحابهم إلى مناطق الإستبس[5] في القرن 3 ق.م، عرفوا باســــــــــــــم

---

[1]- أنظر خريطة رقم: 04، ص. 383 .

[2] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص15.

[3] - نفسه، ص.14.

[4] - Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, 1...-907, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1920, p. 500.

[5] - تمتد المناطق الإستبسية من هضبة التبت التي تهيء عروضها من الأحوال النباتية، ما يجعلها تتدرج حتى تصل إلى نباتات المنطقة القطبية، وكذا جبال تيان شان وألتاى التي تؤلف نصف دائرة، والتي تتسم بمناخ ألبي، فيتوافر سقوط الثلج في المرتفعات الشمالية، بينما تسقط الأمطار في الصيف، فعلى ارتفاع يتفاوت بين أربعة آلاف وتسعة آلاف قدم، تنو أشجار الصنوبر والشربين، التي تؤلف نطاقا من الغابات، تمتد بين الاستبس الجافة الواقعة في سفوح التلال، وبين المراعى الصيفية الغزيرة الواقعة في الأحواض العليا، وعلى جوانب التلال التي ترتفع حتى خط الثلج الدائم حيث يندر نمو النبات، وما تبقى من شمال آسيا يعطيه سهوب عشبية تخبو شتاء، وتجف صيفا، فالسهوب العشبية التي تغزر في الأقاليم التي يتوافر بها الماء، والتي تتحول إلى صحراء في المناطق الوسطى المعزولة، تمتد من منشوريا حتى شبه جزيرة القرم، ومن اوجرا بأعالى منغوليا، حتى اقليم مرو وبخ، ومنه تتصل البرارى الأسيوية الأوروبية، بالبراري الجافة في إيران وأفغانستان، وفي الشمال تلتحم مع الغابات الشمالية، التي تتسم بمناخ سيبريا، وتكسو كل روسيا وسيبريا الوسطى، حتى الحافلة الشمالية لمنغوليا ومنشوريا، وفي الوسط تتحول إلى صحراء في ثلاثة مواطن صحراوية، صحراء كزل قم في اقليم ما وراء النهر، وقراقوم جنوبي نهر امودارِيا(جيحون)، وصحراء تكلاماكان في حوض نهر التاريم، ثم صحراء جوبي التي تمتد في منطقة شاسعة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ومن لوب- نور حيث تتصل صحراء جوبي بصحراء تكلاماكان، حتى جبال خنجان على تخوم منشوريا، والواقع أن هذه الصحاري ظلت منذ عصور التاريخ البعيدة، تعتدى على منطقة البراري غزيرة العشب، فوقوع صحراء جوبي بين شمال منغوليا، حيث تغزر الغابات عند بحيرة بايكال، أو سهوب وديان نهرى أرخون وكيرولين، وبين جنوب منغوليا حيث سهول الأن شان وتشاخار. (أنظر، السيد الباز العرينى: المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ/1986م، ص ص، 06-07.)

الـ"جيلس"[1]. أما في عهد أسرة "وي/wei"[2] الصينية(227-264م)، أطلق عليهم اسم "جاود جوى" أو "جاود سو/ كاوكو، كاوجة/ قاو-جه"، ومعناها ذوي العربات العالية، وهي نفس القبائل التي إنظمت إلى الإتحاد الذي كّون إمبراطورية "الهون/HUN"[3]، ويعتقد أنهم هم نفسهم الأتراك الأويغور[4].

أمّا في عهد أسرة "تانـج"[5] الصينية(حكمت من 618 إلى 907م) فعرفــوا بلقـــــــــب

[1] - الصفصافي أحمد قطوري، المرجع السابق، ص.72

[2] - نهضت قبيلة "توه – با" من قومية شيانبي في غربي منغوليا الداخلية وشمال شانشي بإقامت أسرة وي الشمالية(386-534)، ثم وحدت وادي النهر الأصفر عام 439، مما أنهى وضع السلطات المنفصلة الذي ظل يسود شمال الصين منذ سقوط أسرة تشين، وفي وقت لاحق انشطرت أسرة وي الشمالية إلى فرعين: وي الشرقية(534-550) ووي الغربية(535-557)، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا حيث حلت أسرة تشي الشمالية(550-577م) محل وي الشرقية، وكذلك تبدلت وي الغربية بأسرة تشو الشمالية(557-581م) التي ابتلعت تشي الشمالية في نهاية الأمر وعرفت هذه الأسر في الصين الشمالية باسم"الأسر الشمالية". (أنظر، سلسلة كتب "سور الصين العظيم"، تاريخ الصين، **مجلة بناء الصين** ، ج.1، دار مجلة بناء الصين، بكين،الصين، 1986، ص.57.)

[3] - ظهرت القبائل الهونية التركية قبل الهجرة ب 18 أو 20 قرنا، وأسست دولة في الجهة الشمالية من بلاد الصين وذلك في أثناء حكم سلالة "جه" الصينية، وقد دامت هذه الدولة حوالي 13أو14 قرنا، وكان مقر حكم ملكهم في جبل أينشان في ألتاي، وكان ملوك الهون يعاملون ملوك الصين معاملة الأقران فيكتبون في كتبهم بهذا النحو:"يرجو جاك جوك ملك الهون الأعظم الذي أجلس على تخت الحكومة من طرف السماء والشمس والقمر من خافان الصين بكمال الإحترام كذا وكذا"، كما أنهم حاربوا الصينيين وألجأوهم إلى عقد معاهدات الصلح والتصاهر معهم انقسمت حكومة هون في حدود 43 م إلى قسمين شمالية وجنوبية، وإنقرضت حكومة هون الشمال في سنة 93م على يد القائد الصيني "جوهيان"، وإنضم حوالي 200 ألف نسمة إلى الصين في الحين هرب الأخرون إلى جبال ألتاي ثم قطعوا رفقت ملكهم برية قفجق وصحراء قزاق وسكنوا في بوزقير أورال يعني أراضي باشقر وأسسوا هناك في غربي أسيا وشرقي أوربا حكومة جديدة مستقلة مسماة بحكومة الهون الغربية، وهذه الحكومة هي التي إستولت على أزيد من نصف أوربا وأورثت الرعب الشديد في قلوب أهلها وذلك بعد أن ضمت إلى صفها أكثر قبائل الترك مثل لان والأويغور وأونوغر وواوغرة وقفجق وسيان بي وسائر الأقوام التركية وشكلت دولة متحدة، وفي نفس الوقت الذي شكل فيه الهون الغربيون من أنقاض الهون الشمالية كان الهون الجنوبيون قد إستولوا على ولاية شينسي وإنقاد لملكهم "هيولان شي" حوالي 34000 عائلة من الهون الشمالية، ولكنها سرعان ما نقرضت على يد الصينين سنة 221م. أنظر(الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار..، المصدر السابق، ج.1، ص. 83-84.)

[4] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.13-14.

[5] - أدت الانتفاضات الفلاحية في أواخر عهد أسرة سوى إلى انقلاب في تاييوان بشانسي قام به "لى يوان"(566-635م)، أحد كبار الموظفين في حكم أسرة سوى، واستولى على تشانغآن ونصب نفسه إمبراطورا في 18 جوان 618م وحمل لقب "قاو – تسو" معلنا بذلك تأسيس أسرة تانغ(618-907م)، وبعد ستة سنوات من الحرب أعاد هذا الإمبراطور رفقة إبنه "لى- شى- مين"(599-649م) الحكم لطبقة ملاك الأراضي في سنة 620م. (أنظر، Henri CORDIER ,op.ct , pp. 414-416.)

"هويخه" و"هويخو"(Houei he/ ou Youen Ho, Wou Hou, Wou HO) ومعناها الأويغور[1]، وفي مرحلة أخرى أطلق عليهم إسم "أيو- كير"(أيو- غير)[2].

وقد كانوا يلقبون كذلك باسم "تيه له" أو"جيلة- تله- تولس"، وفي مرحلة من المراحل كانت أقوام "يوانهو" تشكل القبيلة الأم للشعب الذي يسمى "جاوجوي" و"تيه له" وهو مصطلح "هواي هو" مرادف للأويغور[3].

أما في المصادر العربية فقد عرفوا: إما باسم الأويغور، أو التغزغز، فقد تحدث المؤرخ الرمزي: عن وجود أمة أويغورية كانت تقطن غربي نهر إيدل تابعة لخاقان(حاكم) الترك الكبير في منغوليا[4] الواسعة[5]، كما ذكرهم المؤرخ بدر الدين العيني(ت:855هـ) بذات الاسم، أي الأويغـــور، فـــي أثنـــاء وصفه القبائل التركية القاطنـــة في بـــــــــــــلاد

[1] - Henri CORDIER , op.ct, p. 418.

[2] - الصفصافي أحمد القطوري: المرجع السابق، ص.72.

[3] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.13-14.

[4] - تقع منغوليا في قلب آسيا الوسطى، وهي عبارة عن هضبة تحيط بها الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة، مثل جبال خنجان ويابلونوي وآلتاي وسايان، أي ما حول حوض بحيرة بايكال، ومناخها مناخ قاري حيث يكون حارا صيفا تصل درجة الحرارة إلى 38 فوق الصفر وباردا شتاء تصل درجة البرودة إلى 42 تحت الصفر، وتتراءى منغوليا من شهر حزيران حتى آب كبساط أخضر تغطيها الأعشاب الخضراء والأزهار، ثم يليها برودة إبتداءا من شهر أيلول ثم تشتد العواصف الثلجية في تشرين الأول يتبعها تجمد الأنهار والمياه في تشرين الثاني، وتستمر عملية سقوط الثلوج إلى شهر أيار من العام المقبل، هذا فضلا عن هبوب الرياح العاتية، وبمنغوليا صحراء جوبي الواقعة جنوبها شرقي، وهي صحراء رهيبة، وهي صحراء تخلو من أي نهر كبير أم صغير، فجوبي صحراء عديمة مقفرة، تغطيها الرمال والحصى والصخور، ويبلغ طولها أكثر من 1200 ميل، ويظن الكثير بأنه لا يسكنها إلا العفاريت، ويوجد بمنغوليا صحاري أخرى مثل صحراء قزلقوم الواقعة في منطقة ما وراء النهر وصحراء قراقورم الواقعة غربي نهر جيحون وصحراء تاكلا ماكان الواقعة في حوض شط تاريم، وهذه الصحاري تبدو كمواضع سرطانية تهلك المراعي والمروج الخضراء. (أنظر، شيرين بياني: المغول التركيبة الدينية والسياسية، تر: سيف علي ونصير الكعبي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013م، ص. 15 فما بعدها.).

[5] - الرمزي: المصدر السابق، ج.1، ص.119.

تركستان[1](أنظر، الخريطة رقم:04)[2] الواسعة[3]، وقد نقل هذا الأخير معلوماته عن المؤرخ المعاصر للدولة القراخانية الأويغورية محمود الكاشغري، صاحب كتاب:"ديوان لغات الترك" الذي ألفه في سنة 466هـ[4].

في المقابل نجد كل من: المؤرخ ابن خرداذبة، وابن الوردي، يَذكران الأويغور بمصطلح التغزغز[5]، ويتبعهم في ذلك الرحالة أبي دلف (ت: حوالي أواخر القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي)، الذي عاش قبل الكاشغري بسنوات عديدة، حيث بعثه الأمير الساماني نصر بن أحمد(301-331هـ/914-943م) بسفارة إلى إمبراطور الصين حوالي سنة(331هـ/942م)، ومر في رحلته الطويلة ببلاد ما وراء النهر[6]، وتركستان والصين، ثم

[1] - تركستان هو اسم جامع لبلاد الترك، لأنها تشتمل على كل البلاد التي تقطن فيها القبائل التركية، ومن هنا فجميع ما وراء النهر(جيحون)هي ديار الأتراك، لأن كل المدن التي تقع وراء ذلك النهر تنتهي بكلمة "كند" التركية، ومعناها "البلدة" بالعربة ،مثل سمرقند وينكد وتشكند(الشاش) وأوزكند، وتركستان هي كلمة فارسية مكونة من جزءين: "ترك" ومعناها الشعب التركي و"ستان" ومعناها البلاد أو الأرض، ومن هنا يصبح معنى تركستان أرض الترك أو موطن الأترك. (أنظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج.2، ص.24؛ الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، 1884م، ص.517؛ القلقشندي: الصبح الأعشى في صناعة الإنشي، ج.4، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ص.439؛ محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.3، ص ص، 110-111؛ هاجر بنت عبد الحميد محمد تركستاني: التعليم في تركستان الغربية منذ الفتح الإسلامي الأول حتى بعد الاستقلال، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التربة الإسلامية والمقارنة، سنة 1426هـ/2004م، ص13؛ انظر إبراهيم: ماذا تعرف عن تركستان الشرقية، مجلة تركستان الإسلامية، تصدر في تركستان،العدد الأول، شعبان 1429هـ/يوليو2008م، ص17؛ وانظر، فاطمة إبراهيم المنوفي: مسلمو الأويغور ثبات على الإسلام رغم عذابات الصينيين، نفس المجلة،العدد السادس، ربيع الثاني 1431هـ/2009م، ص 48.)

[2] - أنظر خريطة رقم: 05، ص. 384.

[3]- بدر الدين العيني: المصدر السابق، ص.20.

[4]- أنظر، محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.1، ص ص. 27-28.

[5] - أنظر، ابن خرداذبة:المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن، مطبعة برلين، 1889م،ص ص،30-31؛ أنظر، سراج الدين أبي حفص ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، د.د.نش، د.س، ص 30.

[6] - ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربه فهو خراسان وولاية خوارزم، وما وراء النهر من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيرا، وليس بما وراء النهر موضع يخلو من العمارة من مدينة أو قرى أو مياه أو زروع أو مراع.(أنظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج.5 ، ص ص، 45-46.)؛ ويقول بارتولد أن ما وراء النهر هو الإسم الذي أطلقه العرب على المنطقة المتحظرة الواقعة في حوض نهري أموداريا/ Amu-Darya(جيحون) وسرداريا/Sir-Darya(سيحون)، ولم تكن هذه المنطقة وفقا لمفهوم الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان لأن هذه الأخيرة يقصد بها بلاد الترك عامة.(أنظر، بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1401هـ/1981م، ص.145.).

عاد عبر الهند إلى سجستان[1] ثم إلى أصبهان[2](أنظر الخريطة رقم 06)[3]. وذكر كل القبائل التركية في آسيا الوسطى والصين بأسمائها، ولم يذكر الأويغور باسم التغزغز[4].

يعطينا ياقوت الحموي معلومات وافرة عن بلاد التغزغز، حيث يقول:"هي أوسع بلاد الأتراك، وحدودهم من الشرق بلاد الصين والتبت[5] والخرلخ والكيماك[6] والغز(الأوغوز)[7] في الشمال، والجفر، والبجناك[8]، والبذكش، واذكس، وخفشاق(القبجاق) وخرخيز(القرغيز)، وأول

---

[1] - سجستان هي منطقة يحدها من المشرق كل من كرمان والسند والملتان أما من الغرب فخراسان وأجزاء من بلاد الهند أما من الشمال فبلاد الهند ومن الجنوب فكل من أجزاء من خراسان وبلاد الغور والهند. (أنظر، ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص.347.)

[2] - أصبهان هي منطقة كبيرة تقع بعد منطقة الجبل، وهي ثمانون فرسخا في ثمانين فرسخا وهي سبعة عشر رستاق في كل رستاق ثلثمائة وخمس وستون قرية قديمة سوى المحدثة، وخراجها سبعة آلاف درهم وهي واسعة الارض كثيرة العمارات، طيبة الهواء. (أنظر، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، المصدر السابق، ص.20.).

[3] - أنظر الخريطة رقم:06، ص. 386.

[4] - ابي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي: رحلة أبي دلف، الرسالة الأولى، تح.مريزن سعيد مريزن عسيرى، معهد البحوق العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي،جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1416 هـ-199م، ص ص،46-47.

[5] - تُبّت: بالضم وهناك من ينطقها بالكسر والبعض ينطقها بفتح الثانية، وهي بلد بأرض الترك، موجودة في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند، وتبت مملكة متاخمة لمملكة الصين ومتاخمة من إحدى جهاتها الأرض الهند ومن جهة المشرق لبلاد الهياطلة ومن جهة المغرب لبلاد الترك، ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات سعة وقوة، ولأهلها حضر وبدو، وبداويها ترك لا تدرك كثيرة ولا يقوم لهم أحد من بوادي الأتراك، وهم معضمون في أجناس الترك. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.2، ص. 10.).

[6] - تقع بلاد الكيماك إلى شمال بلاد الأوغوز وتشمل شمال غرب قازاخستان الحالية، وكان البجناك المنفصلون عن بقية الأوغوز يعيشون إلى الغرب منهم في جنوب جبال سواحل نهر أورال.(أنظر، يالماز أوزتونا، التاريخ التركي، المرجع السابق، ص.143.)

[7] - كان الأوغوز يعيشون بين الخزر واراك وشرق ارال والسواحل الشمالية لبحر الأسرار والمناطق الممتدة جنوبا إلى البلاد الإسلامية وكانوا يسيطرون على صحراء قزل قوم، كانت هذه المناطق تحت حكم السامانيين الفرس كما كان القراخانيون يتحينون الفرصة للتوطن في مقاطعات السامانيين.(أنظر، نفسه، ص.143.).

[8] - ينتسب البجنك إلى زمرة الأوغوز من الأتراك ويشكلون قبيلة واحدة من الاثنتي عشرة قبيلة المكونة لجناح أوج أوق(السهام الثلاثة) من الأوغوز. (أنظر، نفسه، ص. 224.).

حدودهم من جهة المسلمين هي مدينة فاراب[1]، (أنظر، الخريطة رقم:07)[2] ومدنهم المشهورة حوالي ست عشرة مدينة"[3].

إنّ الأتراك الذّين كان العرب تُطلق عليهم إسم "التغزغز"، هم نفسهم الذّين ذكرتهم المصادر الصينية بـاسم "الأويغور"[4]، وينكر بارتولد بأن يكون التغزغز هم الأويغور، بل يرجعهم إلى قوم أخرين، حيث يقول: أنّ العرب قد عرفوا عن كثب نواحي مدينة "بش باليق"[5]، حين كان يسكنها التغزغز، ولكن فاتهم أن هؤلاء هاجروا شرقا فيما بعد، وحل محلهم قوما آخرين من الترك(أي الأويغور)، في حين ظّل العرب يطلقون عليهم اسم التغزغز[6].

يبدو أنّ هذه النظرية صحيحة، لأن المؤرخ محمود الكاشغري وبدر الدين العيني والرمزي، هم الوحيدون من بين المؤرخين العرب الذين لا يستعملون كلمة التغزغز لإشارة على القبائل الأويغورية، بل يذكرونهم باسمهم، ولا شك أنهما أخذا معلوماتهما عن محمود الكاشغري، وهذا الآخير عاصر الدولة القراخانية الأويغورية في تركستان، وهو يثبت أنّ المؤلفين العرب نقلوا كلمة تغزغز خطأ عن الكتب القديمة ثم تناقلوها فيما بينهم.

وقد عُرف الأويغور كذلك باسم "القره خانيين" عندما انتقلوا من منغوليا إلى تركستان

---

[1] - فارَاب: بعد الألف راء، آخره باء موحدة، هي ولاية وراء نهر سيحون في في تخوم بلاد الترك، وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون.(أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.4، ص. 225.).

[2] - أنظر، الخريطة رقم: 07، ص. 405.

[3] - ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج.2، ص.23.

[4] - بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.67؛ عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ج.1، دار النهضة العربية، ببيروت، 1980م، ص.50؛ أنظر، عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب أسيا، الجمعية الخيرية التركستانية، د.ت.ن، ص.33.

[5] - تصادف في نقوش أورخون كلمة "باليق" بمعنى مدينة، أما "بش" معناها خمسة، وبهذا تكون معنى "بش باليق" هو المدن الخمس، وكانت قد أسست إلى جانب "كوجين" في الجزء الشرقي من تركستان الصينية الحالية. (أنظر، بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص. 51.)

[6] - نفسه، ص.68.

وأسسوا الدولة القراخانية[1]، ويذكر الكثير من الباحثين أنّ الأسرة الحاكمة لهذه الدولة تعود في أصلها إلى الأويغور، ويعتبرون أنفسهم من سلالة آل أفراسياب[2]، وأن "بوقاخان" أو"قرخان"، مؤسس الدولة القارخانية ينتمي إلى الأتراك الأويغور[3]، ويشاطر هذا الرأي المؤرخ التركي أوقطاى آصلان آبا، حيث يقول: "أنّ مؤسسوا الدولة القراخانية أطلقوا على أنفسهم خانات الأويغور قبل الإسلام، وهم ينتمون إلى طبقة الأويغور الأرستقراطية"[4].

يؤيد هذا الرأي الباحث السعودي مسفر الغامدي، حيث يقول: أن القراخانيون أو الإيلكانيون الأتراك الذين حكموا بلاد ما وراء النهر وتركستان، كانوا من قبائل التغزغز[5]، على اعتبار أن الأويغور كانوا يُعروفن عند العرب باسم التغزغز كما بينت سابقا، وسوف أحاول بعد قليل عندما أتطرق إلى موضوع تأسيس الدولة القراخانية، البرهنة على أنّ القراخانيين ينحدرون من نسل الأويغور.

إنّ لفظ الأويغور كما ورد في كتاب:"ديوان لغات الترك"، مشتق من كلمة "خودخور"، ومعناها "الذين لا يضلون جوعى"[6]، وهذا الأمر ييعطينا فكرة أنهم كانوا أقوياء متمرسين على الفروسية والصيد، حيث يوفرون حاجاتهم المعيشية، لذلك كانت كلمة الأويغور بأشكالها

---

[1] - أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية و حضارتها، ج.1، مكتبة الأدب، القاهرة، د.ت.ن، ص ص،336-337.

[2] - أفراسياب: هو ملك فارسي حكم البلاد مدة إثناعشر سنة، وهو ابن أطوج بن ياسبين رامن بن أرس بن بور ملك فراسياب ابن ساساسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوح بن أفريدون الملك الساساني، ولد ببلاد الترك ، لذلك غلط من غلط من أصحاب الكتب والتصنيفات في التاريخ وغيره وزعموا بأنه تركي. (أنظر، أبي الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج.1، ط.5، دار الفكر، بيروت، 1293هـ/1973م، ص ص، 225-126.)

[3] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص32. نقلا عن رضا نور.

[4] - اوقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.10.

[5] – مسفر بن سالم بن عريج الغامدي: علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدولة الإسلامية المجاورة، ودورهم في نشر الإسلام(382-482هـ/992-1089م)، بحث في مجلة جامعة أم القرى، العدد الخامس، 1411هـ، ص.242.

[6] - وتقول الرواية التي ذكرت الأويغور باسم "خدخور": أن ذو القرنين لما وصل إلى ولاية أيغر بعث إليه خاقان الترك 4 ألاف رجل، وكانوا يرمون السهام من خلفهم مثلما يرمونه من أمامهم، فتعجب منهم ذوالقرنين فقال:"اينان خوذ خورند"، أي هؤلاء استبدوا بمأكلهم لايحتاجون إلى طعام أحد لأنهم لا ينفلت الصيد منهم فيأكلونه متى ما أرادوا، فسميت ولايتهم "خَدخُر" ثم قلبت الخاء إلى ألف. (أنظر، محمود الكاشغري: المصدر السابق، ج.1، ص. 102.)

المختلفة: "تولس، قاوجه، هواي هو" تعني الذين يهجمون بسرعة الصقر، أو بمعنى يهاجم، أو يتعقب[1].

وفي كثير من الأحيان كان مصطلح لأويغور مرادف لكلمة مدني"متحضر" في اللغة التركية، وفي بعض الأحيان كانت كلمة "أويخارديس" أو"أويغور" تأتي بمعنى "المستوطنين"[2]، لأنه في الوقت الذي كانت فيه القبائل التركية الآخرى بدوية، كان الأويغور يميلون إلى الإستوطان والتمدن، وقد أثبت ذلك محمود الكاشغري عندما تكلم عن مدنيتهم الموجودة في: "قوجو" و"جنبلق" و"بيش بلق" و"ينكى بلق"[3]، أو لما تحدث على الفرق بين لهجات القبائل التركية، فبدأ بلغات أهل الأمصار أي أهل المدن المتحضرون، ومن ضمنهم ذكر الأويغور، بعد ذلك عرّج على ذكر لهجات أهل الوبر البدو الغير متحضرين[4]، وقد أشار المؤرخ نصر الله مبشر الطيرازي كذلك إلى تحضر الأويغور بقوله:"اسم الأويغور يدل على الإقامة والتجمع والعيش في سلام"[5].

هناك معنى أخر لمصطلح أويغور له أكثر دلالة يأتي بمعنى "متحد/ الإتحاد"، وهو "الإيلاف" كالإيلاف الذي عرفته قبائل قريش[6]، ويشير إلى ذلك المؤرخ الرمزي بقوله: أنّ الأويغور كان يقال لهم "أون أويغور" ومعناه الأويغور العشرة[7]، وكان الأويغور يتكونون من تسع قبائل، ثمّ انضمت إليهم قبائل الأوغوز، فاتخذوا اسم "أون أويغور"، أي القبائل العشرة المتحالفة[8].

1- عاطف منصور محمد رمضان: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2008م، ص.441.

2 - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.16.

3 - محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.1، ص.103.

4 - نفسه، مج.1، ص ص، 29-30.

5 - نصر الله مبشر الطيرازي، المرجع السابق، ص.78.

6 - محمد قاسم أمين: تركستان الكبرى ماضيها وحاضرها، د.ط، د.م.ن، د.س.ن، ص.9.

7 - الرمزي: المصدر السابق، مج.1، ص.257.

8 - عاطف منصور محمد رمضان: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص.411.

وكانت تلك القبائل العشرة تحتاج إلى التجمع والإتحاد لتشكل قوة تضمن لها البقاء على مسرح الأحداث، وتحمي مصالحها، خاصة في خضم الصراعات الكثيرة التي كانت تعرفها آسيا الوسطى، ولكي تضمن ذلك كان يجب عليها الإتحاد فيما بينها لتشكل إيلاف أو إتحاد. وقد أشار إلى ذلك عبد المعطي الصياد عندما قال: أن كلمة أويغور التركية تأتي بمعنى: "الارتباط والتعاون"[1].

يمكن القول أنّ الإرتباط والتعاون كان صفة من صفات الأويغور، ففي كثير من الأحيان كانوا يَنْظَمون إلى قبائل تركية أخرى، يُكّونون معها تحالفا للحفاظ على مصالحهم، خاصة في فترات الضعف، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد انظموا إلى إمبراطورية الترك وحملوا لقب "ئلتبير"(أي الوالي)[2]، ثم انظموا إلى إمبراطورية الهون التركية التي تأسست في سنة 220 ق.م، ولعبوا أدوارا مهمة فيها[3]. وبعد ذلك كونوا دولتهم على أنقاضها.

ثانيا: الموطن الأصلي للأويغور.

تعد آسيا الوسطى[4] الموطن الأصلي لكل الأتراك ومن بينهم الأويغور(أنظر الخريطة رقم:07)[5]، وعن هؤلاء يذكر ابن النديم أن بلادهم كانت متاخمة لبلاد الصين[6]، وحسب الرحالة العربي ابن خرداذبة، فإن: بلاد الأويغور كانت من بين أوسع بلاد الأتراك، حيث تمتد حدودها بالجهة الشرقية من بلاد الصين إلى غاية بلاد التبت[7]

[1] - عبد المعطى الصياد: المرجع السابق، ج.1، ص.22.

[2] - بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.50؛ أنظر، عمرو توران: الأتراك البخاريون، جمعية أتراك السعودية، د.ت.ن، ص.10.

[3] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص ص، 23-24.

[4]- تمتد آسيا الوسطى حوالي 40 خطا من خطوط الطول، و85 خطا من خطوط العرض، وبتحديد أكثر هي فيما بين خط طول 48 شرقا إلى 88 شرقا، وفيما بين خط عرض حوالي 36 شمالا إلى خط عرض 55 شمالا، وجميعها شرقي بحر الخزر (قزوين)، وفي الحقيقة أنّ آسيا الوسطى واقعيا تنزح عن الوسط بعض الشيء إلى الغرب بحوالي 17 خطا. (أنظر، أحمد عادل كمال: الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 1427هـ/2006م، ص ص، 3-4.).

[5] - أنظر خريطة رقم:07، ص. 388.

[6]- محمد ابن اسحاق ابن النديم: الفهرست، تح: رضا تحدد، ج.9، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، ص. 414.

[7]- بن خرداذبة: المصدر السابق، ص.31.

ويشاطره الرأي كل من ابن الوردي وابن الفقيه الهمذاني[1]، حيث يذكر الأول أن المسافة الموجودة من مدينة النشجان إلى مدينة خاقان التغزغز(الأويغور) تقطع في مسيرة ثلاثة أشهر[2]. ومن هنا يتبين لنا شساعة أراضي الأويغور.

ويخبرنا مؤرخ المغول عطا ملك الجويني: أن الأويغور يزعمون أن بداية نشأتهم وتناسلهم كان بجوار نهر"أرقون/ أورخون" النابع من جبال قراقورم وأنهم كانوا فريقين[3]، وأنا أستبعد هذه النظرية، لأنها تفترض بأن تكون منطقة منغوليا هي موطنهم الأول والأصلي وهذا غير صحيح في إعتقادي، لأن الجويني نفسه يشك في ذلك، حيث يذكر: أن الأويغور يزعمون، أي أنه غير مقتنع بذلك الرأي، وأعتقد أن الجويني يشير إلى الأويغور المعروفين باسم "أيدى قوت"، الذين بقوا على وثنيتهم ولم يعتنقوا الإسلام، ومالوا فيما بعد إلى صف المغول. كما سأبينه في الصفحات القادمة.

إنّ المؤرخ الرمزي يعطينا صورة أوضح عن موطن الأويغور، حيث يقول: أنّ موطنهم الأصلي كان يقع غربي نهر ايدل(وولغا)[4]، أما مؤرخ الدولة القراخانية محمود الكاشغري فيذكر أنّ "أيغر" اسم ولاية تتكون من 5 مدن كبيرة هي: سلمى، وقوجو، وجنبلق، وبيش بلق، وينكي بلق[5]، وقد كانت مدينة "بش باليق" التي تقع في تركستان الشرقية تعتبر المسكن الرئيسي للتغزغز(الأويغور)[6].

معنى هذا أن موطنهم الأصلي كان تركستان الشرقية وليس منغوليا، وهذا ما يؤكـــده

---

[1]- أنظر، ابن الوردي: المصدر السابق، ص.30؛ أنظر، ابن الفقيه أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني(ت: أواخر ق.3 هـ):نصوص لم تحقق من كتاب أخبار الزمان، تح: ضيف الله يحي الزهراني و مريزن سعيد عيسري، مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ/1997م، ص.116.

[2]- ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ص،30-31؛ أنظر، ابن الفقيه، المصدر السابق، ص.20.

[3]- علاء الدين عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح العالم"جهانكشاي"، تر: السباعي محمد السباعي، مج.1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007م، ص.88.

[4]- الرمزي، المصدر السابق، مج.1، ص.137.

[5]- محمود الكاشغري: المضدر السابق، مج.1، ص ص، 101-103.

[6]- بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص68.

المستشرق المجري، أرمينيوس فامبري[1].

في حين تذكر الروايات الصينية: أن موطن الأويغور الأول هو مناطق الإستبس الواسعة، في سيبيريا[2]، ومنغوليا ووسط آسيا[3]. وفي الحقيقة لايمكننا الوثوق بهذه الروايات لأنه في الكثير من الأحيان كانت الصين تسعى إلى إثبات أن تركستان الشرقية التي تحتلها اليوم وتسميها "سنغيانغ"[4](أنظر الخريطة رقم: 09)[5] هي أراضي صينية، وتذكر بأنها تُعرف منذ

[1]- أرمينيوس فامبري: تاريخ بخارى من أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تر: أحمد محمود الساداتي ويحي الخشاب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، د.ت.ن، ص. 120.

[2]- يقع إقليم سيبريا المليء بالغابات في شمال أرض الحشائش الصحراوي بآسيا الوسطى، حيث توجد أسس أخرى مختلفة لطريقة الحياة التي تهيء قسطا أوفر من الإستقرار الإقتصادي، وتشبه الغابة المدارية تلك الغابات الشمالية التي تضم وفرة من الحيوانات والنباتات المدارية ذات القيمة الغذائية للانسان. (أنظر، ولتر فيرسرقس: أصول الحضارة الشرقية، تر: رمزي يسى، مر: أنور عبد العليم، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، مصر، 1960م، ص ص، 564-265.).

[3]- ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.4.

[4]- بعد حوالى ستة أعوام من سيطرة الشيوعيون على الحكم في الصين، تمكنوا من السيطرة على منطقة تركستان الشرقية في عام 1949م، وفي 1375/02/14هـ/ الأول من أكتوبر 1955م، تأسست منطقة شينجيانج الأويغورية ذات الحكم الذاتي القومي"XuAR"(Xinjiang Uyghur Autonomous Region)، وإسم شنجيانج(Xinjiang) أو شنجانج قد أطلق على تركستان الشرقية للمرة الأولى عام 1299هـ/1881م، ويعني باللغة الصينية "الأرض الجديدة"، وذلك عقب انهيار حكم يعقوب بك في تركستان الشرقية، وعودة السيطرة الصينية المنشورية عليها، وأقر الدستور الأول لجمهورية الصين الشعبية الذي صدر عام 1373-1374هـ/1954م، في المادة الثالثة منه: أن جمهورية الصين الشعبية دولة متعددة القوميات، وأن الحكم الذاتي يطبق في مناطق تمركز الأقليات القومية، وطبقا للمادة:(67) فإن المقاطعات القومية يسمح لها بالمحافظة على أشكالها التقليدية من الحكم المحلى بما يفق ورغبة أكثرية شعب القومية أو القوميات التي تتمتع بالحكم الذاتي، غير أن ذلك لا يعنى الخروج على المبادئ العامة للدولة، أو على مبادئ الديموقراطية المركزية، ونظام مؤتمرات الشعب، ومع أن الهيئات المحلية في منطقة الحكم لها سلطة وضع اللوائح الخاصة التي تتلاءم مع الخصائص السياسية والإقتصادية والثقافية للقومية أو القوميات في منطقة معينة، فإن مثل هذه اللوائح يجب أن تعرض على اللجنة الدائمة للمجلس الوطنى لنواب الشعب للموافقة عليها، وما تزال تركستان الشرقية حتى الآن منطقة تخضع للحكم الذاتي داخل الصين حيث تنص المادة الرابعة من الدستور الحالي لجمهورية الصين الشعبية الصادر في: 1403/02/18هـ / 1982/12/04م، على تطبيق الحكم الذاتي المحلي في المناطق التي تعيش وتتمركز فيها الأقليات القومية، ويمارس أعضاء الحكومات المحلية في هذه المناطق سلطة الحكم الذاتي، كما أن تلك المناطق التي تخضع للحكم الذاتي جزء لا يتجزأ من جمهورية الصين الشعبية، وعاصمة تركستان الشرقية هي مدينة "أورمجي/Urumgi"، وتركستان الشرقية مقسمة إلى ثمان ولايات هي: 1- قمول، ويطلق عليها الصينيون هامي، 2- تورفان، 3- آقسو، 4- كاشغر، ويسميها الصينيون كاشي/Kashi، 5- خوتن، 6- إيلي، 7- تارابغتاي أو تاتشنغ/Tacheng عند الصينيين، 8- ألتاي، وتخضع الثمان مدن للإدارة المباشرة لحكومات هذه الولايات. (أنظر، عز الدين أحمد الورداني فرج: تركستان الشرقية تحت الحكم الشيوعي الصيني في الفترة(1949-2002م) – دراسة حضارية-، أطروحة دكتوراه، إشراف: رأفت غنيمي الشيخ و ماجدة مخلوف، قسم الحضارات الآسيوية، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، ص. 40- 44).

[5]- أنظر خريطة رقم:09، ص.390.

القديم باسم "شي- يو"(Xi Yu) ومعناها بلاد الغرب، وأنه لم تُوجد داخل حدودها في يوم من الأيام أرض تسمى تركستان، وأن سكان تلك المنطقة الأصليين هم الهان(Han) الصينيون،(أنظر الخريطة رقم:08)[1] وكانت تعيش معهم أقليات تركية مثل: الأويغور، والقازاق، والقرغيز، والأوزبك، والتتار، والمغول، والتاجيك[2]. فالصين تسعى إلى إيجاد نظريات تاريخية لتثبت أنّ الموطن الأصلى للأويغور لم يكن أبدا تركستان الشرقية.

هذا الأمر غير صحيح في اعتقادي لأن للمؤرخين الأتراك رأي أخر، حيث يرى أحمد محمود الساداتي: أن الأويغور كانوا ينتشرون فيما بين نهر تانو والنهر الأصفر وتيان شان[3] ونهر تاريـــم[4]

[1]- أنظر الخريطة رقم:08، ص. 389.

[2]- توختي آرخون أركين: قراءات في قضية مسلمي تركستان الشرقية – مقاطعة شينجيانج أويغور الذاتية الحكم التي تحتلها الصين الشيعية-، د.د.ن، د.م.ن، د.س.ن، ص.95.

[3]- تيان شان أو جبال تنكري(تنغري تاغ) وتعني الجبال المساوية وتخترق تركستان بجزئيها الشرقي والغربي، ويبلغ طولها 2500كلم، أما الجزء الذي يقسم تركستان الشرقية إلى حوضين فيقدر طوله بحوالى 1700 كلم، وعرض هذه الجبال من الغرب 400 كلم، وفي الشرق 100 كلم، ويبلغ أعلى ارتفاع قمة فيها 7444مترا.(أنظر، رحمة الله أحمد رحمتي: التهجير الصيني في تركستان الشرقية، **مجلة دعوة الحق**، العدد 93، العام 1410هـ/1989م، ص.14.)

[4]- ينبع نهر تاريم من غرب جبال قره قوروم ويشكل في مسافة قصيرة الحدود بين تركستان الشرقية وكشمير، ويتجه نحو الشرق حيث يصب في بحيرة"لوب" ونهر تاريم الذي يبلغ طوله 1600 كلم يتشكل من اتحاد ست روافد وأهمها: "كاشغر – دريا" الذي يأتي من الغرب، و"ياركند- دريا" القادم من الجنوب الغربي، و"خوتن- دريا" القادم من الجنوب، و"آقصو" القادم من الشمال الغربي، وتقطع هذه الروافد مدن هامة وواحات تحمل نفس الإسم. ويقع يقع حوض نهر تاريم ما بين جبال تنفرى وجبال كوانولون(قرانلق) وتبلغ مساحته 910.000 كم^2، وحوض نهر تاريم بيضاوي الشكل وفي جنوبه تقع قرانلق، وتحتل سلسلة جبال قره قوروم مكانها في الجنوب الغربي حيث تقع صحراء تكلامكان التي تغطي مساحة 500.000كلم^2 من مساحة حوض نهر تاريم البالغة 910.000 كلم^2 والجزء الباقي هو 400.000كلم^2 تقريبا، أما ارتفاع الحوض فيصل إلى 1300 بالقرب من مدينة كاشغر، وتقع مدينة تورفان وهي من مدن الحوض على ارتفاع 280 مترا تحت سطح البحر، وحوض تاريم أكثر جفافا من صحراء جوبي والأمطار تسقط فيه بكميات ضئيلة في الربيع والقسم الصالح للزراعة يتم ريه عن طريق نهر تاريم، الذي يمر في اتجاه الشرق ويصب في بحيرة قره بوران(لوب) وبطريق ري الأراضي بواسطة نهر تاريم يزرع في حوضه القمح والقطن والذرة والأرز ومن الفواكه المشمش والعنب الموجودين بكثرة.(أنظر، عيسى يوسف ألب تكين: قضية تركستان الشرقية، تر: إسماعيل حقي منصور شن كوار، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، ص ص، 26-27.)

الطويل[1]، كما سكنوا المناطق الواقعة شمال شرقي تركستان وشمال نهر تاريم، وكانت مدن:تورفان، وبيش باليغ، وبرقول، وقره شهر، وألماليغ، من أشهر مدنهم، واتخذوا من مدينة بيش باليغ(أورمجى اليوم) عاصمة لهم[2].

في نفس السياق يورد المؤرخ التركي أركين ألبتكين، عدة أراء لمؤرخين أتراك متعلقة بالموطن الأم للأويغور، ترجعهم كلها إلى منطقة "حامي" الواقعة بين قومول[3] وكاشغر[4]، وإلى المنطقة الشرقية لحوض أورخون وبايكول(بحيرة بايكال)[5] وقومول وتاريم[6].(أنظر الخريطة رقم: 01)[7].

بناءا على ما يفهم من هذه الآراء كلها، أنّ الأتراك الأويغور اعتبارا من تواريخ قديمة جدا كانوا يعيشون في المناطق المجاورة لأنهار أورخون وسلانكة في الشمال، وفي

[1]- أحمد محمود الساداتي: المرجع السابق،ج.1، ص.233.

[2]- عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 49-50.

[3]- قمول عاصمة ولاية وهي تقع في أقصى الشرق وتبدأ منها سور الصين العظيم وتتبعها محافظات: قمول وأراتورك وجنزا وباركول.(أنظر، منصور بن عبد الباقي البخاري الأنديجاني: علماء ما وراء النهر المهاجرون للحرمين، دار الميراث النبوي، المدينة المنورة، 1434هـ/2013م، ص.74.)

[4]- كاشْغَر: بالتاء الساكنة والشين معجمة والغين أيضا، وراء، وهي مدينة ورساتيق يسافر إليها من مدينة سمرقند، وهي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون، وهي تقع بالتدقيق في أقصى الغرب من بخارى في تركستان الشرقية، وهي مدينة تجارية عريقة ومشهورة بصناعة منسوجات الصوف، وأشهر محافظاتها أرتوج: ومعناها أرض الأرز وهب بلدة معروفة تقع على بعد 30 كلم من كاشغر وتنقسم إلى قسمين: آستين أرتوج أي السفلة، وأوستون أرتوج أي العلوية، ومنها خرج أغلب علماء تركستان الشرقية، وفيها عدد كبير من المدارس والمعاهد الإسلامية، وفيها يرقد خاقان الدولة القراخانية الأويغورية ستوق بوغراخان أول من إعتنق الإسلام في ربوع تركستان الشرقية.(أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.4، ص.430؛ أنظر، منصور بن عبد الباقي البخاري الأنديجاني، المرجع السابق، ص.75.)

[5]- تعد بحيرة بايقول من أهم البحيرات الموجودة في المنطقة، وتقع على ارتفاع 477 مترا عن مستوى سطح البحر، وتقع في وسطها جزيرة صغيرة، وبحيرة بايقول ضيقة ممتدة من شمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وكان الأتراك يجدون فيها ضالتهم المنشودة وهم قوم يحلمون بالانفتاح على البحر المفتوحة، ولذلك فقد كانت البحيرة محبوبة بصورة خاصة للأتراك. (أنظر، يالماز، مدخل إلى التاريخ التركي، ص.34.).

[6]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.19.

[7]- أنظر الخريطة رقم: 01، ص. 380.

مقاطعات:أوردوس، وقانصو في الشرق، وقومدريا، وخوتن[1]، وكاشغر في الجنوب، وبجوار جبال صايان في الغرب، وفي المنطقة الواقعة داخل جارسجان، وإسيف كول وأوزكنت[2] من جبال ألاطاغ[3] وطاربغتاي[4]، ومعنى ذلك أنّ تركستان الشرقية هي موطنهم الأصلي[5].

يمكن القول أنّ الأويغور لم يبقوا منحصرين في تركستان بل كانوا يرحلون في كثير من الأحيان للعيش في مناطق عديدة، فقد عاشوا في شمال الصين، واستقروا في منطقة قانصو وشنغهاي وشانسي في الجهة الشمالة لنهر هوانج(النهر الأصفر)، وامتدوا حتى نهر تاريم في الشمال، وبفعل الهجمات الصينية المستمرة عليهم انسحبوا في القرن الثالث قبل الميلاد واستقروا في المنطقة الواقعة بين نهر أوردوس بمنغوليا، وبين نهر أورخون وسلانكة[6].

في نفس المنطقة أي في منغوليا كان الأتراك الهون - تم تعريفهم من قبل- قد أسسوا دولتهم سنة 220 ق.م،(أنظر، الخريطة رقم:12)[7] فإنضموا إليهم، ولعبوا دورا مهما في تعزيز سلطتهم، وبعد انهيار هذه لإمبراطورية على يد أتراك تابغاج(186-534م) اشتركوا معهم

[1]- خوتان: ولاية كبيرة في الجنوب ومحافظتها: إيلجا وقراقاش وقوما ولوب وجيرا وكريه، جورجان.(أنظر، منصور بن عبد الباقي البخاري، المرجع السابق، ص.75.)

[2]- أُوزْكَنْد: بالضم والواو والزاي ساكنان: بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، وكند: معناها القرية، وأوزكند آخر مدن فرغانة مما يلي دار الحرب، وهي محاطة بسور به عدد من الأبواب، وإليها متجر الأتراك، وبها بساتين ومياه جارية، أنجبت الكثير من العلماء من بينهم: علي بن سليمان بن داود الخطيبي أبو الحسن الأوزكندي. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.1، ص. 280.).

[3]- جبال التاي أو التون تاغ "جبال الذهب"، وقد عرفت بوفرة مناجم الذهب، وتقع في الشمال والشمال الشرقي لتركستان الشرقية، وعلى طول حدودها مع منغوليا الخارجية التي تقع فيها الجزء الأكبر، أما الجزء التركستاني فيقدر طوله بحوالي 500 كلم، ويصل أعلى قمة فيها إلى إرتفاع 4374 متر.(أنظر، رحمة الله أحمد رحمتي، المرجع السابق، ص.14.)

[4]- نفسه.

[5]- أنظر، نصر الله الطيرازي، المرجع السابق، ص.78؛ أنظر، الصياد: المرجع السابق، ج.1، ص ص،21-50؛ أنظر، حسن مجيب المصري: تاريخ الأدب التركي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، د.ت.ن، ص.12؛ أنظر، فاطمة المنوفي: مقال بعنوان: من هم الأويغور؟ مجلة مسلم أون لاين، العدد 3، ص.4؛ أنظر، أركين ألبتكين، المرجع السابق، ص ص،17-18.

[6]- نفسه، ص.23.

[7]- أنظر، الخريطة رقم:12، ص. 391.

بسبع قبائل، وكونوا اتحادًا قويًا ضمنوا به وجودهم، ثم بعد ذلك انضموا إلى إمبراطورية "الكوك ترك" واستوطنوا في المنطقة الشمالية لنهر طوله[1].

ويذكر أنّ قبيلة سيني/سيانبي(SYANPI) أجداد الأويغور، هي التي عبرت من تركستان إلى شمال منغوليا في القرن الرابع الميلادي، واستولت على الأرض الممتدة من جبال تارباغاتاي(TARBAGATAY) وحوض أورخون(ORKUN)، وحكموا فيها حكما قويا، ولُقِب ملوكهم باسم: قاغان(KAGAN) أو خاقان، منهم: طولون قاغان(394-410م)، وجولوق قاغان(444-464م)، وأونابوري قاغان(522-552م)[2]. وفي أواسط القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي نقلوا عاصمتهم إلى مدينة "قره بلاساغون"، واستمروا يسيطرون على إقليم منغوليا مدة 100 سنة، إلى أن حاربهم القرغيز وانتصروا عليهم سنة 226هـ/840م فعادوا إلى تركستان[3].

وقد عملوا على أن تكون منطقة تركستان الوطن الدائم لهم، فكونوا في شرق الصين ولاية قانصو، واستولوا على صحراء جوبي[4] والتبت وجبل كسان، وامتدوا غربا إلى سهل البامير[5]، وشمالا وصلوا إلى منغوليا، أما حدودهم الجنوبية فكانت جبال الألتاي[6]، (أنظـــــــر

[1]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص ص، 23-24.

[2]- نصر الله الطيرازي، المرجع السابق، ص.74.

[3]- عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 49-50.

[4]- تمتد صحراء جوبي في منطقة شاسعة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، من لوب – نور حيث تتصل بصحراء تكلاماكان في حوض نهر تاريم، وحتى جبال خنجان على تخوم منشوريا.(أنظر، الباز العريني: المغول، المرجع اليابق، ص.6.).

[5]- تقع البامير إلى الجنوب الغربي من تيان شان، وتؤلف هضبة مستطيلة بالغة الارتفاع، وتلتقي عندها أضخم السلاسل الجبلية في آسيا الوسطى، وتتألف من أحواض فسيحة مستوية، ترتفع عن سطح البحر نحو 1200قدم، وتنحدر انحدارا هينا نحو الغرب، وتفصل بينها تلال وأراضي جبلية، يتراوح ارتفاعها عن الأحواض بين ألفين وأربعة آلاف قدم.(أنظر، الباز العريني، نفسه، ص.06.).

[6]- تتكون جبال آلتاي، أو جبال الذهب، من السلاسل الجبلية المرتفعة التي تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ما يزيد على سبعمائة(700) ميل على إمتداد الحافة الغربية للهضبة المرتفعة الواقعة إى الشمال الغربي من منغوليا، ولا يتجاوز ارتفاع هذه الجبال إثني عشر ألف قدم، ويقع بين سلاسل هذه الجبال سهول شاسعة يتراوح ارتفاعها بين خمسة آلاف وستة آلاف قدم، ويفصل بينها خطوط تقسيم مياه نهرى أوبي وأرتش.(أنظر، نفسه، ص ص، 05-06.).

الخريطة رقم: 10)[1]، وظلوا مرتبطين بعلاقات جيدة مع الأتراك الآخرين، وكانت عاصمتهم الأولى قومول وطورفان وقره شهر ثم (بلاسغون) وكاشغر ثم سمرقند وقارشي في الأخير[2].

نستنتج مما سبق أن منطقة أويغورستان(تركستان الشرقية)[3]، هي الوطن الأصلي للأويغور، وانتقلوا إلى منغوليا في فترة من الزمن وبعدها عادوا إلى تركستان، وهذا عكس ما تذكره الكتب الصينية اليوم بأن منغوليا هي الوطن الأم للأتراك الأويغور، ذلك من أجل إيجاد المبرر الشرعي لإستمرار في إحتلالهم تركستان الشرقية.

المبحث الثاني: بنية المجتمع وطراز الحياة.

أولا: ملامحهم.

تكاد المصادر التاريخية تنعدم بالمعلومات عن صفات الأويغور الخلقية(الجسدية)، فهي لم تمدنا إلاّ بالنزر القليل عن ملامحهم أو تركيبتهم البشرية، فلم يتطرق إلى ذلك لا الرحالة ابن خرداذبة، الذي صال وجال في المشرق وذكر معلومات قيّمة عن مختلف القبائل التركية، وعن المدن المختلفة في تركستان والطرق المؤدية إليها[4]، ولم يفعل ذلك الرحالة أبي دلف، الذي زار

---

[1]- أنظر خريطة رقم: 10، ص. 389.

[2]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.17.

[3]- في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين إبان التوسعات الصينية لمانشورية عرفت تركستان الشرقية في المصادر الصينية ذاتها ببلاد الأويغور، وكانت هناك صيغتين لهذا الإسم: **1- Hui-Chiangy:** وهو اسم مركب من كلمتين صينيتين هما: جيانغ ومعناها حدود أو مقاطعة، و خوي HUI وتعني: الأويغور كما تعني المسلم، وهكذا تكون كلمة:Hui-Chiangy تعني بلاد الأويغور كما تعني بلاد المسلمين، وهناك عدة كتب حكومية وشخصية استعملت هذا الإسم منها: السجلات الرسمية عن الحملات العسكرية في بلاد الأويغور، نشر مكتب الشؤون الخارجية في بكين، 1820-1829م، **2- Hui pu:** وهو اسم مركب من كلمتين صينيتين من: خوى Hui ومعناها أويغور أو مسلم وبو Bu ومعناها منطقة أو قسم، وبالتالي يصبح معنى كلمة Hui pu هو منطقة الأويغور أو منطقة المسلمين، وقد استعمل هذا الإسم الإمبراطور جين لونغ(Chien Lang) في مرسومه الصادر في شهر مايو 1757م، كما استعمله مجموعة من الكتاب الصينيين منهم: Li Ch'ien : الوثائق العامة لمنطقة الأويغور(Hui Pu Kun Tu, Shanghai 1925)، وهذا يؤكد أن تركستان الشرقية عرفت باسم بلاد الأويغور المسلمين وهم السكان الأصليون، ولم ينكر الصينيون هذه الحقيقة بل أثبتوها في وثائقهم.(أنظر، توختى أخون أركين:تركستان الشرقية البلد الإسلامي المنسي،ج.3، دار الأندلس الخضراء، جدة،1460هـ/2000م، ص ص، 159-160.)

[4]- ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص. 31.

المنطقة في أواخر القرن الرابع الهجري، واكتفى بسرد معلومات بسيطة عن الأويغور، حيث ذكرهم تحت مصطلح التغزغز[1]، وكُنت أمل أن أجد ضالتي عند المؤرخ محمود الكاشغري الذي عاصر دولتهم القراخانية في تركستان، ولكنني لم أحضى بذلك.

في حين تذكر المراجع التاريخية أنه على الرغم من أنّ الأويغور ينتمون إلى العنصر التركي، إلاّ أنهم يُصَورُون في الرسومات قصار القامة، وذوو أنوف مستقيمة، وعيون زرقاء، وشعور طويلة صفراء[2]، وعلى العكس من ذلك، يقول الباحث التركي عمرو توران: أن الأويغور أكثر تأثرا بالطابع المغولي، من حيث العيون الغائرة وعظام الوجه البارزة[3].

ويبدو أنهم أقرب إلى السمات المغولية والصينية، نظرا لكثرة اختلاطهم بالصينيين والمغول، فقد تَوَّلدَ منهم جنس يحمل السمات الجنسين[4]. ويشاطر الرأي المؤرخ التركي يالماز أوزتونا، حيث يرى: أن الطابع المنغولي المعتدل لدى أقوام أتراك آسيا الوسطى، يرجع إلى اختلاط هؤلاء مع المغول في الشمال الشرقي طيلة ألاف السنين، في حين الأقوام التي لم تختلط بالمغول أو كان اختلاطها بهما قليل، مثل: الأوغوز، لم يكتسبوا شيئا من هذا الطابع، الذي يتمثل في بروز عظام الوجنة والعيون الغائرة[5].(أنظر الصور رقم:03)[6]

لاشك أن هذا الاختلاط الواسع للأويغور بالمغول والصينيين، أدى إلى التردد في تعيين نَسب بعض القبائل بين التركية والمغولية والصينية، وقد يكون من المفيد التذكير هنا بأنه لا يوجد قوم على الإطلاق حافظ على نقاوته وصفائه، لأن ذلك يتطلب منه العيش في عزلة عن الأقوام الآخرى، وهذا الأمر سيؤدي به إلى الانقراض لا محالة، ولا شك أنّ من فرط اختلاط الأويغور بالصينيين في المرحلة الأولى لحياتهم، جعلهم يكسبون الملامح الصينية،

---

[1]- أبي دلف: المصدر السابق، الرحلة الأولى، ص ص، 46-47.

[2]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.126.

[3]- عمرو توران، المرجع السابق، ص.10.

[4]- أحمد القطوري الصفصافي: إطلالة على ثقافة الترك وحضارتهم القديمة (الترك في موكب الحضارة (1))،مطبعة النسر الذهبي، القاهرة، 2006م، ص.72.

[5]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.23.

[6]- أنظر الصورة رقم: 03، ص. 405.

من حيث قصر القامة والعيون الغائرة والوجه المستدير، كما أكسبهم إختلاطهم بالمغول ملامحهم، المتمثلة في بروز وجنة الوجه والعيون الغائرة. وأنا أعتقد أن الأويغور اكتسبوا الملامح الصينية أكثر من الملامح المغولية، هذا الأمر متأصل فيهم إلى الوقت الحاضر.

ثانيا: التنظيم الإجتماعي للأويغور.

كان الأويغور قديما يتشكلون من عدة قبائل يصل عددها إلى عشرة، وكان يطلق عليهم اسم "أون أويغور" ويعني الأويغور العشرة[1]، ويذكر المؤرخ هنري كوغد(Henri CORDIER) ، الذي أخذ معلوماته عن المصادر الصينية، أن عددهم كان تسع قبائل، وهي كا لأتي: يو-لو-كو(Yo-lo-ko)، هو-تو كو(Hou-tou ko)، تو-لو-يو(Tou-lo-wou)، مي-كو-سي-كي(Me-ko-si-ki)، أ-وو-تسو(A-wou-tso)، كو-سا(Ko-sa)، هو-وان-سو(Hou-wen-sou)، يو-يو-كو(Yo-wou-ko)، كي-ي-يو(Ki-ye-wou)، وعين مويان تو(كول قاغان) الذي أطلق عليه لقب وانغ-يو وي-يوان بي-كيا-كيو كاغان(Ying-wou wei-youen Pi-kia-k'iué Khan)[2]. وقد ذكرت سابقا أنهم كانوا تسعة ثم إنضمت إليهم قبيلة الأوغوز أصبحو عشرة قبائل.

كانت تلك القبائل تسعى دائما إلى التَّوَحد فيما بينها من أجل تأسيس حِلف أو ائتلاف تحمي به مصالحها أمام القبائل الأخرى[3]، كما سبق الإشارة إليه.

تألفت تلك القبائل من عدة عشائر تسمى أصغرها (سيما/Semia) وأكبرها (إيل/IL)، ولكل عشيرة رئيس يسمى "أغا"، ويجتمع هؤلاء الرؤساء تحت قيادة زعيم واحد يعرف بـ"القاغان" الذي يعتبر هو الحاكم العام والأعلى، وكان رؤساء القبائل والعشائر والملاء يجتمعون مع القاغان في إجتماع رسمي يسمى "قورولتاي"، وهو شَبيه بدار الندوة عند العرب في الجاهلية، حيث كانوا يتشاورون في شؤونهم الخاصة والعامة، وكان لتلك القبائل المتحـــدة

---

[1]- الرمزي: المصدر السابق، مج.1، ص.263.

[2] - Henri CORDIER, op.ct, pp. 474-475.

[3]- عبد المعطى الصياد: المرجع السابق، ج.1، ص.22؛ أنظر، محمد قاسم أمين: المرجع السابق، ص.9.

جيش قوي يقوده أمير يقال له "تكين"، ولهم قوانين مدنية تسمى "توره" وقوانين جنائية تسمى "ياسا"[1]، وهذه القوانين شبيهة بالقوانين التى عرفها المغول فيما بعد، في عهد جنكيزخان.

كان رئيس القوم أو القاغان مُعّظم في أهله، فهو يعيش في مدينة كبيرة محاطة بالأسوار لها 12 باب مصنوعاً من الحديد المتين، وكان يتخذ جميع الاحتياطات اللازمة لحراسة قصره، فكان يُجَنِد حوالي تسع مائة رجل تراهم على بعد مسافة بعيدة، وكان القاغان يهتم بالأبهة كثيرا، حيث له خيمة مرصعة بالذهب يجلس فيها عند ذهابه للراحة والاستجمام[2].(أنظر، الصور رقم:04)[3].

وعلاقة القاغان الأويغوري برعيته جيدة، حيث كان أفراد القبيلة يطيعون رئيسهم فيما يجب فيه الطاعة، من غير أن يعتبروه ملكا مطلقا يطلقون له العنان في كل الأمور[4]، فقد بلغ ارتفاع الوعي القومي لديهم إلى حد الثوران على بعض حكامهم لإمعانهم في تقليد الصنيين[5]، في المقابل كانوا يساندونهم في سياستهم الخارجية، ويقفون معهم ضد كل من أراد التدخل في شؤونهم الداخلية[6].

يعتبر الأب هو القائد في الأسرة حيث يعطي الأوامر والنواهي، ولا تتم الأمور إلا بموافقته، وكان نفوذه على أبنائه كبير، وفي يمتد في كثير من الأحيان ليطال أحفاده، ففي كثير من الأحيان كان يتخذ من أحدهم ابنا له[7].

---

[1]- نصر الله مبشر الطيرازي: المرجع السابق، ص ص، 78-79.

[2]- ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص.31.

[3]- أنظر، الصور رقم:04، ص. 406.

[4]- الرمزي: المصدر السابق، مج.1، ص ص،34-35.

[5]- ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.3.

[6]- الرمزي: المصدر السابق، مج.1، ص ص،34-35.

[7]- أركين ألبتكين: المصدر السابق، ص.127.

أمن الأويغور بأنّ الضيف يجلب لهم اليُمْن والبَرَكَة[1]، لذلك كانوا يفرحون بقدومه فيستقبلونه أحسن استقبال، مع توفير كل وسائل الراحة، حيث يقدمون له الطعام والشراب، ويعتنون بفرسه أحسن عناية، لكي يجده في أحسن حال عند حلول وقت مغادرته[2]، فهم كانوا يؤمنون بالمثل القائل: "البس الثوب الحسن لنفسك واجعل الطعام اللذيذ حصة لغيرك، وأكرم الضيف حتى يُعرف صيتك بين الناس"[3].

يعتقد الباحثون أنّ الأويغور لم يؤمنوا بتعدد الزوجات، حيث كانت لديهم زوجة واحدة يُكِنُّونَ لها كل الإحترام والتقدير، وهم لم يعتبروا زوجاتهم مجرد زوجات فقط بل كنَّ رفيقات الحياة، حيث يثقن فيهن ثقة عمياء ويُعتبرن مستودع لأسرارهم، وكانت الزوجات الأويغوريات ذوات روح خفيفة، مرحات، ووقورات، يتصفن بالكرم ويتمتعن بالإحترام الكبير داخل الأسرة[4].

وقد دُوِنَتْ تلك المواصفات في نقوش "أورخون"(أنظر الصورة رقم:01)[5]، حيث تشير إلى المكانة الرفيعة التي كانت تتمتع بها المرأة في المجتمع الأويغوري، فمثلا، عندما يتحدث الخان عن أبيه وأمه يطلق على الأخيرة لقب: "حكيمة العرش"، وعندما يموت عنها زوجها ويترك لها أولاد، فهي من يُوكل إلها تربيتهم[6]، ويشير بارتولد إلى تخلي الأويغور عن العادة القديمة المتمثلة في الزواج من أرملة الأب، وذلك تحت تأثير البوذية[7].

كانت النساء الأويغوريات تحببن إرتداء الألبسة الملونة بالألوان المزخرفـــــة، (أنظر،

---

[1]- أركين ألبتكين: المصدر السابق، ص.127.

[2]- محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.2، ص.255.

[3]- نفسه، مج.1، ص.47.

[4]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.27.

[5]- أنظر الصورة رقم: 01، ص. 404.

[6]- نوراك تشادويك وفيكتور جيرمونسكي: ملاحم آسيا الوسطى الشفوية، تر: رباب ناصيف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995م، ص.18.

[7]- بارتولد: تركستان من الفتح الإسلامي...، المرجع السابق، ص.558.

الصورة رقم:03)[1] وكنا تحببن ارتداء الخرز والخلاخال، أما الفتيات فكن تظفرن شعورهن قبل الزواج، أما بعده فتقمن بفرقه إلى قسمين أو سدله إلى الوراء في شكل معقود[2]، وكانت حفلات الزواج يسودها نوع من التكافل الأسري، فقبل الزفاف يبعث الأقارب لتجهيز العروس أحسن تجهيز فيبالغون في ذلك، لأنهم كانوا يعتقدون بالمثل القائل: "كلما كانت العروس مكرمة بأموال أقاربها وجدت زوجا يقدرها وينقاد لها"[3].

لم تكن الزوجات الأويغوريات تقتصرن بأداء الأعمال المنزلية فقط، بل كن يساعدن أزواجهن في الأعمال الآخرى مثل: الزراعة والرعي والصيد ومختلف المجالات الأخرى، وقد كانت لهن أدوار بارزة في السياسة وفي تسيير أمور الدولة[4]، فمعروف أنّ والدة القاغان الأويغوري "يو- صا" كانت سيدة فاضلة نالت شهرة كبيرة بِعِلمها وخِبرتها في إدارة شؤون الدولة، وكانت نِعمَ المساعد والمعين له في تسيير مقاليد الدولة[5].

والأويغور يقدسون كثيرا عادات وتقاليد أجدادهم فهم يعتزون بالحفاض على إحيائها. وكانت ملابسهم على العموم ملابس بسيطة مصنوعة على طراز سكان البراري، وأحذيتهم وأحزمتهم مصنوعة من القماش، أما الأحزمة المصنوعة من الجلد فكانوا يستغلونها لتعليق الأثاث[6]،(أنظر، الصور رقم:05)[7] ويقول الرحالة أبي دلف الذي زارهم أنهم كانوا يرتدون ملابس مصنوعة من القطن واللبود[8].

كان الأويغور مولعين كثيرا بشرب الشاي، فهم يحرصون علـــى أنّ يكون موجـــودا

---

[1]- أنظر، الصورة رقم:03، 405.

[2]- أركين ألبيكين: المرجع السابق، ص.27.

[3]- محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.3، ص.9.

[4]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.27.

[5]- الصفصافي أحمد القطوري: المرجع السابق، ص.43.

[6]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.126.

[7]- أنظر، الصور رقم:05، ص.407.

[8]- أبي دلف: المصدر السابق، الرحلة الأولى، ص.46.

في جميع المناسبات التي يقيمونها، والشاي عندهم يشرب دائما مع السكر والقشدة[1]، وقد وُصِفت لنا طريقة صنع الشاي لدى الأويغور، ذلك عندما تعارف كل من "ايركوكشو الأول" الأويغوري و"الأمان بيت"، حيث أمر الأول أتباعه بنصب الخيمة البيضاء الجميلة، ونشر البروكار الحريري والأغطية السميكة على الأرض، ثم وضعوا السماور(الإبريق) قرب النار ووضعوا فيه الماء وأوراق الشاي، وبعد نضجه أضافوا له القشدة المتخمرة والسكر وتفاحة ناضجة، ثم سكبوه في الأكواب وقدموه "للأمان بيت"[2].

ثالثا: أهم مميزاتهم عن القبائل الأخرى.

إشترك الأويغور مع باقي القبائل التركية القاطنة في آسيا الوسطى في عدة صفات حميدة، وإمتازوا عنهم بكثير من الصفات، سأحاول إبرازها في هذا العنصر.

تعتبر الشجاعة والفروسية وحب الحرب من بين الصفات البارزة التي تقاطع فيها الأويغور مع القبائل التركية الأخرى، حيث يخبرنا الرمزي:"أن جل ما اشتهروا به من الأوصاف وامتازوا به عمن سواهم هي الشجاعة والبسالة والفروسية، والمهارة في علم الحرب والطعن والضرب والصبر وتَحَمل المشاق وحرب الغرباء"[3]، وقد أفاض أبو عثمان الجاحظ في ذكر تلك الصفات[4].

أتقن الأويغور فن الفروسية والقتال، ومن بين القصص الموضحة لذلك تلك التي أوردها المؤرخ محمود الكاشغري عن خاقان الأويغور مع ذو القرنين، وذلك عندما وصول هذا الأخير إلى حدود ولاية الأويغور، حيث بعث إليه خاقانها أربعة ألاف مقاتل متمرسين

---

[1]- نوراك تشادويك وفيكتور جيرمونسكي: ملاحم أسيا الوسطى الشفوية، المرجع السابق، ص.90.

[2]- نفسه.

[3]- الرمزي: المصدر السابق، مج.1، ص.35.

[4]- كتب الجاحظ عدة رسائل من بينها "فضائل الأتراك"، التي كتبها للوزير الخليفة العباسي المتوكل، الفتح بن خاقان، وكان أديبا شاعرا فصيحا بارع الذكاء، وكانت له خزانة كتب حافلة، وله مؤلفات منها: كتاب اختلاف الملوك، وكتاب: الصيد والجارح، وكتاب: الروض والزهر، وقتل مع المتوكل سنة 247.(أنظر، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ج.1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1384-1964م، ص. 49 وما بعدها من عدة صفحات).

يرتدون ملابس موحدة، ويمتطون خيولهم ويرمون السهام في كل الاتجاهات، من الخلف كما من لأمام، فتعجب ذو القرنين منهم وخاف خوفا شديدا[1]، وعدل عن مقاتلتهم لشدة بأسهم، وقد حافظ الأويغور على فروسيتهم إلى غاية سنة 332هـ، حيث كانوا لايزالون يحافضون على مكانتهم العسكرية، وقد أكد ذلك المؤرخ المسعودي قائلا: "أنّ الأويغور كانوا من بين أقوى القبائل التركية الشجعان، وأنه لا يوجد من بين القبائل التركية من هو أشد منهم بأسا، ولا أكثر منهم شوكة، ولا أضبط ملكا"[2].

بالرغم من أنّ الأويغور كانوا أقوياء على المستوى العسكري، إلاّ أنهم تميزوا بصفات حميدة، حيث يرحمون الضعفاء والمساكين، ويسعون دائما إلى مساعدتهم ومشاركتهم في أوقات الأفراح والأحزان، ويعملون على اجتناب الظلم ومعاداة أهله والحرص على تطبيق قوانين العدل عليهم، وكانوا بعيدون كل البعد عن الغدر والخيانة، محبين للوفاء واحترام العهود[3]. ولا شك أنّ هذه الأخلاق الحميدة جعلتهم متميزين عن باقي القبائل التركية الأخرى، وخاصة القبائل المغولية التي كانت توصف بالمكر والخداع.

وإهتم الأويغور كغيرهم من القبائل التركية الآخرى بالخيول كثيرا حيث عملوا على تربيتها والاعتناء بها وركوبها[4]، إستخدامها في الحروب أما في أوقات السلم فيستغلونها في عملية الصيد، حيث يقول المسعودي، أنه: "ليس للأويغور عمل سوى الصيد، ومن لم يصد منهم شيئا ذبح دابته وشرب دمها"[5]، وكانوا يصيدون بالصقور والكلاب، فيعطون الصقور لفتيانهم لكي يصطادون بها الأرانب، ويحَمِلون الكلاب القُبَ على العصي للضب والخنزير والثعلب ثم يجعلونها في الوسط ويضربونها بالحجارة حتى يتم القضاء عليها[6].

---

[1]- محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.1، ص.102.

[2]- المسعودي: المصدر السابق، ج.1، ص ص، 131-132.

[3]- الرمزي: المصدر السابق، مج.1، ص.35.

[4]- ابي دلف: المصدر السابق، الرحلة الأولى، ص ص، 46-47.

[5]- أبي الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس، بيروت، 1416هـ/1996م، ص.99.

[6]- محمود الكاشغري، المصدر السابق، مج.2، ص.276.

الحقيقة أن هواية الصيد كانت موجودة بكثرة بين قبائل آسيا الوسطى، على غرار القبائل المغولية، وقد كانت هذه الهواية تعتبر كنوع من التدريبات العسكرية، يمارسونها في أوقات السلم من أجل المحافظة بواسطتها على لياقتهم العسكرية، كما يدربون بها أطفالهم الخطط العسكرية ويعودونهم على أجواء الحروب، لكي يكونوا في أتم الإستعداد في أوقات الحروب الحقيقية، وهي تشبه كثيرا المنورات العسكرية في الوقت الحاظر.

وكان الأويغور لا يحجمون حتى بعد استيطانهم تركستان الشرقية عن استعمال السلاح دفاعا عن أبناء دينهم[1]، أي أنهم بقوا محاربين ولم يفقدوا ميزاتهم العسكرية.

من بين الصفات البارزة التي تميز بها الأويغور عن باقي القبائل التركية الأخرى، هي أنهم: كانوا أول من عاش حياة الاسقرار في آسيا الوسطى، وعرفوا الزراعة وتربية الحيوانات[2]، وكانوا سَّباقين للتّحضر فهم لم يواجهوا أية صعوبة في تطوير ذاتهم، وترك حياة الترحال والتنقل ونبذ البداوة والعمل على تطوير حياتهم، من خلال تبني فكرة الاستقرار والتمدن، فقد تمكنوا من التأقلم بسرعة مع الحياة الجديدة وأذابوا شخصيتهم داخلها، وقد أظهروا نشاط ذهني كبير، ورغم وقوعهم تحت تأثير كل من الحضارة الإسلامية والصينية، فقد أوجدوا نماذج حضارية جديدة خاصة بهم[3]، ومنهم تخرج أغلب طبقة الموظفون الأتراك[4]. الذين لعبوا أدوارا بارزة في إمبراطورية المغول.

يذكر أحمد مجيب المصري: أن الأويغور يختلفون عن "كوك تورك"(أنظر،الخريطة رقم:13+14)[5] في كثير من الأمور، من بينها: اللهجة والكتابة وأنهم أهل حضر، ويستدل على ذلك من لفظ الأويغور المشتق من الإقامة[6]، أما من حيث تركهم لحياة الترحال، فإنهم أول من

---

[1]- بارتولد: تاريخ الترك...، المرجع السابق، ص.71.

[2]- عيسى يوسف ألب تكين: قضية تركستان الشرقية، تر: إسماعيل حقى شن كولر منصور، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، د.ت، د.س، ص.45-46.

[3]- أركين ألبتكين، المرجع السابق، ص.126.

[4]- عيسى يوسف ألب تكين: قضية تركستان الشرقية، المرجع السابق، ص. 45.

[5]- أنظر، الخريطة رقم:13+14، ص. 392.

[6]- أحمد مجيب المصري، المرجع السابق، ص.12.

عاش حياة الاستقرار في منطقة تركستان[1]، ويشاطر هذا الرأي كل من: بياغ كوزنيتسوف(Pierre KOUZNIETSOV) ونوراك تشادويك وفيكتور جيرمونسكي، حيث يؤكدون: أن الشعب الأويغوري كان متحضرا مقارنة بالشعوب التركية الآخرى، وكان رفيع الثقافة له أبجديته الخاصة بها ألف أدب خاص، وله علاقات تجارية مع كل من الهند والصين[2].

ويضيف الساداتي، قائلا: "أنّ الأويغور كانوا من بين أرقى القبائل التركية قاطبة، فقد اجتمعت لهم مقومات الدولة بعد أن ارتفعت الزراعة لديهم واتسعت رقعتها، واستقرت حياتهم في كثير من المدن، وبعثوا بالسفراء إلى البلاد المجاورة لهم وعقدوا معهم الاتفاقيات"[3].

في الحقيقة يعد الأويغور من بين القبائل الأولى التي عرفت الاستقرار، فشيدوا المدن من أشهرها: "تورفان"(أنظر، الصور رقم:04)[4] و"قره خوجة"، وتأثروا بما جاورهم من مدنيات، فأخذوا الحضارة عن الصين والهند والفرس والعرب، ولكنهم أضافوا عليها حيث أوجدوا نموذج خاص بهم[5]، وقد أشار محمود الكاشغري إلى المدنية والتحضر عند الأويغور، قائلا : "أيغر اسم ولاية وهي خمس مدن وأهمها مدينة:سلمى وقوجو وجنبلق وبيش بلق وينكى بلق"[6]، وأكد ذلك الرحالة ابن خرداذبة حيث قال: "إنّ ملك (التغزغز)الأويغور كان يعيش في مدينة عظيمة محاطة بالأسوار ولها اثنا عشرة بابا مصنوعة من الحديد"[7]، وقد قطعوا أشواطا

---

[1]- عيسى يوسف ألب تكين: قضية تركستان الشرقية، المرجع السابق، ص.64

[2] -Pierre KOUZNIETSOV : LA LUTTE DES CIVILISAIONS ET DES LANGUES DANS L'ASIE CENTRALE, Thése pour le Doctorat, Faculté des lettres de L'université de pares, Jouve Cie éditeurs 15 rue Racine, paris, 1912, p.58. ;. تشادويك وفيكتور جيرمونسكي: المرجع السابق،ص.13.

[3]- الساداتي: المرجع السابق، ص.337.

[4]- أنظر، الصور رقم:04، ص.406.

[5] -Pierre KOUZNIETSOV, op. cit. Pp.58-59.

[6]- محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.1، ص.103.

[7]- ابن خرداذبه: المصدر السابق، ص.31.

كبيرة في تبني الحضارة، فالمؤرخ المسعودي يذكر: أنهم في سنة 232 كانوا يعتبرون من بين أكثر القبائل التركية ضبطا للملك[1]، لتمكنهم الإداري.

إنّ الشجاعة والإقدام وحب الفروسية والقتال هي الصفات التي اتصف بها الأويغور منذ القديم وفي العصر الوسيط، وهي نفس الصفات التي كانت معروفة لدى أغلب القبائل التركية القاطنة في آسيا الوسطى، وقد أسهب الجاحظ في ذكر ذلك، والشيء اللافت الذي تميز به الأويغور على أقرانه، هو حب الاستقرار والميل إلى حياة التمدن وتشييد الحضارة، والتطلع إلى الحضارات المجاورة والرشف من معينها ومزجها بثقافته الخاصة والعمل على تأسيس حضارة جديدة.

وهذا الأمر لاحظناه متواجدا بعد ذلك في تاريخ المغول، فبالرغم من أنهم كانوا قاسين مع أعدائهم إلاّ أنهم كانوا يقتبسون الحضارة منهم، وهذا هو سر نجاحهم، فقد أخذوا الحضارة عن الصينيين والمسلمين.

---

[1]- المسعودي: المصدر السابق، ج.1، ص132.

الفصل الأول:

الحياة الدينية والسياسية للأويغور قبل إسلامهم.

المبحث الأول: أهم معتقادتهم الدينية قبل إسلامهم.

المبحث الثاني: الأويغور في عهد الهون والتبغاج.

المبحث الثالث: الأويغور في عهد الكوك تورك.

المبحث الرابع: دولة الأويغور الأولى في منغوليا.

المبحث الأول: معتقداتهم الدينية قبل الإسلام.

اعتنق الأويغور الأتراك مختلف المعتقدات والأديان التي كانت موجودة بين أغلب قبائل الترك القاطنة في آسيا الوسطى، من بين تلك المعتقدات نجد: الوثنية، والشامانية، والبوذية، والزرادشتية، والمانوية، والديانة المسيحية ثم الديانة الإسلامية، وسأحاول في هذا المبحث إجلاء اللثام على المعتقدات والأديان التي عرفها الأويغور قبل إسلامهم، وسأحاول دراسة ظاهرة تغيير المعتقدات والأديان لديهم.

أولا: الوثنية/ الشامانية.

إعتنق الأويغور البداية حياتهم المعتقد الوثني كغيرهم من الأتراك القاطنين في أراضي وسط آسيا، حيث كانوا يقدمون القرابين لإله السماء أربع مرات في السنة، و"القاغان"(الحاكم) هو من يتولى بنفسه رفقة حاشيته تقديم تلك القرابين للإله، ويصاحب هذه العملية اجراء طقوس خاصة تتخللها احتفالات مليئة بالرقص والأغاني تأسر القلوب، وكان معتقد إله السماء "كوك طانكري" هو معتقد حكام دولة الأتراك "الكوك ترك" الأول[1]، وكان ذلك هو معتقد الأويغور كذلك، ولايستبعد أن يكون قد إنتقل إليهم عن طريق هذه الدولة.

تعتبر عبادة إله السماء "كوك طاكري" جزء من المعتقد الوثني الذي كان يعبده الأتراك الأويغور منذ القديم، وقد كانت هذه العبادة معروفة لدى الشامان، والمؤرخ الرمزي يفرق بين الوثنية المطلقة والوثنية الشامانية، فالأولى تشمل عبادة الشمس والكواكب وسائر الأجرام العلوية[2]، أما الثانية فتنحصر في عبادة إله السماء.

من هنا يمكن القول أنّ الأويغور عبدوا في مرحلتهم الأولى كغيرهم من الأتراك الحيوانات: كالذئاب(أنظر، الصور رقم:06)[3] والكلاب والطيور كالعقبان والنسور، والكواكب: كالشمس والقمر، وطبقات السماء المختلفة من بينها(كوك تينكري)، ومن ثم صاروا

---

[1]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.25.

[2]- الرمزي: المصدر السابق، مج.1، ص.40.

[3]- أنظر، الصور رقم:06، ص. 408.

يؤمنون بخلود الأرواح ووحدانية الله، ويعتقدون أن هذا الرب وحده دون غيره هو خالق كافة الكائنات، واعتقدوا أنّ هذا الرب اختار السماء السابعة لتكون مسكنًا له[1].

لقد كان ذلك المعتقد موافقا لطبيعة مجتمعهم الأول البسيط، فقد كانوا يقدسون: الأرض والأشجار والمعادن والنار والماء، ويعتقدون أن كل عنصر من هذه العناصر يمثل في ذاته ملك على وجه الأرض، وهم كالتالي: "صاري خان" في المركز، و"كوك خان" في المشرق، وفي الغرب "أق خان" وفي الشمال "قره خان"، وفي الجنوب "قرمزي خان"، وبعد ذلك انصهرت تلك العناصر الخمسة في أصلين بارزين تتمثلان في إلاهين رئيسيين هما:إله السماء(تانكري) وإله الأرض(إيلريك)[2].

وكانت هذه العناصر الخمسة هي المكون الرئيسي لمقومات القومية التركية، فالأرض ممثلة لدى الأويغور بالحجارة(yada Tasc)، إذ يعتقدون أن قطعة من الحجارة لها نوع من القداسة وتحمل في ذاتها قوة خفية، حيث جاء في الأساطير التركية أن الذي يتزوج من فتاة أجنبية كأنه يضحي بقطعة من حجارة وطنه المقدس، ويشتت شمل بلاده ويكسر بنيان تكامل شعبه، ونجد في الأساطير الأويغورية أن قطعة الحجارة مقدسة وترمز للوطن، وفي نفس الوقت هي مقياس لمعرفة مدى حب الشعب لوطنهم[3].

وقد أخبرنا الرحالة "أبي دلف" في رحلته الذي زار فيها مملكة الأويغور عن وجود حجر معروف لديهم، يستعملونه في علاج المرضى[4]، ويؤكد المؤرخ "ابن الفقيه" الذي توفى في أواخر القرن الثالث الهجري، عن وجود ذلك الحجر المشهور، يتفرد به ملك التغزغز(الأويغور) عن غيره من القبائل التركية، كان يستعمله لجلب الأمطار والثلوج[5]، وقد

---

[1]- بوريبوي أحمدوف، وزاهد الله منروف: العرب والإسلام وأوزبكستان تاريخ أسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم، مراجعة: نعمت الله ابراهيموف، ط.2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1999م، ص.75.

[2]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص ص،80-81.

[3]- نفسه، ص.81.

[4]- أبي دلف: المصدر السابق، الرحلة الأولى، ص.47.

[5]- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص.126.

نسجت عدة أساطير حول هذا الحجر، من بينها: "أسطورة الهجرة" التي سوف أذكرها في الفصل الرابع أثناء حديثي عن الإنتاج الأدبي للأويغور.

أما الشجرة(Agaç)، فهي الأخرى كانت لها قداسة كبيرة لدى الأويغور، حيث جعلوها عنصرا مهما لقصصهم وأساطيرهم الخرافية، فهم يعتقدون بأن: الأجناس التسعة لبني الإنسان قد أخذ رأس كل جنس منها مكانه تحت ظل شجرة من تسع أشجار خلقت من قبل[1]، وقد نسجوا عليها هي كذلك عدة أساطير من بينها أسطورة الهجرة التي سأذكرها في الفصل الرابع.

أمّا عنصر الماء فله علاقة بخلق الإنسان في الأساطير التركية والأويغورية، بحيث تذكر تلك القصص الخرافية: أن المرأة المعروفة باسم "أق أنا /AKana" هي التي ألهمت الرب خلق الإنسان، وقد خرجت من بحر كبير لا حد له[2]، ولاشك أن طبيعة البيئة التي كان يعيش فيها الأتراك في صحاري وسهوب آسيا الوسطى المحتاجة دائما للمياه، جعلتهم يقدسون الماء، إذ أن هذا الأخير ضروري لحياتهم بل هو شريان الحياة. إن هذه العناصر المقدسة لدى الأتراك الأويغور كانت جزء لا يتجزء من المعتقد الشاماني الوثني، الذي عبده الأويغور في وقت مبكر من تاريخهم.

وكانت الشامانية من المعتقدات السائدة بين قبائل وسط آسيا، ويبدو واضحا أنّ قسما من الأويغور قد اعتنقوا هذا المعتقد، خاصة في أثناء تكوين دولتهم الأولى في منغوليا (745-763م)[3]، حيث كانوا يؤمنون بمعتقد "كوك طاري" دين الأتراك القدماء أي الشمانية[4]، وقد أشار الرحالة أبي دلف إثر زيارته ولاية التغزغز(الأويغور) إلى أنه لم يكن يوجد لديهم بيوت للعبادة[5]، وهذا دليل على أنهم كانوا يعتنقون المعتقد الشاماني، لأن الشامان لا يخصصون بيت

---

[1]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص.81.

[2]- نفسه، ص.82.

[3]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.121؛ أنظر،ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.26.

[4]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص ص، 102-103.

[5]- أبي دلف: المصدر السابق، الرحلة الأولى، ص.46.

معين للعبادة كما سأبينه في الصفحات القادمة.

والشامانية(shamanism) كانت هي المعتقد السائد في ربوع تركستان وسيبيريا ومنغوليا والصين، وهي مصطلح مؤنث، مأخوذ عن الكلمة "شامانكا" أي الشامانة أو العرافة(الفقير أو الكاهن)، وهي تستعمل للدلالة على كل شخص محترف لتلك المهنة، وكلمة "شامان" بمعناها المُذَكر لا تتواجد إلاّ لدى قبائل التونغو، أما مغول البريات والياكوت والقرغيز...الخ، يستخدمون كلمة الشامانية، أما أتراك لألتاي فيستعملون كلمة "كام"[1]، ويذكر المؤرخ عطا ملك الجويني: أن "الأويغور كانوا يعرفون علم السحر ويسمون فقهاء ذلك العلم باسم "قامان"(شامان)"[2].

والشامانية هي معتقد ديني ظهر منذ القديم بين الشعوب لآلتاي والمغول القاطنيين بالقرب من بحيرة "بايقال"(أنظر الخريطة رقم:01)[3]، ثم انتشرت ووصلت إلى أوج قوتها في عهد "جنكيزخان" وأتباعه[4]، ولكن المصادر التاريخية لم تمدنا بالشيء الكثير عن زمن أو كيفية ظهورها؟ وعلى يد من ظهرت؟

ويرجح كل من الرمزي وعبد العزيز الخالدي: أنها كانت ديانة سموية تم تحريفها[5]، ولكنهما لم يعطونا أي معلومات عن تلك الديانة التي حرفت عنها الشامانية ؟

يؤمن المعتقد الشاماني بوجود إلاه واحد يتحكم في المناطق العليا من السماء يسمى "باي يولغين"، وحاكم الموتى الأسود "ايراليك خان" الذي يسيطر على العالم السفلي وأرواح الموتى[6]، والتي ترتبط أغلبها بأرواح لأجداد القدماء، ومن ثم كانوا يستعينون بقدرة الشامان

---

[1]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص.244.

[2]- عطا ملك الجويني، المصدر السابق، مج.1، ص.91.

[3]- أنظر الخريطة رقم:01، ص. 380.

[4]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص244.

[5]- الرمزي: مصدر سابق،ج1،ص43؛ إسماعيل عبد العزيز الخالدي: العالم الإسلامي والغز والمغولي، مكتبة الفلاح الكويت، بيروت، 1404هـ/1984 م، ،ص 34. فما بعدها.

[6]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص.245.

للاتصال بها وبالعالم العلوي[1]، فكان هذا الأخير يقوم بدور الواسطة بين رجال القبيلة والعوالم الروحية الأخرى، فيقدم الصلوات والقرابين للأرواح والآلهة نيابة عنهم، إضافة إلى ذلك كان يقوم بإيصال أرواح الموتى الشريرة إلى مقرها الأخير، في مملكة "إيلريك" السفلى تحت الأرض[2].

تختلف المناسبات التي كان يقوم فيها الشامان بهذه العملية من طلب استدعاء خاص أو عام، وتبقى المناسبة العظمى هي تلك المناسبة التي يتم فيها استدعاء كل شامانات لألتاي وأتراك الليبد، لكي يُقام أعظم طقس لإله السماء العليا "باي يولغين"، وتقابلها حفلة أخرى تقام لدى المغول وتسمى"البوريات"، كما توجد مناسبات أخرى مثل مرض شخص أو موته[3]، ويجب التنويه هنا أن الشامان لا يتميز عن باقي المجتمع بشيء سوى بتلك العزلة التي يقضيها في البراري[4].

يكتسب الشامان وظيفته وسلطته بإدعاء نزول الوحي عليه من السماء أو برؤية روح الميت في منامه، ويبقى عليه فقط إثبات إدعائه، والجدير بالملاحظة هنا أنه من أصبح شامانا مرة واحدة ضل شمانا طول حياته، ويجب أن تتوفر في هذا الأخير مواصفات لكي يتم الاعتراف به وبقدراته، مثل أن يكون عارفا بالماضي والحاضر والمستقبل، لأنه يعد المخزن الرئيسي للتراث والتاريخ والأنساب، والحافظ للملاحم والأساطير والأشعار، ولم يكن للشامان مناطق مخصصة للعبادة كالأديرة والمعابد بل يتم الجزء الأساسي من طقوسهم في الخيام أو في العراء[5].

يمكن القول أن الأتراك الأويغور تبنوا الوثنية المطلقة مثل عبادة عناصر الطبيعـــــــة

---

[1]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي: المرجع السابق، ص34؛ أنظر، حبيب أوغلو: صوت التركستان، العدد الثاني، مطابع دار الكتاب العربي، شوال 1372هـ/ يوليو 1953م، ص14.

[2]- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص.261.

[3]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص.246.

[4]- نفسه، ص.247.

[5]- نفسه، ص.247. فما بعدها.

المختلفة من سماء وأرض وماء وأشجار، كما عبدوا الحيوانات مثل: الذئاب والكلاب والصقور، وذلك في الفترات الأولى، مثلهم مثل باقى القبائل التركية القاطنة في وسط آسيا، ولكن سرعان ما تبنوا معتقد أخر، تمثل في المعتقد الشاماني الأقرب إلى الوثنية، ويبدو أنهم أخذوه عن القبائل المغولية، أثناء انتقالهم للسكن بمحاذاة نهر أورخون الموجود في منغوليا، ولكنهم لم يبقوا محافظين على معتقدهم هذا، بل غيروه بسرعة واعتنقوا معتقد آخر يتماشى مع ظروفهم السياسية الجديدة، كما سأبينه في المطلب الثاني.

ثانيا: المعتقد البوذي:

تخلى الأتراك الأويغور في مرحلة من مراحل حياتهم عن المعتقد الشماني واعتنقوا المعتقد البوذي[1]، وقد ظهر هذا الأخير خلال القرن السادس قبل الميلاد في الهند، ومن الأمور الغريبة أن المصادر الموجودة بين يداي لا تشير إلى وجود البوذية بين قبائل الأويغور.

لكن المؤرخ الروسي بارتولد يشير في موقع من كتابه عن إتناق الأويغور للبوذية، ولكنه لم يستطع تحديد أي المعتقدين انتشر أولا بين هؤلاء، المانوي أم البوذي[2]، وفي موضع آخر يناقض نفسه، ويعتبر: أنهم لم يتأثروا كما فعلت أغلب القبائل التركية الأخرى بالمعتقد البوذي، بل تبنوا المعتقد المانوي[3]، وأنا لا أشاطره الرأي في ذلك، لأن البوذية وفق بعض المعلومات التاريخية كانت موجودة بين الأويغور منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وأصبحت المعتقد الرسمي للدولة منذ سنة 572م - كما سأبينه في الصفحات القادمة -.

[1]- البوذية فلسفة وتحولت إلى معتقد أسسها "سذهاتا" الإسم الحقيقي لبوذا(563-483 ق.م)، في شمال الهند في القرن السادس ق.م، ثم انتشرت في وسط آسيا والصين وكوريا، وتعتمد على تركيز التأمل للوصول إلى حالة(النزفانا)، وهي تعنى بإنكار الذات وضبط العواطف وقتل الرغبة أكثر من عنايتها بالشعائر، وكلمة بوذي تعنى المستنير/المتنور أو المستيقظ، وكان بوذا إبن أحد حكام مقاطعة ساكاس لهذا يسمى :"حكيم ساكاس"، ونقطة التحول في حياته جاءت مع سن 29 من عمره، حيث أدرك أن الإنسان يعاني المرض والشيخوخة والموت فأقلع عن حياة الإمارة وتحول إلى ناسك متجول حتى جاءه الإلهام(الإستنارة) تحت شجرة البو (BO). (أنظر، ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، هامش ص.27؛ أنظر: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الأديان، ط.1، مكتبة العبكان للنشر، الرياض، 1428هـ/2007م، ص ص، 627).

[2]- بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.72.

[3]- نفسه، ص.64.

يبقى التساؤل المطروح هنا: كيف ومتى اعتنق الأويغور البوذية ؟ وما هي الأسباب التي جعلتهم يفعلون ذلك ؟ ومن أين أخذوها، هل عن طريق الصين أم الهند ؟

يتضح من الشواهد الأثرية والتاريخية أن علاقة الأتراك بالبوذية ترجع إلى فترة تسبق قيام الدولة الأويغورية الأولى في منغوليا[1]، حيث يُعتقد أن مدنا مثل: باي، وكوجار، وطورفان، وقره شهر، ولوب نور، وكريا، ونيه، وميران، ولولن(كرورن)، كانت مراكز للمعتقد البوذي، المذهب الرسمي"للهون" وأقوام "الكوك ترك"، وبالتأكيد مذهب الأويغور[2].

ففي عهد "طويو"(572-581م)، أحد قاغانات دولة "كوك ترك"، اتسعت التجارة مع الصين واستوطن العديد من التجار الذين يصل عددهم إلى ألف تاجر في المدن الصينية، وقد أدى هذا النشاط التجاري إلى تسرب أنماطا من الحياة الصينية إلى الأسر التركية، ومن بينها تسرب المعتقد البوذي، وقد تمكن أحد مبشري بوذا من إقناع "طويو قاغان" باعتناق البوذية[3].

فمن خلال هذه الحادثة نستنتج أنّ البوذية تسربت إلى قبائل الأتراك عن طريق الصين، فقد شهدت هذه الأخيرة انتشارا واسعا في أواخر عهد أسرة هان الغربية(420-581م)[4]، حيث اعتنقها الكثير من أباطرة الصين ووزرائهم، وإعتبروها ديانة رسمية لذلك قاموا ببناء عددا كبيرا من الأديرة في مناطق مختلفة[5]، وكانت الصين قد تبنت البوذية عن طريق الهند، ففي سنة 65م ذهب وفد مكون من عشرة أشخاص صينيين إلى مدينة "خوتن"، وقاموا بدراسة المعتقد البوذي حتى تعمقوا فيه واعتنقوه بعد عامين، ولما عادوا إلى وطنهم أسّسوا معبدا بوذيا كبيرا في عاصمة الصين"لويانغ"[6].

---

[1]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.27.

[2]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.103.

[3]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.27

[4]- أسس أسرة الهان الغربية ليو – بانغ (256-195 ق . م) وكان زعيما لاحدى وحدات جيش الانتفاضة الفلاحية، في أواخر أسرة تشين، ثم أقام بعد أن تكللت الحرب بنصره النهائى أسرة الهان الغربية ، وأصبح أو أباطرتها، وقد سار في بداية حكمه وفق التنظيمات السياسية الدكتاتورية تشين المركزية الاقطاعية، قبل أن يجرى عليها التعديلات التي تلائم مصالح دولته ثم يردفها بسن قوانين جديدة لتدعيم حكمه الإقطاعي. (أنظر، سلسلة كتب سور الصين العظيم: تاريخ الصين، مجلة بناء الصين،ج.1، بيكين، 1986م، ص.37.).

[5]- سلسلة كتب سور الصين العظيم: تاريخ الصين، مجلة بناء اصين،ج.1، المرجع السابق ، ص.64.

[6]- بولات تورفاني: المرجع السابق، ص.33.

وفي سنة 399م انطلق راهب صيني آخر يدعى"فاشيان" من تشانغآن(شيآن الحالية) إلى شمال الهند، ومنها رحل إلى مدينة سيلان ومكث فيها عشرة أعوام، قضاها في البحث والتدقيق في المعتقد البوذي، بعدها عاد إلى الصين عن طريق "كاشغر" ثم "خوتان" مرة أخرى وقد وصلها في سنة 413م، وترجم كتب بوذة المقدسة، وألف كتاب بعنوان: "البلدان البوذية"، أَرّخَ فيه لتاريخ المنطقة الغربية والهند في ذلك العصر[1]، وقد ذكر هذا الأخير الكثير عن الديانة البوذية في مدن "كوجا" و"خوتان"[2]. وتواصلت الرحلات الصينية إلى الهند لمعرفة البوذية بشكل موسع، ففي أوائل عهد أسرة تانغ وبالتحديد في سنة 645م، رحل الراهب الصيني الآخر"شيوان تسانغ"، إلى الهند من أجل معرفة المعتقد البوذي[3].

رغم كل هذا لا نستطيع القول بأن البوذية وصلت إلى تركستان عن طريق الصين فقط، بل تسربت إليها كذلك من الهند وأفغانستان، مثلما يشير إليه نصر الله مبشر الطيرازي[4]، فقد كان هناك مُرَوجُون من التجار البوذيين الهنود أثناء سيطرة المدنية البوذية على بلاد الترك، إستخدموا الأبجدية الهندية في تبشيرهم، فقد عَثرت البعثات الأثرية على وثائق تركية بوذية مكتوبة بالأبجدية الهندية، في تركستان[5]. ومعنى ذلك تسرب البوذية عن طريق الهنود.

---

[1]- سلسلة كتب"سور الصين العظيم"، المرجع السابق، ج.1، ص.64.

[2]- بولات تورفاني: المرجع السابق، ص.33.

[3]- توجه الراهب"شيوان تسانغ" إلى الهند منطلقا من "تشانغآن" في عهد أوائل حكم الإمبراطور "تانغ تاى تسونغ"، وتجول أثناء اقامته في الهند في المعابد ووصل إلى نيبال مسقط رأس"ساكيامونى" مؤسس المعتقد البوذي، وتعلم لهجات أهالي شبه الجزيرة وإنهمك في دراسة الكتب البوذية حتى أصبح عالما فذا في المذهب البوذي، ثم رجع إلى "تشانغآن" حاملا معه ستمائة مؤلف من الكتب البوذية في سنة 645م، واتم ترجمة 1300 مجلد منها في 20 سنة، كما وضع رفقة تلامذه كتاب بعنوان:"رحلة التانغى إلى الغرب"، وصفوا فيه أحوال 130 دويلة في الهند من حيث الجغرافيا والثروات والمنتجات والعادات والتقاليد والدين، والكتاب يعتبر مهم جدا لمن أراد دراسة تاريخ دويلات شبه الجزيرة الهندية في ذلك العصر. (أنظر، سلسلة كتب"سور الصين العظيم"، المرجع السابق، ج.1، ص.81.)

[4]- نصر الله مبشر الطيرازي: المرجع السابق، ص.83.

[5]- بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.27؛ أنظر،ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.28.

إضافة إلى ذلك تمكن التجار الصغد[1](أنظر الخريطة رقم:11)[2] المتواجدين على طــول الطريق التجاري المار عبر تركستان إلى الصين، هم كذلك من التبشير الديني بين الأتراك خلال القرنين السادس والثامن الميلاديين، فقد تأسست على طول هذه الطريق مستعمرات تجارية صغدية، وصلت إلى غاية منطقة "لوب- نور"، وكان هؤلاء التجار يصلون ببضائعهم وتجارتهم إلى أسواق مناطق الإستبس التركية، وبخاصة إلى معسكرات الخان التركي[3].

ويبدوا أن هذا الخان التركي تأثر بهؤلاء التجار وأراد اعتناق البوذية، وإقامة معبد بوذي في عاصمة ملكه، ولكن مستشاره(تونيوقوق) أرجعه عن رأيه، بقوله: أن هذه الأخيرة سوف تؤثر سلبا على خصائص الترك العسكرية[4]، فعدل عن أمره، مع ذلك عرفت البوذية إنتشرا لها بين الأتراك، فقد روى الرحالة الصيني(هيوان – تسانج) الذي جاب آسيا الوسطى حوالي 630م، أنه بعد تعديه تركستان الشرقية حيث بلغت البوذية غاية الازدهار، لم يقع بصره على أي دير بوذي إلا بعد أن تجاوز الحدود الجنوبية للصغد، أما في سمرقند عاصمة الصغديين وجد ديرين فقط للبوذية، كانا خاليين تماما من العُبَّاد لآن الزرادشتيون كانوا يمنعونهم من إقامة شعائرهم الدينية[5].

يفهم من هذه الرواية أن البوذية كانت منتشرة في الجهة الشرقية حيث يقيم الأتراك، في المقابل بدأت تتلاشى جزئيا في الجهة الغربية حيث حلت محلها الزرادشتية، التي كانت تفرض وجودها بالقوة.

أعتقد أن الأويغور عرفوا البوذية عن طريق الصين أكثر من الهند لأنهم كانوا يُكَونــون

[1]- الصُغْدُ: بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة، وقد يقال بالسين مكان الصاد: وهي كورة عجيبة قصبتها سمرقند وقيل هما صُغدان: صغد سمرقند وصغد بخارى، وهي قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى بخارى، ومنبرها الأجل سمرقند ثم كش ثم نسف ثم كشانية، والصغد في الأصل اسم للوادي والنهر الذي تشرب منه هذه النواحي.(أنظر، شمس الدين ابي عبد الله محمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ، دار صادر، بيروت، 1909، ص. 266؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، مج.3، ص ص.209-210.).

[2]- أنظر الخريطة رقم:11، ص. 390.

[3]- بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص ص، 27-28.

[4]- نفسه، ص.26.

[5]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.29؛ أنظر، بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.28.

جالية كبيرة في عاصمة أسرة تانغ الحاكمة في الصين(من 618 إلى 907م) "تشانغآن"[1].

وقد لاقت البوذية قدرا كبيرا من الازدهار لد الأويغور في فترة تأسيس دولتهم الأولى في منغوليا، فقد تمسكوا بها رغم تعرض المنطقة لمختلف التيارات الدينية، ويوجود أثرًا خاصًا بالمعتقد البوذي كتب باللسان التركي الأويغوري(تورك أويغورتيلى)[2]، وقد وصلت البوذية إلى أوج قوتها بين الأويغور في الفترة(685-712م)، حيث أمر حاكمهم بإنشاء معبدا كبيرا من أجل بوذا في مدينة "باي"(زنكين أو في زنكين شهر)[3].(أنظر، الصور رقم:07)[4].

يبدوا أنّ مرجع تمسك الأويغور بالبوذية يعود إلى أنهم إعجبوا مثل الأتراك الشرقيين بالنجاح العسكري للأسرة السوية[5] في توحيد الصين الهانية، خاصة بعد الحماية الروحية التي وفرتها لهم البوذية، فمباشرة بعد تنصيب المؤسس السوي نفسه إمبراطورًا بوذيًّا في الصين، سمَّى كلٌّ من القادة الأويغوريِّين والأتراك الشرقيين أنفسهم "أمراءَ بوديساتفا"، غير أنّ الأويغور تبنوا بشكلٍ أولي، نموذجًا بوذيا من وسط آسيا ولم يتبنوا النموذج الصيني الهاني، وذلك للحيلولة دون ذوبانهم في الحضارة الصينية الهانية، وقد إتبعوا – في الأساس – نموذجًا توخاريًّا/خوتانيًّا من البوذية نشأ في مدينة تورفان، وهو نموذج يخلط بين عناصر تركية تقليدية والعناصر الصينية الشمالية بالبوذية، تمامًا كما فعل الأتراك الشرقيون [6].

---

[1] - سلسلة كتب"سور الصين العظيم"، المرجع السابق، ج.1، ص.78.

[2] - بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص. 28؛ أنظر، ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.29.

[3] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.103.

[4] - أنظر، الصور رقم: 07، ص. 409.

[5] - في عام 581م استولى "يانغ جيان"(541-604م) الذي كان كبير الوزراء في أسرة تشو الشمالية وكلن من قومية هان على السلطة، ونصب نفسه امبراطورا لأسرة سوي الجديدة، واتخذ لنفسه إسم "ون دى" وكانت عصمة أسرة سوى في "تشانغآن"، وفي عام 589م شن الامبراطور "ون دى" حملة عسكرية على جنوب الصين واسقط أخر لأسرة الجنوبية الحاكمة "تشن"، مما انهى وضع تمزق الوطن الذي ظل يسود الصين خلال اكثر من 270سنة منذ عهد أسرة جين الشرقية(317-420م). (أنظر، سلسلة صور الصين العظيم، المرجع السابق، ج.1، ص.68.)

[6] - ألكسندر بيرزين: التفاعل التاريخي بين الثقافتين البوذية والإسلامية قبل الإمبراطورية المنغولية، التحولات الدينية للأويغوريين، مقال موجود في موقع أرشيف بيرزين، 1996م روجع في يناير 2003م وديسمبر 2006م.

الشيء الأخر الذي جعل الأويغور يتبنون البوذية في إعتقادي، أنه لما حلّت سلالة التانغ الحاكمة في الصين(618 – 906م) مكان الأسرة السوية التي حكمت(29 سنة)، دعموا البوذية رغم أن أوائل الأباطرة التانغيين أعادوا تنصيب نظام الاختبار الكونفشيوسي[1] بالنسبة للخدمة الحكومية، وفظلوا الطاوية[2]، وفي الحقيقة كانت أواخر الفترة السوية وأوائل الفترة التانغية تشكل الأوج في تطور وانتشار المذهب البوذي الهاني الصيني، وبالرغم من أنّ الأتراك الشرقيين اعتبروا البوذية مسؤولةً عن خسارة سلالتهم الحاكمة الأولى، إلا أنّ الأويغوريِّين آنذاك لم يعتبروا استسلام السوي للصين الهانية عام 618م، أو خسارتهم تورفان لصالح القوى التانغية في ثلاثينيات القرن السابع الميلادي، كان خطأ البوذية، فقد بقوا حلفاءَ التانغيين المخلصين، واستمروا في اعتناقهم البوذية.[3]

يمكن القول أن الأتراك الأويغور كانوا حتى القرن الثامن الميلادي بوذييـــــن، وكانت

---

[1] - الكونفوشيوسية هي ديانة أهل الصين التي تدعو إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مع إضافة بعض آراء الحكيم كونفوشيوس، وهي تقوم على عبادة الإله الأعظم وأرواح الأباء والأجداد وتقديس الملائكة، ويعتبر كونفوشيوس الذي ولد في سنة 551ق.م، في مدينة(تسو/Tsou)،المؤسس الحقيقي لهذه العقيدة الصينية، إسمه (كونج/Kung) وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، و(فوتس/Futze) ومعناها الرئيس أو الفيلسوف، وهو بذلك رئيس كونج أو فيلسوفها، ينتسب إلى أسرة عريقة، فجده كان واليا على تلك الولاية، ووالده كان ضابطا حربيا ممتازا، عاش يتيما فعمل في الرعي، تلقى علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف "لوتس/Laotse" صاحب النحلة الطاوية الذي كان يدعو إلى القناعة والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه داعيا إلى مقابلة السيئة بمثلها إحقاقا للعدل، وعند بلوغه 22 من عمره أنشأ مدرسة لدراسة أصول الفلسفة، وبلغ تلاميذه 3 ألاف تلميذ، عمل مستشار للأمرا والولاة، وعين قاضيا وحاكما، ووزير للعدل ورئيس وزراء في سنة 496 ق.م، فقام بإعدام بعض الوزراء وعدد من رجال السياسة أصحاب الشغب، مات سنة 479 ق.م، بعد أن ترك مذهبا رسميا شعبيا استمر حتى منتصف القرن العشرين.(أنظر، سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: المرجع السابق، ص.648.)

[2] - الطاوية إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم إذ ترجع إلى القرن 6 ق.م، وتقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفا سلبيا من الحضارة والمدنية، ويعتقد بأن "لوتس/Laotse) المولود عام 507 ق.م هو صاحب مذهب الطاوية التي ترجع بعض معتقداتها إلى زمن سحيق، وقد وضع كتابه (طاو –تي – تشينغ/ Tao- te- ching) أي كتاب طريق القوة، وقد التقى به كونفوشيوس وأخذ عنه أشياء وخالفه في أشياء أخرى، بقيت الطاوية خلال أكثر من ألفي سنة تؤثر في الفكر الصيني. (أنظر، نفسه، ص.690.)

[3]- ألكسندر بيرزين: التحولات الدينية للأويغوريين، المقال السابق.

مدينة "طورفان" مركزا للبوذية، وظلوا يدينون بالبوذية حتى الفترة التي عاد فيها حاكمهم "بوغوقاغان" من حربه ضد ملك الصين "لويانج" سنة 763م[1]، حيث نبذ البوذية وإعتنق المعتقد المانوي.

وثمة تفاصيل عن البوذيين الأويغور في العصر المغولي، حيث كانوا يشكلون طائفة متميزة بذاتها بين عَبَدَت الأصنام، وكانوا يستقبلون الشمال في صلاتهم، ويضمون أيديهم إلى بعضها البعض، ويركعون ثم يسجدون واضعين جباههم في أيديهم، وكانت معابدهم مزينة بصور موتاهم، وتستعمل النواقيس للإشارة إلى أوقات العبادة، وقد حُفِظت لنا إحدى الصلوات البوذية لدي الأويغور وهي:"أوم ماني بادمه هوم"[2]، ووفقا للرَّحَالة "تشأن- تشؤن": فإن الرُهبان البوذيين ببلاد الأويغور كانوا يرتدون زيا أحمر اللّون، كما كانوا يطلقون على كتبهم المقدسة اسم "النوم"، وهو لفظ يوناني إنتقل إلى الأويغور عن طريق أتباع المانوية[3].

يبدو أنّ البعض من الأويغور ظلوا متمسكين بالبوذية لفترة طويلة من حياتهم، حتى بعد أن حدثت تحولات دينية كبرى لديهم من المانوية إلى الزرادشتية ثم المسيحية، فالمؤرخ بارتولد يتكلم عن وجود طائفة من الأويغور معتنقة للمعتقد البوذي كانت متواجدة في دويلات المغول، عرفت بـ"الكاتب أوعامل الدولة"[4]، ويستنتج من ذلك أن ممثلي الطبقة المثقفة من الأويغور الذين عملوا في خدمة المغول كانت أكثريتهم من البوذيين، ويتحدث هذا الأخير أيضا عن التسامح الديني الذي كان قائما بين الأويغور البوذيين والنصارى منهم في دولة المغول، رغم أنّ النساطرة اتخذوا من الإجراءات ما يحول دون الخلط بينهم وبين البوذيين، إلاّ أنّ التعاون بينهم كان موجود، فقد بسط الأويغوري النصراني"جينغاي" حمايته على "كركوز" البوذي لأنه من الأويغور، في المقابل إتحدا ضد المسلمين[5].

---

[1]- ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.29.

[2]- بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.555.

[3]- نفسه، ص ص، 556-557. عن الرحالة "تشأن- تشؤن"

[4]- نفسه، ص.555.

[5]- نفسه، ص.557.

ثالثا: المعتقد الزرادشتي.

تعتبر الزرادشتية[1] من بين المعتقدات القديمة التي إنتشرت بإيران، ويقول المؤرخ الذهبي: أنها ظهرت في عهد الملك الساساني"يستاسف"، الذي كان يتخذ من بلخ مقرا له، وبعد مرور 30 سنة من حكمه، ظهر زرادشت[2](674-551 ق.م) بن أسبيمان، وكان من أهل أذرابيجان، وأتى لهم بالمعجزات الباهرة للعقول، وأخبرهم عن الأشياء قبل حدوثها، وأتى لهم بكتاب سماه "بستاه"، دَونه في 12 ألف مجلد بالذهب، ذكر فيه شيء من الوعيد والأمر والنهي، ولما عجزوا عن فهمه، كتب لهم زرادشت تفسيرًا سموه "زندا"، ثم كتب لهم تفسير للتفسير سموه "بازند"، ثم كتب أتباعه من بعد وفاته تفسيرا لتفسير التفسير وسمـــــوه "بارده"،

[1]- الزرادشتية: هي عبادة بدأت توحيدية ثم تحولت بالتدريج إلى ثنوية، فقد نادى زرادشت(674-551 ق.م) إلى عبادة الإله الواحد"أهورا مزدا" خالق الأشياء المادية والروحية، وقد رمزت الزرادشتية إلى ذات الإله برمزين ماديين أحدهما سماوي تمل في الشمس، والأخر أرضي تمثل في النار، وكلاهما متلألئ وطاهر لا يتطرق إليه الخبث والفساد، من ثم حرصت الزرادشتية على أن يوقد في كل من هياكلها شعلة من النار، وأن تظل هذه الشعلة متوهجة، يتعهدها الموابذة(كبار رجال الدين) والهرابذة(صغار رجال الدين)، ورجال الكهنوت، فيقدمون لها الوقود من الخشب والأعشاب والمواد العطرية خمس مرات في اليوم، فيمتلئ الهيكل برائحة الطيب، وترتل حولها الأدعية وتقام الصلوات، وكان من عادة الزرادشتيين إن أقاموا هيكلا جديدا للنار يحملون إليه من كل النواحي شعلات النار حتى يصلون إلى التاسعة فيعتقدون أنها قد وصلت إلى أرقى درجات الطهارة، فيوقدون بها نار الهيكل، ويتمثل العنصر الوثني في الزرادشتية في المبالغة في تقديس النار، وتحولت النار من إشارة إلى الخالق إلى موضع الكمون والحلول، ثم تحولت النار إلى إله الشر تجسد في شخص "أهريمان"، وهو مساوي لأهورا مزدا، وأصبح العالم حلبة صراع لدى بين إله الخير والنور(أهورا مزدا) وإله الشر والظلام(أهريمان)، ولكن الغلبة أكيد أنها ستكون لأهورا مزدا، ويمكن للبشر أثناء الصراع مساعدة الخير، ومن يختار الخير يربح مكافأة أزلية في الحياة الأخرة، أما من يختار الكذب فإنه يلقى به في الجحيم الأزلي، وقد كانت للزرادشتية كتبها المقدسة التي تعرف باسم "زندافستا" والتي لم يتم تدوينها حتى فترة النصرانية، لذلك تتسم الزندافستا بأنها خليط متناقض من الأفكار والأراء. (أنظر، سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: المرجع السابق، ص ص، 600-601.)

[2]- هو زرادشت بن أسبيمان وقيل بن بورشف بن فذراسف بن أريكسف بن مجدسف بن محيس بن باتير بن أرحدس بن هردار بن أسبيمان بن واندست بن هايرام بن أرج بن دورشرين بن منوشهر الملك، من أهل أذربيجان، والأشهر أنه زرادشت بن أسبيمان وهو بني المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف عندهم بـ"بستاه". (أنظر، المسعودي: المصدر السابق، ج.1، ص.229.)

وتبني الملوك الساسانية[1] الكتاب، وطبقوا ما جاء فيه إلى أن جاء عهد الإسكندر المقدوني[2] فأحرق بعض هذا الكتاب[3].

أما فيما يخص إنتشار الزرادشتية بين الأويغور فالرحالة أبي دلف لم يشير إلى أي وجود لها بينهم، على العكس من ذلك يذكر ابن خرداذبة أنّ هذا المعتقد كان منتشر بين التغزغز ويعني بهم الأويغور، حيث قال أنّ: "أغلبهم – أي الأوغور- مجوس يعبدون النار"[4]، ويقصد بالمجوسية هنا المعتقد الزرادشتي، ويؤكد المؤرخ ابن الفقيه كذلك أن الأويغور في وقته كانوا يعبدون النار على مذهب المجوس(الزرادشتية)[5]، ولم تشر المصادر التي بين يداي إلى التاريخ الذي اعتنق فيه الأويغور المعتقد الزرادشتي؟ أو كيف دخلت إليه؟ أو من أين أخذته؟

---

[1]- إتحد الساسانييون منذ بداية عهدهم مع رجال الدين الزرادشتيين، وإستمرت الصة الوثيقة بين الدولة ورجال الدين طوال عهدهم، فقد أمر أردشير الأول بعد إعتلائه العرش رجل الدين "الهربدان هربد تنسر" بجمع النصوص المبعثرة من كتاب زرادشت "الأوستا" الأشكانية وجعلها في نص واحد، ثم أجيز هذا النص وأعتبر كتابا مقدسا، ثم جاء إبنه شابور الأول فأدخل في هذه المجموعة من الكتاب نصوص لا تتعلق بالدين، والتى تبحث في مجال الطب والنجوم وما وراء الطبيعة، والتي كانت موجودة في الهند واليونان، وقد أمر شابور بوضع نسخة من الأوستا التي حررها تنسر في بيت نار آذر كشنسب في شيز، وأضيفت إليها الزيادات الجديدة، ولكن الخلافات الدينية ظلت مستمرة، فأمر شابور الثاني، وضع حد لتلك الخلافات وذلك بعقد مجمع مقدس يرأسه الموبدان موبد(آذربد مهر سيندان)، الذي حدد نهائيا نص الأوتا، وقسمها إلى واحد وعشرين كتابا(نسك) على عدد كلمات الصلاة المقدسة (يتا آهو ويرو)، وتقول الروايات أن آذربد أثبت قداسة هذا النص، وذلك عندما أدى الإبتهال بالنار(وهو صب المعدن المذاب على صدر المبتهل)، والأوستا الساسانية التي لم يبق منها اليوم غير القليل، مختصرة من الكتابين الثامن والتاسع من الدينكرد. (أنظر، أرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، تر: يحي الخشاب، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت، ص ص، 130-131.).

[2]- إعتلى الإسكندر المقدوني مقاليد الحكم في بلاد اليونان سنة 336 ق.م، حيث بدأ فتوحانه الكبرى في الوقت الذي كانت تذبل وتنزوي فيه الإمبراطورية الفارسية، وعلى ذلك فلم يصمد الفرس طويلا أمام الإسنكندر الأكبر الذي بدأ غزوه لفارس عام 331 ق.م، واقتضى إخضاعها ثلاثة أعوام حتى سيطر عليها كلها، وبذك قضى الإسكندر الأكبر على الإمبراطورية الفارسية حيث دخلت فارس مرحلة جديدة في تاريخها فأصبحت ضمن أملاك السلوقيين.(أنظر، أحمد أمين سليم: تاريخ العراق- إيران- أسيا الصغرى، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص. 449.)

[3]- المسعودي: المروج الذهب، المصدر السابق، ج.1، ص ص، 229-230.

[4]- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص.31.

[5]- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص.123.

ويذكر الأكاديمي الروسي بارتولد المعروف عليه إهتمامه بدراسة القبائل التركية المتواجدة بآسيا الوسطى، بأن التغزغز(الأويغور) كانوا لايزالوا يعتنقون الزرادشتية في أثناء رحلة تميم بن بحر سنة 760م (يقصد هنا رحلة أبي دلف)، وأنّها كانت هي السائدة في بلادهم، وأنّ المانوية كانت مقتصرة على العاصمة فقط[1]، وقد رجعت إلى كتاب أبي دلف ولم أجد ذلك موجود، فتميم لم يتحدث أبدا عن إعتناق الأويغور الزرادشتية، ولعل بارتولد يخلط هنا بين أبي دلف وابن خرداذبة أو ابن الفقيه اللذين أشارا إلى وجود الزرادشتية بين الأويغور.

الوحيد الذي أمدني بمعلومات عن كيفية تسرب الزرادشتية إلى الأويغور هو المؤرخ نصر الله مبشر الطيرازي، حيث رأى بأن هذه الآخيرة نفذت إلى الأويغور عن طريق إقليم "أتروباتنه" الواقعة في أذربيجان، أين انتقلت إلى الصغد في بلاد ما وراء النهر ثم إلى خوارزم حيث إنتشرت بقوة، في حين شهدت مقاومة شديدة في أنحاء بلاد تركستان، ودارت حروب كبيرة بين الفرس والأتراك على هذا المعتقد[2].

إنّ المَادة التاريخية شحيحة فيما يخص انتشار الزرادشتية بين الأويغور لذلك أكتفي بهذا القدر، والمهم أن المصادر مثل: ابن خرداذبة وابن الفقية يؤكدان على اعتناق الأويغور المعتقد الزرادشتي في فترة من فترات حياتهم، ولكنهما لم يمدانا بأي معلومات عن التاريخ الذي تم فيه تبنى هذا المعتقد، ولا عن كيفية دخوله؟ وأنا أعتقد أن الزرادشتية لم تلقى ترحيبا كبيرا من قبل الأتراك، لأن بعض المراجع تتكلم عن صراع ديني قوي دار بين الأتراك والإيرانيين على هذا المعتقد، لذلك لم يكن للزرادشتية أن تنتشر بقوة في بلاد تركستان، وإنما اقتصرت على الانتشار في أوقات الغلبة الفارسية على الترك فقط.

---

[1]- بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.69.

[2]- نصر الله مبشر الطيرازي: المرجع السابق، ص.83.

رابعا: المعتقد المانوي.

يعتبر المعتقد المانوي[1] من بين المعتقدات التي عرفت طريقها بين قبائل آسيا الوسطى، فقد تبناها الأويغور الأتراك مباشرة بعد تركهم البوذية، ولم تخبرنا المصادر التاريخة عن سبب ترك الأويغور المعتقد البوذي واعتناقهم المعتقد المانوي ؟ ولا عن السنة التي اعتنق فيها هؤلاء المعتقد المانوي ؟ وعن طريق من أخذوه ؟

نفهم من خلال الرحلة التي قام بها أبي دلف إلى الصين حوالي سنة(331هـ/942م)، وقد مر في طريقه على مملكة الأويغور أنه لم يكن هناك وجود للمعتقد المانوي بينهم، والشيء الوحيد الذي ذكره عن هؤلاء أنهم يتوجهون بصلاتهم إلى مغرب الشمس، وأنه لم تكن لديهم بيوت للعبادة[2]، ومعنى ذلك لا وجود للمانوية بينهم، في حين يذكر الرحالة ابن خرداذبة بأن الأويغور الأتراك بعضهم كان يعتنق المذهب المجوسي(الزرادشتية) والبعض الآخر المذهب المانوي[3]، ويشاطره الرأي ابن الفقيه الذي توفي في أواخر القرن الثالث، حيث قال:أن "أهل التغزغز(الأويغور) مجوس يعبدون النار وفيهم زنادقة على مذهب ماني"[4].

إنّ المؤرخ المسعودي يؤكد نفس الشيء، حيث قال: "التغزغز(الأويغور) يعتقدون بالمذهب المانوي ولا يوجد من القبائل التركية من يعتقد هذا المذهب غيرهم"[5]، ويضيف

---

[1]- يعتبر ماني بن فاتك هو المؤسس للمعتقد المانوي، كان أبوه من رجال همذان، هاجر إلى بابل حيث ولد ماني ومعناها بالفارسية "الفريد أو النادي"، أدعى ماني النبوة بعد أن أطلع على الأديان الموجودة وسمى نفسه "فارقليط" وهو الاسم الذي أخبر عنه المسيح، وقد ولد ماني (216-274م)، من أسرة بارثية ملكية، وقضي شبابه في بلاد ما بين النهرين التي كانت تنصهر فيها الكثير من الأديان، وكانت أول رؤية له في سن الثامنة عشرة، وشرع في سن العشرين في إختراع دينه الجديد، وأعلن أنه جاء ليتمم عمل زرادشت وبوذا والمسيح، استطاع ماني أن يقنع عددا من القادة بالدخول في دينه كما إستطاع نيل حظوة بعض الملوك الساسانيين مثل: شابور الأول، وبهرام الأول، وقتل ماني على يد أتباع الزرادشتية، في مملكة بهرام بن سابور، ولما قتله صلبه نصفين، والديانة المانوية تؤمن بوجود إلهين إله الخير وإله الشر، وينقسم أعضاء الجماعة المانوية إلى طبقتين: "السماعيين" وهم الطبقة الدنيا الذين يجمعون الطعام والضروريات التي يحتاجها "الصفوة"(الطبقة العليا)، الذين يتبعون قواعد دينية أعلى، وقد زود ماني الدين الجديد بالطقوس والأداب الدينية، وحرم الأوثان، ولكنه كان يؤمن بالقيمة التربوية للفن، لهذا قرر أن تجلد الكتب تجليدا فاخرا، وأن تزين بالرسوم، وأن تصاحب الطقوس تراتيل وموسيقى جميلة، وقد انتشرت المانوية في الهند والصين وبلاد العرب. (أنظر، ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، هامش ص.31؛ أنظر، ابن النديم: الفهرست، المصدر السابق، ج.4، ص. 392 فما بعده من عدة صفحات.)

[2]- أبي دلف: المصدر السابق، الرحلة الأولى، ص ص، 31-46.

[3]- ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص.31.

[4]- ابن الفقيه: المصدر السابق، ص ص، 120-123.

[5]- المسعودي: المصدر السابق، ج.1، ص.132.

قائلا،:"إنّ ملك الصين متصل بملك التغزغز(الأويغور) صاروا على أرائهم من اعتقادهم مذهب المانوية والقول بالنور والظلمة، وقد كانت الجاهلية سبيلهم في الاعتقاد سبيل الترك، إلى أن وقع لهم شيطان من شياطين المانوية، فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما في هذا العالم وتباينه، فدانوا بما وصفنا، فإن كان ملك الصين ينتمي لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك أيرخان سجالا، وإذا كان ملك الصين متنافي المذهب كان الأمر بينهم في الملك مشاعا"[1].

وأغلب المراجع الموجودة بين يداي تؤكد: بأن المانوية عرفت طريقها إلى الأويغور عن طريق الصين لا العكس، وتتفق على أن الأويغور تبنوا المعتقد المانوي في سنة 762م، على إثر قيام ملك الأويغور "بغاقاغان/ أو بوكوقاغان"(759-780م) الملقب بـ"فاتح الصين"، في 20 نوفمبر من نفس السنة بشن الحرب على، "سوتشونج"(شيوان تسونغ 685-762م)عاصمة إمبراطور أسرة"لو– يانغ"تانغ(618-906) الصينة[2]، (أنظر، الخريطة رقم:14)[3] وبقى فيها حتى شهـــر

---

[1]- المسعودي: المصدر السابق، ج.1، ص ص، 132-136. بتصرف.

[2]- كانت أسرة تانج(618-906) الحاكمة في الصين قد بدأت في التراجع في الوقت الذي بدأ فيه الأتراك الأويغور في الظهور على الساحة السياسية، وكان الجيش الصيني قد انهزم أمام الجيوش العربي بالقرب من نهر طالاس سنة 751م، في هذه الأثناء قام القائد الصيني المدعو "أن لو شانج" بالتمرد وقام بالعصيان على خاقان الصين "سوتشونج" وبرفقته جيش تعداده 200ألف مقاتل، واحتل مدينة لويانج في سنة 755م ومدينة جانجان في سنة 757م، وأعلن نفسه إمبراطورا، فطلب الإمبراطور الصيني "سوتشونج"المساعدة من الخليفة أبو جعفر المنصور ومن خاقان الأويغور "مويانجور"(وأنا أعتقد أنه بوغوقاغان)، فأرسل الخليفة حينئذ إلى الصين وحدة صغيرة كانت في تركستان، وتحرك "مويانجور" من قره بلاسغون بوحدات خيالية، وإستعاد مدينة "لويانج" في سنة 757م، فأعطى الإمبراطور الصيني "سوتشونج" 200ألف ثوب من الحرير سنويا إلى الأويغور، وبعد عامين من هذه الحادثة مات الخاقان الأويغوري "مويانجور" وخلفه في العرش ابنه "بوغوقاغان/ أو بوكوقاغان"(759- 779أو 780).(أنظر، أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.25.)

[3]- أنظر، الخريطة رقم:14، ص. 392.

أذار 763[1]، من أجل مساعدة هذا الأخير في إخماد الثورة التي قامت ضده بقيادة القائد "أن لو شان" في بكين سنة 755م[2].

أدى ذهاب الخاقان الأويغوري إلى الصين إلى نتائج عظيمة على تاريخ الثقافة التركية الأويغورية، حيث تعرف على رهبان الصغد الموجودين في الصين، وعن طريقهم تعرف على المانوية وإعتنقها، وأثناء عودته أحضر أربعة من الرهبان معه إلى مملكته، وبعد مدة قصيرة من الزمن أصدر أوامره بأن تصبح المانوية الديانة الرسمية للدولة بدلا من البوذية[3].

لم تخبرنا المصادر التاريخية عن الأسباب الرئيسية التي جعلت الخاقان الأويغوري "بوغوقاغان" يترك البوذية ويعتنق المانوية، وقد اختلفت المراجع الموجودة بين يداي في تفسير ذلك، فالمؤرخ الروسي بارتولد يرجعه إلى التَأثير التجاري والديني القوي الذي كان يلعبه تجار الصغد المانويين(أنظر، الصور رقم:03)[4] على الأتراك، وخاصة بعد أن كونوا مستعمرات تجارية لهم في داخل الصين، وأخرى ممتدة على طول الطريق المؤدى إليها، وقد

---

[1]- اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص. 3؛ بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.64؛ أنظر، يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.125؛ أنظر، ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.31؛ أنظر، نصر الله الطيرازي، المرجع السابق، ص.83؛ أنظر، كتاب ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص.13؛ أنظر، أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.20؛ أنظر، كتاب أوزباكستان والعرب...: المرجع السابق، ص.75؛ أنظر، René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES ATTILA , GENGIS-Khan , René Tamerlan, Payot, Paris ، أنظر، , 1965,pp. 168 ; Henri CORDIER, op.cit, p. 505.

[2]- لقد كان "آن لو شان" الذي حظى بمكانة كبيرة لدى الإمبراطور "شيوان تسونغ" القائد المسؤول عن منطقة خبى وشانشى ولياونينغ، قد رأى أن المناطق الداخلية خالية من قوات الجيش والإمبراطور غارق في منادمة الخمر ويعتمد على موظف فاسد هو شقيق الحسناء يانغ لمعالجة شؤون الدولة، مما عطل ادارة الحكم ونشر الفساد في ارجاء البلاد، لذلك إغتنم "آن لو شان" الفرصة لإختطاف الحكم لنفسه، فحشد الحشود في فانيانغ(بكين حاليا) في عام 755م، وأثار الفتنة وسيطر جيشه على مدينتي لويانغ وتشانغآن، ثم استعاد جنود تانغ تشانغآن ولويانغ بمساعدة قبيلة هويخه(الأويغور)، وانتهى الأمر في سنة 763م، بعد أن دامت الثورة ثمانية أعوام. (أنظر، سلسلة صور الصين العظيم، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 93-94.)

[3] - Henri CORDIER , op.cit, p. 505 ; René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.st, p. 168.

[4]- أنظر، الصور رقم:03، ص. 405.

زاد هذا التأثير مع زيادة غارات الأتراك على الصين، حيث أصبح تأثير الصغد الديني أقوى[1].

في حين يُقدم المؤرخ المسعودي سبب مقنعًا لتبني الأويغور المعتقد المانوي، يتمثل في إتخاذ هؤلاء الدين كذريعة للتدخل في شؤون الصين داخليا، خاصة بعد الضعف الذي شاهدته هذه الأّخيرة في فترة حكم أسرة تانغ(618-906م)، بحيث يقول هذا الأخير:" إن كان ملك الصين ينتمي لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك أيرخان سجالا، وإذا كان ملك الصين متنافي المذهب كان الأمر بينهم في الملك مشاعا"[2]، ويشاطر هذه الفكرة المؤرخ التركي يالماز أوزتونا، حيث يقول: أنّ اعتناق الأويغور المانوية أكسبهم طابعا مهما، خاصة الذين تغلغلوا في الصين الشمالية وقانصو، بحيث اتخذوا من الدين ذريعة للتدخل في شؤون الصين الداخلية، فأجبروا الإمبراطور الصيني على إقامة المعابد المانوية واستقبال الرهبان المانيين[3].

كانت لخاقان الأويغور مساعٍ من أجل حماية أبناء دينهم المانويين لدى إمبراطور الصين ولدى أمراء المسلمين من أل سامان[4]، وفي فترة لاحقة (سنة 808م) شاهدنا الأويغور يجبرون الإمبراطور الصيني على فتح معبد في العاصمة الصينية "لو-يانغ" وفي سائر المدن الأخرى[5].

يبدو أنّ "بوغوقاغان" اعتنق المانوية من أجل قطع علاقة الأتراك الدينية بالصين، لأن الصينيين كانوا يدينون بالبوذية ويفرضونها على الأتراك[6]، لذلك اعتنق المانوية لكي يضع حدًا للتأثير الديني الممتد إلى الأويغور عبر الصين، ومن هنا يستقل دينيا، بل أكثر من ذلك سوف يتخذ الدين المانوي كذريعة للتدخل في الصين.

---

[1]- بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى،المرجع السابق، ص.64.

[2]- المسعودي: المصدر السابق، ج.1، ص.136.

[3]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص ص، 125-126.

[4]- بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.70.

[5]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.126.

[6]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.20.

في اعتقادي أنه هناك سبب أخر لا يقل أهمية عن السبب الأول، يتمثل في عملية إطاحة الحاكم الأويغوري"بوغو خاقان" بالأتراك الشرقيين سنة 744م، فقد أعطاه هذا الأمر منصب جديد، تمثل في تزعم جميع الأتراك ومن ثم كان لزاما عليه المُحافظة على أمن جبل الأتراك المقدس"أوتوكان"، وبالتالي كان وضعه مختلفًا تمامًا عن وضع الزعماء الأويغوريِّين السابقين، فقد أصبح المسؤول أخلاقيًّا عن جميع القبائل التركية، وكان الخاقان الأويغوري بلا شك على علمٍ من سخط التونيوقوق على البوذية، بإعتقادهم أنها المسبب الرئيسي لخسارة الأتراك قوتهم العسكرية، وكان هذا النقد للبوذية مثبتًا بصورةٍ واضحة من خلال الهزائم المُهينة التي تكبدها شوانزونغ في تركستان الغربية، وفي عاصمته تشانغآن، ولم يبذل إمبراطور تانغ حسب وجهة نظر الأتراك أدنى جهد للقضاء على البوذية التي أضعفت جيشه[1].

أما العامل الأخر فيتمثل في دخول التبت القوة الرئيسة في المنطقة في فترة جديدة إتّسمت باضطهاد البوذية، ذلك بعدما تعرض إمبراطورها"مي-أغتسوم" للاغتيال بسبب تطبيقه تعاليم هذه الآخيرة، لذلك لم يكن بإمكان الخاقان الأويغوري"بوغو خاقان"، من خلال اختياره ديانةً جديدة لتوحيد شعبه أن يختار البوذية، ولو فعلها لما تمتع بأي نوعٍ من المصداقية بوصفه زعيمًا لجميع الأتراك، ومن جهة أخرى عجز عن اختيار المزج بين التنغرية والشامانية التركية، لأن ذلك المزيج كان معتقَدَ الأتراك الشرقيين الذي هزمَهم، ومن الواضح أن الديانة التقليدية(الشامانية)لم تتمتع بالقوة اللازمة للحفاظ على أمةٍ ذات جيشٍ قوي[2]، لذلك فضل المانوية.

إضافة إلى هذه الأسباب كان هناك فوائد إقتصادية وجغرافية يطمح خاقان الأويغور "بوغوقاغان" تحقيقها بإعتناقه المانوية، بحيث كان في نيته توسيع منطقة حكمه نحو حوض تاريم(أنظر خريطة رقم: 03)[3]، ومن ثم يمكنه السيطرة على تجارة طريق الحرير المربحة، لأن الصين الهانية لم يكن لها سوى حضور ضعيف على طول الفرع الشمالي للطريق، في كوتشا وكاشغار وتورفان وبش باليق، زد على ذلك كان حضور التبتيين ضعيفًا على طول

[1]- ألكسندر بيرزين: التحولات الدينية للأويغوريين، المقال السابق.

[2]- نفسه.

[3]- أنظر الخريطة رقم: 03، ص. 382.

الفرع الشمالي من طريق الحرير، ولكن التُجار السغديين كانوا متواجدين في كل دويلات مدن الواحات، خاصة بتورفان[1].

مع وجود مثل هذه الحاسبات لدى "بوغو خاقان" أعلن المانوية ديانةً رسمية للدولة الأويغوريِة عام 762م، لأن المانوية أعطت انطباعًا بأنها أكثر ملاءَمة من البوذية لأمة محاربة، من خلال تشديدها على انتصار قوة النور على قوة الظلام، ومن هنا لم تكن البوذية المعتقد الذي يمكن تطبيقه في ذلك الوقت.

من هنا ركز "بوغوقاغان" على ضرورة ترك كل الأويغور البوذية وإعتناق المانوية، لذلك شيد في مملكته معبدا مانويا، واتخذ من كهنة هذا الدين مستشارين له[2]، وقد زاد نفوذ المانوية في عهده بشكل بارز، فقد وجه حملة عسكرية إلى منطقة طرفان، وسيطر على مدنها، ثم تمكن من هزيمة القرغيز[3]، كما قام رجاله بتدمير كل الأديرة والمعابد البوذية في تشانغآن ولويانغ وذلك بعد إخمادهم التمرد الذي قام به "آن لوشان"، كما أمر "بوغوقاغان" لاحقًا رجاله بتدميرٍ الأديرة البوذية الموجودة في المناطق البعيدة عن مملكته، حتى وصل الدمار إلى سيميرتشيّة وتركستان الغربية[4]. وبعمله هذا كان يحاول إعادة تأكيد التغلب الحربي التقليدي للأتراك، ومن ثم تبرير اختياره المانوية كدين رسمي للأويغور، وذلك عن طريق إبراز نقاط الضعف في البوذية بتلك الإنتصارات التي أحرزها.

---

[1]- ألكسندر بيرزين: التحولات الدينية للأويغوريين، المقال السابق.

[2]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.31.

[3]- القرغيز: هم قبيلة من الأتراك من بقايا أبناء أوغوزخان أو بعض من مقربيه وأمرائه، وقد خففت الكلمة من أوغورز إلى غز ومنهم السلاجقة، وقرغيز معناها غز البرية، ومساكنهم بجوار جبال آلاطاغ ، وقد خرجوا إلى ديار المسلمين في أوائل القرن 5 هـ، وكانت لهم فيها وقائع كثيرة واشتهروا باسم غز وغزية، ولكنهم إعتنقوا الإسلام إلا أن الجهل فاشي فيهم.(أنظر، الرمزي: المصدر السابق، ج.1، ص.262.)

[4]- ألكسندر بيرزين: التحولات الدينية للأويغوريين، المقال السابق.

أصبح القاغان الأويغوري مويانجور(759-780م) يعرف في كتابات مدينة قرابلاساغون بـ"ممثل ماني"، وقد جلب كبير المانيين الذي كان يعرف عند الصينيين بلقب"موتشو"(mou-cho)، وعينه الممثل الأعلى للديانة المانية في الدولة الأويغورية[1].

نستطيع القول أنّ الخاقان الأويغوري أجبر شعبه على قبول المانوية، فقد جعلهم مجموعات منفصلة، كل مجموعة مؤلفة من عشرة، يترأسها شخص واحد هو المسؤول عنهم، تتمثل وظيفته في المراقبة الدينية لكل مجموعة[2]. وذلك من أجل ضمان انتشار المانوية بين شعبه.

من جراء ذلك تزايد عدد المانويين في القصر الأويغوري، وأدى هذا الأمر إلى إتخاذ القاغان من رجال الدين المانوي مستشارين له، فساعد هذا الأمر على إزدياد عدد معتنقي المانوية بين الأويغور، وقد عمل هؤلاء بدورهم على نشرها في الصين من جديد، وذلك بعدما أسسوا مستعمرات لهم فيها وشيدوا الكثير من المعابد المانوية[3]، وقد إتخذ الأويغور من قضية حماية رعاياهم المانويين في الصين ذريعة للضغط سياسيا على الإمبراطور.

ظل الأويغور مابين سنة 768 إلى سنة 870، يضغطون على إمبراطورية تانغ باسم حماية رعاياهم المانويين هناك، فابتداءا من سنة 768 طلب القاغان الأويغوري من الإمبراطور الصيني ضرورة إحترام الأويغور المانويين الموجودين في أراضيه، وفي سنة 771م بنيت العديد من المعابد المانوية من قبل الأويغور، في كل من مدينة: كين تشو(King-tcheou)، وهوبي(Hou-pei)، وفي يانغ- تشو(Yang-tcheou)، وكينغ-سو(Kiang-sou)، وتشو-هنغ(Chao-hing)، وتشو-كينغ(Tcho-kiang)، وفي نان-تشانغ(Nan-tch'ang)، وكيانغ-سي(Kiang-si)، وفي سنة 807م طلب السفير الأويغوري من بلاط تانغ السماح بزيادة تشييد المعابد المانوية لرعاياه في لو-يانغ(Lo-yang) وفـــــي مدينـــــــــــة

[1] -René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.st,p. 169.

[2]- ألكسندر بيرزين: التحولات الدينية للأويغوريين، المقال السابق.

[3]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.32.

تاي- يوان(T'ai-yuan)[1].

أما في سنة 807م أجبر خاقان الأويغور الإمبراطور الصن على فتح معبد مانوي في عاصمته "لو-يانغ"، وفي سائر المدن الأخرى[2]، وهناك نص صيني منقول عن قروسي(GROUSSET)، يُعبر على هذا الموقف حيث جاء فيه:" إن الأويغور كانوا دائما يستغلون المانوية من أجل تحقيق أغراضهم السياسية"[3].

عمل الأويغور كذلك على حماية أتباع مذهبهم في سمرقند التابعة للدولة السامانية، فقد كان هناك نحو خمسمائة (500) رعية من المانويين بمدينة سمرقند، وقد أراد حاكم خراسان (أي الحاكم الساماني) التخلص منهم جميعا، ولما علم بذلك خاقان الأويغور، بعث إليه يتوعده بقتل جميع الرعايا المسلمين المتواجدين بأعداد مضاعفة في بلاده، إنّ تجرأ هذا الأخير على لمس أحد من الرعايا المانويين لديه، وتوعده بهدم كل المساجد الموجودة في بلاده، وتتبع كل مسلم في البلدان المجاورة له[4]، فتراجع الحاكم الساماني عن فكرته وإكتفى بأخذ الجزية منهم فقط.

يمكن القول أنه رغم كل تلك الإجراءات التي إتخذها الحكام الأويغور لتمكين المعتقد المانوي بين رعيته، إلا أنه لم ينتشر بشكل قوي، فقد إنحصر في البداية بين الطبقة النبيلة الأرستقراطية فقط، التي انجذبت إليه بسبب أنها نخبة دينية نظيفة وطاهرة، ومتفوقين على ما يُدعى بـ"الجُموع القذرة"(عامة الرعية)، ولا شك أن البوذية استمرت متواجدة بين هؤلاء "الجموع القذرة" خلال فترة حُكم الأويغور لمنغوليا، بالإضافة إلى ذلك لم تكن طبقة الأويغور النبيلة ملتزمةً بالمانوية بشكلٍ كامل، فبعد عشرين عامًا من تحول الدولة الرسمي للمانوية، قام "ألب قوتلوغ"(حكم من سنة 780 إلى 819 م) بقتل "بوغو خاقان" لتجاوزاته المالية في دعم الديانة الجديدة، وبعد إعتلائه العرش طلب من البطريرك تيموثاوس أن يكون مطرانًا مسيحيًا

[1] - Henri CORDIER , op.cit, p. 505 ; René GROUSSET , op.cit,p. 170.

[2]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.126.

[3] - René GROUSSET , op.cit,p. 169.

[4]- ابن النديم: المصدر السابق، ص.401.

نسطوريًّا على مملكته[1]، لكن هذا النموذج من المسيحية – مثل المانوية – لم يكن في الأساس إلا معتقدًا سغديانيًّا ولم يدم طويلا بين الأويغور.

إلى جانب هذا السبب السياسي في تخلي الأويغور على المانوية هناك سبب آخر عسكري، حيث يقول يالماز: أن "المعتقد المانوي كان السبب الرئيسي في خفض الروح العسكرية للجنود الأويغور والأتراك بصفة عامة، لذلك اقتصرت المانوية في الإنتشار على الطبقات الأرستقراطية والقصر الملكي وبعض المثقفين"[2]، ويشاطره الرأي كل من هنري كورينيه(Henri CORDIER) وروني قروسيه(René GROUSSET)، واقطاى آصلان آبا، حيث يجمع الثلاثة على أنه: بالرغم من أن المانوية لعبت دورًا مهمًا في ترقية الشعب الأويغوري، إلاّ أنها أضعفته عسكريا، بسبب ميلهم إلى إستعمال النبتات في طعامهم، حتى انهم إنهزموا أمام القرغيز في سنة 840م، وقتلوا قاغانهم وتم الاستلاء على عاصمتهم "قرابلاساغون"، وبذلك أخذوا مكانهم في منغوليا وبقوا إلى سنة 920م[3].

هناك عامل آخر ساهم في إضمحلال المانوية بين الأويغور وآسيا الوسطى عامة هو عودة نفوذ الأسرة التانغية الصينية إلى قوتها خلال القرن التاسع الميلادي، ففي سنة 840م أمر الإمبراطور "وو- زونغ" بإعدام سبعين راهبة منوية، وأمر بتهديم الكثير من المعابد وطلب من عماله مصادرة جميع أملاك المانويين، وبعد خمس سنوات من ذلك أي في سنة 845م تم الإعلان عن التحريم الكامل لذلك المعتقد في الصين[4]، ولا شك أن هذا الأمر أثّر على المانوية لدى الأويغور.

يبدو أنّ المعتقد المانوي لم ينتهي سريعا بين الأتراك الأويغور، بل استمر موجود حتى

---

[1]- ألكسندر بيرزين: التحولات الدينية للأويغوريين، المقال السابق.

[2]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.128.

[3]- اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، ص.4؛ René GROUSSET, op.cit,p. 172 ; Henri CORDIER , op.cit, p. 505.

[4]- إيمي شوا: عصر الإمبراطورية، المرجع السابق، ص.141.

بعد طردهم من منطقة منغوليا على يد القرغيز في سنة 840م، فحملوه معهم إلى الإمارات التي أسسوها في تركستان الصينية وفي قانصو[1]، وكان التواصل موجودا فيما بينهم إلى غاية القرنين الثالث عشر الميلادي جنبا إلى جنب مع البوذية[2].

على أغلب الظّنّ أنه بعد سنة 780م عاد الأويغور إلى البوذية من جديد مباشرة بعد مقتل "بوغوقاغان" راعي المانوية، ولكن كيف تم ذلك؟ لا ندري، فحتى محمود الكاشغري الذي حرر كتابه في القرن الحادي عشر الميلادي لم يشير إلى وجود المانوية بين الأويغور[3]، وإذا لم يكن الأويغور في زمن الكاشغري قد احتفظوا فعلا بالمانوية فلا شك أنهم كانوا يعتنقون البوذية وبدؤوا يتحولون إلى المسيحية، في حين كان جيرانهم الغربيون يقعون تحت تأثير الإسلام[4]، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ التركي يالماز أوزتونا، بقوله: أن المانوية فقدت أهميتها في عصر القراخطاي والمغول، وقد أخذ الأويغور يعتنقون البوذية والإسلام[5].

ليس من شك في أنّ المانوية كان لها تأثير كبير على الأتراك الأويغور، لأنها كانت المعتقد الأول ذي أسس أخلاقي يعتنقونه، فبينما ترى الشامانية أن قتل الإنسان أمر جيد يفيد الإنسان يوم القيامة، فإنّ المانوية عكس من ذلك لا تكتفي بتحريم قتل الإنسان بل تحرم قتل الحيوان وأكل لحمه[6].

ويمكن القول أن المانوية أثرت على الأويغور في عدة نواحي، فقد مكنتهم على التخلص من بقايا البداوة والترحال وتبني فكرة الاستقرار والسكن في المدن المتحضرة، مع التركيز

---

[1]- بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.66؛ ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.34.

[2]- بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: المرجع السابق، ص ص، 55-556.

[3]- أنظر، كتاب محمود الكاشغري: الصدر السابق.

[4] - Françoise AUBIN :L'arriere-plan historique du nationalisme ouigour le turkestan oriental des origines au xxe siecle,Cahiers d'études sur la Méditerranée orientale et le monde turco-iranien, N.25, janvier-juin 1998,p.05، أنظر؛ بارتولد: تاريخ الترك....،المرجع السابق، ص.73.

[5]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.129.

[6]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.33.

على ممارسة زراعة الأرض، وتعميم السلم والإستقرار للجميع[1]، كما أصبحوا يهتمون بالتجارة أكثر، وإقامة الاحتفالات في المناسبات الخاصة على غرار الاحتفالات التي كانت تقام في قصور الصين[2].

ينقل لنا قروسي عن رحلة فان لوكوك التي قام بها إلى مدينة تورفان، أن الأويغور المانويين هناك كانوا أكثر وسامة وتحضرا من البوذيين، حيث كانوا يرتدون أجمل الفساتين ذات اللون الأبيض، ويضعون غطاء رأس جميل، وكانت نساؤهم تحملن الورود، ويرافقهم الموسيقيين، تعبيرا منهم عن ثراء الثقافة الأويغورية[3]. يشير هذا الأمر إلى إتصال الأويغور بالمعتقدات الإيرانية، وقد نتج عن ذلك تبني الأويغور الحروف الصغدية، وإستعملوها من أجل كتابة لغتهم الأويغورية.

خامسا: المسيحية النسطورية.

تأسس المذهب النسطوري مباشرة بعد خروج بطريرياك نسطور(380-451م) على كنيسة روما، القائلة: بأن المسيح شخص واحد في طبعتين إلهية وإنسانية، وجاء نسطور بفكرة جديدة تناقض هذا الاعتقاد، فقال: أن المسيح يجتمع فيه شخصين وهما الشخص الإلهي والبشري، وقد تبنت كنيسة بلاد فارس أفكار نسطور بعد إدانتها من قبل الكنيسة المسيحية بخمسين سنة، فعرفت باسم الكنيسة النسطورية، وما لبث أن امتد هذا المذهب الجديد في القرن الوسيط إلى بلاد ما بين النهرين والهند ووصل حتى الصين[4].

عرف الأتراك في تركستان المسيحية النسطورية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، عن طريق النساطرة المنشقين عن الكنيسة والمطرودين من طرف الأمبراطورية الرومانية إلى الشرق الأقصى، حيث أقاموا لهم الأسقفيات في طوس ومرو سنة 334م،

[1] - René GROUSSET,op.cit p.170.

[2]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق ، ص ص، 33-34.

[3] - René GROUSSET , op.cit,p. 171.

[4]- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: المرجع السابق، ص.271.

وكذلك عن طريق المبشرين الفارين من الإضطهاد[1] الذي مارسه عليهم الملك "شابور الثاني"[2] الساساني، حيث هربوا إلى مدينة خوارزم[3].

بذل المبشرون النساطرة جهود كبيرة لنشر معتقدهم في منطقة بلاد ما وراء انهر[4]، وقد حالفهم الكثير من التوفيق، فبسرعة كونوا الأنصار وإتخذوا لهم عدة مراكز، من بينها أسقفية سمرقند التي أنشؤوها فيما بين 411 و415م، وأخرى بنيت فيما بين 503 و520م، وإستطاعوا الإمتداد خلال منتصف القرن السادس الميلادي ليصلوا إلى شواطئ نهر جيحون وبخارى[5].

يري المؤرخ الروسي بارتولد أن المسيحية دخلت إلى آسيا الوسطى ابتداء من القـــرن

[1]- مُورس هذا الإضطهاد على نصارى إيران من قبل الملك الساساني سابور الثاني، وقد بدأ في سنة 339م وإستمر حتى وفاته، وقد وقع الإضطهاد في الولايات الشمالية والشرقية وشملت المناطق المتاخمة للإمبراطورية الرومانية، حيث شهدت هناك مذابح وقتل وتشريد لمسيحيين، ففي سنة 362م نفى منهم سابور حوالى تسعة آلاف مسيحي مع الأسقف هيليودور من فِنِك ببِزابده إى مدينة خوارزم ببلاد ما وراء النهر، ويقدر عدد ضحايا إضطهاد سابور بستة عشر ألف (16 ألف)، - وهو مبلغ مبالغ فيه -، وقد ضل السريان طول قرنين من الزمن يروون أعمال الشهداء النصارى المضظهدين، وأغلب تلك القصص هي خرافات مبالغ فيها. (أنظر، أرثر كريستنسن، المرجع السابق، ص ص، 254-255.)

[2]- هو سابور الثاني ابن حفيد أردشير تولى ملك الملوك الدولة الساسانية في عام 310م، وإستغرق حكمه 69 سنة، إشتبك في أثناء حكمه الطويل في ثلاث حروب مع روما.(أنظر، دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1405هـ/ 1985م، ص. 42.)

[3]- نصر الله مبشر الطيرازي: المرجع السابق، ص. 84.

[4]- ماوراء النهر: هو الاسم الذي أطلقه العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهري أموداريا/Amu-Darya(جيحون) وسرداريا/Sir-Darya(سيحون)، ولم تكن هذه المنطقة وفقا لمفهوم الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان، لأن هذا الإسم الأخير إنما كان يقصد به بلاد الترك عامة، أي الأضقاع المترامية الأطراف التي تمتد بين بلاد الاسلام ومملكة الصين والتي كان يقطنها الرحل من الترك والمغول، ورغما من هذا فإن بلاد ما وراء النهر التي لم يكن يحميها هن غارات الرعاة أية عوائق طبيعية قد خضعت في معظم الوقت لسيادة القبائل التركية، مع ذلك كانت الحدود السياسية بين إيران وتوران كانت عرضة لتغيرات عديدة على مر العصور التاريخية، ولكن ابتداء من القرن العاشر الميلادي وقعت المنطقة نهائيا تحت سيطرة شعوب آسيا الوسطى حتى أن معاهدات الصلح المعقودة بين حكام إيران وتوران كانت تنص في معظم الأحيان على أن أموداريا هو الحد الفاصل بين محيط نفوذ كل طرف. (أنظر، بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص. 145.).

[5]- نصر الله مبشر الطيرازي: المرجع السابق، ص. 84.

الثالث الميلادي، وكان النصارى يستعملون الأبجدية السريانية لنشر معتقدهم[1]، في حين يشير المؤرخ النرشخى إلى وجود المسيحية في بعض مدن تركستان منذ سنة 280هـ/893م، وهي السنة التي ذهب فيها الأمير الساماني إسماعيل لفتح مدينة طراز(طالاس)[2]، فوجد فيها كنيسة كبرى فحولها إلى مسجد[3]، ويؤكد المؤرخ ابن النديم في كتابه: "الفهرست" على أنّ أغلب أهل الصغد في وقته كانوا يدينون بالمناوية والنصرانية[4]. وهذا يعطينا فكرة على وجود النسطورية في آسيا الوسطى منذ وقت مبكر.

مهما يكن من أمر فإن المسيحية عُرفت في آسيا الوسطى مبكرا، ولا شك أن بعض الأتراك قد اعتنقوا هذه الديانة على غرار سكان بلاد ما وراء النهر وفارس والشام، ومن بينهم الأتراك الأويغور، حيث نجد المؤرخ الرمزي هو الوحيد الذي يتكلم عن وجود النسطورية بين الأويغور، ويقول أنهم اعتنقوها لكونها ديانة تَوحيد تُأمن بوجود الإله الحق الموجود في السماء، وأنها انتقلت إليهم عن طريق مرو وسمرقند[5]، ولكنه لم يذكر لنا التاريخ الذي اعتنق فيه الأويغور المذهب النسطوري !.

يري المستشرق كارل بروكلمان أن سنة 745م، هي السنة التي سمحت فيها الدولة الأويغورية للنصارى السوريين من النساطرة رفقة المانويين الآتين من بلاد الصغد للتبشير في المناطق التي تحت سيطرتها[6]، في حين يذكر المؤرخ التركي حبيب أوغلو سنة أخرى لهذا الإنفتاح الأويغوري على المسيحية، حيث يقول أن سنة 766م هي السنة التي سمحت فيها

---

[1]- بارتولد: تاريخ الترك...، المرجع السابق، ص.27.

[2]- طراز: بكسر الطاء وفتحها، مدينة قديمة تقع بالقرب من مدينة تسمى "يه سه" أو تركستان شمال طشقند(الشاش)، على ضفاف نهر "طراز". (أنظر النرشخي: تاريخ بخارى، تعريب وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، ط.3، دار المعارف، القاهرة،1993م، أنظر هامش ص.123).

[3]- نفسه.

[4]- ابن النديم: المصدر السابق، ص.20.

[5]- الرمزي: المصدر السابق، مج.1، ص. 40؛ أنظر، زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.305؛ أنظر، الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص.72؛ أنظر، حسن مجيب المصري، صلات العرب والفرس والترك، ط.1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1421هـ/2001م، ص.209.

[6]- كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص.261.

الدولة الأويغورية في منغوليا للمبشرين المسيحيين(النساطرة) بالتبشير لهذه الديانة في البلاد الواقعة تحت سيطرتهم[1].

وقد تم العُثور في مدينة تورفان الأويغورية على كنائس نسطورية، وفي الأغلب أنها كانت تعود إلى ما بعد سنة 840م، أين عرف الأويغور إضطهاد في منطقة منغوليا، وتم تهجيرهم بأعداد كبيرة وإستوطنوا تورفان التي أصبحت مركزهم الرئيسي[2].

أعتقد أنّ كل هذه الأراء الثلاثة تجانب الصواب لأن الأويغور حتى سنة 79-780م كانوا لا يزالون مانويين لا يحيدون عن هذا المعتقد، وقد رأينا قبل قليل كيف إغتال "ألب قوتلوغ" الذي حكم من سنة 780 إلى 819م، بوغو خاقان لتجاوزاته المالية في دعم الديانة المانوية، وطلب من البطريرك تيموثاوس أن يكون مطرانًا مسيحيًّا نسطوريًّا على مملكته، وذلك بعد اكتسابه لقب خاقان، لكن هذا النموذج من المسيحية – مثل المانوية – لم يكن في الأساس إلا معتقدًا صغديًّا[3]، ومن هنا يمكننا جعل فترة حكم أل قوتلوغ الأويغوري هي الفترة التي تسرب فيها المذهب النسطوري إلى الأويغور.

في المقبال لم تمدنا المصادر والمراجع التاريخية بأي معلومات عن أعداد المسيحيين النساطرة بين الأتراك الأويغور، ولا عن أحوالهم المعيشية، وهل أصبحت النسطورية الدين الرسمي للدولة الأويغورية ؟ أم اعتنقها بعض الأفراد فقط ؟ وكيف كانت العلاقة بين النساطرة والمعتقدات الأخرى في دولة الأويغور ؟

ينقل بارتولد عن(بلانو كاربيني/ Plano Carpini)، أنّ النصرانية في عهده هي التي كانت غالبة على الأويغور، ولكن البوذيون من الأويغور كانوا أكثر عددا في الدولة[4]، ويخبرنا أيضا عن العلاقة الجيدة التي كانت بين البوذيين والنصارى من الأويغور، على الرغم

---

[1]- حبيب أوغلو: المرجع السابق، ص.14.

[2] - René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.st,p. 171.

[3]- ألكسندر بيرزين: التحولات الدينية للأويغوريين، المقال السابق.

[4]- بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.555.

من أن النساطرة اتخذوا من الإجراءات ما يحول دون الخلط بينهم وبين البوذيين، فهم لم يستعملوا النواقيس للإشارة إلى أوقات صلواتهم، ولم يضموا لأيدي إلى بعضها البعض أثناء صلاتهم بل كانوا يطلقونها إلى الأمام بمحاذاة الصدر، وهذا التسامح يمكن رده في اعتقادي إلى غلبة الشعور القومي لدى الأويغور على الشعور الديني، فمثلا بسط الأويغوري النصراني "جينغاي" الحماية على "كرموز" البوذي لآنه كان أويغوريا، وفي مرة أخرى نري خروج مقدم الأويغور النصراني لاستقبال الراهب التاوي"تشأن تشؤن"[1]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على انتشار التسامح الديني بين الأتراك الأويغور، وأن الشيء الأهم لديهم هو المحافظة على الشعور القومي فقط.

يبدو أن النساطرة الأويغور تأثروا بالعادات اللإسلامية في تلك المرحلة فقد كانوا يستعيرون بعض شعائره، مثل: اتخاذهم من الجمعة يومًا مقدسًا، وكذلك الوضوء قبل دخولهم الكنيسة، أما فيما يخص نوعية التعليم الذي كان يقوم به الرهبان النساطرة الأويغور هو تعريف تلاميذتهم بأصل المسيحية والأناجيل والشعائر الدينية وفق المذهب النسطوري[2].

على وجه العموم نلاحظ أنّ كل الأديان والمعتقدات وجدت لها أتباعًا بين الأويغور فيما عدا اليهودية، ولا ندري لماذا ؟ والنتيجة التي نستخلصها من هذا المبحث هي أنّ المعتقدات الدينية لم يكن لها تأثير كبير على حياة الأويغور الأتراك حتى يُسهم في رفع مستواهم الروحي أو الفكري على الأقل قبل اعتناقهم المانوية والإسلام، فقد كان همهم الوحيد هو إنجاح الحس القومي من أجل العيش في إتحاد وترابط، لذلك كانوا ينتقلون من معتقد إلى أخر بحثا منهم عن مصالحهم ووحدتهم السياسية، فعبدوا قوى الطبيعة في بديات حياتهم ثم اعتقدوا بالشامانية لمّا كانوا تحت حكم دولة "كوك ترك" في منغوليا، وبعد ذلك تبنوا البوذية حين كانت لهم علاقات تجارية مع الصين، ثم اتخذوا من المانوية ذريعة للتدخل في سياسة الإمبراطورية الصينية التي أصبحت ضعيفة في عهد أسرة تانغ، وبعد ذلك شاهدناهم يعتنقون النسطورية لأنها بدأت تسيطر على التجارة العابرة لبلاد الصغد، وبعد ذلك اعتنقوا الإسلام وثبتوا عليه.

---

[1]- بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق ، ص.556.

[2]- نفسه ، ص. 557 فما بعدها.

المبحث الثاني: الأويغور في عهد الهون(قون) والتابغاج[1](220 ق.م -534م):

إنّ المعلومات التي تتحدث عن دولة الهون[2] التركية(أنظر الخريطة رقم:12)[3] قبل تولى"تومان يابكو"(220-209 ق.م)[4] الحكم سنة 220ق.م، غير كافية، ولاشك أن هذا الأخير لم يكن هو الخاقان لأول الذي حكم من السلالة الهونية[5]، لأن المؤرخ الرمزي ينقل عن رفاعة بك أنّ: أمة الهون ظهرت قبل الميلاد بقرنين، وعرفت لدى الصينيين باسم (هيينغ- نو)، وكانت منازلها تمتد بين بلاد المغول والقلموق(ربما القارلوق)[6]، وهناك رواية أخرى تقول أنّ القبائل الهونية ظهرت في عهد حكام ملوك سلالة "جه- أو" الصينية، حيث أسسوا الحكومة في الجهة الشمالية من بلاد الصين[7].

وكانت أركان دولتهم مضبوطة غاية في الإحكام، حيث يُذكر وجود ولي للعهد باسم "هيان وانغ"، وسلسلة من مراتب الأمراء ولأركان وسائر القواد والضباط وكافة الأفراد العسكرية، وكان مقر حكومة الملك "تيومان يابكو" في جبل أينشان الذي هو شعبة من شعاب

---

[1]- التابغاج أو السيانبيون: أسسوا الدولة التركية الكبرى عوضا عن الهون في عام 216، وقد حكمت هذه السلالة 178 عاما حتى عام 394 وتتالى على الحكم 16 إمبراطورا (يابكو)، وقد حكم اثنان من سلالة سيانبي الأصلية في التسعة عشر عاما الأولى بين 216-235، بينما كان الأربعة عشر الذين تلوا هؤلاء من سلالة سيانبي- توبا، وقد كانت قبيلة السيانبيين وسلالتها الحاكمة ضمن الكتل الكبيرة التي ضمتها الإمبراطورية التركية الكبرى في عهد الهون. (أنظر، يالماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص 69.).

[2]- عليا أن أوضح هنا أن كلمة "هون/ هاون" هو شكل عرف عند الأوربيون، أما الشكل اللفظي الصحيح لها في اللغة التركية هو "قون" ومعناها "الرجل" والحقيقة أن كلمة "ايلكون" في تركستان الشرقية تستخدم بمعني "شعب – بلد- ديار" وفي اللغة المغولية يطلق على الإنسان لفظة "كون" وتحتمل أن تكون هذه الكلمات أشكال مرخمة من كلمة "قون".(أنظر، عيسى يوسف ألب تكين: المرجع السابق،ص.62).

[3]- أنظر خريطة رقم: 12، ص. 391.

[4]- دام حكم تيومان(تومان) يابكو أحد عشر عاما بين سنتي 220 ق.م و 209 ق.م، وقد هيء للدولة التركية طريق عظمتها على عهد ابنه مته، ومن المعتقد أن تيومان قد وحد الإمارات والدويلات التركية التي كانت تعيش حتى تلك العهود مستقلة عن بعضها البعش. (أنظر، يالماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص ص، 52-53.).

[5]- نفسه، ص.51.

[6]- الرمزي: المصدر السابق، ج.1، ص.162.

[7]- نفسه، ج.1، ص.78.

آلتاي(الألطاغ)[1]،(أنظر الخريطة رقم:10)[2] وكانت حدود الدولة ممتدة إلى منابع نهر أيرتش[3]، وكان خاقانات الدولة يعاملون ملوك الصين معاملة الأقران فيكتبون لهم في رسائلهم على هذا الشكل:"يرجو جاك جوك ملك الهون الأعظم الذي أُجْلِسَ على التخت الحكومة من طرف السماء والشمس والقمر من خان الصين بكمال الاحترام كذا وكذا"[4]، وقد حاربت الدولة الهونية الصين عدة مرات واضطرتها إلى عقد معاهدات الصلح، بل أجبرتها على تأكيد تلك المعاهدات وتقويتها بالمصاهرة، عن طريق تزويج بناتهم من "جاك جوك"(الهاون) وسائر أمرائه[5].

لم يبقى من أسامي خانات الهون في عهده سوى خمسة هم على التوالي: "تومن خان" أو "جاك جوك"(220 -209ق.م)، ثم خلفه (موتا أو مته أو بوتا خان أوغوزخان[6] "209-174ق.م")، و(بومين خان)، وأخوه (دوبوخان)، و(طولون خان)[7]، في حين يرى المؤرخ التركي يالماز أنهم كانوا أكثر من خمسة حكام[8].

---

[1]- تلعب جبال الألطاي دورا مهما في سلسلة الجبال التي حددت مصير آسيا الوسطى والشمالية، وتبدأ الألطاي الكبرى من خط عرض 50 وخط طول 86 من منبع نهر أوبي(إسمه التركي أوب) وتنحدر من السلاسل إلى الجنوب الشرقي، منتهية في خط طول 105 درجة الذي يصادف في الجنوب مغولستان الحالية، وإرتفاع الألطاي في مقدمتها يبلغ 4540 مترا، وتقع إلى الشمال الغربي منها جبال الألطاي الصغرى، وتسمى منابع نهر أوبي بالألطاي. (أنظر، يالماز أوزتونا، المرجع السابق، ص.30.).

[2]- أنظر، خريطة رقم:10، ص. 390.

[3]- ينبع نهر إرتيش على شكل فرعين من الأورال الجنوبي والأورال الأوسط، ويلتقى في الجنوب بنهر توبول، كما يحتضن في الشرق فرع أوم ويستمر في سيره إلى الجنوب حيث يخترق بحيرة سايسان ويواصل في الإنحدار من شرق البحيرة ومن هذه المنطقة يطلق عليه إسم أرتيش الأسود.(أنظر، نفسه، ص. 30.).

[4]- الرمزي: المصدر السابق، ج.1، ص ص، 78-79.

[5]- نفسه، ج.1، ص.79.

[6]- يعتبر "مته" ثاني حكام الدولة الهونية وحكم من 209 إلى 174م، وعرف عند الصينيون بإسم "ماو – تون"، وقد خلد عند الأتراك باسم "أوغوزخان"، وقد خلدوه بملحمة أوغوزقاغان(خان)، وتتحدث هذه الملحمة عن فتوحات مته في الصين والهند وفي مسالك أوروبا والأقاليم المتجمدة في أسيا الشمالية، وقد جعل الأتراك من شخصية مته أسطورة مقدسة لأنه جعل من الدولة الهونية التركية إمبراطورية عظمى، فلقبوه باسم أوغوزقاغان.أنظر،(يالماز: المرجع السابق، ص.56 فما بعدها 57-58-59.

[7]- الرمزي: المصدر السابق، ج.1، ص.80.

[8]- أنظر، يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص57-64

انقسمت دولة الهون في حدود سنة 43 م إلى قسمين: شمالية وجنوبية، انقرضت الأولى في سنة 93م، وانظم مقدار مائتي ألف نسمة منهم إلى الصين، أما البقية اجتازوا جبال آلتاي(آلاطاغ) ولحقوا بملكهم، وسكنوا في أراضي باشقر(هنقاريا الكبرى)، وأسسوا هناك في غربي آسيا وشرقي أوروبا حكومة جديدة، عرفت بـ"دولة الهون الغربية" أو"الهون الكبرى"، حكمها ملكهم الملقب "جاك جوك"[1]، وهذه الحكومة هي التي استولت على أزيد من نصف أوروبا، وأدخلت الرعب الشديد في قلوب أهاليها، وذلك بعد ضمها أكثر القبائل الترك إلى صفها مثل: كاللان، والأويغور، وأونوغر، وواغرة، وقفجق، وسيان بي، وسائر الأقوام التركية الذين كانوا يسكنون في تلك الأصقاع، وشكلت دولة متحدة قوية الشكيمة[2].

في نفس الوقت الذي تشكلت فيه حكومة الهون الغربية على أنقاض الهون الشمالية كان الهون الجنوبيين يستولون على ولاية شينسي، وأنقاد ملكهم(هيولان شي) رفقة حوالي 34000 ألف عائلة إلى الهون الشمالية، وفي سنة 221م أصبحوا تابعين للحكومة الصينية، واختلط قسم

---

[1]- الرمزي: مصدر سابق، ج.1، ص.83.

[2]- وحارب الهون الفرس وأدخلوا قطعة مديا (آذربيجان) إلى ملكهم سنة 78م وحاربوا الروم في عهد سلطنة (مارق أورمل) سنة 167م، وبعد 100 سنة من هذا التاريخ يعني في أيام حكومة غورديان الثالث دخلوا الماكيدونيا(مقدونيا) وإلى سائر مقاطعات أوروبا بالتدريج، وفي سنة 300م امتدوا إلى بشكير التي سميت الهونية الكبرى أو هنغارية وفي سنة 400م هاجموا على سواحل بحر أوزاق الذي كان يسمى بحيرة بالوس ميوتيدة وتملكوا بلاد اللان وأدخلوهم في أحزابهم وتغلبوا على المملكة الغوتية "القوط" (أصلهم من الجرمان واشتهروا بأسامي: غوت وقوت وكوت وزوت وكان مبدأ ظهورهم في أواخر العصر الثالث من الميلاد ولما خرجوا من أصل وطنهم كرمانيا توجهوا نحو الشرق والجنوب واستولوا على الجهة الجنوبية من ممالك سرماتيا، كما هجموا على بلاد آسيا دفعات كثيرة وخربوا فيها تخريبا عظيما كما إستولوا على رومانيا وروم ايلي واليونان إلى البحر الأبيض وخربوا هناك تخريبا، ثم أنقسم هؤلاء على بعضهم إلى قسمين غربي وشرقي وعلى قول أخر إلى 3 أقسام: كه بيت و ويزيغوت و أوسترغوت ولكنهم كانوا متحدين بحسب الحكومة والإدارة وأسسوا دولة عظيمة تسمى بدولة "غوت"، وكان هؤلاء غاية في الوحشية) ببلاد بولونيا(بولشه) ودخلوا إلى بلاد السكندناوة(أسكونديناڤيا)، وكان لهم رئيس يقال له أطيلا"أتيلا"(432-454م) الذي دخل في حكمه الغرب والجرمانيا وبلاد الداكية والغالبية ولكن القوى المجتمعة من أمة الإفرنج والوزيغوت والجرمانيين أوقفت هذه الأمة المخربة للبلاد في سهل شالون بفرنسا، وكان يمكنه أن يكمل فتوح أوروبا لولا المنية منعته توفيا سنة 454م ، فاختل نظام مملكته العظيمة بخروج الأمم المفغلوبة تحت أيديهم من الطاعة والاختلاف الواقع بين أولاده الثلاثة فتشتت شمل القبائل الهونية وتمزقت وتوجهت نحو جهة بحر أوزاق.(أنظر، نفسه، ج.1، ص.84-162-163- 164.)

منهم بأهالي(خان– جه - أو) و(شينسي)، والتجأ جزء منهم إلى جبال آلأطاع وبطون الأودية، والتحق قسم منهم بالهون الغربيين[1].

انضم أتراك الأويغور المتكونين من خمس عشرة قبيلة، على غرار القبائل التركية الأخرى إلى الإتحاد الذي شكلته دولة الهون الكبرى منذ البداية، ولعبوا دورا مهما فيها[2].

يذكر هنري كوغدي(Henri CORDIER) أنّ الأويغور في عهد حكم الإمبراطور الصيني: وي(Wei) كانوا يقطنون رفقة زعيمهم "يو-كو-لو-تشو"(Yo-Ko-Lo-tche)، بالجهة الشمالية "لسي-يوان-تو"(Sié-yen-to)، بجانب نهر سولان، وعرفو باسم كاو-تشو-كين(Kao-tche-kien)، وفي بداية حكم أسرة تانغ عرفوا باسم:تشي- لي(Tch'e-lé)، وإنضموا إلى حكم الهاون، ثم انفصلوا عنهم وأطلق على حاكمهم لقب كورخان(Ko-han)[3].

وكانت هناك عدة إمارات أويغورية في عهد حكم دولة الهاون، متواجدة في غرب مدينة كمول، إضافة إلى إمارتين أخريتين: إمارة أورمجي في الشمال(فو –تو –كو) وإمارة طورخان في الجنوب(كياو – هو – جينغ)، كما كانت هناك أربعة إمارة صغيرة أخرى، هي: كو – هو، أي – جي ، بو- لوي الأول، وبو- لوي الثاني، ويشير إلى وجود علاقة وثيقة بين هذه الإمارات وبين دولة الهون، فقد تزوج الأمير الأويغوري"أو- كواي" في سنة تتويجه 83 ق.م بأميرة من سلالة الهون[4].

ويجعل المؤرخ يالماز سنة 83 ق.م كأول تاريخ لبداية انضمام الأتراك الأويغور إلى إتحاد دولة الهون، وذكر من أمراء أورمجي، كل من: "كو- كو"(كيو- كو) الذي توفي   سنة 10م، و"كان- تي" الذي توفي سنة 74م، وشقيقه "سوي- تي"(74خلع عن العرش 97)، وابنه نوم- كي(97-120) وابنه "كيون- تسيو"(120-125م)، وابنه "كيو- تي-نو"(125-150)، وابنه

[1]- الرمزي: المصدر السابق، ج.1، ص.84.

[2]- أركين أبتكين: المرجع السابق، ص.23.

[3]- Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.st, pp. 418-419.

[4]- يالماز: المرجع السابق، ص ص، 118-119.

"او-لو-تو"(150-155)، ثم شقيقه "بي-كيون(155-160)، أما أمراء طورخان فهم كالأتي:"تيو-مو"(دزومو) توفي سنة 60 ق.م، ثم "كان –به – جيو"، ثم "أي –جينغ" ثم ابن أخيه "شيو- كي" ثم حكم "جونغ- مين" ثم خلفه "ما –جو" ثم أبنه "كو- كيا" ثم "كيو- كيان"[1].

لم تمدني المصادر والمراجع الموجودة لدي بأي معلومات أخرى عن أوضاع الأويغور في إمبراطورية الهون الكبرى، إلا أنه بعد تمزق وانحلال هذه الإمبراطورية أصبح النفوذ في يد أتراك التابغاج(السيانبيون) الذين حكموا من سنة 186م إلى غاية 534م على أقرب تقدير[2]، في حين يرى المؤرخ التركي يالماز أنهم حكموا من سنة 216 إلى سنة 394م[3]، وهو أقرب إلى الصحة في اعتقادي.

ينحدر التباغاج(السيانبيون) من قبائل "الدون- خو" البدو الرحل[4]، في حين يرى يالماز أنهم ينحدرون من سلالة "سيانبي – توبا" التركية المكونة لإمبراطورية الهون[5]، وهذا غير صحيح في اعتقادي لأن نصر الله مبشر الطيرازي يذكر بأن قبيلة "سيانبي" هي أجداد الأويغور[6]، وإنّ صح ما قاله يالماز فيعنى ذلك أنّ دولة الهون هي دولة أويغورية وهذا يحتاج إلى بحث وإثبات.

اعتلى عرش الإمبراطورية التابغاجية 16 "يابكو" اثنان من سلالة سيانبي الأصلية ما بين 216 إلى 235م، بينما كان الأربعة عشر الآخرين من سلالة "سيانبي –توبا"[7]، وقد أطاح حاكم الكوك تورك "بو- توكين" بحكم الهاون وورث عرشها لكنه قتل في سنة 233م، فأعقبه

---

[1]- يالماز: المرجع السابق ، ص.119.

[2]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.24.

[3]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص. 69.

[4]- العرب والإسلام في أوزباكستان...، المرجع السابق، ص.65.

[5]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.69.

[6]- نصر الله مبشر الطيرازي: المرجع السابق، ص.74.

[7]- نفسه ، ص.69.

ابنه "هو- بو- نم" الذي قتل سنة 235م، بعدها استلمت سلالة "سيانبي- توبا"(بالتركية تابغاج) مقاليد الحكم(235-394م)[1].

اشترك أتراك الأويغور أيضا بسبع قبائل في هذا الإتحاد الذي شكل دولة التابغاج[2]، ولم تمدني المصادر والمراجع بأي معلومات عن أوضاع الأويغور في عهد هؤلاء.

المبحث الثالث: الأويغور في عهد الكوك تورك(طوكيو)(552-745م).

يعتبر"أولوغ جابغو"(يابغو)[3] ومعناها الأمير العظيم هو المؤسس الحقيقي لدولة "الكوك تورك/Kok-turk=Tu-kue"(طوكيو) أو"الأتراك الزرق"، وكان له ابنان مشهورين: بومين قاغان(Bumin Khaghan) (552-553) و"إستيمي/Istami Khaghan"(553-576 = 23 عام)[4]، ويعرف الأول في الكتب الصينية باسم: القاغان زوان-شوان(ZHuan-SHuan)، وهو نفسه الذي سيطر على جنوب الألتاي(l'Altai) وفاز على أعدائه الأفار في سنة 552م، وتربع على حكم منغوليا، وإمتدت حدود مملكته إلى الصين وإلى حوض إيرتيش(l'Irtych)، حيث توقفت عند هذا الحد إلى غاية سقوطها سنة 740م، ماعدى الفترة الممتدة بين 630 و682م أين وضعت الصين سيطرتها على بعض تلك المناطق[5].

يبدو أن بومين قاغان قسّم إدارة هذه الدولة الكبيرة بينه وبين أخيه، "إستيمي/ Istami Khaghan"(553-576 = 23 عام)، فحكم الأول الجزء الشرقي من الخاقانية، باسم القاغان الأكبر، أما الثاني فحكم الجزء الغربي منها الممتد حتى حدود الدولة الساسانية، وكان قاغـــان

---

[1]- نصر الله مبشر الطيرازي: المرجع السابق، ص.70.

[2]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.24.

[3]- كانت كلمة في تلك الفترة تطلق على الملك أو الإمبراطور. (أنظر، يالماز أوزتونا، المرجع السابق، ص.76.).

[4]- نفسه، ص ص، 76-77.

[5] - Louis Bazin : Les Etats nomades en Asie central, HISTOIRE DE L'HUMANITE, voluke. IV, Publié par l'Organisation des Nations Unies, Paris, 2008, p.124.

الغرب يَتْبَع لقاغان الشرق، وبعد وفاة أخيه في عام 553م إعتلى العرش مكانه[1].

وفي سنة 545م أحرز "إستيمي/Istami Khaghan" نجاحا كبيرا في بسط نفوذه على القبائل الأويغورية، التي كانت من أكبر القبائل التركية وأقواها في ذلك الوقت، وبحلول سنة 555م أصبحت كافة قبائل آسيا الوسطى، مثل: كيدانيوا الموجودين في غربي منشوريا، والقرغيز المشهورين بكثرتهم وقوتهم، تحت سيطرة دولة "الكوك تورك"[2].

بعد إتمام توسيع رقعة حدود الدولة نقل "الكوك تورك" مقر عاصمتهم إلى أعالي نهر أورخون، ومن تلك المنطقة بدؤوا صراعاتهم ضد الإمبراطورية الصينية، أما في عهد كل من "قارا ايسيك- خاقان" ابن "بومين" وخليفته اصطدموا بحاكم خانية جرجان، التى كانت بلاده تشمل الأراضي الممتدة بين جبال هانغاي والتاي[3]، أي مساحة منغوليا حاليا وشمال الصين.

وفي أواسط القرن السادس الميلادي ازداد نفوذ هذه الدولة واتسعت رقعتها، بحيث أصبحت بحيرات "أرال وبالقاش وبايقال"[4] بحارا داخلية لها، كما كانت السواحل الشمالية والشرقية لبحر الخزر بيدها، وقد اجتازت حدودها جبال أورال إلى الفولجا غربا، أما من الناحية الشرق فقد كانت تمتد إلى المحيط الكبير، وفي الجنوب كانت تركستان الشرقية والغربية عدا جنوبها الغربي ضمن أراضيها، ووصلت حدودها إلى كاشمير والتبت مزيحة بذلك هاون الهند إلى الجنوب، كما استولت هذه الدولة على "قان- صو"، وأصبح سور الصين حدا فاصلا بينها وبين الإمبراطورية الصينية[5].(أنظر الخريطة رقم:13)[6].

---

[1]- يالماز أوزتونا، المرجع السابق، ص ص، 76-77.

[2]- العرب والإسلام في أوزباكستان...، المرجع السابق، ص.66.

[3]- نفسه، ص.66.

[4]- تعد بحيرة بايقال من أهم البحيرات في المنطقة، وتقع على إرتفاع 477 مترا عن مستوى سطح البحر، وتوجد في وسطها جزيرة، وهذه البحيرة ضيقة ممتدة من الشما الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتبلغ مساحتها 31،500 كلم2 وهي ثامن بحيرة في العالم من حيث السعة، وكان الأتراك يجدون فيها ضالتهم المنشودة خاصة وأنهم يقعون في بلاد مغلقة غير منفتحة على البحار، ولذلك كانت البحيرة محبوبة بصورة خاصة لديهم. (أنظر، يالماز أوزتونا، المرجع السابق، ص. 34.).

[5]- يالماز اوزتونا: المرجع السابق، ص.82.

[6]- أنظر، خريطة رقم: 13، ص. 393.

أدى تنامي هذه القوة التركية الجديدة إلى بعث الإمبراطور البيزنطي جستينيان الكبير[1](527-565م) رسلا إلى قاغان "الكوك تورك"، من أجل عقد أواصر الصداقة والمحبة بين الإمبراطوريتين، وقصد ربط علاقات تجارية، في حين لجأت الصين إلى الخداع من أجل اتقاء شرها[2]، وأقامت كل من الهند وبلاد فارس علاقات تجارية جيدة معها[3].

كان مفهوم الدولة لدى الكوك تورك مقدسًا، فهي تُسير من قبل إله السماء "تنغري" وقاغان الدولة ممثل له، وإذا حقق هذا الأخير مصالح شعبه فالإله يساعده وينصره في الحروب التي يقوم بها، ولكن إذا قام القاغان بأخطاء، وبالأخص إذا لم يطبق قانون التورا الشفهي المستمد من عادات وتقاليد الشعب التركي، فإن الإله سيتخلى عنه، ومن هنا يصبح فاقد لشرعية الحكم، وفي كثير من الأحيان يكون مُعرض لفقدان حياته، والقاغان بمباركة تانغري هو الذي يحمي أراضي ومياه ومجال الأتراك، التى تسمى "سماء الترك"(ciel des Turcs)[4].

أشرت قبل قليل إلى أنّ الأويغور إنظموا إلى الإتحاد المُكَون لهذه الخاقانية الكبيرة، واستوطنوا في المنطقة الشمالية لنهر طُوْلَهْ[5]، وحسب المؤرخ هنري كوردير(Henri CORDIER): فإنهم إتصلوا بالدولة في سنة 605م، على عهد القاغان تشو-لو(Tch’ou-io)،

[1]- جستنيان هو إمبراطور روما الشرقية أو بيزنطا حكم في الفترة الممتدة من 527م إلى 565م، وقد إمتدت الإمبراطورية بفضل جهوده واستمرت قائمة، وهو يحتل مكانة خاصة في الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ويرجع الفضل في ظهور جستنيان على مسرح الأحداث السياسية إلى خاله جستين، الذي تولى العرش بعد وفاة الإمبراطور انستاسيوس سنة 518م، ولم يكن لجستين ولد لذلك تبنى ابن أخت له من إقليم إيلليويا وأطلق عليه اسم روماني هو جستنيانوس(Justinianus)، وعنى بتثقسفه وتهذيبه، فأتقن اللاتينية واليونانية، وخبر السياسة، حتى صار الساعد الأيمن لخاله، وفي سنة 252م أضفى عليه لقب قيصر، وفي 4 أبريل 527م منحه لقب أنجوستيس() وأعلنه خليفته على العرش البيزنطي، وفي نفس السنة توفي جستين وتولى جستنيان الحكم، وكان في الخامسة والأربعين من عمره، صهرته الخبرة وحنكته التجارب، فقد أولى عناية كبيرة بأعمال الدولة، فكان في الليل منكبا على دراسة التقارير التي يرفعها إليه الموظفون بالدولة، حتى وصفه أحد رجال بلاطه بأنه "الإمبراطور الساهر".(أنظر، اسمت غنيم: إمبراطورية جستنيان، دار المجمع العلمي، 1397هـ/1977م، جدة، ص ص،14- 16.).

[2]- يالماز اوزتونا: المرجع السابق، ص ص،82-83.

[3]- العرب والإسلام في أوزباكستان...، المرجع السابق، ص.67.

[4] - Louis Bazin : Les Etats nomades en Asie central, HISTOIRE DE L’HUMANITE, op.st, pp.124-125.

[5]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.24؛ أنظر، الصفصافي أحمد القطوري: المرجع السابق، ص.72.

وكانوا يقطنون في نواحي سولنغا(Selenga/So Ling)[1]، وازدادت أهميتهم على مر الزمن، حيث أصبح ملوكهم حكاما مهمين ضمن ذلك الإتحاد.

برز منهم: "سوكون شيكه/Se-Kin T'e k'ien"(616-629م) وإبنه "بو- سا/ P'ou Sa"(629-640م)، وشقيقه "تومي –تو/ T'ou-mi-tou"(640-652م)، وابنه "بويون/ Po Jouen"(602-658م)، و"بيلير"(658-660م)، و"توك كاتيسي"(660-670م)، وابنه "بوكدائي/ بوغداي"(670-685م)، ثم ابنه "هو- سو/ هو- لي – في – لو"(685-712م)، ويذكر مؤرخو ذلك العصر أن هذا الأخير كان أحد أمراء سلالة "الكوك تورك"[2].

أريد أنّ أشير هنا أنّه في نفس فترة حكم هذا الأخير، وإبتداءا من سنة 705م قاد القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلى حربًا ضد مملكة تيكين التركية، التي تأسست تحت قيادة أحد أمراء دولة توكيو الغربية، وقام بظم خوارزم وتوغل في منصقة الصغد، بين سنوات 706 و709م، وخاض حربًا ضد ملك بخارى وفاز عليه في سنة 709م، وعين توغشاد ليحكم تلك المناطق باسم الدولة الأموية، وأصبح الخادم الوفي لها بين سنة 710 إلى 739م، أما ترخان وسمرقند فدخلتا سلميا في حكم قتيبة سنة 709م[3].

في هذه الأثناء تمكن الزعيم الأويغوري"قوتلوغ بيلكه كول" قاغان الذي حكم مدة 33 سنة من 712 إلى 745م، من الإطاحة بسلالة "الكوك تورك"، وأصبح قاغانا أكبر للأتراك[4].

المستخلص من الأحداث أنّ العلاقات بين الأويغور ودولة "الكوك تورك" كانت متوترة في كثير من الأحيان، فقد كان الأوائل يرفعون راية العصيان على الدولة في كل مرة، ومن هنا أصبحت الإمارات المتحدة للأويغور تُقلق الدولة وتجعلها تتوجس منها خيفة، وقد أراد الخاقان "شي قاغان" فرض سلطته عليهم فسير جيوشه على مناطقهم في سنة 615م،

[1] - Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.st, pp. 430.

[2]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص ص، 119-120.

[3] - René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES, op.cit, ,pp. 162.

[4]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص ص، 119-120.

ولكن ذلك زاد الأويغور حقدا، ومنذ تلك السنة بدؤوا يعملون على تحريض القبائل التركية الأخرى لرفع راية العصيان على الخاقانية، أملا منهم في الحصول على الاستقلال، إلاّ أنّ قاغان "الكوك تورك" إتبع سياسة القمع الفوري على لأويغور، وقام بقتل العديد من رجالاتهم، من بينهم:"سيه- ين" و"طو- يو"، ولكن هذه الإجراءات لم تحجم الأويغور عن فكرتهم، وضلوا يعملون على الإنفصال إلى أن نجحوا في إفتكاك إستقلالهم سنة 616م[1].

إستطاع "صدقون شيكه" الأويغوري المستقل عن دولة "كوك تورك" من تأسيس دولة أويغورية لأول مرة في آسيا الوسطى، وبالضبط على ضفاف نهر"سلانكه"، وعَقِب وفاته تولى الحكم بعده "يو- صا"، وأظهر تفوقا ومقدرة كبيرة على القتال، وكانت والدته تسانده في إدارة شؤون الدولة[2].

تمكن هذا الأخير من هزيمة يوغشاد(Yu kou chad)، إبن قاغان الكوك تورك (هي-لي/Hie li Kagan)، وإستطاع بعد ذلك أحد قواده "تو-مي-تو"(T’ou-mi-tou) من دحر قوات تو-مي(To Mi) قاغان سي-يو-تو(Sie-yen-t’o)[3]، ومنذ ذلك الحين أصبحت دولة الأويغور قوية يحسب لها ألف حساب.

وفي سنة 647م طلب الأويغور رفقة القبائل التي هزمت السيانتو(Sie-yen-t’o) مثل: تونغ لو(T’oung Lo) وسكي(Se Kie)، وأتي(A Tie) وأخرون، الحماية من الصين، وطلبوا منها تعميم قوانينها عليهم، فقسم الإمبراطور أراضيه إلى ستة أقاليم جعلها في المرتبة الأولى، وسبعة أقاليم في المرتبة الثانية، وأصبح الأويغور رفقة القبائل الآخرى يحكمون أنفسهم، وعين تو-مي-تو(T’ou-mi-tou) قائد عليهم[4].

لم يتأقلم الأويغور مع الإدارة الجديدة، فقد قام تو-مي-تو(T’ou-mi-tou) في سنة 648م بالسيطرة على أغلب الإمارات التركية القديمة، ولقب نفسه بـ"قاغان"(Kagan)، ولكن

[1]- الصفصافي أحمد القطوري: المرجع السابق، ص.73.

[2]- نفسه، ص.72.

[3] - Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.st, p. 430.

[4] -Ibid, pp. 430-431.

تعرض للإغتيال من طرف يو-هو(Wou-Ho)، ولكن هذا الأخير تم القضاء عليه وتم تعيين "بويون/ Po Jouen"(602-658م) بداله قائد عاما على لأويغور[1].

بعد وفاة هذا الأخير إعتلت شقيقته بي- سو- تو(Pi-sou-tou) زعامة الأويغور، وفي عهدها قام القائدان تونغ-لو(T'oung Lo) وبو- كو(Pou Kou) بغارات على الحدود الصينية، فأرسل الإمبراطور قائدهم العسكري تشانغ جون-تاي(Tcheng Jen-t'ai) لمحاربتهم، إستطاع بالتعاون مع سي جون-كوي(Sie Jen-Kouei) من هزيمتهم في سنة 662م[2].

أما باقي الأقسام الأويغورية الآخرى فقد إستوطنت منطقة تيان شان(T'ien Chan)، وخاصة في لي سيكي وتو-لان-كو، وغرب سيانتو(Sie-yen-t'o)، فأمر الإمبراطور الصيني وكلائه للتعرض لهم، فبعث كي-بي هو-لي(K'i-pi Ho-li) إبن قاغان تي(Tié)، الجنرال مو-هو رفقة 500 فارس، لتجميع كل تلك القبائل المتناثرة وإنتخاب رئيس من بينهم، يكون تابعا للصين وحاول عبثا إقنعهم بأن هذه الأخيرة تريد تعيين "شو-هو" حاكما عليهم، ولكن هذا الأخير قتل من قبل قومه[3].

أريد التنويه هنا أنه رغم أنّ الأويغور إستطاعوا الإنفصال عن دولة "الكوك تورك"، إلاّ أنّ هذه الأخيرة إستمرت موجودة إلى غاية سنة 734م، وبقى إنفصالهم عنها إنفصالاً جزئيًا فقط، وربطوا علاقات مع الصين، وسقطوا في أحضان أباطرتها، وجعلوا سياسة السعي إلى إزالة دولة "كوك تورك" التي كانت تنتهجها الصين مبدأ أساسيا يسعون هم أيضا لتحقيقه، في المقابل كانت الصين تضع كل ثقلها وتستخدم كل قوتها العسكرية ضد كل من يعادي الأويغور، لذلك كانوا يقفون دائما إلى جانبها ضد "الكوك تورك" في طول الصراع الذي امتد إلى خمسين عاما(630-680م)، وكانت نهايته لصالح الصين، في المقابل لم تتأخر هذه

[1] - Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.cit, p. 431.

[2] - Ibid, p. 440.

[3] - Ibid, pp. 440-441.

الأخيرة بدورها عن تقديم العون للأويغور للحلول محل الكوك تورك، فربطت علاقات وطيدة معهم وقامت بتعبيد الطرق المؤدية إلى بلادهم، وأقامت عليها الكثير من النزل "كروان سراي"، كنوع من إظهار حسن النوايا، كما أنشأت العديد من مراكز البريد داخل البلاد لتدعيم الروابط بين الطرفين[1].

نجح الأويغور الذين كانوا يشنون هجماتهم على دولة الكوك تورك بتأييد من الصين في إخضاع الأقوام التركية الأخرى تحت نفوذهم، وأصبح حكامهم يتلقبون بلقب "قاغان"، فقد تلقب به "طورس –طو" الذي حكم الأويغور فيما بين(640-652م)، وعقب مقتله عين ابنه "بويون"(Boyun) لينوبه تنفيذا الأوامر إمبراطور الصين، وحكم البلاد مدة ثمان سنوات ثم أعقبه "بيلير قاغان"(Bilir Kagan)[2]. وفي عهد هذين الأخيرين كانت القوات الإسلامية بقيادة القائد الأموي الكبير قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 652م، وقد ضمت كل الممالك الساسانية القديمة، وأصبحت خراسان تابعة لهم، ولكن هذه القوات لم تكمل زحفها لتضم بلاد ما وراء النهر والتركستان، وأجلت ذلك إلى وقت لاحق[3].

ثم حكم "طوق- قايت- س"(Tok-Kayit-Si)(660-680م)، وخلال هذه الفترة كان الكوك تورك تحت قيادة "قوتلوق تكين"(Kutluk Tegin) يعيدون تنظيم أنفسهم للحرب، وبالفعل بدؤوا في شن هجماتهم على كل من الأويغور والصين في أن واحد في أواخر أيام "طوق- قايت- س"، ونجحوا في إنزال الهزيمة بكلى الجيشين، واضطر"بوغداي" حاكم الأويغور للجوء إلى الصين مع رجاله وعشيرته[4].

وفي سنة 697م قام حاكم دولة الكوك تورك "ايلتاريش كوتلوغ- خاقان" بتحريض زعماء القبائل التركية ووجهاؤها للتمرد على الصين، إلا أن النجاح لم يحالفه حيث قام الجيش الصيني بسحق المتمردين، وتشير النقوش المكتوبة على ضريح "تونتيكوك" وزير "ايلتاريش

[1]- الصفصافي أحمد القطوري: المرجع السابق، ص ص، 73-74.

[2]- نفسه، ص.74.

[3] - René GROUSSET , op.cit, ,p. 162.

[4]- الصفصافي أحمد القطوري: المرجع السابق، ص.74.

كوتلوغ- خاقان"، أن هذا الأخير استطاع حشد ما يربو عن 700 مقاتل وشن حربا على "جيتي أوغوز" الأويغوري حليف أباطرة أسرة "تانغ" الصينية(أنظر الخريطة رقم:13)[1]، وألحق بهم هزيمة منكرة[2].

واستمرت الحرب بين أسرة "تانغ"(618-907م) الحاكمة في الصين ودولة الكوك تورك لمدة طويلة، ووقف الأويغور دائما إلى جانب الصين، وقد مرت الثانية بفترة عصيبة داخليا، فقد قتل الخاقان"تور بلكه قاغان"(أنظر، الصورة رقم:02)[3] على يد أحد المكلفين بحراسته في 25 نوفمبر 734م، ولم تستطع أن تعيش بعده سوى عشر سنوات، كانت مملوأة بالإضطرابات، فقد تولى العرش بعد مقتل الخاقان إبنه "بلكه قوتلوق"، ولصغر سنه إستولت أمه على مقاليد الحكم، وصادف في هذه الفترة أن قتل أيضا حاكم بلاد الكوك تورك الغربية، مما فتح المجال أمام فوضى عارمة شملت كل الإمبراطورية، فوصلت هجمات القبائل المتمردة إلى العاصمة "أتوكن"، ورفع قادة الجيش راية العصيان ضد "بلكه قوتلوق قاغان" وقتلوه، وعمت الفوضي من جديد بين أفراد لأسرة، في هذه الأثناء رفعت القبائل المكونة لإتحاد الكوك تورك عصيانها، مثل باسميل والقارلوق، وعشائر الأون أويغور الذين كانوا أقوى هؤلاء القبائل قاطبة، وكونوا جيشًا قوامه 200 ألف مقاتل أسقطوا به إمبراطورية الكوك تورك نهائيا[4]، وأسس الأويغور دولتهم على أنقاضها، وحسب قروسي كان ذلك في سنة 744م[5].

نستخلص من المصادر والمراجع التاريخية، أن الأويغور بدؤوا كقبائل متحدة في دولة "كوك تورك" التي حكمت آسيا الوسطى منذ سنة 552م، وقد إستخدمت القوة من أجل إخضاع القبائل الأويغورية، لذلك لم يندمجوا كليا في تلك الدولة، وضلوا يحدثون القلاقل ويترصدون

---

[1]- أنظر، خريطة رقم:13، ص. 411.

[2]- الصفصافي أحمد القطوري: المرجع السابق، ص. 70.

[3]- أنظر، الصورة رقم:02، ص. 404.

[4]- الصفصافي أحمد القطوري: المرجع السابق، 70.

[5] -René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES, op.cit, ,p. 167.

الفرص للتمرد والانفصال حتى حققوا ذلك في سنة 616م، وأسسوا مملكة خاصة بهم، وربطوا علاقات وطيدة مع الصين حيث تلاقت أهداف الطرفان للإطاحة بدولة "الكوك تورك"، فوضع الصينيون كل ثقلهم على الأويغور وساعدوهم في حربهم ضد هذه الدولة، إلى أن تمكنوا من إسقاطها في سنة 745م، فورثوا أراضيها، في المقابل تمكن الأويغور من توطيد حكم أسرة تانغ الصينية.

المبحث الرابع: تأسيس الأويغورية دولتهم في أورخون(745-840م).

لم تتعرض المصادر العربية إلى كيفية تأسيس الأويغور دولتهم الأولى في منطقة أورخون(أنظر الخريطة رقم:15)[1] في أوائل القرن الثامن الميلادي، والمصادر الصينية هي الوحيدة التي تحدثت عن حلول الدولة الأويغورية محل دولة "الكوك تورك"-السابق ذكرها- في منغوليا سنة 745م، بحيث اتخذت من نهر أورخون الموجود بالقرب من مدينة قاراقورم مقرا لها، وبني الخاقان الأويغوري مدينة جديدة(أوردوبالق)، وبقت هذه الدولة مئة سنة ثم سقطت في سنة 840م على يد القرغيز الزاحفين من جهة الغرب[2]. ويشاطر هذا الرأي مجموعة من الباحثين منهم: المستشرق بروكلمان، وبوريبوي أحمدوف وزاهد الله منروف، وأركي ألبتكين، وربيعة حامد خليفة، وزبيدة عطا[3].

ولم تمدنا هذه المراجع بمعلومات عن مؤسس الدولة الأول؟ وكيف كانت أحوالها؟ في حين إنقسمت إمبراطورية "الكوك تورك" إلى قسمين بموجب تأثيرات داخلية وخارجية، فأغتنم الأويغور الفرصة وجذبوا إلى صفهم أتراك القارلوق والباسميل والطقوز أوغوز ابتداء من سنة 727م، وشكلوا حلف عسكري متين كونوا من خلاله جيشًا قويًــــــــــــــــا قوامه

---

[1]- أنظر، خريطة رقم: 15، ص. 393.

[2]- بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص ص، 52-63.

[3]- أنظر، كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص.261؛ أنظر، من بوريبوي أحمدوف وزاهد الله منروف: المرج السابق، ص ص،72-73؛ أنظر، وأركي ألبتكين: المرجع السابق، ص.24؛ أنظر، ربيعة حامد خليفة: المرج السابق، ص.4؛ أنظر، زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، د.م.ن،د.ت.ن، ص.32.

خمسون ألف(50.000) مقاتل، أسقطوا به دولة "الكوك تورك"، ثم أسسوا دولتهم على أنقاضها سنة 744م[1]، ويشاطر هذا الرأي عبد العزيز جنكيزخان، حيث يذكر: أنّ الأويغور هاجموا وقضوا على دولة الكوك تورك بمساعدة القبائل التركية الأخرى مثل الباسمل والقارلوق[2].

يبدو أنّ الأويغور إتفقوا مع القبائل التركية الأخرى، وكونوا معًا إتحادًا قويًا أنهو به إمبراطورية "الكوك تورك"، ثم استقلت كل قبيلة بالمناطق الموجودة تحت حكمها، فقد أسس القارلوق على إثر ذلك دولتهم غرب دولة الأويغور، معلنتا نفسها حاكمة على المقاطعات الغربية ثم انتهت على يد الأويغور[3].

ويعتقد كلّ من هنري كوردي(Henri CORDIER) ولويس بازين(Louis Bazin): أنّ الأويغور الذّين أطاحوا بتلك الإمبراطورية هم الأويغور التسع، المعروفين باسم "توقوز أوغوز"(Tokuz Oguz)[4].

ويري المؤرخ التركي يالماز بأن "قوتلوغ بيلكه كول" هو من أطاح بدولة الكوك ترك، وأصبح قاغان أعلى على الأويغور، وحكم من سنة 712 إلى سنة 746م[5]، في حين يذكر أركين ألبتكين أنّ أول من انفصل على الخاقانية كان اسمه "بويلاقاغان"- وهو نفسه قوتلوغ بيله كول- (بيلو) أي ملك القبائل التسع، الذي كان يتزعم تسع قبائل المعروفة بالتقوز أوغوز، هي: ياغلاقار – أوطورقار – طورلومقيار – باقاصيقير – أفوجاغ – قارصار – هوجورصو – بابو طقار – أباوير، وكانت العاصمة هي "قره بلاساغون"(أوردو باليق) علـــى ساحل نهر

---

[1]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص. 24.

[2]- عبد العزيز جنكيزخان، المرجع السابق، ص.29.

[3]- نفسه، ص.32.

[4] - Louis Bazin : Les Etats nomades en Asie central, HISTOIRE DE L'HUMANITE, op.st, p. 125 ; Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.st, p. 515 .

[5]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص. 120.

أورخون[1].

في حين يذكر المؤرخ هنري كوغد(Henri CORDIER) ، الذي أخذ معلوماته عن المصادر الصينية، الأسماء الصينية لتلك القبائل، وهي: يو-لو-كو(Yo-lo-ko)، هو-تو كو(Hou-tou ko)، تو-لو-يو(Tou-lo-wou)، مي-كو-سي-كي(Me-ko-si-ki)، أ-وو-تسو(A-wou-tso)، كو-سا(Ko-sa)، هو-وان-سو(Hou-wen-sou)، يو-يو-كو(Yo-wou-ko)، كي-ي-يو(Ki-ye-wou)، وعين عليهم "مويان تو"(كول قاغان) وأطلق عليه لقب:"وانغ-يو وي-يوان بي-كيا-كيو كاغان"(Ying-wou wei-youen Pi-kia-k'iué Khan) من قبل الصين في سنة 758[2].

وجد هذا القاغان تدعيما من الصين بحيث منحه إمبراطور أسرة تانغ(618-907م)(أنظر الخريطة رقم: 14) لقب"الخان العادل"[3]، كنوع من إضفاء الشرعية على حكمه، وكاعرف منهم على المساعدات التي قدمها لهم[4]، بعد إنهيار دولة الكوك تورك، فقد لعبوا دورًا بارزًا في عدم انهيار حكم هؤلاء في الصين، خاصة بعد المشاكل التي تعرضوا لها في سنة 762م، فقد أخمدوا حركات التمرد التي قامت بها بعض القبائل التركية المدعومة من طرف بقايا دولة"كوك تورك"، في المقابل استغل الأويغور هذه الظروف من أجل نشر معتقدهم المانوي في الصين، فبنوا عدد كبير من المعابد المقدسة بين أعوام 768 و807م[5].

ونستشف من المراجع التاريخية أن نظام الحكم في دولة الأويغور الجديدة كان وراثيا، بحيث مباشرة بعد وفاة المؤسس الأول للدولة "بويلاقاغان" في سنة 746 أو 747م خلفه على العرش ابنه "مويانجور"[6]، أو "ايل- ايتمش بيلكه باينجور" قاغان، وحكم من سنة 746

---

[1]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.24.

[2] - Henri CORDIER , op.cit, pp. 474-475.

[3]- سلسلة كتب"سور الصين العظيم"، المرجع السابق، ج.1، ص.81.

[4]- أنظر، خريطة رقم: 14، ص. 392.

[5]- بولات تورفاني: المرجع السابق، ص.31.

[6]- سلسلة كتب"سور الصين العظيم"، المرجع السابق، ج.1، ص.81.

إلى سنة 759م[1].

تزوج هذا الأخير مباشرة بعد ارتقائه العرش من أميرة صينية، وأسس لعلاقات صداقة مع الإمبراطورية الصينية، وساعدها على إخماد عدة تمردات داخلية[2]، وقد اتسعت حدود الأويغور في عهده من الجهة الشمالية، حتى وصلت إلى ينيس وأورخون وسلانكا، وفي الغرب حتى جبال صايان، أما في الشرق وصلت حتى أوردوس وقانصو، وفي الجنوب حتى قوم داريا وخوتن وكاشغر[3].

في هذه السنوات كانت أسرة تانج(618-907م) في الصين تشهد نوعا من الضعف والتقهقر، حيث كان جيشها ينهزم أمام الجيوش الإسلامية قرب نهر طالاس[4] في سنة 751م، كما عرفت أيضا تمرد القائد العسكري "أن لوشانج"[5] على حاكم الصين "سوتشونج"، وكان يملك جيش يقدر عدده بمائتي ألف جندي، واحتل مدينة "لويانج" في سنة 755م، ومدينة "جانجان" في سنة 757م، وأعلن نفسه إمبراطورًا، فطلب إمبراطور الصين "سوتشونج" المساعدة من خاقان الدولة الأويغورية "مويانجور"(747-759م)[6]، كما طلب المساعدة أيضـــا

1- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.120.

2- نفسه، ص.125.

3- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص. 25.

4- جرت معركت طلاس في سنة 134هـ/751م وكانت سببها أن الصين منذ أمد بعيد كانت تمد الحكومة التركية في بلاساغون بالجيوش لمناوأة المد الإسلامي، وفي السنة المذكورة دارت معركة طاحنة بين القوات الإسلامية بقيادة زياد بن صالح والقوات الصينية المتحالفة مع القوات التركية بقيادة كاوهسن شت الكوري الأص، وإنتصر المسلمون إنتصارا حاسما في تلك المعركة المعروفة بمعركة طلاس، الواقعة على أبواب مدينة طراز (الواقة في قرغيزيا اليوم)، وقتل في هذه المعركة خمسون ألفا من القوات الصينية وأسر عشرون ألف، وأدى ذلك إلى أن تبتعد الصين عن التدخ في شؤون التركستان لفترة من الزمن، فقد أحجمت هذه الأخيرة عن معاونت أمير أشروسنة الذي طلب منها المعاونة في العام التالي لمعركة طلاس، إذا عبت هذه المعركة دورا مهما في رسم السياسة الجديدة للصين في التركستان والتي إتسمت بإلتزام الحياد وعدم التدخل. (أنظر، محمد على البار: التركستان مساهمات وكفاح، الدار السعودية لنشر والتوزيع، جدة، 1411هـ/1990م، ص ص، 18-19.).

5- يعود القائد العسكري لوشانج(لان لوشان) في أصله إلى القبائل خيتان المغولية، وكان يعمل كقائد عسكري تحت قيادة الجيش الصيني. (أنظر، René GROUSSET, op.cit,p.167)

6 - Ibid, pp.167-168.

من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م)[1].

وكانت لدى القاغان الأويغوري "مويانجور"(747-759م) طموحات لتوطيد علاقاته مع الصين والاستفادة من حضارتها وتجارتها، لذلك تحرك مسرعا من عاصمته "قره بلاساغون"، برفقة وحدات عسكرية كبيرة، واستعاد مدينة "لويانج" الصينية المحتلة بكل سهولة في سنة 757م، فكافأه الإمبراطور الصيني "سوتشونج" بمنحه عشرون ألف (20.000) ثوب من الحرير، ووعده بأن يضل يدفع تلك الهدية كل سنة، وأطلق عليه عدة ألقاب[2].

في الحقيقة لم تكن تلك المكافأة سوى إتاوة دفعها إمبراطور الصين للحاكم الأويغوري مويانجور، لأن الروايات التاريخية تتكلم عن موافقة خاقان الصين على دفع 20.000 ألف ثوب من الحرير سنويا وليس إعطاء. وفي العام الموالي أرسل القاغان الأويغوري سفيرا إلى الصين يطلب منه الزواج من أميرة صينية، فلبى الإمبراطور طلبه وأرسل صغرى بناته زوجة له[3].

إنّ لأباطرة التانغيون ظلوا بعد إخماد الأويغور تمرد "آن لوشان" يغدقون الهدايا على الحكام الأويغور، ويلقبونهم بالألقاب الصينية الملكية، ويزوجونهم بالأميرات الصينيات، في

[1]- إسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله، وأمه سلامة بنت بشير البربرية، وكان فحل بنى العباس، وكان أسمر خفيف اللحية، رحب الوجه، وعينيه كأنهما لسانان ينطقان، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه السفاح، وكان في ذلك الوقت على ولاية إمارة الحج، حيث أتاه خبر وفاة أخية والبيعة بالخلافة بمكان يعرف بالصافية، فقال: صف أمرنا إن شاء الله تعالى، فأكمل الحج ولما رجع إلى مدينة الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة بعد البيعة الخاصة، نق خاتمه:"إتق الله تزد فتعلم"، كان أبو جعفر ذا همة وشجاعة وجبروت، تاركا للهو والعب، كامل العقل، جامعا للمال حتى لقب بالدوانيقي، لكثرة محاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات، وكانت له أعمال كثيرة من بينها بناؤه مدينة بغداد سنة 149م، وفي سنة 158م وسع في المسجد الحرام، وعمّر مسجد الخفيف بمنى ورخم الحجر، توفي على إثر إستدامه بباب خربة وسقوطه عن فرسه، في سنة 07 ذي الحجة 158م، ودفن هناك وهو إبن 63 سنة، وقد دام حكمه 21 سنة و11 شهرا و14 يوما.(أنظر، أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: أحمد حطيط وفهمي سعيد، مج.2، عالم الكتب، بيروت، 1412هـ/1992م، ص.75 فما بعدها.)

[2] -René GROUSSET ,op.cit, p.168.

[3]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.6.

المقابل كان الأويغور يستغلون ذلك الضعف التانغي، فيحملون في كل سنة إلى الصين عشرة آلاف من الخيول الضعيفة أو مريضة، ويحصلون مقابل ذلك على أربعين قطعة من الحرير على كل حصان، وكانت قيمة التبادل تلك مجحفة جدا بحق الصينيين، وتصب في صالح الأويغوريين، وقد أدى هذا الأمر إلى تفريغ الخزينة الصينية من الأموال، وكان الأويغوريين في كل مرة يطالبون بالمزيد من الأموال وإذا لم يدفعوها لم يتوانوا على إهانة المسؤولين التانغيين من خلال اقتحام بلاط إمبراطورهم وخطف أطفالهم[1]، كتهديد لهم.

أدت العلاقات الصينية الأويغورية التي بدأت كمساعدات عسكرية وأعقبتها إرسال الهدايا وتبادل السفارات، ثم توجت برباط المصاهرة، إلى تَعرف الأويغور في تلك الفترة عن تطور الحضارة الصينية عن قرب، هذا الأمر دفع بـالحاكم الأويغوري "مويانجور" إلى التفكير في إنشاء مدن جديدة متطورة على شاكلة المدن الصينية، فشيد مدينة "بش باليق" وجلب إليها الصناع من الصين ومن بلاد الصغد[2].

توفي "موينجور" في سنة 759م[3] وحل محله ابنه "بوغوقاغان"(759-779أو780)، وقد إشتهر عند الأويغور بلقب(فاتح الصين)، أصبحت الدولة الأويغورية في عصره من بين أقوى الدول المهيمنة على آسيا العليا، اقتدى هذا الأخير بسياسة والده في الفتوحات وفي المحافظة على العلاقات الودية مع إمبراطور أسرة "تانغ"، فطلب يد أميرة صينية ولم يجرأ الصينون رفض ذلك[4].

إلاّ أنّ العلاقات سرعان ما توترت بين الطرفين ونشبت الحرب بينهما، فاحتـــــــــــل

[1]- إيمي شوا: عصر الإمبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها، تر: منذر محمود صالح محمد، العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/2009م، ص ص، 139-140.

[2]- ربيعة حامد خليفة: المرجع السابق، ص.6.

[3]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.25.

[4] -René GROUSSET ,op.cit p.169.

"بوغوقاغان"(759-779أو780) في 20 نوفمبر 762م عاصمة الإمبراطورية الصينية "لو-يانج"، ومكث فيها حتى شهر أذار 763م[1]، في هذه الأثناء اعتنق المانوية، وبعد عودته أحضر معه أربعة رهبان مانويين إلى مملكته، وجعل من المانوية الديانة الرسمية لدولته، وأجبر الصينيون بالمتاجرة معه، فكان التجار الأويغور يتجولون كما يريدون في الصين، يأخذون لأموال ويبيعون بالأسعار التي يحددونه، فكانت خيولهم تستبدل بالحرير الصيني، وبقت الأمور على حالها إلى أن قتل الخاقان الأويغوري "موينجور" على يد وزيره وابن أخيه "باغاطارقان" في سنة 779م[2].

حكم "باغاطارقان" من سنة 779م إلى غاية 789م[3]، وكان يعرف عند الصينيين باسم "ألب قوتلوق""Ho Ko-tou-lou"[4]، وقد قتل هذا الأخير عمه من أجل إنهاء الحرب مع الصين وإعادة ربط علاقات طيبة معها، لذلك أرسل إليها السفراء[5].

وفي سنة 787م طلب الخان الأويغوري من الإمبراطور الصيني الزواج من إحدى أميراته، وفي سنة 788م بعث مع السفارة أخته لتؤكد الطلب، في نفس الوقت طلب الخاقان الأويغوري استبدال الإسم المطلق على شعبه من "هويخه"(Houei He) بلقب "هويخو"(Houei Hou)(أويغور)[6].

يبدو أنّ طلب القاغان قوبل بالرفض في المرة الأولى ثم أجيب في المرة الثانية تحت طائل من التهديدات، حيث قدم الإمبراطور الصيني اعتذاره وسارع إلى إرسال الهدايا التي

[1]- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.125.

[2]- Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.cit, p. 505. ؛ أنظر، يالماز أوزتونا: المرجع السابق ، ص ص، 25-26.

[3]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.21.

[4]- René GROUSSET ,op.cit p.169.

[5]- ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.7.

[6] - Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.cit, p. 500.

كانت بمثابة جزية يدفعها باستمرار[1]، ويخبرنا المؤرخ قروسي(GROUSSET): أن أباطرة تانغ الصينيين لم يجرؤا على رفض طلبات الحاكم الأويغوري ألب قوتلوغ(780-789م)، لأنه في أي لحظة كان قادرًا على تجييش الجيوش والإطاحة بعرشهم، ومن هنا لم يرفضوا عرض القاغان الأويغوري الزواج من أميرة صينية، وبذلك يكونوا قد حافضوا على ملكهم في الصين، وأمِنوا جانبهم من الأويغو[2]، وأسّسوا لعلاقات جديدة تمتاز بالتوازن والعدالة.

بعد موت الخاقان "باغاطارقان"، اعتلى عرش الدولة الأويغورية ابنه "كولوج بيلكه" من سنة 789م إلى790م[3]، في حين يري يالماز أن اسمه كان"تاراس كولوك بيلكه قاغان"[4]، ويعرف في المصادر الصينية باسم:"تانقريدا بولميش قولغو"[5]، قام هذا الأخير ببعض التحركات العسكرية ضد أتراك الشا- تو(الجول)[6]، اللذين دخلوا تحت التبعية الصينية وأصبحوا يحدثون القلاقل لدولته، وإستطاع تكبيدهم الهزيمة الساحقة في النهاية[7].

1- ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.7.

2- René GROUSSET ,op.cit p.169.

3- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.21.

4- يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص. 120.

5 - René GROUSSET ,op.cit p.169.

6- حكم الجول الذين أطلق الصينيون عليهم اسم "شا – تو" سبعة وعشرين عاما في الصين (923- 950م)، بقيادة ثلاثة أباطرة، وقد حل الشاتو الذين يكونون السلالة الثانية والعشرين الحاكمة في الصين محل سلالة هيو – ليامغ في الحكم، وقد كانت عاصمتهم تاي – يوان ولو – يانغ (923-936م)، وكاي – فونغ –بيان (936-950)، وينتسب الشاتو إلى سلاة الكوك تورك الإمبراطوية، فقد أصبح أمير الكوك تورك "لي – كو- يانغ" (حسب التلفظ الصيني) واليا عاما على شان – سي في عام 883 وتوفي عام 908م وعمره 55 عام، والإمبراطور الأول للشا- تو هو ابن هذا الأمير بالتبني، أما ابنه الحقيقي لي- تسون- ليو فقد توفي عام 925، وقد أعقب الإمبراطور الأول صهره، أما الإمبراطور الثالث للشا- تو فهو من أمراء الكوك تورك أيضا، وتعتقد المصادر الصينية أن قبيلة قيات المغولية التي كان منها جنكيزخان هي من أصل الشا- تو أي أنها من الكوك تورك. (أنظر، يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.194.)

7- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 7.

بعد وفاة "كولوج بيلكه" اعتلى العرش ابنه "قوتلوق بلكه"(790-795م)[1]، في حين ورد عند يالماز تحت اسم "أوجور قوتلوغ بيلكه قاغان"[2]، وقد تمكن هذا الأخير من ربط علاقات طيبة مع الصين، ولكنه لم يدم طويلا حيث توفي في سنة 795م[3]، ولم يكن له ولد ليخلفه على العرش، فإعتلى العرش وزيره قوتلوق قاغان(Kou tou lou)، وتم ترسيمه من قِبل البلاط الصيني، وعرف باسم: هوي سين قاغان(Houai Sin Kagan)[4].

ويعتبر عهد قوتلوق قاغان(795-805م) - المحبوب لدى الرعية - بحق عصر رفاهية وازدهار للأويغور[5]، فمباشرة بعد تسلمه السلطة قام بضم قبائل القارلوق بقوة السلاح إلى دولته، وتوسع على حساب طورفان وسيطر على مدنها، وبدخوله طورفان قطع علاقة القرغيز التجارية مع التبت، مما أدى بالأمر إلى نشوب الحرب بين القرغيز والأويغور، وتمكن قتلوق الأويغوري من هزيمة قاغان القرغيز، وقتله وشتت شعبه، وفي سنة 805م توفي قتلوق قاغان[6].

أريد التنويه هنا أنه في 25 فيفري من نفس السنة توفي الإمبراطور الصيني تسونغ(Tsoung) على عمر يناهز 64 سنة، وإعتلى العرش إبنه شون تسونغ(Chouen Tsoung)، ولكن هذا الأخير لم يدم في الحكم طويلا لأن المرض عجّل به، وتوفي في 11 فيفري سنة 806م على عمر يناهز 46 سنة[7].

---

[1] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.21.

[2] - يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.120.

[3] - ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.7.

[4] Henri CORDIER , op.cit, p. 500.

[5] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.21.

[6] - ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص ص، 7-8.

[7]- Henri CORDIER, op.cit, pp. 501-502. -

وما بين 805 و808م اعتلى عرش الأويغور "كواوج بيلكه"، الذي طور من نشاطه الاقتصادي، واستولى على معظم المدن التجارية المهمة في آسيا الوسطى[1]، ونجح في هزيمة التبتيين وطردهم من مدينة قوجه[2]، وفي نهاية سنة 806م حضر سفراء إلى الصين من أجل التفاهم على بعض الأمور الدينية، من بينها المذهب المانوي[3].

مر عهد "أي تانقريدا قوت بولميش ألب بيلكه قاغان"(Pi-Kia Pao-yi Kagan)(808-821م) في هدوء نسبي من الناحية السياسية الخارجية[4]، وفي عهده إستقر الأويغور في قرا بلاساغون بالضفة اليسرى لنهر أورخون، وقد طلب هو كذلك يد أميرة صينية، ولكن طلبه ضل معلقا، فجهز في سنة 813م جيشًا قوامه ثلاثة ألاف محارب وسار به إلى حدود الصين للضغط على الصينيين.[5]

حاول كبار رجال الدولة الصينية إقناع الإمبراطور بضرورة تلبية طلبه، درأ للمخاطر، خاصة أن المدن الصينية كانت تفتقد للحماية الكافية آنذاك، في المقابل طلب الإمبراطور من ثمانية من الرهبان المانويين بالتوسط له لدى القاغان الأويغوري لمنع هذه الزيجة، بحجة أن الزفاف سيكلف الخزينة الصينية أموال باهضة، وخاصة أنها كانت تمر بوقت عصيب على المستوى الإقتصادي، لكنهم فشلوا في تحقيق المهمة، وفي سنة 817م جدد القاغان الأويغوري طلبه، وفي النهاية أُرسلت الأميرة الصينية للقاغان الأويغوري مزينـــــــة

[1]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.21.

[2] - ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.8.

[3] - Henri CORDIER , op.cit, p. 503.

[4] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.21.

[5] Henri CORDIER , op.cit, p. 507 ; René GROUSSET ,op.cit pp.169-170

بالجواهر، ولم يبقى القاغان طويلا حتى توفي في سنة 821م[1].

إعتلى بعده "بولمش كوجلوك بلكه"(821-825م) العرش وهو الخاقان الذي كتب نقش "قره بلاساغون" الموجود في العاصمة، حيث نقش عليه عبارة:"كتب من طرف قاغان الأويغور التسع المسمى "نقي- تونغ- لي- لو كوم و- مي- شو هو بي-كي"(Ngai teng-li-lo Kou mo-miche p'i-k'ie)، ومعناها أي تانقريدا بولميش ألب بيلغا(Ai tangrida qut bulmys alp bilga)[2].

وكانت فترة حكمه موفقة نسبيا، بحيث صد التبتيين الذين شنوا هجمات قوية على الوطن الأم للأتراك، كما عين حاكماً جديدًا على رأس أقوام القارلوق المرتبطين بالخاقانية، وعمل على تطوير علاقته التجارية بمنطقة الصغد(أنظر الخريطة رقم:11)[3]، ولكن سرعان ما عادت الاضطرابات مرة أخرى للبلاد وقتل الخاقان في 832م[4].

ويعتقد هنري كوردي: أنّ هذا القاغان توفي قبل ذلك لأنه يذكر وفاة القاغان تشو-أونغ(Tch'oung) في سنة 824م، وخلفه على العرش أخوه بي-كي تشو-لي(Tchao-li/Ho-sa-te-lé)، الذي قتل في سنة 832م وإعتلى إبنه تشانغ سي(Tchang Sin/Hou-té-lé) العرش وحكم الدولة في أوقات حرجة، ولكن سرعان ما قتل إثر تمرد وزيره سنة 839م، ولم يستطع خليفته كو-سي-لو-لي(K'o-sié-lé-le) الحكم إلاّ سنة واحدة فقط حيث قتل في سنة 840م[5]، وهذا أقرب إلى الصحة في إعتقادي.

إعتلى العرش بعده "أوكه قاغان"839-845م[6](أعتقد أنه حكم من سنة 840م)، ويعتبر هذا الأخير من بين أخر حكام الأويغور في منطقة أورخون، لأنه بعده إغتنم القرغيز

---

[1] - Henri CORDIER, op.cit, p. 507.

[2] - Ibid, p. 507.

[3] - أنظر، خريطة رقم:11، ص. 392.

[4] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص ص، 21-22.

[5] - Henri CORDIER, op.cit, p. 507.

[6] - يالماز: المرجع السابق، 120.

المستوطنون في أعالي ينسي(أنظر، خريطة رقم:15)[1] نشوب ثورة أحد زعماء الأويغور على حاكمهم وشنوا حربا عليهم، في سنة 840م، ودمروا عاصمة الدولة "أوردوباليق"[2]، وخلعوا القاغان "أوكه" عن العرش ثم قتلوه بعد عامين[3]، وهكذا إنتهت الدولة الأويغورية في أورخون بمنغوليا.

يرجع سبب انهزام الأويغور على يد القرغيز في اعتقادي إلى عدة عوامل، من بينها:أن الفترة الممتدة بين(832م و840م) تعتبر من بين الفترات الصعبة التي مرت على تاريخ الأويغور، حيث سادتها الفتن والثورات الداخلية[4]، ساهمت في إنهاك قواهم العسكرية، وقد أعقبت هذه الفترة أمطار غزيرة عرفتها سنة 839م، أحدثت فيضانات عارمة وخسائر كبيرة في دولة الأويغور، ووجهت ضربة قاسمة للشعب الأويغوري على حد تعبير بعض المراجع[5]، هنا وجد القرغيز الفرصة سانحة للإطاحة بهم بعد ضعف قوتهم العسكرية.

والسبب الرئيسي لهجوم القرغيز على دولة الأويغور في اعتقادي يعود إلى تحالف الأويغور مع الصين، لأنّ هذه الأخيرة بالنسبة للقرغيز هي بلد سيدهم المكروه الذي يتوجب عليهم دفع الضرائب له، لذلك كانوا يمتعضون من تبني الأويغور الحضارة الصينية، ويتعجبون من عيش القاغان الأويغوري في الترف الصيني، فيقدم لضيوفه الشاي الصيني[6]، لذلك كانوا يمقتون ذلك التصرف من الأويغور، ويعتبرون أن قاغان القرغيز وحده هو البطل النموذجي الجدير بقيادة جميع قبائل الأتراك في آسيا الوسطى، لا حاكم الأويغور المترامي في أحضان الصين.

---

[1]- أنظر، خريطة رقم:15، ص. 393.

[2]- ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.8.

[3]- يالماز: المرجع السابق، ص.120.

[4]- ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص.8.

[5]- أركين أللبتكين: المرجع السابق، ص22.

[6]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص ص، 88-98.

وقد إزداد القرغيز حقدا على الأويغور إثر قيام حاكمهم "قوتلوق قاغان"(795-805م) بالتوسع على حساب طورفان، وسيطر على مدنها الغنية فقطع بذلك على القرغيز علاقتهم التجارية مع الجنوب، وأصبحت قوافلهم التجارية المتبادلة مع التبت تتعرض إلى غارات الأويغور، هذا ما أدى إلى نشوب الحرب بين الطرفين، وقد إستطاع الحاكم الأويغوري "قتلوق" من تكبيد قاغان القرغيز هزيمة قاسية ثم قتله وشتت شعبه[1].

لا شك أنّ هذه الحوادث جميعها زادت في تأجيج نار الكراهية والحقد لدي القيرغيز تجاه الأويغور، وأصبحوا يُعِّدُونَ العدة ويتحينون الفرصة للقضاء على دولتهم، فأصبحوا يحدثون الاضطرابات والقلاقل في منطقة يانسي منذ سنة 820م[2].

أعتقد أنّ القرغيز إستخدموا قضية ذوبان الأويغور في الحضارة الصينية كذريعة لشن الحرب على دولتهم وإسقاطها، من أجل السيطرة على تجارة وسط آسيا وتزعم القبائل التركية قاطبة، لأن القرغيز نفسهم كانوا واقعين تحت تأثير الروس، حيث تشير بعض الروايات التاريخية إلى أنّ: حاكم القرغيز "ماناس" كان تابع "للقيصر الأبيض" قيصر روسيا[3]، وهنا يمكن أقول أنه لا يستبعد أن تكون روسيا حليفة القرغيز قد تضررت هي الأخرى من تقويض الأويغور تجارة حلفاؤهم القرغيز في وسط آسيا، لذلك سعت إلى تدعيمهم للإطاحة بالحلف الأويغوري في تلك المنطقة المدعوم من طرف الصينيين.

ولا يستبعد أنّ القرغيز قد جعلوا أعين لهم داخل دولة الأويغور، ويثبت ذلك زحفهم بسرعة بحشود ضخمة تحت قيادة قاغانهم أو-جو(Ou-je/A-je) على بلاد الأويغور، فور نشوب ثورة كبيرة من طرف أحد زعماء هؤلاء في سنة 840م، وأحدثوا الرعب والهلع في نفوس الأويغور بجيشهم الذي بلغ عدده حوالي مائة ألف(100.000) مقاتل، ودحروا القوات الأويغورية بقيادة كو-سي-تي-لي(K’o-sié-té-le)، وسيطروا على العاصمة

[1]- ربيع حامد خليفة: المرجع السابق، ص ص، 7-8.

[2]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.22.

[3]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية: المرجع السابق، ص.28.

"أوردوباليق"، وأجبروا أمراء الأويغور على الهرب إلى أراضي حلفاؤهم القارلوق في الغرب بإقليم شانسي(Chan-Si)[1].

لقد كانت هذه الحرب وخيمة على الأويغور، فقد تعرضوا إلى إضطهدات كبيرة من طرف القرغيز، وبدؤوا يفكرون جديًا بترك منطقة أورخون ومنغولية والرحيل على شكل جماعات، تحت قيادة إخوان عائلة الخاقان[2]، والتوجه إلى منطقة تركستان حيث سيتم الإستقرار هناك.

تناولت في هذا الفصل أهم المعتقدات التي تبناها الأويغور قبل إسلامهم، كما أعطيت لمحة وجيزة عن تاريخهم السياسي، حيث انظموا إلى دولة الهون والتبغاج، ثم كونوا حلفا حاكما مع إمبراطورية "كوك تورك" التي حكمت في منطقة منغوليا، بعد ذلك إنفصلوا عنهم وأسسوا دولة خاصة بهم، وبعد إسقاطها من طرف قبائل أتراك القرغيز هاجروا إلى منطقة تركستان، وسوف يعيدون تأسيس دولة جديدة هنا، التي ستعرف باسم"الدولة القراخانية"، وهذا ما سأتطرق إليه في الفصل الثاني من البحث.

---

[1] Henri CORDIER, op.cit, pp. 513-515.

[2]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.22.

الفصل الثاني:

التفاعل السياسى للأويغور بعد اعتناقهم الإسلام.

المبحث الأول: تأسيسهم الدولة القراخانية.

المبحث الثاني: نظام الدولة.

المبحث الثالث: علاقة الدولة السياسية بالقوى المجاورة لها.

المبحث الأول: تأسيس الأويغور الدولة القراخانية.

تطرقت في المبحث الثالث من الفصل الأول إلى الكيفية التي أطاح بها الأتراك القرغيز مملكة الأويغور سنة 840م، وقد مارس هؤلاء تعسفات كبيرة على المهزومين، حتى إضطروهم إلى الرحيل عن منغوليا، والهجرة إلى موطنهم الأصلي تركستان.

أولا: هجرة الأويغور من منغوليا إلى تركستان:

المصادر الموجودة بين يداي لم تمدني بأي معلومات عن تلك الهجرة أو تاريخها، ويحدد الباحث الروسي بارتولد النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، حوالي سنة 860م لهجرتهم [1]، وفي اعتقدي أنّ هذه السنة غير صحيحة، لأنّ الفترة الممتدة بين سقوط مملكة الأويغور على يد القرغيز في سنة 840م، وهجرتهم إلى تركستان سنة 860م على حد قول بارتولد، تصل إلى عشرين(20) سنة وهي مدة طويلة في اعتقادي، لو بقى الأويغور كل هذه المدة في منغوليا يقاومون القرغيز لأدى ذلك إلى هلاكهم، وإلى إختفاءهم عن الساحة السياسة كليا.

ومما يعزز قولى هو إجماع عدد من الباحثين على أنّ تلك الهجرة بدأت في سنة 840م[2]، أما الباحثان: التركي أركين ألبتكين وروني قروسي(René GROUSSET)، فلهما رأي أخر، حيث يريا: أن هجرتهم كانت في سنة 841م[3]، في الحقيقة أنّ اهجرة بدأت في نفس السنة التي أطيح بدولتهم سنة 840م ودامت سنوات عديدة إلى غاية سنة 848م السنة التي قُتل فيها فوهي تكين، وسوف أوضح ذلك في الأسطر القادمة، رغم أن المعلومات متضاربة والسنوات مختلفة.

---

[1]- بارتولد: تاريخ الترك...، المرجع السابق، ص.63.

[2]- أنظر، Henri CORDIER , op.cit, p. 515؛ أنظر، يالماز أوزتونا: المرجع السابق، ص.261؛ أنظر، عبد العزيز جنكيزخان: المرجع السابق، ص. 32؛ أنظر، نوراك تشادويك وفيكتور جيرمونسكي: المرجع السابق، ص.13؛ كارل بروكلمان: المرجع السابق.

[3]- أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص. 22.

ترأس هجرة الأويغور إخوة من عائلة الخاقان المقتول[1]، ويذكر الباحث الصيني "لي تانغ"، أن: "فوهي تكين" هو من قاد رحلة الهجرة، حيث عَبر بهم صحراء منغوليا الوعرة حتى وصل بهم إلى تركستان، بعدها انقسموا إلى ثلاث مجموعات رئيسية، ذهبت كل واحدة في اتجاه مختلف[2]، وأنا لا أعتقد ذلك لأن فوهي تكين سوف يتبع طريق أخر كما سأبينه بعد قليل.

ويقول "ماري لو" و"قريقوري بلايس": أن الأويغور بعد هزيمتهم إنقسموا إلى قسمين: **القسم الأول:** إستقروا في الجهة الغربية لتركستان، بالقرب من إسيك – كول(l'issk kul) وكاشغر(Kashgarie) في وسط آسيا، وأسسوا الدول القراخانية، أما **القسم الثاني:** فإستقروا في الجهة الشمالية لحوض تاريم في منطقة تورفان(Turfan)، وأسسوا مملكة كوتشو(Qocho)[3].

في حين يقول هنري كوغدي: أنّ الأويغور بعد إنهزامهم على يد القوات القرغيزية، فروا إلى حدود توندوق في شانسي(Chan-si) وإختفوا عن الأنظار، ثم رحلوا إلى الجنوب والجنوب الغربي نحو كراشهر وتورفان، وأصبحوا يعرفون لدى إمبراطورية تانغ الصينية، بثلاثة أسماء رئيسية هي: خيوهو(Kiao Ho)، هو تشو(Ho Tcheou)، سي تشو(Si Tcheou)، حيث إحتكوا في الجهة الغربية بقبائل القارلوق والتبت، في حين بقى ثلاثة عشر قطيع منهم وحيدون في أراضي التتار، بالقرب من حـــدود

[1] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص. 22.

[2] - Li TANG Paper Series: A History of Uighue Religious Conversions(5th- 16th Centuries) , Asia :Research Institute working, No.44, National University of Singapore, June 2005, p.10.

[3] - MARIE-LOU GREGOIRE-BLAIS : Crise identitaire au sein de communaté ouigouer de la région autonome xinjing, Mémoire, Université du québec a montréal, Décembre, 2006, p.28.

شانسي(Chan Si)[1].

ويمكن تحديد هجرة كل قافلة كما يلي:

أتجهت القافلة الأولى، المقدرة بحوالي ثمانمائة ألف(800.000 ألف) شخص إلى إقليم قانصو الغربي(Kan Sou)[2]،(أنظر الخريطة رقم:16)[3] الموجود بالقرب من كانتشو(Kan-tcheou)[4]، وقد كان الوطن القديم لهم، وصلوه بين سنة 860 و866م، وبقوا هناك إلى سنة 1028م.[5]

هاجرت القافلة الثانية، الرئيسية الأكثر عددا إلى مناطق بش باليق(Bechbaligh)(أورمجي حاليا)، وكوجار(Kou-tch'eng)، وأقصو(Khotcho)، بالغرب من طورفان(Tourfan)، حيث استقروا في شمال منطقة تاريم وتركستان الشرقية التي وصلوها سنة 843م[6]، وحسب "لي تانغ" فان هذه المجموعة كانت تضم خمسة عشر(15) عشيرة، اتخذت من هضبة بامير[7](أنظر الخريطة رقم:16)[8] مكانا لاستقرارها[9].

---

1 - Henri CORDIER, op.cit, pp. 513-515.

2 - تقع مقاطعة قان صو الصينية شرق تركستان الشرقية. (أنظر، يالماز: المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص. 30.)

3 - أنظر، خريطة رقم: 16، ص. 394.

4 - Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.cit, p. 515.

5 - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.22؛ أنظر، .René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES, op.cit,p. 172.

6 - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.22؛ أنظر، Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.st, p. 515؛ أنظر، .René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.cit,p. 172.

7 - تقع البامير إلى الجنوب الغربي من تيان شان، وتؤلف هضبة مستطيلة بالغة الارتفاع، وتلتقي عنده أضخم السلاسل الجبلية في آسيا الوسطى، وتتألف من أحواض فسيحة مستوية، ترتفع عن سطح البحر نحو 1200 قدم، وتنحدر انحدارا نحو الغرب، وتفصل بينها تلال واراضى جبلية، يتراوح ارتفاعها عن الأحواض بين ألفين وأربعة آلاف من الأقدام. (أنظر، الباز العريني، المغول، المرجع السابق، ص.06.).

8 - أنظر، خريطة رقم:16، ص. 395.

9 -Li TANG, op.cit,p.10.

في حين يري هنري كوغدي: أنهم هم "التوغوز-أوغوز"، أي التسع قبائل المتحدة، الذين كانوا يُكونون دولة الأويغور في أورخون، والذين كانوا يعرفون لدى الصينيون بالأسماء التالية: يو-لو-كو(Yo-lo-ko)، هو-تو-كو(Hou-tou-ko)، كيو-لو-يو(Kiu-lo-wou)، مو-كو-سي-كي(Me-ko-si-ki)، أ-يو-تي، كو-سا(A-wou-ti)، هو-يو-سو(Hou-wou-so)، وو-يو-كو(Yo-wou-ko)، هي-سي-يو(Hi-sié-wou)[1].

أما القافلة الثالثة، الأقل عددا فقد هاجرت إلى منطقة يدى صو، وكاشغر، وياركند، وخوتان[2]، واحتلوا معظم مدن حوض تاريم[3] الشهير[4].(أنظر، الخريطة رقم:16)[5].

كان على رأس القافلة الأولى: التي استوطنت منطقة قانصو "فوهي تكين"(841-845م)، الذي اختير خاقانا خلال الهجرة[6]، ويطلق المؤرخ التركي يالماز عليهم اسم:"الأويغور الصفر"، وقد كونوا مملكة دامت 168 سنة، ووقعوا تحت السيطرة الصينية[7].

بعد إنهزام الأويغور على يد القرغيز عُين فوهي كين(Wou Kiai) قاغان عليهم، في هذه الأثناء قام القرغيز برد الأميرة الصينية تاي-هو(T'ai Houo) التي تزوجها الخاقان الأويغوري في سنة 821م إليهم، من أجل تحسين العلاقة معهم، وفي الطريق تمكن "فوهي تكين" من إختراق الحرس المرافق للأميرة واستولى عليها، وطلب من الإمبراطور الصيني

---

[1] - Henri CORDIER : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, op.cit, p. 515.

[2] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.22؛ René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.cit,p. 172.

[3] - يقع حوض تاريم البيضاوي الشكل في جنوب تركستان الشرقية، ويجري فيه نهر تاريم، الذي ينبع روافده من جبال قراقورم والاى، وينحدر إلى صحراء تكلا مكان البالغ مساحته 324.000 كلم 2، حيث يصب في بحيرة لوب نور، التي يبلغ إرتفاعها 760 مترا عن سطح البحر، ويقع في هذا الحوض كذلك منخفض تورفان، الذي ينخفض عن مستوى سطح البحر بـ 278 مترا، وهو اخفض بقعة في آسيا، ويتم ري فيه بنوع من القنوات المائية، التي تجري تحت الأرض ونسمى كاريز، وحوض تاريم جاف وقليل الأمطار، إذ يصل متوسط سقوط المطر فيه إلى 70 مم سنويا. (أنظر، رحمة الله أحمد رحمتي:التهجير الصيني في تركستان الشرقية، المرجع السابق، ص.15.)

[4] -Li TANG, op.cit,p.11.

[5] - أنظر، خريطة رقم:16، ص. 394.

[6] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.22.

[7] - يالماز: المرجع السابق، ص ص، 124-126.

مساعدته، بإرسال قوات للقضاء على زعيم القرغيز"تين تو"(T'ien Te)، ولكن في سنة 843م قام الجنرال "ليو مان" من تتبع فوهي تكين، الذي هرب بالأميرة الصينية تاي-هو(T'ai Houo)، ثم قام ثلاثة أمراء من الشاتو(Cha T'o) وإسترجاع الأميرة، وبقي "فوهي تكين" يقاوم إلى أن قتل بالقرب من الألتاي(l'Altai) في سنة 846 من قبل وزيره، وعين بداله أخوه فوهي ني(Wou Nié)[1].

كان الأويغور الذين استوطنوا مدينة لانجو (أو غانجو) مركز إقليم "قان صو" مختلفين عن أتراك البراري، فهم لم يتبنوا مبدأ توسيع نفوذهم في المنطقة بل عملوا على تعزيز مبدأ الاستقرار، وربطوا علاقات صداقة وتجارة مع جيرانهم، وعلى رأسهم الإمبراطورية الصينية، وحرصوا على عدم الدخول في صراعات معهم، وبهذه السياسة أسسوا دولة أويغورية جديدة، عرفت باسم دولة "أويغور لانجو"[2]، وقد تخلت هذه المجموعة عن المعتقد المانوي وتبنت المعتقد البوذي المحلي[3].

وطد أويغور: "لان جو" أو "الأويغور الصفر" علاقاتهم بالصين، وركزوا على النشاط الاقتصادي فقد أسسوا لعلاقات تجارية قوية معهم، أما من الناحية السياسية فقد أراد أحد القادة العسكريين لمنطقة "طونج هوانج" الصينية البوذية، التمرد على أسرة تانغ الحاكمة في سنة 905م، وحاول عبثا أن يجبر "الأويغور الصفر" الدخول تحت طاعة مملكته الجديدة، المعروفة بآلتين داغ "الجبل الذهبي"، ولكن هؤلاء رفضوا الانصياع له، وأرسلوا جيشا قويا حاصروا به "طونج هوانج" وقبضوا عليه[4]، ومن تلك الحادثة اكتسب الأويغور الصفر استقلالهم.

يتبين من رحلة السفير الأويغوري إلى الصين، سنة 911م: أن نفـوذ "الأويغـــــــــور

---

1 Henri CORDIER , op.cit, pp. 514-515.

2 - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.23.

3 - René GROUSSET , op.cit,p. 173.

4 - أركين ألبتكين: المرجع السابق ، ص.29.

الصفر" قد أزداد في المنطقة بعد هذا الانتصار، وتوطدت علاقتهم مع الصين، حيث قام حاكم الأويغور "جن مى"، الملقب بالشجاع البطل، من استقبال بكل حفاوة حاكم الشاتو التركي مؤسس أسرة تانغ(923-936م)(أنظر، الخريطة رقم:14)[1] الصينية المتأخرة، أما في عهد مؤسس الأسرة الحاكمة الثالثة للشاتو(937-946م)، أرسل خان الأويغور الصفر "جن مى" أخوه آلتون سفيرا إلى البلاط الصيني[2].

وبعد "جن مى" تمكن أخوه الأصغر تكين(923-926م) ومن بعده أخواه "أردوق"/"المختار" و"جن يو"، من إرسال كل من "آيا" و"كون" و"بارس" سفراء إلى الصين، أما في عهد أسرة تانج المتأخرة(947-957م) أو جوو المتأخرة(951-960م)، فقد كثرت السفرات والوفود بين الطرفين، سواء من دولة الأويغور لانجو(الأويغور الصفر) أو من طرف أويغور الغرب[3]، وقد كانت هذه الزيارات المكثفة تهدف إلى تطوير العلاقات التجارية بين الطرفين، وإذا كان أويغور قانصو لم يظهروا قدرات عسكرية كبيرة، فإن الصين كانت دائما تخشاهم وتعمل على إبقائهم تحت رقابتها.

بقى الأويغور الصفر في تلك المنطقة إلى أن غزى قوم من التبت يعرفون بالتانغوت تلك البلاد، فدخلوا تحت نفوذهم ابتداء من سنة 1028م، وبعد ذلك وقعوا تحت نفوذ المغول بقيادة جنكيزخان سنة 1226م[4].

أما فيما يخص القافلة الثالثة: التي هاجرت إلى منطقة تورفان، فقد قاموا بغزو التبتيين واحتلوا معظم المدن الموجودة في حوض تاريم، مثل: يدى صو، وكاشغر، وياركند وخوتان،(أنظر، الخريطة رقم:16)[5] وكانت السجلات التاريخية تذكرهم باسم أويغور

---

[1]- أنظر، خريطة رقم: 14، ص. 392.

[2] - أركين ألبتكين: المرجع السابق ، ص.30.

[3] - نفسه.

[4] - René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.cit,p. 173. ؛ أنظر، أنظر- بارتولد: تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.63؛ يالماز: المرجع السابق، ص. 126.

[5] - أنظر، خريطة رقم:16، ص. 394.

"كوتشو/Qočo"، استمروا في التواجد إلى غاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على عهد المغول[1]، وكان معظمهم يعتنق البوذية، وقد طوروا ما يسمى فيما بعد التركستان الصينية(Turkestan Chinois)، وربطوا علاقات طيبة مع أسرة تانغ(618-907م) وأسرة سونغ(960-1279م) في الصين، وكانت عاصمتهم خوجو(Khotcho) بالقرب من تورفان[2]، وأعتقد أنهم هم الأويغور الإيديقوت، الذين تعاونوا مع جنكيزخان، وسأشير إليهم فيما بعد عندما أتكلم عن غزو المغول للتركستان.

أما فيما يخص القافلة الثانية: التي توجهت إلى تركستان الشرقية، وكانت تضم أغلبية الأويغور - كما بينت سابقا - ، فقد كان "نوكي تكينى" أخو فوهي تكين على رأسها[3]، ويقول المؤرخ "لي تانغ": أنها كانت تضم خمسة عشر عشيرة، استقروا بالقرب من هضبة بامير، وانضموا إلى الأتراك القارلوق[4]، وأصبحوا يعرفون بأويغور تورفان أو بلأويغور الغربيون أو الأويغور البامير الغربيون،(أنظر، الخريطة رقم:15)[5] ثم أسسوا فيما بعد الدولة القراخانية[6].

كان التبتيون يحدون هذه المملكة من الجهة الجنوبية، والقارلوق من الجهة الغربية، واكتفت هذه المملكة بالدفاع عن مناطقها والمدن الرئيسية التي استوطنوها،

---

[1] - Li TANG, op.cit,p.11.

[2] - Louis Bazin : Les peuples turcs et mongols de la steppe : le nomadisme pastoral, HISTOIRE DE L'HUMANITE , Volume IV, Editions UNESCO,Paris, 2008,p.1102.

[3] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص.31.

[4] - القارلوق: ينتمي القارلوق إلى سلالة أبناء أجينا، العائلة التي أنجبت السلالة الحاكمة للدولة التركية الكبرى، وكانوا يعيشون على ساحل جو وغرب بحيرة ايصيق، وكانت جماعات منهم تعيش في تركستان الشرقية وما وراء النهر، وقد إعتنقوا الإسلام في فترت حكم القاراخانيين، وكان ملوكهم يحملون لقب (يابكو)، وقد عاش هؤلاء فترتهما الذهبية بين عام 766-840، وأصبحت بالاساكون الواقعة على الساحل الشمالي لنهر جو مركزا ثقافيا هاما، وقد كان القارلوق الذين يسميهم الصينيون (كو – لو – لو) ويسميهم العرب قارلوخ أو خارلوخ في تارا باكاتي مابين بحيرة سايسان وبحيرة آلا قديما، ونزحوا إلى الجنوب والجنوب الشرقي بمرور الزمن، وقد حارب القارلوق إلى جانب العرب في معركة تالاس عام 751م، والتي كانت من نتيجتها طرد الصينيين من آسيا الوسطى(أنظر، يالماز أوزتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص.131.).

[5] - أنظر، خريطة رقم:15، ص. 395.

[6] - Louis Bazin , op.cit, p.1102 ; MARIE-LOU GREGOIRE-BLAIS, op.cit, p.28.

مثل:بش باليق(أورمجي حاليا)، وطورفان، وكوجار، وأقصو، وكاشغر، وخوتان، كما إستطاعوا تكوين إتحاد سياسي حموا به أنفسهم ومصالحهم، مع كل من: القارلوق، وقبائل تركية أخرى ذات أصل قارلوقي، ومع الأويغور المنتقلين إلى منطقة "يدي صو"، ثم بعد ذلك أسسوا الدولة القراخانية[1]، التي هي محور بحثى وسأتوسع في ذكرها في الأسطر الآتية.

ما يلفت الإنتباه هنا أنّ أويغور "باش باليق" قد تطوروا كثيرا مقارنة بالقبائل التركية الأخرى، وإستمروا في تبني الثقافة الكوتشانية، والبوذية والمانوية والنسطورية، مع العلم أنّ المانوية قد تلاشت بسرعة، وبقت بينهم إما البوذية أو النسطورية، وقد عملوا كذلك على تتريك المدن هناك، وقد نتج عن إختلاط هؤلاء مع الأقوام الأخرى إلى تكوين شعب متعدد الثقافات واللغات، حيث أخذو بالثقافة التركية والثقافة الإسلامية معا، حتى أصبحوا ينعتون بـ"أساتذة الحضارة" في آسيا الوسطى[2].

ثانيا: أصل القبيلة التركية المؤسسة للدولة القراخانية.

أطلقت المصادر والمراجع التاريخية على الدولة القراخانية عدة أسماء، فتارة كانت تذكرها باسم دولة"أل أفراسياب"، وتارة أخرى بدولة خاقانات تركستان، وأطلق عليها المؤرخ المعاصر لها محمود الكاشغري اسم الدولة الخاقانية، كما سميت بالدولة الخانية أو القراخانية، وذَكرتها المؤلفات التركية باسم الدولة الأويغورية، أما الأوربيون فسموها الدولة الإليكانية، وهذا الاسم الأخير لم يكن صحيحا في رأي المؤرخ بارتولد، وأنا أشاطره الرأي، لأن استعمال لقب(ايليك) مع لقب(خان) كان نادرا في الدولة القراخانية، وإن كان قد ورد في بعض الأحيان، بالإضافة إلى أن كلمة(ايليك) لم تكن تطلق على كل خانات تلك الدولة[3].

يوجد فرق كبير بين كلمة قاراخان وإليلك خان، فبعدما قويت الدولة القاراخانية واتسعت رقعتها، أنشأت لها مركزين: المركز الأساسي في مدينة كاشغر، به مقر حكم القراخان الأكبر منه يدير البلاد والخانيات الموجودة في دولته، والمركز الثاني في مدينة بالاساغون، يقيم فيه

---

[1] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص31؛ أنظر، Li TANG, op.cit,p.43.

[2] - René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.st,p. 173.

[3] - بارتولد: تاريخ الترك....، المرجع السابق، ص.90.

أحد أمراء الدولة القراخانية يسمى"تكين"، بصفته نائبًا عن القاراخان، وواليًا عامًا يملك صلاحيات غير عادية، حيث يحكم ويدير الخانيات(الإمارات) التي في شمال تنغري تاغ(تيانشان)، ويقال لهذا الوالي العام "إليك خان"، وكان للدولة عدة إيلك خانيون: إليك خانيين في الغرب، يحكمون تركستان الغربية (بلاد ما وراء النهر)، وإليك خانيين الشمال وعاصمتهم مدينة بالاساغون، وأول من اتصف بلقب"إليك خان" الغرب هو "علي تكين خان" الذي أسقط الدولة السامانية[1]، وأول من لقب بـ"إلك - خان" هما سليمان وموسى ابنا ساتوق بوغراخان[2]. من هنا كان لقب "إيليك خان" يطلق على الأمراء المحليين التابعين للدولة القراخلنية.

أنا أفضل استعمال اسم الدولة الأويغورية أو القراخانية للإشارة إلى هذه الدولة، والكلمة الأخيرة مقسمة إلى جزأين، هما: "قرا" و"خان"، فالجزء الأول حسب محمود الكاشغري معناه "الأسود"، وبه يسمى ملوك الخاقانية، فيقال:"بغرا قراخاقان"[3]، ويحمل مصطلح الأسود عدة معاني هي: "العظيم"، "الأعلى"، "الشعب"[4]، أما الجزء الثاني من الكلمة وهو "خان" فمعناها: الملك الأعظم عند الأتراك، وقد تسمى به من كان من بني افراسياب(يعني بهم الأويغور) وهو الخاقان[5]، وبالتالي، إنّ كلمة "قراخان" كانت تعني"الخان العظيم" أو "الخان الأعلى" أو "خان الشعب"[6].

قبل الإشارة إلى كيفية تَأْسِيْس هذه الدولة، سأحاول التطرق إلى قضية مهمة اختلف حولها معظم الباحثون في تاريخ آسيا الوسطى، تتعلق بأصل القراخانيين، فجلهم يتفقون على إرجاعهم في الأصل إلى القبائل التركية، ولكنهم يختلفون إلى أي القبائل ينتسبون، وسأحاول إجلاء هذا الإشكال بالرجوع إلى المصادر والمراجع المتوفرة بين يداي.

---

[1] - محمد أمين بوغرا: تاريخ تركستان شرقية، تر، محمد قاسم أمين، دار تكلماكان الأويغورى، إستنبول، 2005م، ص ص، 107-108.

[2] - العرب والإسلام في أوزبكستان: المرجع السابق، ص.110.

[3] - محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.3، ص167؛ سعاد الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.29.

[4] - العرب والإسلام في أوزبكستان: المرجع السابق، ص.110.

[5] - محمود الكاشغري: المصدر السابق، مج.3، ص.117.

[6] - العرب والإسلام في أوزبكستان: المرجع السابق، ص110.

لم تذكر المصادر التاريخية خاصة العربية منها أي شيء عن أصل القراخانيين، واكتفت البعض منها بالإشارة إلى أول من أسلم من خاناتهم، ويلخص لنا المؤرخ رزق الله منقريوس الصيرفي الأمر، قائلا: "هذه الدولة عريقة في القدم ولا يعرف كيف ابتدأت ولم يعرف أحوالها إلا بعد إسلام ملكها عبد الكريم سبق"[1].

في حين نقل الباحثان الأوزباكيان: بوريبوي أحمدوف وزاهد الله منوروف أراء مجموعة من العلماء المستشرقين عن أصل الدولة القراخانية، حيث يري كل من "غريغوريف" و"اريستشرقين" و"كلاشتورني" و"غريونارد"، أنّ: القراخانيين هم من سلالة القارلوق، ويشاطرهم في الرأي المؤرخان "بريتساك" و"كارايف"، الذين أجريا دراسة خاصة حول هذه المسألة، فيقولان: أنّ هؤلاء ينتسبون إلى قبيلتي "تشيغيل" و"ياغما"، المنتميتن في أصلهما إلى قبائل القارلوق و"التوكوز- أوغوز"، ويشاطرهما الرأي محمد فؤاد كوبريوليو- زاده وفان قروسي(René GROUSSET)[2]. والقارلوق والياغما والتشيغل هم أويغور.

أنا أعتقد أنّ هذه النظرية بعيدة عن الصواب، لأن المؤرخ الروسي بارتولد المتخصص في تاريخ آسيا الوسطى له رأي أخر، حيث يستنتج من انتصار التغزغز(الأويغور) على القارلوق، وكذا احتلال قبيلة الياغما المنتمية إلى إحدى فروع التغزغز لمدينة كاشغر، ثم إنتزاعهم مدينة بلاساغون من حوزة الأتراك القارلوق الوثنيين، أن القراخانيين كانوا على رأس التغزغز الذين قضوا على دولة القارلوق[3]، وفي مؤلف أخر يقول: بما أن الدولة القراخانية كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بمدينة كاشغر، فيمكن الاستنتاج أن القراخانيين ينتمون إلى الشعب الذي كان يسكن كاشغر، أي أنهم ينتمون إلى ياغما التي تنتمي بدورها إلى الأويغور[4]. وقد وافقت البروفيسورة العراقية سعاد الطـــــــــــــــــــــائي

---

[1] - رزق الله منقريوس الصيرفي: تاريخ دول الإسلام، مج.2، مطبعة الهلال، مصر، 1325هـ/1907م، ص.37.

[2] - العرب والإسلام في أوزبكستان.: المرجع السابق، ص.109؛ أنظر، René GROUSSET : L’EMPIRE DES STEPPES , op.cit,p. 195.

[3] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.388.

[4] - نفسه، ص.91

نفس رأي هذا الأخير[1].

ويذهب كل من أرمينيوس فامبري والباحث السعودي مسفر الغامدي إلى نفس ما ذهب إليه بارتولد، حيث يقولان: أنّ الأويغور هم من أسس دولة القراخانيين[2]، ويرى"لي تانغ" أنّ المجموعة الأولى من الأويغور المتكونة من خمسة عشر قبيلة، التي هاجرت من منغوليا بعد طردهم من قبل القرغيز سنة 840م، استقروا على الضفة الجنوبية لنهر تشو، هم من أسّس الدولة القراخانية[3]، كل هذه الدلائل تشير إلى أن الأويغور هم من أسس الدولة القراخانية.

وللمؤرخين الترك نفس الرأي القائل بأن القراخانيين أصلهم أويغور، حيث يرى الباحث"أركين ألبتكين"، أن: "بوقاخان" المؤسس الأول للدولة القراخانية يعود في أصله إلى أتراك الأويغور، ويلخص لنا هذا الأخير أراء المؤرخين الأتراك في هذا الأمر، حيث يذكر: المؤرخ رضا نور، أنّ الأسرة الحاكمة التي شكلت الدولة القرخانية تعود في أصها إلى الأويغور، ويؤيده في الرأي "فان غابين"(Von Gabain)، صاحب الكلمة في الموضوع، ويدلل بأن ألقابًا مثل: "قرا" و"بوغرا" تُصَادف بغزارة بين الطبقة الأرستقراطية من أتراك الأويغور[4]، أما عميد المؤرخين الأتراك أوقطاي آصلان آبا، فيقول: أنّ الأسرة المؤسسة لدولة القراخانية، أطلقوا على أنفسهم اسم خانات التركستان الأويغور قبل اعتناقهم الإسلام، أو خانات الايليك وآل افرسياب، وأنهم كانوا من طبقة الأويغور الأرستقراطية[5].

أما المؤرخ الأويغوري محمد أمين بوغرا فيرى نفس الرأي، حيث يقول: أن الدولة القراخانية أسسها الأويغور، ولكن يختلف إلى أي الأويغور ينتمون هل إلى أويغور الشـــرق أم

[1]- سعاد هادي حسن إرحام الطائي: القراخانيون دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية(315-607هـ/927-2010م)، دار صفحات، دمشق، 2016م، ص.25.

[2] – أرمينيوس فامبري، تاريخ بخارى..، المرجع السابق، ص.120؛ مسفر بن سالم الغامدي: المرجع السابق، ص.242.

[3] - Li TANG, op.cit,p.43.

[4] - أركين ألبتكين: المرجع السابق، ص ص، 32-33.

[5] - اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.10.

إلى أويغور يارليقا[1].

يؤكد الباحث التركي بولات تورفاني كذلك: أنّ الدولة القراخانية أسسها الأويغور بعدما كَوَّنُوا إتحاد مؤلف من القبائل التركية الأخرى، على رأسهم: القارلوق، وتوركش، والياغما، وسائر القبائل التركية الآخرى، وإتخذوا من مدينة كاشغر عاصمة لهم[2]، وهذه النظرية الأخيرة هي الأصوب في إعتقادي، لأن الأويغور كانوا معروفين بالتعاون مع القبائل الأخرى، وتكوين إتحاد قوي للعيش بسلام في آسيا الوسطى، فمصطلح الأويغور يعني الإتحاد.

من هنا أقول أنّ الأتراك المؤسسين للدولة القراخانية في بلاد تركستان يعودون في أصلهم إلى فرع من فروع الأويغور، وكانت هذه الدولة أول دولة اعتنقت الدين الإسلامي من بين الدول التركية قاطبة، وسيكون لها الفضل في تحويل القبائل التركية القاطنة في آسيا الوسطى إلى الإسلام، وسأحاول ذكر ذلك في الفصول القادمة من البحث.

ثالثا: الأويغور يؤسسون الدولة القراخانية.

يعتبر القراخانيون(أنظر، الجدول رقم:01)[3] أول من أسس دولة تركية إسلامية في بلاد تركستان الشرقية، ومن الصعب تحديد السنة بالضبط التي أسس فيها هؤلاء دولتهم، فالمصادر التاريخية المعاصرة لها لم تمدنا بأي معلومات عن هذه النقطة، فلا الكرديزي الذي توفي سنة 443هـ/901م، وعاش في عهد السلطان محمود الغزنوي، تطرق إلى تاريخ تأسيس الدولة القراخانية، ولا النرشخي، المتوفى سنة 348هـ/909م الذي أعطانا معلومات وافية عن الدولة السامانية المعاصرة للدولة القراخانية، ولا محمود الكاشغري الذي كان معاصرًا لهذه الدولة، وألف كتابه: "ديوان لغات الترك" في سنة 466هـ/924م، ولم يشر إلى ذلك البيهقى الذي توفي في سنة 470هـ/928م وكان يتقلد منصب رئيس الرسائل في الدولة الغزنوية، على عهد السلطان مسعود الغزنوي.

---

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.97.

[2] - بولات تورفاني: تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، المرجع السابق، ص.22.

[3] - أنظر، جدول رقم:01، ص. 431.

في المقابل يلخص لنا كل من المؤرخان: رزق الله منقريوس الصيرفي وابن خلدون الأمر، حيث يقول الأول: أن "هذه الدولة عريقة في القدم ولا يُعرف كيف ابتدأت ولم يُعرف أحوالها إلاّ بعد إسلام ملكها عبد الكريم سبق وتسمى بـ(عبد الملك)"[1]، ويقول الثاني:"كان هؤلاء الترك ملوك تركستان، ولا أدري أولية أمرهم بها، إلاّ أنّ أول من أسلم منهم "سبق قراخان"، وتسمى عبد الملك"[2]، من هنا عجز كلا المؤرخين عن معرفة تاريخ تأسيس هذه الدولة قبل إعتناقها الإسلام، وربما يعود ذلك إلى بُعد هذه الدولة في أقصى الشرق.

بِغَض النضر عن ذلك فجل المصادر والمراجع التي إعتمدت عليها تجمع، أنّ: ستوق بوغرخان(أنظر، الصورة رقم:08)[3] هو أوّل من أسّس الدولة القراخانية المسلمة، وأريد أنّ أنوه هنا أنّه لا يمكننا جعل السنة التي أسلم فيها ستوق هي السنة التي تأسست فيها الدولة القراخانية الأويغورية في تركستان، وذلك لعدة أسباب.

1- لآن الفترة الممتدة بين انتقال الأويغور إلى منطقة تركستان سنة 840م وبين إسلام ستوق بوغرخان حوالي النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، هي فترة طويلة تتجاوز مئة سنة، ولا شك أن الدولة حكمها عدد من القراخانات الأويغور في هذه الفترة، وما يعزز هذه الفرضية أن المؤرخ التركي يالماز، يقول أنّ:"بانجور قادرخان" حكم الدولة مدة أربعين سنة، وإمتد حكمه من 845 إلى 885م، ثم جاء بعده "تافغاج" أو"غولجاق قادرطان" وحكم مدة خمس وخمسين سنة، امتدت من سنة 885م إلى سنة 940م، وبعد هذه السنة انتقل تاج الحكم إلى سلالة القراخانيين المعتنقين للدين الإسلامي[4]، وبذلك تبدأ المرحلة الثانية الكبرى للتاريخ التركي الأويغوري، ومن هنا أقول أن ستوق لم يكن هو أول حاكم للدولة القراخانية في منطقة تركستان.

---

[1] - رزق الله منقوريوس الصيرفي: المصدر السابق، ج.2، ص.37.

[2] - ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري، القاهرة + دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، ج.4، ص.512.

[3] - أنظر، الصورة رقم:08، ص. 409.

[4] - يالماز: المرجع السابق، ص.121.

2- ينقل الباحثان الأوزباكيان: بوريبوي أحمدوف وزاهد الله منوروف رأي الأستاذ بريتساك، القائل: أنّه قبل ساتوق بوغراخان حكم البلاد والده "أرسلان – خان بازير" وعمه "قادر– خان أغولتشاك"، وكان الأول هو الحاكم الأعلى ومقره مدينة "بلاساغون"[1]، أمّا الثاني فكان في مدينة "تاراز"[2] بصفته مساعد أو مشارك له في الحكم، وكان هذا الأخير معاصر للملك الساماني"إسماعيل بن أحمد"(892-907م)، وقد احتل هذا الأخير في سنة 893م مدينة تاراز، وأسر زوجة قادر – خان و15000 ألف من جنوده، فنقل هذا الأخير عاصمته من تاراز إلى مدينة كاشغر[3]، هذا الأمر دليل على أنه كان هناك حكام للدولة القراخانية قبل ستوق، ومن هنا لا يمكننا جعل سنة حكم هذا الأخير هي السنة التي تأسس فيها عرش القراخانيين.

مما يُدَعِم هذا القول هو ما نقله المؤرخ محمد أمين بوغرا والباحث "حبيب أوغلو" في سياق حديثهما عن كيفية إسلام ستوق بوغراخان، حيث يتفقان: أنّه بعد وفاة والد هذا الأخير سنة 302هـ، ونظرا لصغر سنه نُصب عمه"ايسن بغراخان" ملكا على الدولة، وعُين ستوق وليا للعهد، وأراد عمه تنحيته عن ولاية العهد وأخذ البيعة لابنه، ولكنه فشل في الأمر[4]، من هنا نستنتج أنّ ستوق بوغراخان لم يكن هو الحاكم الأول للدولة القراخانية، بل كان هناك من سبقه في الأمر، في الحين يمكننا القول أن ستوق هو المؤسس الأول للدولة القراخانية المسلمة.

[1] - بَلاَسَاغُون: بفتح الباء الموحدة والسين المهملة بين اللام الف والألف وضم الغين المعجمة وفي آخرها النون، وهي بلدة من ثغور الترك وراء نهر سيحون قريبة من مدينة كاشغر. (أنظر، السمعاني، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ج.2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1400هـ/1980م، ص.351.).

[2] - طَرَاز: مديمة جليلة حصينة كثيرة البساتين مشبكة العمارة، لها خندق وأربعة أبواب، ولها رض عامر، على باب المدينة نهر كبير خلفه قطعة من البلد عليه درب والجامع في الأسواق.(أنظر، المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص. 274.).

[3] - العرب والإسلام في أوزبكستان: المرجع السابق، ص.111.

[4] - أنظر، محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص ص، 98-99؛ أنظر، حبيب أوغلو: لمحات من تاريخ التركستان، الإسلام في تركستان الشرقية، مجلة صوت التركستان، العدد الرابع، مطبعة السنة المحمدية، أغسطس 1312هـ/1953م، القاهرة.

لم أتمكن تحديد السنة بالضبط التي أسَّسَ فيها ستوق هذه الدولة، ويمكن تحديد ذلك بالتقريب، فقد جاء لدى المؤرخ بارتولد: أن ساتوق أسلم في سنة348هـ/960م[1]، ولكنه في صفحات آخرى يناقض، ويقول: أن "ساتوق" توفي سنة 344هـ/ 955-956م[2]، لكنه لم يعطينا السنة الحقيقية التي أسلم فيها هذا الأخير، في المقابل جاء في كتاب:"أوزبكستان من الفتح العربي"، أن ستوق ولد في سنة 334هـ/944-945م، وتوفي في سنة 429هـ/1037-1038م، ودخل في الإسلام في عهد الملك الساماني "عبد الملك بن نوح(342-352هـ/954-964م)[3].(أنظر، الجدول رقم:03)[4].

يمكن ربط هذا مع ماذكره المؤرخ إبن الأثير، بأنه: في سنة 349هـ/960م دخل حوالي مائتي ألف(200.000) خركاه(أسرة) من الأتراك في الإسلام[5]، ويرجح بارتولد بأن المقصود من كلام بن الأثير هم القراخانيون[6]، الذين أسلموا بأعداد كبيرة مع خانهم ستوق.

الراجح أنّ سنة 349هـ/960م هي السنة التي تحول فيها الأويغور رسميا إلى الإسلام، وذلك بعد إعتلاء ساتوق بوغراخان سدة الحكم، مع العلم أن هذا الأخير لم يسلم في تلك السنة، وإنما كان إسلامه قبل ذلك بزمن، في سنة 320هـ/932م على يد القافلة التجارية التي كان يقودها الأمير الساماني أبو نص[7]، كما سأبينه في أثناء حديثي عن إسلام ستوق.

يمكنني القول أنّ أول من أسّس الدولة القراخانية المسلمة هو السلطان "ستوق بوغراخان"،(أنظر، الصورة رقم:08)[8] ودانت لحكمه كل المناطق الواقعة شمالي جبال

---

[1] - بارتولد: تاريخ الترك...، مرجع سابق، ص.89.

[2] - نفسه، ص.94.

[3] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.110.

[4] - أنظر، جدول رقم:03، ص. 433.

[5] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، مج.7، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م، بيروت، ص.267.

[6] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.391.

[7]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص ص، 98-99.

[8] - أنظر، الصورة رقم:08، ص. 409.

"تيان شان" وجنوبها، أي جميع تركستان الشرقية[1]، وباختصار فقد فرض القراخانيون سيادتهم كليا على تيان شان الوسطى وسيميريتشي، وامتدت مملكتهم في الجهة الجنوبية حتى وصلت إلى نهر "تشيرتشين"، أما في الجهة الشمالية الشرقية فمرت بخط "بلخش" وبحيرة "ساسيك – كول" و"ألا- كول"، أما شرقا فكانت حدودها تمر بخط نهر تشيرتشين، وفي الغرب بمدينة "كوتش" ثم تمر بواد تالاس[2].

شنت الدولة القراخانية حربا دائمة ضد قبائل "الباسميل"[4] القاطنة في الشمال الشرقي من مدينة"بيش باليق"، والمؤلفة من أربعين عشيرة، وحرب ضد قبائل "يماك"(كيماك)[5] القاطنة في الجهة الشمالية بنواحي وادي "ايريتش"، وكان أخطر أعداء القراخانيون هم قبائل "يابكو" القاطنة في الشمال الشرقي بجوار قبائل "باسميل"، في وادي "إيميل"[6]، وقد كانت هذه الصراعات تدخل في إطار محاولة إستحواذ الدولة القراخانية على الأراضى المجاورة لها وتوسيع رقعتها الجغرافية.(أنظر، الخريطة رقم:17)[7].

سعت الدولة جاهدة لربط علاقات وطيدة مع المسلمين، والسيطرة على جميع آسيا الوسطى، كما عملت على تتريك كل المنطقة[8]. وسيلعب القراخانيون أدوارا مهمة في نشر الإسلام بين قبائل تلك المنطقة، وعلى رأسهم سكان مدينة كاشغر.

يمكن القول إنّ المصادر التاريخية بخلت علينا فلم تمدنا بأي معلومات عن بداية تأسيس

---

[1] - نصر الله مبشر الطيرازي: المرجع السابق، ص.101.

[2] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.111.

[4] - قبائل الباسميل هم الذين كانوا يعيشون في القرن الحادي عشر الميلادي في مدن "بش باليق"، وهم الذين ذكرتهم المصادر الصينية باسم "باسميل"، ومعنى كلمة باسميل هو الإنسان غير خالص النشأة، أي أنهم ليسوا أتراك خلص بل إختلطوا بأقوام أخرى غير تركية. (أنظر، بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.51.).

[5] - يتكون شعب الكيماك من عدة قبائل من بينهم القبجاق وأمك، وكان الكيماك يعيشون في حوض نهر ايرتيش، وكانوا يشغلون مساحات واسعة تقع شمال الغز، وتمتد غربا حتى نهر(الفولجا) أو نهر (قاما) وهو المجرى الأعى لنهر "ايديل". (أنظر، نفسه، ص. 131).

[6] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.111.

[7] - أنظر، الخريطة رقم:17، ص. 395.

[8] **-MARIE-LOU GREGOIRE-BLAIS : Crise identitaire au sein de communaté ouigouer de la région autonome xinjing, op.cit, pp.28-29.**

الدولة القراخانية، ولم تتفق مع المراجع في أن تاريخ هذه الدولة يبدأ فعليا مع اعتناق ستوق بوغراخان الإسلام، وسأحاول في المبحث القادم إعطاء لمحة وجيزة عن نظام الدولة السياسي والإداري على أن أأجل الحديث عن اعتناق ساتوق الإسلام إلى الفصل الثالث، عندما أتطرق إلى إسهامات الدولة في المجال الديني.

المبحث الثاني: نظم الدولة.

سأتطرق في هذا المبحث إلى نوعية النظام السياسي والإداري الذي كان سائدا في الدولة القراخانية المسلمة، وسوف أحاول بسط الأمر استنادا إلى المصادر والمراجع الموجودة بين يداي، مع أنّ الأمر شديد الصعوبة لعدة اعتبارات، من بينها: عدم وضوح النظام السياسي لدي هذه الدولة، وكذلك شح المعلومات التي تتكلم عن هذه الجزئية في المصادر المتوفرة لدي.

أولا: النظام السياسي والإداري.

يبدو من الدراسة أنّ نظام الدولة السياسي كان ملكي وراثي، محصور في الأسرة الحاكمة، فقد كان "أرسلان خان" الذي يُعد هو الحاكم الأعلى للدولة(الخاقان الأكبر) ومقره في مدينة بلاساغون،(أنظر، الجدول رقم:01)[1] ويساعده في الحكم أخوه "قادر خان أغولتشاك" المستقر في مدينة تاراز[2]، ويمكننا التساؤل هنا عن إن كان هذا الأخير نائبه ومساعده أم شريك له في حكم الدولة ؟ وعلى لأرجح أنه كان مُجرد مساعد له في الحكم فقط، وذلك استنادًا إلى رواية تتحدث عن تعيين ستوق بغراخان وليا للعهد من طرف والده أرسلان خان أثناء حياته، ونظرا لصغر سنه تقرر تعيين عمه ملكا على الدولة ريثما يكبر الصبي ويعتلي العرش، ولكن هذا الأخير حاول نزع الحكم من ولي العهد، ولكنه فشل، لأن ستوق كان يدرك جيدا ألاعيب عمه فأعدّ العدة وقضى عليه، ونصب نفسه حاكما للدولة[3]، ثم أشهر إسلامه

---

[1]- أنظر، جدول رقم:01، ص.431.

[2] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.111.

[3] - حبيب أوغلو: المرجع السابق، ص ص، 27-28.

نستخلص من هذه الرواية أنه لم يكن هناك نظام واضح لعملية توريث الحكم في الدولة، وأن عملية انتقال السلطة من حاكم إلى أخر لم تكن مضبوطة، ولم تسر وفق تقليد متعارف عليه أو نظام متفق عليه بين أفراد الأسرة، خاصة في مرحلتها الأولى.

حسب رواية المؤرخ ابن خلدون: فإن موسى بن ساتوق بغراخان هو من حكم الدولة بعد وفاة والده ساتوق[1]،(أنظر، الصورة رقم:08)[2] في حين يذكر كل من: ابن الأثير، ورزق الله منقريوس أنّ: هارون بن سليمان ايلك، المعروف "ببغرخان" والملقب بـ"شهاب الدولة"، هو من إعتلى العرش في سنة 383هـ[3]، ويعتقد ابن الأثير أنه كان أحد أخوة موسى بن ساتوق، ولما توفي خلفه ايلك خان[4]، ولم يكن هذا الأخير يمارس السلطة وحده، بل كان أخوه طغان خان يساعده في الحكم، فكان يدير المناطق الغربية للدولة، ولما توفي أخوه في سنة 403هـ/ اعتلي هذا الأخير عرش الخانية، وقام بتعيين "قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان" نائبا له على مدينتي بخارى وسمرقند[5].

يبدو من هذه الأحداث أنّ العرش في الدولة القراخانية في هذه الفترة لم يكن يقتصر توريثه في أحد الأبناء فقط، بل كان في كثير من الأحيان يتعداه ويُعطى إلى الإخوة، فمثلا بعد وفاة "طغان خان" سنة 408هـ انتقل الحكم إلى أخاه "أبو المظفر أرسلان خان"، الملقب "شرف الدولة"، ولم يهنأ هذا الأخير بالسلطة حيث قام حاكم بخارى وسمرقند، قدرخان يوسف بن بغراخان هارون ابن سليمان بالثورة ضده، واستولى على العرش واستمر يحكم إلى سنة 423هـ[6].

---

[1] - ابن خلدون: المصر السابق، ج.4، ص.521؛ زياد محمد الهواش: القراخانيون في تركستان تاريخ منسي وحضارة باقية (349-609هـ/960-1212م)، بحث، جامعة محمود الكاشغري للدراسات الشرقية، بشكك.

[2] - أنظر، الصورة رقم:08، ص. 409.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.7، ص ص، 460-462؛ رزق الله منقريوس: المصدر السابق، ج.2، ص37.

[4] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.7، ص.463.

[5] - نفسه، ج.8، ص ص،63-116.

[6] - أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مج.2، المطبعة الحسينيين، مصر، ص ص، 150-151؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج.8، ص ص، 116-117.

أما فيما يخص طريقة حكم وتسيير مختلف مناطق الدولة، يمكن القول: أنه رغم كون زمام الحكم كان بصورة شكلية في قبضة شخص واحد، ممثل في الخاقان(الحاكم الأعلى) ومقره الدائم في مدينة بلاساغون،(أنظر، الجدول رقم:01)[1] إلاّ أنّ السلطة الفعلية كانت لا مركزية، موزعة بين أقارب الأسرة ورجال الحاشية المقربين، وفي غالب الأحيان كانوا يتمتعون بقسط كبير من الاستقلالية ولهم حرية التصرف في إقطاعياتهم، في الحين يعتبر زعيم الدولة كرمز فقط[2].(أنظر، الجدول رقم:02)[3].

إتضح هذا الأمر بشكل جلي مباشرة بعد وفاة قدرخان، حيث خَلَّفَ ثلاث أبناء منهم:أبو شجاع أرسلان خان الملقب بـ"شرف الدولة"، كان يحكم كاشغر وختن[4] وبلاسغون بوصفه الخان الأعلى، والابن الثاني هو بغراخان وحكم: طراز واسبيجاب[5] الشهيرة[6]، ويُفهم من كلام ابن الأثير أن: شرف الدولة قسم البلاد بين إخوته وأقاربه في سنة 435هـ، فأعطى أخاه "أصلان تكين" كثيرا من بلاد الترك، ومنح أخاه الأخر "بغراخان" طراز واسبيجاب، وخص عمه "طغان خان" بفرغانة[7] بأسرها، وعين ابن علي تكين على بخارى وسمرقند وغيرها، واكتفى هو بحكم بلاساغون وكاشغر، واقتنع منهم بالطاعة فقط[8].

يبدو أنّ هذا النوع من التسوية لم يرضي بغراخان صاحب طراز واسبيجاب، فقد كانت

---

[1] - أنظر، الجدول رقم:01، ص. 431.

[2] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.130.

[3] - أنظر، الجدول رقم:02، ص. 432.

[4] - خُتن: بضم الخاء المعجمة والتاء المفتوحة ثالث الحروف وفي آخرها النون، هي بلدة وراء يوزكند من بلاد الترك دون كاشغر. (أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.5، ص.49.)

[5] - أسبيجاب هي قصبة كبيرة بالقرب من بخارا لها ربض ومدينة عامرة بها التيمات وسوق الكرابيس والجامع باربعة ابواب على كل باب رباط، باب نوجكت وباب فرخان، وباب شاكرانة وباب بخارا والرباطات رباط النخشبيين ورباط البخاريين ورباط السمرقنديين ورباط قراتكين، وسوق قد اوقفت غلته في كل شهر سبعة آلاف درهم يجري على الضعفاء الخير. (أنظر، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ص، 272-273.).

[6] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.8، ص.117.

[7] - فَرْغَانَة: بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الغين المعجمة وفي آخرها انون، وهي ولاية تقع وراء الشاش من بلاد المشرق وراء نهر جيحون وسيحون.(أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.09، ص ص، 274-275.).

[8] - نفسه، ج.8، ص.265؛ أبو الفدا: المصدر السابق، ج.2، ص.167؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.516.

لديه طموحات في أن يكون هو الحاكم الأعلى، لذلك حارب أخاه أبو شجاع أرسلان خان "شرف الدولة"، ونزعه من على رأس عرش الدولة واستولى على السلطة، ثم أعطى ولاية العهد لابنه الأكبر حسين جغري تكين، هذا الأمر لم يرضي زوجته، حيث قامت بتسميمه ثم تخلصت من أخيه أرسلان خان الذي كان محبوسا في السجن، ونَّصبت ابنها إبراهيم على عرش الحكم سنة 439هـ، ولكن هذا الأخير لم يفرح بالملك طويلا حيث ثار عليه صاحب مدينة برسخان "ينال تكين" ونزعه عن العرش، فَعَّمت الفوضى بين أبناء بغراخان ثم قصدهم حاكم سمرقند "طفغاج خان"، واستولى على الحكم[1]، ولقب بـ"عماد الدولة".

ظّل هذا الأخير يحكم الدولة القراخانية إلى سنة 460هـ، ووّرث الملك من بعده لابنه شمس الملك(نصر بن طفغاج)، ونشبت حرب بينه وبين أخوه طغان خان ولكنه تغلب عليه، ولما توفي خلفه على الملك أخوه خفرخان، وأعطى هذا الأخير السلطة بدوره لابنه "أحمد خان" الذي قُتل من طرف جنده، وإعتلى العرش من بعده محمود خان، ولكنه لم يهنأ بالحكم طويلا حيث قصده صاحب طراز طغان خان بن قراخان واستولى على العرش، ولكن سرعان ما قضى عليه سلطان السلاجقة سنجر(490-552هـ/1096-1157م)[2].

قسم سنجر أراضي الدولة بين أفراد الأسرة القراخانية، فولى محمد خان على سمرقند وأعطى محمد تكين بن طغان تكين بخارى، أما عاصمة الدولة كاشغر فقد كانت من نصيب أرسلان

---

[1] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج.8، ص.117؛ أبو الفدا: المصدر السابق، مج.2، ص.167؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.617.

[2] - ولد سنجر سنة 479هـ/1086م في مدسنة سنجار من آسيا الصغرى ومن ثم نسب إليها، وإسمه الحقيقي هو أبو الحارث أحمد بن حسن بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، وكان يلقب في بداية الأمر بالملك المظفر، ثم لقب بالسلطان بعدما خطب له بالعراق والشام وآران وآذربيجان والجزيرة والحرمين وخراسان وماوراء النهر وغزنة، وقد عاش مدة ثلاث وسبعين سنة، حكم منها ملكا عشرين سنة، ثم سلطانا بعد وفاة أخيه محمد سنة 511هـ/1117م حتى وفاته سنة 552هـ/1158م، وكان سنجر وقورا مهيبا ذا حياء وكرم وشفقة على الرعية، ويعتبر عهد السلطان سنجر من العهود التاريخية ذات الأهمية البالغة في كثير من المجالات سواء في مجال السياسة والحكم، أو في مجال الحياة العلمية في تاريخ الدولة السلجوقية عامة وفي تاريخ خراسان وماوراء النهر خاصة، فضلا عما تميز به حكمه من طول سنوات فاقت من سبقه من سلاطين السلاجقة العظام، أو من جاء بعده. (أنظر، يحي حمزة عبد القادر الوزنه: الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر(490-552هـ/1096-1157م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، إشراف: أ.د أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1414هـ/ 1993م، ص.10.)

خان بن يوسف قدرخان، ثم صارت بعده لمحمد بغراخان ثم لطغرل خان بن يوسف قدرخان مدة 16 سنة، ثم خلفه ابنه "طغرل تكين" وبعدها انتقلت لهارون بغراخان يوسف طغرلخان بن طفغاج بغراخان مدة 29 سنة، وتوفي سنة 469هـ، فتولاها ابنه أحمد بن أرسلان خان[1].

نلاحض أنّ السلطة السياسية للدولة كانت في يد الخاقان الذي يعد هو الحاكم الأعلى، يورث الملك في أسرته كيف يشاء.

أمّا عن تنظيم القصر فقد كان للخاقانات القراخانيون حرس خاص بهم وحرس خاص بالقصر يسمى"أوك ياتشي"، أما رئيس الحرس فيدعى "ياشغاك"، يعد هذا الأخير هو المسؤول عن حماية الخان والقصر، وكان بلاط الحاكم الأعلى وحكام الإقطاعيات يعرف باسم "كابغو"، ومعناها قشرة أو صدفة أو خلية، أما المُشرف على البلاط فكان يسمى "كابوغ- باشي" أي رئيس الخلية، وللدولة وزراء توكل إليهم عملية الإشراف على الإدارة، وكان هناك كتبة للقصر يسمون "بيتيكتشي"، وأمناء سر الخان، كما كان يشرف على خزينة الدولة حارس السلع الحريرية يسمى "أغيتشي"، ورئيس التشريفات يدعى "بيروك"، وفي القصر عدد من الطهاة يعرفون بـ"الأشتشي"، أما خدم المائدة فيدعون"اديشين"، وتسمى مدبرات البيضات بـ"توشاكتشي"[2].

بالرغم من أنّ خاقان الدولة القراخانية هو الحاكم الأعلى إلاّ أنّ السلطة الفعلية كانت لا مركزية، تقسم إلى عدة إقطاعيات، تَضم بدورها مناطق صغيرة تُوزع على أفراد الأسرة[3]، وعلى الأمراء المدرجين في المرتبة الثالثة بعد الخان، ويعرفون باسم "يابغو" و"توكين"، أما السلطة المحلية في الولايات فكانت في يد البكوات، أما في القرى فكانت في يد الشيوخ المحليون، ويعرفون باسم "كوكتشين ساكل"[4].

---

[1] - ابن الأثير: المصدر السابق، ج.8، ص.118.

[2] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص ص، 130-131.

[3] - بارتولد: التركستان، المرجع السابق، ص.407.

[4] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.131.

يمكننا وصف التشكيل الإداري للدولة القراخانية كالتالي: كان هناك عميد الأسرة المالكة القارخانية يُوصف بخاقان الترك، وله إداريون وأمراء وحكام للأقاليم ينقسمون من حيث الرُتَبْ إلى ثلاثة طبقات هي:

الطبقة الأولى بعد الخان: تضم درجة "إليك خانيين"، بمعني نواب القاراخان، وهم الذين يحكمون المناطق البعيدة عن مركز الولايات، وهم نواب القاراخان على منطقة واسعة من الدولة، ولهم امتيازات واسعة، حيث يمارسون السلطة وكأنهم حكام مستقلون في دائرتهم الإدارية، فلهم حق إصدار مسكوكات بأسمائهم(أنظر، الصورة رقم:09)[1]، ولهم حق إعلان الحرب على الأعداء، وحق إرسال البعوث بأسمائهم إلى من يريدون من الدول الأخرى، ولهم حق إبرام الصلح مع الغير في حدود القانون المعترف به لديهم[2]، ولذا إعتقد بعض المؤرخين بأنهم حكام مستقلين.

أما **الطبقة الثانية:** فهم الذين اتحدوا مع واحد أو أكثر من القبائل التركية، على أن تظل هذه الوحدة تحت حماية القاراخان الأعلى للأتراك، في شكل إستقلال داخلي ذاتي الحكم، ويقال لهم حسب نظام الرتب والألقاب "يابغو"، وكان القاراخان يحترم هذه الحكومات ويرعى شؤونها، في المقابل ترعى حكومات اليابغو عادات وتقاليد أمتهم وأديانها، وإذا مات يابغو يرث عرشه أحد أبنائه، ولا يحتاج إلى تعيينه من قبل القاراخان[3]، فهم قريبوا الشبه بأهل الذمة في الحكومة الإسلامية.

من أهم اليابغوات التي كانت تحت حماية القاراخان نذكر: قوجو، وإيكي أوكوز، وآلتاي، وقمول، وباركول وأوج إيل(كانسو الغرب)، وهذه الأخيرة كانت تحت إدارة خانية الأويغور الإديقوت، وكانت منطقة خوتان تحت إدارة "جوري" أو "قليج خان"، وهي صفة تطلق على أحد الأعيان أو الرؤساء من أهل خوتان، أما منطقة الأنهار السبعة(يته سو) التي تمتد من شرق ضفاف نهر إيلي إلى نهر إرتش فكانت تحت رئيس قبيلة قارلوق، يحمل لقب

[1]- أنظر، الصورة رقم:09، ص. 410.

[2] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.117.

[3] - نفسه، ص.117.

يابغو، أما منطقة جرجين وإقليم تاريم فكانت تحت إدارة الحكومة المتحدة للأويغور الصفر(سريغ أويغور)، وكان رئيسهم من أهل البلد[1].

الطبقة الثالثة: تحكم هذه الأخيرة المناطق التابعة للطبقة الثانية، فقد كانت منطقة كوكجه تيكيز التي تشمل: منطقة بحيرة بالقاش شمالا التابعة لقبائل الياغما وتوخسي وأوغراق، فيها حكومات محلية يحكمها والى أو أمير في كل منطقة، يسمى "خان" أو"أمير"، يُعينون من الأهالى ويرعاهم القاراخان، ولا يمكن لهذه الإمارات أن تصدر مسكوكات باسمها أو باسم حكوماتها، وليس لها حق التمثيل لدى دُول أخرى، ولا يُمكنها ربط علاقات مع دول أجنبية، وكانوا مجبورين على أداء خدمة المناوبة لدى بلاط القاراخان أو إليك خان، فضلا عن اداء واجباتهم المالية والخدمة العسكرية بمساعدة مركز الخاقان رأسا أو إلى نائبه إليك خان[2].

أما حالة بلاد ماوراء النهر فإن القاراخان الأعلى كان يعين عليها نائبا عنه يعرف بـ"إليك خان"،(أنظر، الجدول رقم:02)[3] يقوم هذا الأخير بأمور كثيرة، منها: الإدارة العامة، وإدارة الشؤون المالية والعسكرية، وضمان طاعة الأمراء والملوك للقاراخان، لذلك إنقسمت منطقة ما وراء النهر إلى عدة إمارات وحكومات ملكية أهلية، يُعين فيها إليك خان من قبله ممثل المالية والممثل العسكري والديني للدولة، وكانت في كافة المقاطعات مفرزات عسكرية[4].

لقد أحدث هذا النوع من التنظيم عدة مشاكل، من بينها أن سلطة القراخان الأعلى في كثير من الأحيان كانت لا تجد اعترافًا من بعض التابعين الأقوياء، إضافة إلى ذلك كان هذا الإقطاع كثيرا ما يؤدي إلى المنازعات الداخلية واستبدال حاكم بأخر، مما كان يُصَّعِب من عملية تحديد على وجه الدقة فترات حكم ملوك هذه الدولة، وقد أدى هذا النظام في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي إلى إنقسام الدولة القراخانية إلى قسمين مستقلين، خاقانية الشرق وخاقانية الغرب.

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق ص.117.

[2] - نفسه، ص.117.

[3] - أنظر، الجدول رقم:02، ص. 432.

[4] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص ص، 117-118.

كان للدولة القراخانية ألقاب ورتب شرف تطلقها على حكامها وعمالها، وهذه الألقاب غالبا ما تكون مربوطة بالمناصب الإدارية المقلدة في الدولة، فمثلا: يطلق على الملك الذي تكون له فتوحات ساهمت في إزدهار الدولة لقب:"بغراخان أو قاراخان أو بتونغكا خان" وتعني الفهد، أما من كانت له جلالة القدر وينتسب إلى سلالة الدولة، ويكون ذات هيبة وتفوق سياسي بين الدول المجاورة، فيطلق عليه لقب:"قدرخان" أي ذو قدرة ومنعة، أمّا الحاكم الذي يصدر قرارات حاسمة ويستطيع الفصل في القضايا الهامة، فيلقب بـ"قلج خان" ومعناها "سيف الدولة"، ويطلق هذا اللقب سواء على قاراخان أو إليك خانيين، أما الحاكم الذي كان يعرف عليه العلم والدراية بإدارة مقاليد الدولة، ويكون له بعد النظر، فيلقب بـ:"كول بلكه خان"، ومعناه : له العلم الدنيوي[1].

أمّا بخصوص الألقاب المطلقة على أمراء الأسرة المالكة، فكانوا يلقبون بـ:"تكين أو تاريم"، والأمراء الذين لا يهابون الموت ولهم قلوب الأسود، فكانوا يلقبون بـ"تونغا تكين" أو "آلب تكين" ومعناها: الأمير البطل، وهذا اللقب الأخير أحيانا كان يطلق على من أثبت إخلاصه للوطن وللدولة، وإن لم يكن أصله من السلالة المالكة، وفي بعض الأحيان كان يطلق عليهم لقب: "ياغان تكين" ومعناها: أمير بعظمة الفيل، وكانوا يقولون للوزير:"يوغروش"، أمّا الحاجب فكان يطلق عليه لقب:"تايانغو" أي المؤتمن الشخصي، وكانت توكل إليه مهمة التوسط بين الراعي والرعية[2].

وكان يخصص لقب:"إليك تكين" للأمراء المنحدرين من السلالة الملكية والمعينين كنواب للقاراخان، لأنهم كانوا يتولون حكم المقاطعات كأنهم مستقلين عن القراخان الأعلى، أمّا حكام الولايات التابعة للإليك الذين يأتون في المرتبة الأولى، فكان يطلق عليهم لقب:"جووي"، ويطلق على الدرجة الثانية لقب:"يابغو"، والدرجة الثالثة يلقبون بـ:"توقسين"، أمّا أصحاب الدرجة الرابعة فيلقبون بـ:"باشقان أو بوشقا"، وأمّا الخانية الوحيدة والمستقلة عن ملك

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.122.

[2] - نفسه، ص.122.

الأويغور فتلقب بـ:"إديقوت"، والكاتب يلقب بـ:" ألمغا"[1]. يمكن القول أنه كان لدولة القراخانية نظام إداري جيد، به كانت تدير شؤون الرعية.

لقد أصدرت هذه الدولة العملة وكان تسك عليها نقوش باللغة الأويغورية[2]، وهذا دليل أخر على أن الدولة القراخانية كانت دولة أويغورية، وأول من سك النقود من القارخانيين هو إيلك نصر الأول بن علي(389-403هـ)، حيث قام بنقس إسمه على العملة بالخط الأويغوري، وهذا الأمر تكرر في عهد بعض حكام القراخانيين الآخرين مثل: "ناصر الدولة قدرخان"(396-423هـ)، و"محمود بن محمد بغراخان"(536-557هـ)[3].

ثانيا: التنظيم العسكري.

إهتمت الدولة القراخانية بالجانب العسكري، فقد كانت القوات العسكرية "كوشون" تعرف بـ"بيريك"، وكانت مقسمة إلى مجموعات يتكون عدد أفرادها من 100 إلى 1000 مقاتل، يحكمها قائد أعلى يلقب بـ"سوبوشلار أو سيناخسالار" ومعناها الزعيم، وكان يطلق على صغار الضباط المشرفين على العمليات الحربية في أثناء القتال لقب:"تشابوش"، أما قائد فرقة الفرسان فكان يطلق عليه لقب "خيل باشي"[4]، وكان يطلق على القائد العسكري عموما لقب :"باشقان"، وباش معناها قوماندان، ومن ذلك كانوا يقولون قوماندان الجهة الفلانية، وأما القائد العسكري البطل الذي أبدى بسالة في جبهة القتال فكان يقال له:"آلب" في الدرجة الآولى، وفي الدرجة الثانية يلقب بـ:"سوقماق"، وكلتى الكلمتين تعني البطل، أما إذا كان قائد العسكر من أبناء الأمراء والأعيان فيلقب في الدرجة الآولى بـ:"ترخان"، وفي الدرجة الثانية بـ:"بك"، وفي الدرجة الثالثة بـ"باي"[5].

---

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.123.

[2] - سعاد الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.33.

[3] - عاطف منصور محمد رمضان: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص ص، 441-442.

[4] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق ، ص.131.

[5] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.123.

والأسلحة في الجيش القراخاني تتألف من السيوف وتسمى "كيليتش"، وبلطات الحرب التي تعرف بـ"بالتو"، والسهام تسمى "أوك" والدروع "يروك" والسياط "كامتشي"، وتسمى تروس الحديد "تيمور كالكان"[1].

إهتم القراخانيون بفرض نظام التجنيد الإجباري على كل من له علاقة بهم، فكانوا يطلبون من ممالك وولايات وحكومات الخاضعة لسيادتهم إمدادهم بالقوات العسكرية كلما دعت الضرورة، ولا يفرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم، لذلك كان الخاقان يملك جيشا كامل العُدة والعتاد، وكانت الفرق العسكرية تقسم إلى أربعة أقسام رئيسية، هي:

1- فرقة الهجوم.
2- فرقة الهجوم الليلي المباغتة، سريعة التكتيك، فائقة القتال.
3- فرقة الإنقاذ والإيقاظ ليلا مع حراسة المعسكر.
4- فرقة التأمينات بإدارة منظمة[2].

وكان الجيش القراخاني منظم حيث خصصت دفاتر يُسجل فيها: أعداد الجند وتقسيماتهم وأرزاقهم والحسابات الخاصة بهم، وكان القراخان الأويغوري هو القائد الأعلى للجيش، وله أعلام خاصة به عددها تسعة، جميعها ذات اللون الأحمر نسجت من الحرير الخالص، وله شمسية خاصة به بنفس لون العلم، يرفعونها فوق رأسه لتقيه من أشعة الحرارة، وتُرفع الأعلام التسعة عن يمينه وشماله وأمامه ومن خلفه، لذلك عُرف الخاقان بإسم: "خاقان ذي الأعلام التسعة"، وكان للشخصيات الأقل رتبة من الخاقان أعلام أقل من التسعة بلون أحمر، وإستخدم القراخانيون موسيقى عسكرية خاصة، كانوا يعزفونها عند تحرك جيوشهم[3].

وكان الجيش القراخاني متواجد في كل مقاطعة من مقاطعاتهم حيث كانت تقام مفرزة عسكرية يديرها عسكريون وضباط أكفاء، وفي حالة الطوارئ ينشؤون بريدا عسكريا فيما بين جبهة الحرب والمركز الخاقاني، حيث بنوا منارات على مرتفعات التلال وظيفتها إضرام

[1] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق ، ص.131.
[2] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.118.
[3] - نفسه، ص.118.

النيران فوقها من منراة إلى أخرى، حتى يصل الضوء إلى مركز الخاقان أو منطقة إليك خان ليلا، كعلامة على الإنذار، أما في النهار فَيُرفع علم البلاد أو قماش ملون يرفرف على تلك المنارات واحدة بعد أخرى بسرعة خاطفة، حتى يَصل الإنذار إلى مركز الخاقان في غضون يوم أو يومين على أكبر تقدير، ويقال لتلكم المنارات المتواجدة في المناطق الجنوبية "تيم"، والموجودة في المناطق الشرقية والشمالية "تورا أو تور"[1].

يمكن القول أن القراخانيون أوجدوا نظام عسكري محكم إستطاعوا بفضله حسم أغلب معاركهم التي خاضوها ضد القبائل التركية الوثنية أو ضد الدولة السامانية والغزنوية، كما تمكنوا بفضله من تعزيز نظامهم السياسي في منطقة آسيا الوسطى.

المبحث الثالث: التنظيم الاجتماعي والاقتصادي.

سأحاول في هذا المبحث التطرق إلى نوعية النظام الاجتماعي والاقتصادي للدولة القراخانية، مع العلم أن المصادر والمراجع التاريخية كانت شحيحة بالمعلومات المتعلقة بهذه الجزئية.

يمكن القول أنّ الحياة الاجتماعية للدولة القراخانية الأويغورية كانت لا تختلف عن حياة البدو الأتراك، فهي تستند على النظام القبلي، حيث كانت الطبقة السائدة في المجتمع تتألف من الإقطاعيين، على رأسهم شيوخ وجهاء القبائل، إضافة إلى الخانات والأمراء وكبار رجال القصر، وكان يطلق على غالبية الشعب مصطلح "بودون" وينقسمون إلى عدة طبقات فنجد: طبقة الأغنياء(بايلار)، وطبقة متوسطي الحال(اورتا)، والفقراء(تشيغايلار) وهم القسم الأكبر والرئيسي الذي تُوكل إليهم عملية الإنتاج، وهناك طبقة أخرى لا تُجيد أي مهنة معينة، تعيش بواسطة فُرَص العمل التي تُتاح لها في المنسبات الموسمية أو عن طريق الصدفة، وأغلبية سكان الدولة القراخانية كانوا يعملون في ميدان الزراعة بموجب المحاصصة (العقارين)، يعتمدون في عيشهم بصورة رئيسية على فلاحة أراضي غيرهم مقابل الحصـــول

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.118.

على حصة معينة من المحصول، إضافة إلى هذه الطبقات هناك طبقة العبيد أو الرقيق[1].

كانت الملكية الإقطاعية هي السمة البارزة في الدولة، ومن بين تلك الملكيات لدينا الأراضي السلطانية، وتتكون من: الأراضي التي ترتبط ملكيتها إلى الخان القاراخاني مباشرة، وأراضي الديوان التي تعود ملكيتها إلى الدولة مباشرة، إضافة إلى أملاك الأوقاف وأخرى ذات ملكية خاصة، وقد اتبعت الدولة القراخانية نظام الإقطاع في توزيع الأراضي[2].

لقد إهتم القراخانيون بإحياء لأراضي السلطانية، فكانوا يعملون على إيصال المياه للمناطق النائية، ويأمرون عمالهم بضرورة إعمال فكرهم في خرق الجبال وجلب المياه من الجداول والأنهار، فعملوا على تشييد السدود والأحواض لحفظ المياه وسقي المزارع، وكانت عملية حفر الآبار الارتوازية من بين خصوصيات سكان تركستان الشرقية[3].

إضافة إلى الزراعة إمتهن سكان الدولة القراخانية حِرفًا مختلفة، فالقاطنين في القسم الشرقي من الخانية في "تيان شان" الوسطى وجزء من "سيميريتشي"، كانوا يمارسون مهنة رعي المواشي، أما سكان مدن فرغانة وما وراء النهر فكانوا يزاولون التجارة، في حين إمتهن السكان القاطنين بمحاذاة الأنهار والوديان والسهول والمناطق المحيطة بالمدن، الزراعة، وكان الرعاة الرحل يعملون بشكل رئيسي على تربية الأغنام والأبقار والخيول والجمال والياك، ويعتمدون في حياتهم على ما يحصلون منها من لحوم وألبان وحليب وصوف وجلد وزبدة[4].

تنوعت منتوجات المناطق الزراعية، من: قمح وشعير وحمص وعدس، ومختلف أنواع الخضر والفواكه، مثل: الخيار والبصل والقرعة والبطيخ والعنب والتفاح والمشمش والجوز والسفرجل، أما فيما يتعلق بضريبة الأرض فقد كانت تقتصر على الخراج، إضافة إلى الضرائب التي كانت معروفة من قبل على عهد السامانيين[5].

---

[1] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص، 128.

[2] - نفسه، ص، 128.

[3] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص ص، 121-122.

[4] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق ، ص.127.

[5] - نفسه، ص، 128.

ولم تكن الزراعة تقتصر على الحبوب الغذائية فقط، بل تعدتها إلى إنتاج الفواكه والزيوت والقطن، وكانت البستنة رائجة في عهد القراخانيين، حيث انتشر إنتاج الكثير من الفواكه الموسمية والأشجار المثمرة[1].

أما عن سكان المدن والمستوطنات ذات التصميم المدني في: سيميريتشي وتيان شان، فقد كانوا يمتهنون الصناعة والتجارة، وذلك لوقوع العديد من مدنهم على طريق الحرير المشهور، فازدهرت الصناعة بمختلف أنواعها، مثل: صناعة الخزف والنسيج والحديد والصياغة، وقد ساعد على ذلك توفر المواد الأولية، فقد كانت جبال تالاس غنية بالحديد والنحاس والذهب والقصدير والفيروز، كما كانت الجبال القريبة من شيلجي الواقعة في وديان تالاس مراكز ضخمة لإنتاج الفضة والرصاص، وكانت جبال فرغانة منجما لاستخراج:الذهب والفضة والحديد والنحاس والفيروز والنفط والإسفلت والقطران وغيرها، وقد كانوا يستخرجون الفيروز والقصدير من طاشقند[2].

أدت هذه الوفرة في المعادن وغيرها في مناطق الدولة القراخانية إلى تطور صناعة التعدين، فقد اكتشف علماء الآثار بقايا المعادن المنصهرة في أطلال "بابا-آتا" ومناجم في "تالاس"، كما تم العثور على ورشات تعدين في كارا- بولاك، وورشات لصهر خامات النحاس في "تشات قلعة"، وأخرى لصناعة الزجاج في كوفا وسمرقند وأوزكند، وقد كان سكان القرى والرحل يمارسون حرفة الصناعة، وكانت منتجاتهم تزيد عن حاجات السوق الداخلية، فيقومون بتصدير الفائض منها إلى الأسواق الخارجية[3].

كان القراخانيون يصنعون من معادن الذهب والفضة والنحاس حلي للزينة: من أقراط، وبناجر، وخواتم، وكانوا يزينوها بأحجار قاش تاش(حجر كريم)، كما صنعوا من الحديد آلات الحرب والزراعة، وإستعملوا الخزف لصنع أواني منزلية، وقد وصلت مهارتهم إلى أعـــــلى

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص ص، 121-122.

[2] - نفسه، ص ص، 129-130.

[3] - نفسه، ص ص، 129-130.

درجات الرقي حيث أثبتت الاكتشافات الأثارية مدى مهارة الصناع في عهد القراخانيين[1].

وقد إستغلت الطبقة الكادحة من طرف الطبقة الحاكمة في عملية التصنيع، إلا أنها كانت تناضل من أجل إفتكاك حقوقها، فقد ثارت على مستعبديها مرتين في ثلاثينيات القرن الحادي عشر الميلادي، وفي سنة 1207م، حيث جرت ثورتين في ما وراء النهر، كانتا بمثابة احتجاجا على الضرائب الباهظة المفروضة من الدولة، الثورة الأولي ضد الإلك خان(الايلخان) بوري- تيغين لأنف الذكر، أما الثورة الثانية فقد قامت في نفس السنة في عهد الصدر برهان الدين محمد بن أحمد، حاكم بخارى المُعين من طرف الكاراكيتائيون (الخطا) لجمع الإتاوات لهم، وكان هذا الأخير يتمتع بكامل السلطة وأغنى شخص فيها، يستغل منصبه لجمع الثروة، وقد ثار القراخانيون ضده لجشعه وتعسفه، فاستولى الثائرون على المدينة، وحاصروا قصر "الصدر" ونزعوه عن حكم بخارى وعينوا "سلطان سينجار" حاكما بدله[2].

عرف الأتراك تجارة البدل أو المقايضة المتمثلة في إستبدال سلعة بسلعة وكانت بينهم رائجة، فقد كان سكان الجنوب أهل صناعة وزراعة، بينما اشتهر أهل الشمال من الدولة القراخانية بتربية الحيوانات، فكانوا يتبادلون بصناعتهم الإبل والخيول، وقد إشتهر فيهم القوافل التجارية(الكراوان) التي كانت تجوب البلاد شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، وكانت معروفة لديهم بإسم "كبتجي"، وتعرف القوافل الحاملة بـ"آرقش"، وكانت القوافل التجارية القراخانية تمتد إلى الصين والتبت وتركستان الغربية وإيران والهند، تحمل مصنوعاتهم المعدنية وتسوق الحيونات، مثل: الإبل والأحصنة، فيجلبون من الصين الأقمشة الحريرية وأدوات الزينة للنساء والأدوية والصباغ[3].

وفي ظل سيادة الأمن في بلاد القراخانيين ازدهرت التجارة العالمية بين الشرق والغرب، ولعبت آسيا الوسطى دور الوسيط، فكانت آلاف القوافل التجارية الحاملة(الكروان) تجوب البلاد ذهابا وإيابا، ومن أجل تدعيم تلك التجارة قام القراخانيون بحفر آبار المياه عـــلى

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.121.

[2] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص ص، 131-132.

[3] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.122.

امتداد الطرق البرية الصحراوية، بين شرق آسيا وغربها، كما شيدوا مناطق للإستراحة لتسهيل سبل التجارة الذاهبة والآتية، كما بنوا مخازن عبر الطرق التجارية لتخزين الحبوب وأعشاب الحيوانات، وما تحتاج إليه القوافل التجارية من مأكل ومشرب، وأوقفوا عليها الأوقاف، ولتفادي ضياع القوافل في الصحاري والرمال المتحركة، نَّصبوا علامات خشبية لإرشاد القوافل والتجار، وكانوا يسمونها "إيلا"[1].

إستطاع القارخانيون حماية تجارتهم الممتدة على آسيا الوسطى، وعملوا على تطويرها وتوسيعها، بحيث أصبحوا يسيطرون على طريق الحرير، فكانوا يتاجرون مع الصين والهند ومنغوليا والعالم الإسلامي.

المبحث الرابع: علاقة الدولة سياسيا بالقوى المجاورة لها.

بعد أن ثبتت الدولة القراخانية أقدامها في منطقة تركستان الشرقية، تطلعت لِتوسيع رقعتها على حساب بلاد ما وراء النهر(أنظر، الخريطة رقم:18.)[2] وخراسان، وكانت تهدف إلى الاتصال مباشرة بالخلافة العباسية، ومن أجل تجسيد ذلك رسمت سياستها اتجاه الدول المجاورة لها في الجهة الغربية، مثل: الدولة السامانية والدولة الغزنوية ثم الدولة السلجوقية، فيا ترى كيف كانت الأوضاع بين الدولة القراخانية والدول المجاورة لها ؟

أولا: العلاقات القراخانية السامانية[3]:

يرجع احتكاك الأتراك بالسمانيين(أنظر الجدول: 03)[4] فيما وراء النهر وتركستان الشرقية إلى مستهل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فقد أنفذ السامانيون الجيـــــــوش

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.122.

[2] - أنظر، الخريطة رقم: 18، ص. 398.

[3] - نسبت الدولة السامانية إلى مؤسسها سامان خداة، وقد كان له ولد فأسماه أسدا وذلك لمحبته أسد بن عبد الله القشري، وكان مبدأ تأسيسهم الدولة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، حيث خرج على هذا الأخير رافع بن الليث وأخذ منه مدينة سمرقند، فبعث الرشيد قائده هرثمة بن أعين ليقضي عليه ولكنه لم يستطيع، فطلب المأمون من أبناء أسد بن سامان، وهم نوح وأحمد ويحي وإلياس، معاونة هرثمة في الحرب، فعاونوه وأبلوا البلاء الحسن، ولما تولى الخلافة أمر عامله على خراسان غسان بن عباد تولية أبناء أسد بن سامان خداه، فأعطى كلا منهم مدينة مهمة من مدن خراسان، فولى نوح بن أسد إمارة سمرقند، وأعطى أحمد بن أسد إمارة مرو، وكان ذلك في سنة 202هـ/817م، ولما تولى طاهر بن الحسين ولاية خراسان بدل غسان، زاد نفوذ أل سمان في المنطقة، وفي خلافة الواثق بالله أعطى لهم منشور يطلق يدهم في حكم أعمال ما وراء النهر، وكان ذلك سنة 251هـ/ 865م، وبذلك تأسست الدولة السامانية. (أنظر، النرشخي: تاريخ بخارى، المصدر السابق، ص ص، 111-112.).

[4] - أنظر، جدول رقم:03، ص. 433.

إلى مناطق البدو الأتراك قصد إخضاعهم،(أنظر، الخريطة رقم:19)[1] وقد تمكن الملك الساماني نوح بن أسد، الاستيلاء على مدينة أسفيجاب، وبعده أرسل ابنه إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان الذي عينه الخليفة العباسي المعتضد بالله[2]،(أنظر، الجدول رقم:04)[3] حاكما على بلاد ما وراء النهر، في سنة 280هـ/893م جيشا لإحتلال مدينة طراز[4]، فتمكن من ضمها إلى ملكه، وأسلم أميرها مع الكثير من الدهاقين[5]، وحُولت كنيستها الكبرى إلى مسجد جامع، وتُليت فيها الخطبة باسم أمير المؤمنيين المعتضد بالله، وتحصل الأمير إسماعيل على غنائم كثيرة[6]، وتواصلت تلك الحملات في عهد الملك نصر الساماني، حيث كون جيشا كبيرا وأرسله إلى مدينة شاوغر[7] قصد لاستيلاء عليها[8].

في المقابل كانت ردود فعل الأتراك قوية تجاه الدول السامانية، حيث أرسلوا غـــارات

---

[1] - أنظر، خريطة رقم:19، ص. 397.

[2]- إسمه أحمد أبو العباس بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، بويع له بالخلافة يوم موت عمه المعتمد، فاستقل بالأمر، وكان أسمر مهيبا، معتدل الشكل، ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة من أفراد خلفاء بني العباس، كان يقدم على الأسد وحده لشجاعته، وكان مفرطا في أحكامه، ولد في ذي القعدة سنة 242م، وأمه أم ولد رومية اسمها"صواب"، نقش خاتمه:"توكل تكفى"، وكان يسمى السفاح الثاني، لأنه جدد ملك بنى العباس بعد أن كاد يزول، كان عهده طيب كثير الأمن والرخاء.(أنظر، أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدولة، المصدر السابق، مج.2، ص ص، 130-131.).

[3] - أنظر، الجدول رقم:04، ص. 434.

[4] - طراز: بفتح الطاء والراء المهملتين وكسر الزاي المعجمة في آخرها، وهي بدة على حد ثغر الترك، تخرج منها عدد كبير من العلماء منهم: محمد ومحمود ابنا يعقوب بن ابراهيم الطرازي الحجاج، كتبا الحديث بعد الأربعمائة ببخارى. (أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.08، ص ص، 222-223.)

[5] - يطلق مصطلح الدهاقين على ملاك الأراضي من الطبقة الأرستقراطية، فقد كانت البلاد تقسم إلى عدة إمارات يحكمها أصحاب الأراضي، وكان كل واحد منهم يسمة "دهقان"، وكانت طبقة الدهاقنة الإيرانية تؤثر حضاريا على الترك في بعض الأحيان، وقد تعاونت طبقة الدهاقين مع الأوريغور القراخانيون من أجل إسقاط الدولة السامانية، فتقول إحدى الروايات أن حاكم القراخانيين بغراخان جاء لضم بلاد ما وراء النهر استجابة لدعوة الدهاقنة المحليين، وقد استفاد هؤلاء بعد أن فتح الأتراك بلاد ما وراء النهر، حيث إحتفظوا إلى غاية القرن 10 م بمميزاتهم الاقتصادية في حوض نهر آنكرن في جنوب مدينة طاشقند. (أنظر، بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص ص، 100-101.).

[6] - النرشخي، المصدر السابق، ص ص، 122-123.

[7] - شاوغر: بفتح الشين المعجمة، وسكون الألف والواو، وفتح الغين المعجمة، وفي آخرها الراء، تقع في ثغور الترك، وخرج منها العديد من العلماء، منهم أبو الحسن علي بن الحسن الشاوغري. (أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج. 07، ص. 274.).

[8] - حسن أحمد محمود: الإسلام في أسيا الوسطى (بين الفتحين العربي والتركي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973م، ص. 183.

متتالية على أراضيها في بلاد ما وراء النهر، وخاصة في سنة 293هـ/904م، في عهد إسماعيل بن أحمد الساماني، وإستمرت إلى عهد الحميد أبو محمد نوح بن نصر(331-334هـ/943-955م)،(أنظر، الجدول رقم:03)[1] وتمكن هؤلاء من ضم مدينة بلاساغون[2] في سنة 331هـ/943م، وفي السنة الموالية تصدى السامانيون إلى هجماتهم، وتمكنوا من أسر ابن خاقانهم[3]، وظل السامانيون يفرضون سلطانهم على الأتراك الشرقيين، حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

وّلدت هجمات السامانيين المتتالية على أراضي الأتراك حقدا دفينا لديهم تجاه هذه الدولة، لذلك سوف يخططون لإسقاطها حتى بعد إسلامهم، مثلما حدث مع القراخانوين، فقد رسم ملكهم الأول ستوق بغرخان الذي أسلم وتسمى بـ "عبد الملك" إستراتيجية تجاههم، حيث ربط علاقات وطيدة مع السامانيين وأقام الخطبة لهم في عاصمته كاشغر وفي جميع أعماله بتركستان[4].

وكانت هذه السياسة حكيمة في إعتقادي من قبل القراخانيين خاصة في مرحلتهم الأولى التي تمثلت في تشييد دولتهم الفتية، ولا ننسى كذلك أن للسمانيين فضل في تحويلهم إلى الإسلام، لكن إستراتجية القراخانيين سرعان ما تغيرت تجاه دولتهم الصديقة، خاصة بعد أن دب في هذه الآخيرة الضعف، فوجهوا قواتهم لإسقاطها وضم جميع أراضيها، على الرغم من أن هذه الدولة كان لها الفضل عليهم.

لقد إجتمعت عدة أسباب لتغيير القراخانيون سياستهم تجاه الدولة السامانية وتحريك قوتهم نحو الغرب صوب أراضيها، فالمؤرخ فان قروسي(René GROUSSET)، يرجعـــــها

[1] - أنظر، الجدول رقم:03، ص. 433.

[2] - بلاسالغون: بفتح الباء الموحدة والسين المهملة بين اللام والف والألف، وهي بلدة من ثغور الترك وراء نهر سيحون قربية من كاشغر، خرج منها جماعة من الأئمة والعلماء، منهم أبو عبد الله محمد بن موسى البلاساغوني المعروف بالتركي. (أنظر، السمعاني، الأنساب، ج.2، ص.151.).

[3] - حسن أحمد محمود: الإسلام في أسيا الوسطى المرجع السابق، ص. 183.

[4] - رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ج.2، ص.37.

إلى الصراع التقليدي الذي كان قائم بين الأتراك والإيرانيين[1]، ومن بين الأسباب كذلك: أن القراخانيين عملوا كل ما في وسعهم للتوسع غربا لتفادي إصطدامهم بالقوات الصينية، وفضلوا التوسع غربا للاستمتاع بالرقي الحضاري الذي وصلت إليه الدول الإسلامية، سواء في بلاد ما وراء النهر أوخراسان أوالعراق، فقد أغراهم هذا العامل كما أغرى التطور الذي شهدته مدينة بغـــــــــــــــــــــــــــــــــــداد[2]

---

[1] - René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.cit,p. 195.

[2] - بَغْدَادُ: أم الدنيا وسيدة البلاد، وأصل كلمة بغداد أعجمي، والعرب تختلف في لفظها إذ لم يكن أصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم، وقيل أن معناها بستان رجل، فباغ بستان وداد اسم رجل، وبعضهم يقول: أن بغ اسم لصنم، فذكر أنه أهديَ إلى ملك الفرس كسرى خَصِيّ من المشرق فأقطعه إياها، وكان الخصيُّ من عباد الأصنام ببلده فقال: بغ اد أي الصنم أعطاني، وقيل: باغ هو البستان وداد أعطى، وكان كسرى قد وهب لهذا الخصي هذا البستان فقال: بغ اد فسميت به، وقيل أن بغداد إسم فارسي معرب عن باغ داذويه، لأن بعض رقعة مدينة المنصور كان باغًا لجل من الفرس اسمه داذويه، وفي بغداد سبع لغات: بغداد وبغدان ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون لفض بغداذ، وقيل مغداذ ومغداد ومغدان، ولفظت بالدالين بغداد، وتسمى مدينة السلام، لأن دجلة يقال لها وادي السلام، وقيل لأن الله هو السلام فأرادوا مدينة الله وكانوا يحببون هذا الإسم، وقيل أن بغدا كانت قبل سوق يقصدها تجار أهل الصين بتجارتهم فيربحون الربح الواسع، وكان اسم ملكهم بغ فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا بغ اد أي إن هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك، كان أول من مصرها وجعلها مدينة المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ثاني الخلفاء العباسيين، وانتقل إليها من الهاشمية، وهي مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح قرب مدينة الكوفة، وشرع في عمارتها سنة 145 ونزلها سنة 149، وكان سبب عنارتها أن أهل الكوفة كانوا يفسدون جنده فبلغه ذلك من فعلهم، فانتقل عنهم يرتاد موضعا إلى أن أتى موضع بغداد فقال: هذا موضع صالح للبناء، فإن المادة تأتيه من الفرات ودجلة وجماعة الأنهار، ولا يحمل الجند والرعية إلا نثله، فخط البناء وقدّر المدينة ووضع أول لبنة بيده، ثم قال: بسم الله والحمد لله والأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله، وقيل أن المنصور إستشار دهقان بغداد، فقال له: الذي أراه يا أمير المؤمنين أن تنزل في نفس بغداد، فإنك تصير بين أربعة طساسيج، طسوجان في الجانب الغربي وطسّوجان في الجانب الشرقي، فاللذان في الغربي قطربُّل وبادوريا، واللذان في الشرقي نهر بوق وكلواذَى، فإن تأخرت عمارة طسوج منها كان الآخر عامرا، وأنت يا أمير المؤمنين على الصّراة ودجلة، تجيئك بالميرة من القرب وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البُلْدان، وتُحمَل إليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة، وتجيئك ميرة أرمينية وأذربيجان وما يتصل بها في تامَرّا، وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة وأنت بين أنها لا يصل إليك عدوك إلا على جر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل إليك عدوك، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل، فأعجب المنصور بهذا القول وشرع في البناء، ووجه في حشر الصُنَّاع والفَعَلَةِ من الشام والموصل والجبل والكوفة وواط فأحضروا، وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندة، فجمعهم وتقدم إليهم أن يشرفوا على البناء، وكان ممن حضر الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة الإمام، وكان أول العمل في نة 145، وأمر أن يجعل عرضُ السور من أسفله خمسين ذراعا ومن أعلاه عشرين ذراعا، وأن يُجعل في البناء جُرْزَ القصب مكان الخشب، وكان في موقع بغداد دير لراهب مسيحي فإشتراه المنصور، وأنفق المنصور على عمارة بغداد ثمانية عشر ألف ألف دينار، وقيل أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم، وخططت بغداد على شكل دائري، وجعل دار الخليفة والجامع في وسطها، وبنى القبة الخضراء فوق إيوان، وكان علوها ثمانين ذراعا، وعلى رأس القبة صنم على صورة فار في يده رمح، ونقل المنصور أبواب بغداد من واسط وهي أبواب الحجّاج، وجاء بباب خراسان من الشام وجيء بباب الكوفة من الكوفة، وكان لا يسمح ركوب الدواب ببغداد بل كل من فيها راجلا، وجعل الماء يسري في كل مناطق بغداد، فمد قناة من نهر دُجيْ الآخذ من دجلة وقناة من نهر كَرْخايا الآخذ من الفرات وجَرّهما إلى مدينته في عقود وثيقة، من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها، فكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفُذُ في الشوارع والدروب والأرباض، تجري صيفا وشتاء لا ينقطع ماؤها في شيء من الأوقات، ثم أقطع المنصور أصحابه القطائع فعمَّروها وسميت بأسمائهم. (أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج.1، ص. 456. فما بعدها من عدة صفحات.)

البويهيين[1] من قبل.

وهناك عامل أخر جعل القراخانيون يتجهون نحو الغرب، تمثل في الدور الذي لعبه الدهاقين في ذلك، فقد كان هؤلاء ساخطين على الدولة السامانية، وخاصة بعد تبنيها سياسة شعبية لا تخدم مصالحهم، لذلك استدعوا القراخانيين وسهلوا لهم المهمة وأطلعوهم على مواطن الضعف الموجود في الدولة السامانية[2]. وما يؤيد هذا الرأي هو أن الدهاقين جَنَوا فائدة مضاعفة بعدما سيطرة القراخانيين على البلاد.

ولعب رجال الدين هم كذلك دورا مهما في تمهيد الطريق أمام القراخانيين للزحف صوب الغرب، فقد أفتوا للناس بعدم حمل السلاح في وجههم، وقد نالوا هم كذلك امتيازات كبيرة بعد إسقاط الدولة السامانية[3].

كما ذكرت البروفيسورة العراقية سعاد الطائي، عامل أخر لتوسع القراخانيين باتجاه صوب الغرب على أراضي الدولة السامانية، تمثل في الدور المهم الذي لعبه أحد أبناء الخليفة العباسي الواثق بالله، المسمى "أبي محمد عبد الله بن عثمان الواثقي"، فقد شجع الأمير القرخاني بغراخان هارون للاستلاء على بلاد ما وراء النهر، حيث توجه الواثقى إلى بلاد الترك وحظى بمكانة مميزة لدى الأمير القراخاني هارون بغراخان[4]. سأوضح ذلك بعد قليل.

أرجح عامل التنافس الـــذي كان قائما بين دول آسيا الوسطى وخراسان من أجـــــل

---

[1] - ينتمي البويهيين إلى أسرة كانت حاكمة في إقليم الديلم وبدأ أول ذكر لهم في فترة الناصر الأطروش حيث خرجوا بمعية ماكان بن كاكي لكثرة الاضطرابات في الديلم، ثم تركوه وإلتحقوا بمرداويج فأكرمهم وأعطى كل واحد منهم ناحية من نواحي الجبل وقد علي بن بويه ولاية الكرج، وقد قامت دولتهم على أيدي ثلاثة إخوة هم: علي(عماد الدولة) والحسن(ركن الدولة) وأحمد(معز الدولة)، وقد كان أبوهم أبا شجاع بويه فقيرا يقتات من جمع الحطب، وقد دخلوا في الإسلام مع من دهل من أهل الديلم وإعتنقوا المذهب الشيعي الزيدي، ثم كونوا دولتهم المعروفة بالدولة البويهية وتسلطوا على الخلافة العباسية وسيطروا عليه خلال قرن وربع.(أنظر، حسن منيمنة: تاريخ الدولة البويهية"السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي –مقاطعة فارس-"(334-447هـ/945-1055م)، دار الجامعية، 1407هـ/1987م، ص.96 فما بعدها).

[2] - حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص. 184.

[3] - نفسه، ص184.

[4] - سعاد الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص ص، 55-56.

كسب رضا الخلافة العباسية، وإفتكاك مرسوم للحكم باسمها أو بالنيابة عنها في تلك المناطق، هو العامل الرئيسي الذي حدّد وجهة توسع القراخانيين، هذا دون إغفال العوامل التى ذكرتها من قبل، فكل هذه الأسباب مجتمعة جعلت القراخانيين يتجهون صوب الغرب، للسيطرة على بلاد ما وراء النهر ومنطقة خراسان، ومن ثم الحصول على اعتراف رسمي من الخلافة قصد حكم تلك المناطق، وسأعود إلى إجلاء هذه الفكرة في الصفحات القادمة من البحث.

مهما يكن من أمر فبمجرد تثبيت القراخانيين أقدامهم في منطقة "تيان- شان" الوسطى و"سيميريتشي"، اتجهت أنظارهم إلى المناطق الواقعة في أواسط مجرى سرداريا وغرب وادي تالاس وفرغانة، فأزاحوا القبائل السلجوقية[1] من وسط المجرى، كما أزاحوا قبائل الأوغوز[2] من غرب وادي تالاس، في المقابل لم يجدوا مقاومة تذكر في وادي فرغانة فاستولوا بسهولة على مدينتي: "كوبا" و"نصراباد"[3]، ومن ثم أصبح احتكاكهم بالدولة السامانية مباشرا وأصبحت فكرة القضاء عليها وضم أراضيها أمرًا واردًا لديهم.

---

[1] - السلاجقة: فرع من قبائل الغز التركية، انسابوا سنة 345هـ/ 956م من سهول تركستان وسكنوا أول أمرهم في بلاد ما وراء النهر، واعتنقوا الإسلام على المذهب الحنفي وقدموا مساعدات عسكرية مهمة للدولة السامانية، ثم عبروا أراضي السامانيين واستقروا على شواطئ نهر سيحون في النصف الثاني من ق.4هـ/10م، ثم توغلوا في خراسان وكانت معركة دندانقان سنة 431هـ/1039م فاصلة في تاريخهم حيث اسقطوا القوا ت الغزنوية وأصبحوا أسياد خراسان بدون منازع، وفي سنة 432هـ/1040م دخلوا في طاعة الخلافة العباسية، ثم استنجد بهم الخليفة القائم بأمر الله على البويهيين.(أنظر،هيفاء عبد الله العلي البسام: الوزير السلجوقي نظام الملك، ماجستير، اشراف: د. حسام الدين السامرائي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1399-1400هـ/1979-1980م،ص.26- 35).

[2] - الأوغوز: من أهم الفروع التركية واشهرها كانوا يعيشون في شمال آسيا إلى الشمال من بقاع الكوك تورك، أما في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن فقد كانوا يعيشون على ساحل نهر سلنغه المتفرع منه نهر أورخون، وكان على رأسهم باز قاغان، ازدادت أهميتهم بعد انتقال السلطة إليهم بالاشتراك مع الأويغور ولكنهم عملوا على إبعادهم من الحكم، ثم رحل القسم الأكبر من الأوغوز إلى بحر الأسرار وسواحل اراك حيث كان فرع منهم هناك هم البجناك، وتسرب جزء منهم إلى البحر الأسود وأكرانيا الحالية والبلقان، واستقدر عدد أخر في شمال ما وراء النهر بالقرب من البلاد الإسلامية، وكانت هذه المناطق تحت حكم السامانيين الفرس وكان القراخانيون يتحينون الفرصة للتوطن في مقاطعات السامانيين، وكان الأوغوز يسيطرون على صحراء قزل قوم، وكانت مملكتهم تتبع لدولة الخزر خلال القرن 10م، إلا أنها كانت ترتبط بعلاقات وطيدة مع القراخانيين وكان بحر قزوين يشكل الحدود الغربية لمملكتهم أما شرقا فنهر أمبا أما شمالا فبحيرة جالقار شمال أرال.(أنظر، يالماز: المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص. 241. فما بعدها من عدة صفحات.).

[3] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص. 111.

ففي سنة 383هـ/993م اغتنم القراخانيون الأحوال السياسية المضطربة التي كانت تمر بها الدولة السامانية، وقام زعيمهم هارون بن سليمان ايلك المعروف ببوغرخان والملقب بـ"شهاب الدولة و"ظهير الدعوة"(ت:384هـ/994م)، بالتوجه إلى مدينة بخارى على رأس جيش جرار، وذلك بدعوة من صاحب خراسان "أبو علي ابن أبا الحسن بن سيمجور" لضم مدينة بخارى، انتقاما من السامانيين الذين غدروا به، واتفق الطرفان على أن يحكم شهاب الدولة كل بلاد ما وراء النهر في المقابل يستأثر أبو علي بخراسان[1]، وقد دعت طائفة الدهاقين هي الأخرى من ما وراء النهر بغراخان إلى المجيء، لأنها كانت ساخطة على الدولة السامانية، ويُحدثنا بارتولد عن حليف أخر لبغراخان يدعى "أبا محمد عبد الله بن عثمان الواثقي"، الذي كان يدَّعِي إنتسابه إلى نسل الخليفة العباسي الواثق بالله، وقد زين هذا الأخير للقراخان الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر[2].(أنظر، الخريطة رقم:18)[3].

لبى شهاب الدولة الدعوة بسرعة، وسار بجيشه الجرار لإسقاط الدولة السامانية، فاستعد له الأمير الساماني نوح الثاني(976-997م)[4]،(أنظر، الجدول رقم:03)[5] وأرسل جيشا كبيرا بقيادة أنج(أبج/ آياتش) للتصدي له، ولكنه إنهزم وتم أسره رفقة عدد كبير من القواد[6].

أكمل الجيش القراخاني توغله في بلاد ما وراء النهر ودارت بين الطرفين معركة ثانية في منطقة "خرجينت"،(أنظر، الخريطة رقم:18)[7] بالقرب من مدينة بخارى، انتهت بانهزام الجيش الساماني مرة آخري نتيجة خيانة أحد قوادهم المدعو "فائق"، حيث خرج هذا الأخير

---

[1] - النرشخي، المصدر السابق، ص.153؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج.7، ص.463؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ص.37.

[2] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.393. فما بعدها.

[3] - أنظر، الخريطة رقم:18، ص. 396.

[4] - هو الأمير أبو القاسم نوح بن الملك منصور بن الملك نوح بن الملك بن نصر بن الملك أحمد بن إسماعيل الساماني المعروف بـ نوح الثاني(976-997م)، سلطان بخارى وسمرقند، تولي السلطة وهو في سن 13 سنة.(أنظر، ابن الأثير: المصدر السابق، مج.7، ص.487.)

[5] - أنظر، الجدول رقم:03، ص. 453.

[6] – النرشخي، المصدر السابق، ص.153؛ ابن الأثير،المصدر السابق، مج.7، ص.463؛ أنظر، أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1409هـ/1988م، ص.15؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص. 112؛ زياد محمد هواش: القراخانيون في تركستان تاريخ منسي وحضارة باقية(349-609هـ/960-1212م)، بحث سابق، ص ص، 307-**308**؛ مسفر بن سالم الغامدي: المرجع السابق، ص.245.

[7] - أنظر، الخريطة رقم:18، ص. 396.

من مدينة بخارى وانضم إلى جيش هارون بوغراخان في أخر لحضة، على إثر ذلك فر الأمير نوح الثاني الساماني خفيتا وعبر نهر أموداريا وأختفي عن الأنظار، ولم يستغل هارون بوغراخان هذا الموقف لمواصلة تقدمه إلى بلاد ما وراء النهر، بل قفل عائدا إلى عاصمته كاشغر إثر المرض الشديدا الذي ألم به، ولم تمهله المنية حتى يصل إلى كاشغر حيث توفي في الطريق[1] بمنطقة "كوتشكار- باشي"، في 12 أغسطس992م، وبعد ثلاثة أشهر عاد الأمير الساماني نوح الثاني إلى ملكه[2]، من هنا فشلت المحاولة القراخانية الآولى لإسقاط الدولة السامانية.

الملاحظ من هذه الأحداث أنه على الرغم من أنّ بغراخان لم يستقر طويلا في بخارى بعد حملته هذه، إلاّ أن هذه العملية فتحت للقراخانيين الطريق نحو بلاد ما وراء النهر، فمباشرة بعد وفاة هذا الأخير سنة 384هـ/994م، خلفه "إيلك خان شمس الدين أبو نصر أحمد بن علي"(383-403هـ/993-1012م)، حيث قام في سنة 386هـ/996م بحملة عسكرية لضم بلاد ما وراء النهر، فاستنجد زعيم السامانيين بسبكتكين[3] صاحب غزنة[4]، فأرسل هذا الأخير ابنـــه

[1] - النرشخي، المصدر السابق، ص.153؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج.7، ص.463؛ أنظر، أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام..، المصدر السابق، ص.15؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ص.37؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص. 396؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص. 112.

[2] - النرشخي، المصدر السابق، ص.153؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.112.

[3] - سبكتكين: ولد أبو منصور سبكتكين حوالى سنة 331هـ/ 3- 942م من آب يدعى "جق" كان رئيسا لإحدى العشائر الصغيرة في تركستان، وفي إحدى الأيام قامت إحدى القبائل المجاورة بغارة على مضارب عشيرته فأسرته ولم يكن قد تجاوز 13 من عمره فظل في الأسر مدة 4 سنوات، ثم بيع على إثرها كرقيق لرجل يدعى نصر الحاجي ثم تركه هذا الأخير في مدينة نخشب طيلة 3 سنوات بعد أن أصابه المرض، تعلم خلالها فنون الحرب وأساليب القتال، فعينه سيده رئيسا للغلمان، وفي سنة 348هـ/959م نقل إلى بخارى حيث ابتاعه ألبتكين الذي كان يشغل منصب حاجب الحجاب للأمير عبد الملك، فرقاه بسرعة في مراتب غلمان القصر، بدون أن يمر بالتدرج الذي كان معمولا به أثناء الخدمة، وبعد وفاة ألبتكين أصبح سبكتكين حاجب الحجاب والقائد الموثوق به لأبي إسحاق إبراهيم، وتزوج من ابنة ألبتكين وخلال حكم بلكاتكين وبريتكين استمر سبكتكين ينعم بمظاهر التقدير والإجلال حتى إن القادة أجمعوا عليه ورفعوه إلى عرش غزنة يوم الجمعة 27 شعبان 366هـ/20 أبريل 977م، ومن هنا يبدأ تاريخ الدولة الغزنوية ويستمر حكمه نحو 20 سنة وكان عادلا خيرا ولما حضرته الوفاة عهد بالعرش لإبنه اسماعيل.(أنظر، أبي الفدا، المصدر السابق، ج.2، ص.133؛ محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي حياته وعصره، تر: عبد الله سالم الزليتني، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2007م، ص ص، 46-47.)

[4] - غزنة: بفتح الغين المعجمة والزي الساكنة (المعجمة في آخرها) والنون المفتوحة، وهي بلدة في طريق الهند، خرج منها الكثير من العلماء.(أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.09، ص. 142.).

محمود لنصرته، ولكن الحرب لم تحدث بين الطرفين، حيث جرى بينه وبين القراخانيين صُلح تم بموجبه الاتفاق على أن تكون صحراء قطوان حدا فاصلا بين أملاك القراخانيين والسامانيين[1].

لم يتقيد القراخانيون بهذا الاتفاق، فقد استغل "نصر بن أرسلان خان علي" الملقب:"أرسلان خان" أو "ايلك خان" الاضطراب الذي أعقب وفاة الأمير نوح بن منصور(نوح الثاني)الساماني، 13 رجب عام 387هـ/997م، وإعتلاء ابنه أبو الحرث منصور بن نوح الساماني(عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل) العرش مكانه، حتى اتصلت به جماعة من السامانيين تطمعه في السلطة، فسار أرسلان خان في سنة 387هـ/ 997م بجيشه للاستيلاء على مدينة سمرقند، وانضم إليه القائد فائق، ولم يسمع الأمير الساماني الجديد أبو الحارث بهذه التحركات، إلاّ والجيوش القراخانية على مشارف مدينة بخارى، فتركها وفر إلى ما وراء النهر، ودخلها فائق بكل سهولة وبدون مقاومة تذكر، ثم تراجع هذا الأخير-أي فيق- عن موقفه وكتب للملك الساماني بالعودة وكون معه قوة حاربا بها جيش إيلك وهزماه[2].

كان "أبو الحارث منصور بن نوح" صغير السن لم يتمرس بعد على السياسة، فَوقع فريسة في أيادي رجال الدولة، مثل: "بكتوزون" و"فائق"، حيث ثارا عليه وخلعاه عن العرش وأجلسا أخاه "أبو الفوارس عبد الملك بن نوح"، مكانه سنة 389هـ/998-999م[3].

لما وصلت الأنباء إلى الحاكم القراخاني "أبو نصر أحمد بن علي إيلك خان" الملقب بـ"شمس الدولة"(1012-1013م) هب للدفاع عن الأمير المخلوع، حيث سَّير جيشا إلى خراسان وأطاح بالحكام المحليين، فتصدى له عبد الملك بن نوح الساماني، ولما انهزم هذا الأخير وفقد خراسان لجأ إلى مدينة بخارى، واجتمع مع فائق وقائده بكتزون ومجموعة من الأمراء للتصدي إلى القراخانيين، في المقابل لم يُفوت "إيلك خان" هذه الفرصة، حيث

---

[1] - مسفر: المرجع السابق، ص ص، 246-247.

[2] – النرشخي، المصدر السابق، ص.155؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج.7، ص.487.

[3] - النرشخي، المصدر السابق، ص.155-156.

جمع جيشه وسار للقضاء عليهم والإستيلاء على بخارى وبلاد ما وراء النهر، وأستعمل الحيلة، حيث أظهر المودة لعبد الملك الساماني وأوهمه بأنه أتى لتخليصه، والثأر له من محمود الغزنوي،(أنظر، الصورة رقم:10)[1] فظنوه صادقا، ورحبوا به ولم يتخذوا أي احتياطات منه، وخرج بكتزون رفقة غيره من الأمراء والقواد لاستقبال "إليك خان"، فقبض عليهم جميعا بسهولة، ودخل مدينة بخارى بدون مقاومة، في 10 ذي القعدة سنة389هـ/23 أكتوبر 999م[2].

في هذه الأثناء فزع الأمير الساماني "عبد الملك" ولم يدري ما يصنع لقلة عسكره، فتوارى عن الناس واختفى، فبث إيلك خان العيون حتى ظفروا به وجلبوه فأودع السجن في مدينة أفكند حتى مات، ثم أسر "إيلك خان" جميع أسرته، منهم: أخوه "الحرث منصور بن نوح" الذي كان في الحكم قبله، وأخوه "أبو إبراهيم إسماعيل"، و"أبو يعقوب" وأبناء نوح، وأعمامه: "أبو زكريا" و"أبو سليمان" وعدد كبير من أل سامان[3].

تمكن القراخانيون من ضم بخارى التي تعتبر عاصمة السامانيين، وعينوا عليها "جعفر تكين" واليا من قبلهم، إلا أن أمرهم لم يستتب لأن السامانيين واصلوا النضال لاسترجاع سلطتهم المفقودة، فقد تمكن أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح الساماني الملقب بـ"المنتصر" الهرب من سجن القراخانيين سنة 390هـ/996م، وإلتحق بخراسان حيث كوّن جيشا بمساعدة بعض أعوانه، تمكن به الانتصار على القراخانيين في بخارى، وأخرج منها الوالي "جعفر تكين" ثم سار لاسترجاع سمرقند، ولكنها استعصت عليه فعاد وإستقر بخارى[4].

حاول المنتصر الاستعانة بكبار الفقهاء المسلمين لإقناع الرعية قصد القتال إلى جانبه ضد القراخانيين، إلاّ أن محاولته باءت بالفشل، حيث رد عليه الفقهاء قائلين: "أنه إذا كان

---

[1]- أنظر، الصورة رقم: 10، ص. 410.

[2] - ابن الأثير: المصدر السابق، مج.8، ص.05؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ص.37-38؛ أبي الفدا، المصدر السابق، ج.2، ص.134؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.112-113.

[3] - ابن الأثير: المصدر السابق، مج.8، ص ص، 05-06؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ص.38.

[4] - النرشخي، المصدر السابق، ص.156-157؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ص.38؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.407؛ مسفر الغامدي: المرجع السابق، ص.248-249.

خِصام القراخانيين مع السامانيين من أجل الدّين يُصبح لِزاما علينا أن نحاربهم، ولكن إذا كان نِضالها من أجل مصلحة هذا الأمير، فلا يحق للمسلمين التضحية بأنفسهم من أجله، لأن حياة القراخانيين رائعة جدا وإيمانهم لا غُبار عليه ولا عَيب فيه، ولذا من الأفضل الامتناع عن التدخل"[1].

بهذه الفتوى فَقَد الأمير الساماني سندا قويا في قتاله ضد القراخانيين، لذلك سَّهل عليهم إخراجه بسهولة من بخارى بزعامة شمس الدولة أبو نصر، فهرب رفقة أنصاره إلى مدينة نيسابور، حيث انُّضم إليه أبو القاسم السينجوري وحاربا معا الأمير نصر بن سبكتكين، في سنة 391هـ/1000م، ولما انهزم إتجه صوب خراسان والري[2].

ظل الأمير الساماني ينتقل بين خراسان والري حتى سنة 393هـ/1002م، ونسق مع قبائل الأوغوز(التركمان) الكارهة للقراخانيين، وشجعهم للقتال معه قصد الإطاحة بهم، فساروا في هذه السنة حتى وصلوا إلى بخارى ومنها إلى سمرقند، ولما علم زعيم القراخانيين بهذه التحركات سار لملاقاتهم، وتقابل الطرفان بالقرب من سمرقند حيث وقعت الهزيمة على القراخانيين، ثم جمعوا شتاتهم وعاودوا الكرة فوقعت الهزيمة في هذه المرة على التركمان رفقة السامانيين قرب أشروسنة، ففر الأمير السامني مرة أخرى إلى خراسان واختفى بنواحي الجوزجان ثم ذهب إلى مرو، فبعث محمود بن سبكتكين قوة عسكرية ردته إلى ما وراء النهر، انهزم على إثرها على يد "إيلك خان" ولكنه تمكن من الفرار بأعجوبة رفقة ثمانية من مقربيه، وحاول الاختفاء عند بدوي من العرب الرحل يدعى "بن بوهيدجي"، حيث قتله هذا الأخير سنة 395هـ/1004م[3].

---

[1] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.112-113.

[2]- النرشخي، المصدر السابق، ص.156-157؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ص.38؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.407؛ مسفر الغامدي: المرجع السابق، ص.248-249.

[3] – النرشخي، المصدر السابق، ص.157؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ص.38-39؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.407.فما بعدها؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص. 113.

بالقضاء على قوة المنتصر في خراسان لم يبقى سوى اقتسام أراضي الدولة السامانية بين القراخانيين والغزنويين، فأخذ الأوائل تركستان وبلاد ما وراء النهر، في حين كان لمحمود الغزنوي خراسان، وإتفق الطرفان أن تكون صحراء قطوان حدا فاصلا بين الدولتين، مجددين بذلك المعاهدة التي أبرمت بينهم سنة 386هـ/996م على عهد سبكتكين[1].

ثانيا: العلاقات القراخانية الغزنوية[2]:

اعتلى محمود الغزنوي[3](أنظر، الصورة رقم:10)[4] عرش الدولة الغزنوية(أنظر الجدول

---

[1] – بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.410؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص. 113؛ مسفر الغامدي: المرجع السابق، ص.248-249.

[2] – يعد سبكتكين هو المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية، وكان عبدا لرجل يدعى نصر الحاجي الذي تركه في مدينة نخشب مدة 3 سنوات تعلم خلالها فنون الحرب وأساليب القتار، ثم عينه سيده رئيسا للغلمان، وفي سنة 348هـ/959م نقل إلى بخارى حيث ابتاعه ألبتكين الذي كان يشغل منصب حاجب الحجاب للأمير عبد الملك، فرقاه بسرعة إلى في مراتب غلمان القصر، بدون أن يمر بالتدرج الذي كان معمولا به أثناء الخدمة، وبعد وفاة ألبتكين أصبح سبكتكين حاجب الحجاب والقائد الموثوق به لأبي إسحاق إبراهيم، وتزوج من ابنة ألبتكين وخلال حكم بلكاتكين وبريتكين استمر سبكتكين ينعم بمظاهر التقدير والإجلال حتى إن القادة أجمعوا عليه ورفعوه إلى عرش غزنة يوم الجمعة 27 شعبان 366هـ/20 أبريل 977م، ومن هنا يبدأ تاريخ الدولة الغزنوية ويستمر حكمه نحو 20 سنة وكان عادلا خيرا ولما حضرته الوفاة عهد بالعرش لابنه إسماعيل وكان أبنه الأخر محمود أكبر منه سننا لذلك تقاتلا الأخوان على السلطة انتهى بفوز محمود وتسلم السلطة عنوة.(أنظر، أبي الفدا، المصدر السابق، ج.2، ص.133؛ محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي ،المرجع السابق، ص ص، 46-47.)

[3] - هو أبو القاسم محمود الابن الأكبر لسبكتكين ولد بين التاسع والعاشر من شهر محرم سنة 361هـ/ 1-2 نوفمبر 971م، من أم هي ابنة أحد نبلاء زابلستان، تلقى علومه عن طريق معلم خصوصي يسمى "القاضي أبي علي صينية"، حيث تكونت لديه خلفية جيدة في مختلف المعارف الدينية، فحفظ القرآن ونال قسطا من علوم الفقه والحديث، كما معارف سياسية التي اكتسبها عن سبكتكين، كما نال محمود تجربةكبيرة في مجال الإدارة حيث تركه والده نائبا عنه في غزنة تحت وصاية الوزير أبي علي الكرماني ولم يتجاوز محمود السابعة من عمره، ثم عين في منصب حاكم ولاية زمين داور، كما اكتسب محمود مهارة في فنون الحرب من خلال مصاحبته لأبيه في المعارك والحروب ضد الغور، وقد برزت مواهبه العسكرية في سنة 384هـ/994م لما حارب رفقة أبيه جيوش فايق وأبي علي سيمجوري فأنعم عليه الأمير الساماني لقب:"سيف الدولة" وعينه قائدا لجيوش خراسان مكان أبي علي سيمجور، وقام محمود بتعزيز قوته في خراسان منهيا كل أنواع المقاومة، وبعد فترة وجيزة من هذه الأحداث توفي سبكتكين ودعي محمود إلى غزنة ليبدأ صراعا من أجل العرش مع أخيه اسماعيل.(أنظر، نفسه، ص.57.فما بعدها.)

[4] - أنظر، الصورة رقم:10، ص. 410.

رقم:05)[1] في نفس الشهر الذي دخل فيه جيش الايلك القراخاني مدينة بخارى، في ذي القعدة سنة 389هـ/ أكتوبر 999م، وتَسلم الغزنوي عهدا من الخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ/990-1031م)[2]،(أنظر، الجدول رقم:04)[3] يَعترف له فيه بحكم منطقة خراسان، وبعث له التاج، وأطلق عليه لقب "يمين الدولة وأمين الملة"، في المقابل قام محمود الغزنوي بالخطبة للخليفة القادر في يوم الجمعة بخراسان[4]. وذلك بعد أن كان السامانيون يرفضون الاعتراف به كخليفة، لأنه كان مُعين من طرف البويهيون سنة382هـ/991م على حد زعمهم.

في المقابل أعلن القراخانيين أنفسهم هم أيضا "موالي أمير المؤمنين" بما وراء النهر، وسكوا النقود باسم الخليفة القادر بالله، فقد حمل الايلك نصر في سكته لقب "ناصر الحق"، وكانت العلاقات بينهم وبين الدولة الغزنوية جيدة، حيث اتفق هذا الآخير مع محمود الغزنوي على قتال المنتصر، وفي سنة392هـ/1001م أرسل "محمود الغزنوي" أحد الأئمة الشافعية المدعو:"أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي" رفقة حاكم سرخس[5] "طغانجق"، سفيرين إلى عاصمة القراخانيين، فاستقبلهم نصر بالترحاب وأرسل معهما هدايا ثمينة[6] إلى السلطان محمود، بعد هذه السفارة تزوج السلطان الغزنوي من كريمة نصر وعقدت معاهدة بين

---

[1]- أنظر، الجدول رقم:05، ص. 435.

[2] - هو الخليفة الخامس والعشرون من بني العباس اسمه أحمد أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر (القادر بالله)، ولد سنة 336هـ/ 942م وأمه أمة اسمها "يمنى"، كان أبيض كبير اللحية دائم التهجد كثير الصدقات ولديه دين متين، بويع بالخلافة ليلة خلع عمه الطائع في شعبان سنة 381هـ/ 990م، وعمره يومئذ أربع وأربعين سنة، نقش على خاتمه"القادر بالله"، ولم يكن له من الخلافة سوى الإسم حيث كان مقهورا على أمره، توفي في ذي القعدة سنة 422هـ/1031م وهو ابن ثمانين سنة، وكانت خلافته 41 سنة وشهور.(أنظر، أحمد بن يوسف القرماني(ت 1019هـ/1610م): أخبار الدّول وأثار المصدر السابق، مج.2، ص ص، 158-159.)

[3] - أنظر، الجدول رقم:04، ص. 434.

[4] - بارتولد: التركستان، المرجع السابق، ص.410.

[5] - سرخس: بفتح أوله وسكون ثانيه، وفتح الخاء المعجمة، وآخره سين مهملة، ويقال سَرَخسَ بالتحريك، والأول أشهر، وهي مدينة قديمة من نواحي خراسان، وهي كبيرة وواسعة تقع بين نيسابور ومرو في وسط الطريق. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.3، ص. 208.).

[6] - تمثلت ألهدايا في نقر المعادن ونوافج المسك وقود المراكب وعيس الركائب وروق الوصفاء والوصائف وبيض البزاة وسود الأوبار ونصب الختو وأحجار اليشب وطرائف الصين. (أنظر، بارتولد: التركستان، المرجع السابق، ص. 411.)

الطرفين، جُددت فيها نفس شروط المعاهدة السابقة المبرمة بين بغراخان وأبي علي[1]، أي قبول نهر أموداريا حدا فاصلا بين الدولتين.(أنظر، الخريطة رقم:20)[2].

للوهلة الأولى يبدو أنّ الطرفان كانا على أتم الاتفاق فيما بينهما، لكن هذا لم يكن صحيحا، فقد إغتنم القراخانيون إنشغال محمود بغزوته إلى الملتان[3] سنة 396هـ/1006م ونَقضوا الصلح، حيث أرسل إيلك خان فرقتين من جيشه لضم خراسان، كانت الأولى تحت قيادة أخيه جعفر تكين، ومهمته ضم بلخ[4]، والثانية تحت قيادة أحد أفراد أسرته "سباشي تكين"، تتلخص مهمته في ضم نيسابور وطوس، وقد حققت الفرقتان أهدافهما، ولما وصل الخبر إلى محمود عاد على جناح السرعة إلى عاصمته غزنة[5]، فانسحب جعفر تكين من بلخ إلى ترمذ[6]، ولم يصمد سباشي تكين أمام ضربات جيش محمود وعبر النهر في قلة من جنده، ووقع أخوه رفقة تسعمائة(أو سبعمائة) من عسكره أسرى في يد محمود، فأرسل جعفر تكين ستة آلاف مقاتل إلى بلخ لتخفيف الضغط على سباشي، ولكنه انهزم تحت ضربات جيش أخو محمود

---

[1] – ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.35؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ص.39؛ بارتولد: التركستان، المرجع السابق، ص.411؛ محمد ناظم: محمود الغزنوي حياته وعصره، المرجع السابق، ص ص، 75- 76.

[2] - أنظر، الخريطة رقم:20، ص. 397.

[3] - مُلْتَانْ: بالضم وسكون الام وتاء مثناة من فوقها وآخره نون، وأكثر ما يكتب مولتان بالواو، وهي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون منذ قديم.(أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج.5، ص.189.)

[4] - بلخ من بين المدن والمراكز التجارية الهامة في خراسان ومن أهم ما تشتهر به بلخ: البخاتي والنيلوفر والصابون والسمسم والأرز والجوز واللوز والزاج والكبريت والرصاص والأدهان والجلود.(أنظر، عبد الناصر إبراهيم عبد الحكم: خراسان في عهد السامانيين: 286-389هـ/899-999م، رسالة ماجستير، إشراف: عصام الدين عبد الرؤوف ألفقي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، القاهرة، 1416هـ/1995م، ص ص، 154-185).

[5] - غَزْنَةُ: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون، هكذا يلتفظ بها العامة، والصحيح عند العلماء غَزْنين ويعرّبونها فيقولون جَزنَة، ويقال مجموع بلادها زابلستان، وغزنة قصبتها، وغزن في وجوهه الستة مهمل في كلام العرب: وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحدُّ بين خراسان والهند في طريق فيه خيرات واسعة إلا أن البرد فيها شديد جدًّا. (أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج.4، ص. 201.).

[6] - تِرْمِذُ: بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم يقول بضمها وبعضهم يقول بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفه فيه قديما بكسر التاء والميم جميعا، وترمذ مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصغانيان ولها قهندز وربض، يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر، ولهم شرب يجري من الصغانيان لأن جيحون يستقلّ عن شرب قراهم. (أنظر، نفسه، ج.2، ص. 26.).

الغزنوي "نصر"، وكان ذلك بالقرب من نهر جيحون/أموداريا،(أنظر، الخريطة رقم:18)[1]، ويعود سبب إنهزام جيشه إلى عَدم مقدرتهه على مقاومة الفيلة والأسلحة المتطورة المستخدمة من طرف جنود محمود[2].

حاول الايلك بعد هذه المعركة العزم على محو عار الهزيمة والثأر لنفسه، فجهز في العام الموالي جيشا كبيرا قوامه خمسين(50) ألف مقاتل، واستنفر دهاقين بلاد ما وراء لمساعدته، وعقد حلفا مع أحد أقربائه المسمى قدرخان يوسف حاكم مدينة ختن[3]، وحدثت الواقعة الثانية بين الطرفين في يوم الأحد 22 ربيع الثاني سنة 398هـ/4 يناير 1008م، عند قنطرة جرخيان التي تبعد أربعة فراسخ من بلخ[4]، وكان جيش محمود يضم أجناس عديدة، من بينهم:الخلـــــج[5]

[1]- أنظر، الخريطة رقم:18، ص. 396.

[2] – ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.36؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، مج.2، ص.39؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: المرجع السابق، ص ص، 411-412؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.114؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص ص، 76- 77.

[3] - خُتَنُ: بضم أوله وفتح ثانيه وآخره نون، هي بلد وولاية دون كاشغر ووراء يوزكند، وهي معدودة من بلاد تركستان، وهي في واد بين جبال في وسط بلاد الترك. (أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج.2، ص. 347.).

[4] - رتب محمود جيشه في ساحة المعركة فوضع التونتاش على الجناح الأيمن وأرسلان الجاذب على الجناح الأيسر وأخاه نصر وأبا الفريغوني حاكم جوزجانان وأبا عبد بقواته الذي قدرت بـخمسمائة، في حين ضم جيش إيلك في الجناح الأيمن قدر خان وجغري في الجناح الأيسر وشغل بنفسه قلب الجيش، وإلتقى الجيشان وقد قاتل إيلك خان بكل بسالة وبثلة قوامها 500 من العبيد فشن هجوما خاطفا إلى حد أن جنود السلطان أصابهم الذعر وسيطر عليهم الارتباك فتضرع السلطان إلى الله ودعاه بأن يلهمه الثبات والنصر وقاد هجوما مضادا على مقدمة جيش إيلك خان بواسطة الفيلة فانهزم جيش إيلك خان شر هزيمة.(أنظر، محمد ناظم، المرجع السابق، ص ص، 78-79.)

[5] - الخلجيون: يعتقد كثير من العلماء بأنهم يرجعون في نسبهم إلى الترك، في الحين يرجعهم أخرون إلى قليج خان أحد أصهار جنكيزخان، فقد نزل هذا الأخير بعد هزيمة شاه خوارزم بجبال الغور، ثم حرف إسمه بعد ذلك إلى خلج الذي ينسب إليه الخلجيون، وقد تأثر الخلجيون بالبيئة التي عاشوا فيها، فصاروا يعدون أنفسهم أفغانيين أكثر من أي شيء آخر، وبدأ نجمهم يظهر بالهند ستان أيام محمد الغوري وقطب الدين أيبك وشمس الدين التمش، فكانوا حكاما على البنغال والأقاليم الشرقية كما ولوا كذلك كثيرا من المناصب الرفيعة الأخرى في الدولة، والتف الأمراء الأفغان حولهم ببلاد بلبن وخلفائه في جهة تناهض نفوذ الترك الآخرين وغيرهم، حتى إنتهى بهم الأمر إلى أن ارتقى زعيمهم جلال الدين فيروز شاه عرش دهلي عام 689هـ/1290م وكان في السبعين من عمره. (أنظر، أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 148-149.).

والأفغان[1] والأكراد والغز والتركمان والهنود، وبحوزته خمسمائة فيل التي لم يكن لأتراك عهدا بها، وقد كان لهذه الأخيرة الفضل في تحديد مصير المعركة منذ الوهلة الأولى، حيث مني الجيش القراخاني مجددا بهزيمة ساحقة، وغرق عدد كبير من جندهم في النهر[2].

أدت هذه المعركة مع عوامل أخرى إلى إيقاف أطماع القراخانيين في الإستيلاء على منطقة خراسان، فقد نَشبت النزاعات بين أفراد الأسرة، بسبب عقد أخو الايلك الأكبر طغان خان(403-408هـ/1012-1017م) حلفا مع محمود الغزنوي ضد أخيه، هذا ما أغضب الإيليك وقرر غزو عاصمته كاشغر لتأديبه، غير أن سقوط الثلوج الكثيرة حالت دون إتمام مهمته، وأرغمته على العودة[3]. ومن غرائب الصدف أن النزاع بين الأخوين توقف بعد قيام محمود بالوساطة بينهما في سنة402هـ/1011-1012م.

توفي الايلك في السنة الموالة (403هـ/1012-1013م) وهو يتجهز لقتال شقيقه مرة أخرى، وخلفه أخوه طغان خان(403-408هـ/1012-1017م) على بلاد ما وراء النهر[4]، في حين يقول بارتولد أنّ هذه الأخيرة حكمها أخوان اثنان هما: "ناصر الحق نصر" وهو الأكبر الذي حكم إلى سنة 406هـ/1015-1016م، و"قطب الدولة أحمد"، في حين كان حكم

---

[1] - أول إشارة إلى كلمة الأفغان كانت في كتاب الفلكي الهندي "فارها ميهرا" المسمى:"برهات – سمهيتا" في أوائل القرن السادس الميلادي، وقد ذكرهم بـ"أفاجانا"، وتتألف هذه الأمة من قبائل متعددة كـ"غلجائي" و"عبدل" و"يوسف زائي" و"مهمند" و"فريدي" و"بنكش" وغيرها، وكل قبيلة تحتوي على عمائر مختلفة مثل:"الغلجائي" وتشمل على "هتك" و"توخي" و"سليمان خيل" وغيرها، أما "عبدل" فتتكون من "باركزائي" و"على كوزائى" و"على زائى" و"باميزائى"، وكل عمارة من هذه العمائر تتضمن بطونا والبطون تتضمن أفخاذا، والأفغان نتاج عناصر بشرية متعددة ، قدمت إلى أفغانستان على فترات متعاقبة، واستقرت فيها، ويعد الجنس القوقازي من أقدم العناصر البشرية التي جاءت إلى أفغانستان، كما هاجرت إليها أقوام تركية ومغولية وتترية والتاجيكية.(أنظر، فاروق حلمر بدر: تاريخ أفغانستان من قبل الفتح الاسلامي حتى وقتنا الحاضر، ملتزم للطبع والنشر، القاهرة، 1980م، ص. 05. فما بعدها.).

[2] - رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، مج.2، ص.39-40؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي: المرجع السابق ، ص ص، 412-413؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.114؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص ص، 77- 78.

[3] – إبن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.63؛ بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.413؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.114؛ محمد ناظم، المرجع السابق،ص.79.

[4] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.76؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، مج.2، ص.39.

طغان خان على كاشغر بحكمه الرأس الاسمي للأسرة، وقد حكم أخ رابع إسمه "أرسلان خان" بخارى منذ عام 403هـ/1012-1013م، وتخاصم مع أخاه طغان خان فتقاتلا بالقرب من أوزكند[1]، ثم تصالحا سنة 1016م بوساطة من خوارزمشاه المأمون[2]، الذي كان يبحث عن حليفا له تمهيدا لنزاعه القادم ضد محمود الغزنوي[3].

مهما يكن من أمر فبمجرد إعتلاء طغان خان عرش القراخانيين، أرسل الرسل ليتصالح مع السلطان محمود الغزنوي، وقال له: إن "مصلحة الإسلام والمسلمين أن تنشغل أنت بغزو الهند وأشتغل أنا بغزو الترك"[4]، فزال الخلاف بين الطرفين وتوطدت العلاقة بينهما.

الحقيقة توفرت عدة أسباب جعلت طغان خان(403-408هـ/1012-1017) يقوم بهذا الأمر، من بينها إكتشف سفير بعثه حاكم الخطا- سوف أتطرق إليها - من شمال بيكين إلى السلطان محمود الغزنوي، من أجل التنسيق معه للقضاء على القراخانيين[5]، ومن هنا كان على طغان خان العمل على عدم إتمام هذا التحالف، فقام ببعث طلب الصلح لمحمود الغزنوي، قصد التفرغ لحرب الخطا في أقصى الشرق من دولته.

وقد تطورت الأمور في دولة القراخانيين، حيث خلف خوارزمشاه المأمون ابنه "أبو الحسن علي" على العرش وكان هذا الأخير يدين بالتبعية للقراخانيين، وبعد هزيمة الايلك خان أمام محمود الغزنوي تقرب هذا الأخير من السلاجقة، وتزوج من أخت محمود، كما أصبح أخوه علي وخليفته أبي العباس المأمون "منصور الثاني"(1009-1017م) حليفا هو الأخر للسلطان محمود، وتزوج من أخته سنة 406هـ/1015-1016م، وإعترف به الخليفة العباسي

---

[1] - أوزكند: بالضم والواو والزاي ساكنان، بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال أوزجند وكند بلغة أهل تلك البلاد معناه القرية كما يقال أهل الشام الكفر، وأوزكند آخر مدن فرغانة مما يلي دار الحرب، ولها سور وقهندز وعدة أبواب وإليها متجر الأتراك.(أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج.1، ص. 280.).

[2] - سمي حكام الجرجانية بالمأمونيين وهم أصحاب إقطاعات كبيرة وكانوا تابعين للدولة السامانية وكانوا على علاقة جيدة مع السلطان محمود الغزنوي، ولكن العلاقة لم تدم طويلا.(أنظر، محمد ناظم، المرجع السابق، ص.82.).

[3] - بارتولد: التركستان، المرجع السابق، ص. 413 فما بعدها.

[4] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.76؛ الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، مج.2، ص.39-40.

[5] - René GROUSSET, op.cit,p. 197.

القادر بالله[1](أنظر، الجدول رقم:04)[2] حاكما وأرسل له عهده وأكرمه بخلعة ولواء، ولقبه "عين الدولة وزين الملة"، ويفهم من الأمر أن الخليفة جعله ندا لمحمود الغزنوي في خراسان، لذلك تصرف "منصور الثاني" بذكاء، فقد خشي هذا الأخير قبول الأمر مباشرة اتقاء لغضب السلطان الغزنوي، وفي نفس الوقت لم يجرأ على رد أمر الخليفة، فعمل على عدم استقبال رُسل الخليفة بعاصمته، وأرسل البيروني(362-440هـ/ 973-1048م)[3] ليستقبلهم خارج المدينة في الصحراء، ويستلم منهم الخلع[4].

يمكن القول أنّه رغم هذه الإحتياطات إلا أن العلاقة بين محمود الغزنوي و"منصور الثاني" توترت بسرعة، وذلك بعد أن رفض هذا الأخير مشاركة حليفه القوي –محمود- في عقد صلح بين الإخوة القراخانيين(طغان خان والاليك)، فتوجس منه خيفة، ولكي يقطع الشك باليقين طلب منه جعل الخطبة له سنة 405هـ/1014م، فأعرب عن فعل ذلك لقواده وأعيان دولته، لكنهم فرفضوا ذلك وهددوه بالثورة عليه، فاضطر إلى امتصاص سخطهم، فعدلوا عن العصيان، وللخروج من هذا المأزق حاول المأمون استغلال القراخانيين عملا بنصيحة

[1] - إسمه أحمد أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر، بويع له بالخلافة ليلة خلع عمه الطائع، وعمره يومئذ أربع وأربعون سنة، وكان أبيض، كبير اللحية يخضبها، كان دائم التجهد كثير الصدقات، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وأمه أمة إسمها "يمنى"، ونق خاتمه: " القادر بالله"، وليس له من الخلافة إلا الإسم، فقد كان مقهور على أمره. (أنظر، أحمد يوسف القرماني، المصدر السابق، ج.2، ص. 158.).

[2] - أنظر، الجدول رقم:04، ص. 454.

[3] - ولد محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي في الثانية من ذي الحجة عام 362هـ/ 4 أيلول عام 973م في بلدة بيرون وهي عاصمة خوارزم ومنها جاءت نسبته البيروني، نشأ البيروني في أسرة بسيطة أتاحت له مجال التعليم، ولقد إنكب البيروني في الفترة الأولى من حياته وحتى سن الثانية والعشرين على الدراسات العلمية ولأنه كان أحد أنصار خوارزم شاه فقد حظي بمكانة عنده، وعقب وفاته هاجر البيروني إلى سواحل بحر قزوين(الخزر) ووصل إلى جرجان عام 385هـ وقضى بها خمسة عشر عاما وهناك كتب كتابه الشهير: "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، وأهداه لحاكم جرجان قابوس بن وشكمير(976-1012م)، وكان بلاط هذا الأخير يجمع البيروني وابن بادس إلا أنه لم تكن بينهما علاقة وطيدة، وكان البروني يفضل عليه الفلكي النصراني أبو سهل عيسى، عاد البيروني إلى خوارزم عام 400هـ/1009م ولما ضمها محمود الغزنوي سنة 408هـ/1017م ورحل معه وأصبح من خاصته وصاحبه في فتوحاته إلى الهند، توفي البيروني في 3 رجب سنة 440هـ/13 كانون الأول 1048م في مدينة غزنة. (أنظر، أشرف صالح محمد سيد: الآثار الباقية عن البيروني(362-440هـ/973-1048م)، دار النشر الإلكتروني كتب عربية، القاهرة، 2007م، ص. 11 فما بعدها من عدة صفحات.).

[4] – بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص. 415.

البيروني، حيث توسط بين أفراد الأسرة ونجح في إنهاء خصوماتهم الداخلية، وأفلح في إبرام المصالحة بينهم، ثم عقد تحالف سري معهم قصد تجنيدهم ضد محمود الغزنوي[1].

لمّا علم محمود بالأمر بعث رسوله من بلخ إلى"الخان والايلك" معاتبا إياهما على الدخول في علاقات سرية مع عدوه خوارزمشاه، فأجاباه بكل لباقة: بأنهما يعلمان بأنه صهر السلطان وأنه صديقه وهو راض عنه، أما إن كان عاتبا عنه الآن فالواجب أن لا يغضب لأننا لا ندري، والخير أن نتوسط لتعود الألفة بينكما[2]، فلم يرد السلطان بشيء.

في نفس الوقت بعث القراخانيون إلى خوارزمشاه من يخبره بسفارة السلطان، فحاول هذا الأخير استغلالهما لضرب محمود الغزنوي، واقترح عليهما إرسال قوات عسكرية للاستيلاء على خراسان من عدة جاهات مختلفة، فرفض القراخانيون هذا الأمر جملتا وتفصيلا، وعرضوا عليه الوساطة بينه وبين السلطان، فقبل، وفي سنة 1016-1017م استقبل محمود رسل الخان والاليك ببلخ من أجل عقد الصلح، ولكنه أعادهما بجواب دبلوماسي، مفاده أنه ليس بينه وبين خوارزمشاه أي خلاف يذكر وإن كان فقد زال الآن بعد وساطتهما[3].

في هذه الأثناء تفطن السلطان محمود بسرعة لنوايا خوارزمشاه الذي كان يريد التآمر ضده مع القراخانيين، فبعث له كتاب لم يترك له فيه الخيار، حيث أمره بضرورة عقد الخطبة له على المنابر، وإن لم يفعل فإنه قد عبأ له ببلخ مائة ألف فارس وراجل، وخمسمائة من الفيلة، ولن يعود إلى عاصمته غزنة إلا إذا عالج هذا الأمر، وعليه أن يختار واحدة من ثلاث:

- إما أن يقرأ الخطبة باسمه طوعا أو كرها.

- وإما إرسال الهدايا الثمينة على أن يعيدها إليه خفيتا لأنه في غنا عن الهدايا.

---

[1] – البهقي، المصدر السابق، ص.736.فما بعدها؛ بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص ص، 415-416؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص. 82-83.

[2] – أبو الفضل البيهقي: تاريخ البيهقي، تر: يحي الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، مصر، د.ت.ن، ص ص، 739-740؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي...، المرجع السابق، ص.416؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص.83.

[3] – البيهقي، المصدر السابق، ص ص، 739-740؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي...، المرجع السابق، ص.416؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص.83.

- وإما أن يرسل إليه أعيان البلاد الرافضون ليمثلوا أمامه ويقدموا له اعتذارهم[1].

فَهِمَ خوارزمشاه إنذار السلطان محمود، فسارع بإدخال الخطبة باسمه في كل أراضيه بخراسان، ما عدا عاصمته "كاث وكركانج" خوفا من قواده، وأرسل إلى محمود ثمانين ألف دينار وثلاثة آلاف حصان مع مشايخ البلاد وقضاتها وأعيانها، فثار عليه خاصة قواته والجيش بقيادة الحاجب البتكين البخاري، واغتال الثوار الوزير وبعض مستشاري الأمير، ثم أحرقوا أبي العباس مأمون خوارزمشاه في 15 شوال سنة 407هـ/17 مارس 1016-1017م، وأجلسوا أبن أخيه الأمير "أبا الحارث محمد بن علي بن المأمون" على العرش، الذي يكن يتجاوز السابع عشر من عمره، في حين كانت مقاليد الدولة في قبضة زعيم القتلة ألبتكين والوزير أحمد طاغان، حيث مارسوا الاستبداد مدة أربعة أشهر كاملة[2].

كانت ردة فعل السلطان محمود متوازنة، وذلك خوفا من مبادرة الثوار إلى التخلص من أرملة خوارزمشاه التي تكون أخة السلطان، حيث بعث وزيره لإقناعهم بعدم التعرض لها وضرورة إرسالها إلى محمود، في المقابل يضمن لهم عدم تعرض السلطان إليهم وتركهم وشأنهم[3]، في الحقيقة أن محمود كان يريد من ذلك كسب الوقت فقط، وذلك من أجل كسب القراخانيين لصفه، أو على الأقل تحييدهم لكي لا يجتمع الطرفين عليه، فكتب إلى "الايلك" و"خان" تركستان يعلمهما بذهابه للمطالبة بدم صهره، وإخضاع تلك البلاد التي أصبحت تسبب له القلق والمتاعب.

بالرغم من أن القراخانيين تيقنوا بأن العمل الذي سيقوم به محمود لا يصب في مصلحتهم، إلا أنهم استصوبوا رأيه، وفي 5 صفر 408هـ/3يوليه 1017م قضى السلطان محمود على الثوار الخوارزميين، وألقى بهم تحت أقدام الفيلة فدهسوا ثم طيف بهم بين الناس،

[1] - البيهقي، المصدر السابق، ص.741؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي...، المرجع السابق، ص.416- 417.

[2] - البيهقي، المصدر السابق، ص ص، 741-742؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص ص، 417. فما بعدها؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص.83.

[3] - البيهقي، المصدر السابق، ص.745؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص ص، 83-84.

ونودي:" هذا جزاء كل من يَقتل أميره"[1]، ثم عُلقت الجثث بالمشانق، وضمت خوارزم إلى محمود الغزنوي ففوضها إلى التونتاش، ثم أضاف له الجرجانية وأطلق عليه لقب خوارزمشاه، وأبقى معه أرسلان جاذب[2]، ثم عاد إلى عاصمته غزنة.

لقد منح هذا الأمر تفوقا للمحمود الغزنوي على حساب القراخانيين، وقد بدأت الحرب الأهلية تنخر في جسم هذه لأسرة، هذا ما جعل من المستحيل عليهم جمع كلمتهم والقيام بحملات خارجية[3] ضد السلطان الغزنوي من أجل إسترجاع منطقة خوارزم إليهم.

ويبدو أنّ العلاقات بين الدولتين تحسنت نوعا ما، فقد ظلّ القراخاني"طغان خان" حليفا مخلصا لمحمود الغزنوي حتى توفي في سنة 408هـ/1018م، وظلّ أخوه وخليفته أرسلان خان أبو منصور محمد بن علي "الأصم"(408-423هـ/1017-1031م)، الملقب بـ"شرف الدولة" صديقا حميما لمحمود الغزنوي، فقد طلب هذا الأخير يد إحدى كريمات بيته إلى ابنه الأكبر مسعود، واستقبلت الأميرة التركية بحفاوة بالغة ببلخ، كما كانت زوجة أرسلان خان ترسل في كل عام غلاما وجارية كهدية لمحمود، في المقابل كان السلطان يَرد عليها بهدايا تحتوي على ثياب مقصبة وأقمشة مزركشة وعقود اللؤلؤ والديباج الرومي[4].

بقت العلاقة بين الدولتين على حالها طيلة فترة حكم طغان خان وبعد وفاتة سنة 408هـ/1017-18م، رفض ملك بخارى ونائبه على سمرقند قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان، خضوعه إلى القراخان الأعلى الجديد أبي منصور أرسلان خان، ودخل في حرب معه وطلب العون من محمود الغزنوي، ولكن بعد ذلك تصالح الأخوان، وعقدا حلفا يهدف إلى غزو أملاك السلطان محمود، وبالفعل قاما في عام 410هـ/1019-1020م بغـــــارة

[1] - البيهقي، المصدر السابق، ص.745؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص ص، 83-84.

[2] - البيهقي، المصدر السابق، ص.745؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص ص، 83-84.

[3] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص ص، 417. فما بعدها.

[4] - المرجع نفسه، ص.420.

على خراسان، ولكنهما هزما شر هزيمة بالقرب من بلخ[1].

في هذه الأثناء إستغل قدرخان ضعف أرسلان خان واستولي على مقاليد الدولة وصار صاحب الأمر والنهي[2]، لذلك عقد السلطان محمود حلفا معه لكسبه إلى صفه في نزاعه ضد أفراد الأسرة الآخرين، ولم يبدأ النزاع بين الطرفين إلا عندما أصبح قدر خان هو الحاكم الفعلى على جميع أراضي تركستان الشرقية[3].

أحس السلطان محمود الغزنوي بخطورة النمو المتزايد لقوة الأخوين علي تكين وطغان خان المستحوذين على بخارى وبلاساغون، حيث أصبحوا يشكلون قلقا على أمن منطقة خراسان التابعة للغزنوي، لذلك رأى من الضروري سحقهما قبل أن تتعاضم قوتهما، وقد إستغل هذا الأخير، مجيء عدد كبير من سكان ما وراء النهر إليه في بلخ يتظلمون من تعسفات علي تكين، وكذلك إتخذ من عدم سماح هذا الأخير بمرور رسله إلى ملوك القراخانيين، ذريعة لبدأ الحرب، وبالفعل عبر السلطان محمود نهر أموداريا في سنة415هـ/1025م قصد تأديب هذا الأخير، وانضم إليه من أمراء ما وراء النهر كل من أمير صغانيان[4] و خوارزمشاه الحاجب التونتاش[5].

---

[1] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.116-117؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، مج.2، ص.40؛ بارتولد:التركستان، المرجع السابق ، ص ص، 420-421؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص.80.

[2]- رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، مج.2، ص.40.

[3] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.116-117؛ رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، مج.2، ص.40؛ بارتولد: التركستان، المرجع السابق ، ص ص، 420-421؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص.80.

[4] - صغانيان: بالفتح وبعد الألف نون ثم ياء مثناة من تحت وآخره نون، والعجم يبدلون الصاد جيما فيقولون جغانيان، وهي ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ، ومشاربهم من أنهر تمد إلى جيحون، وبها عشر ألف قرية تخر منها عشرة آلاف مقاتل بنفقاتهم ودوابهم، وبها رخص وسعة في العيش، وجامعها في وسط السوق، وبها أجناس الطيور كثيرة الصيد، وبها من المراعي ما يغيب فيه الفارس، وهم أهل سنة وجماعة، يحبون الغريب والصالحين، إلا أنها قليلة العلماء خالية الفقهاء.(أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.3، ص ص، 408-409.).

[5] - وضرب خيمة أخرى خاصة به مصنوعة من الديباج الشختري الأحمر وستائرها من الديباج المنسوج، ثم أمر فعبأ الجيش وصفوا الميمنة والمسرة والقلب والجناحين، وأمر أن تكون أماكن صناعة الأسلحة في خلف الجيش، وأوقفوا الفيلة بدروعها وسروجها، ثم أمرهم فقرعوا الطبول والأبواق دفعة واحدة، ووضعوا على ظهر الفيلة التهاني ومرايا الفيلة، ونفخوا الأبواق وضربوا الأصناج الكبيرة ودقوا الدفوف، فأصموا الأذان من الأصوات وأدهشوا الموجودين، واغتنم كل من حضر في هذا العسكر من التركستان أو ما وراء النهر غما شديدا.(أنظر،أبي سعيد عبد الحي ابن الضحاك بن محمد الكرديزي(ت: 443هـ): زين الأخبار، تر: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م، ص.265.)

يبدو أنّ حاكم القراخانيين الأعلى قدرخان(أنظر، الجدول رقم:01)[1] كان مُطلع على تلك التطورات التي كانت تحدث في دولة الغزنويين، فبمجرد عبور السلطان محمود نهر جيحون، تقدم نحوه من جهة كاشغر إلى سمرقند ليراه ويجدد له عهد الصداقة، فالتقى الطرفان في يوم الثلاثاء 27 صفر 416هـ/29 أفريل 1025م، على باب هذه المدينة، ولما وصل قدر خان إلى مسافة فرسخ من جيش الأمير محمود، تَرَّجَلَ ونصب خيمته والتقيا في جو من الود والصفاء[2].

أعدت مائدة فاخرة في خيمة محمود الغزنوي وجلس الطرفان جنبا إلى جنب يتناولان الطعام، ولما فرغا من ذلك توجها إلى مجلس الطرب، الذي كان مزينا بأندر الطرائف حتى عَقدت الدهشة لسان قدر خان، ولم يتناول شيئا من النبيذ، فتمتعوا بالموسيقى مدة من الوقت، ثم قام قدر خان وقدم له السلطان محمود الهدايا الباهرة وودعه، ولما وصل إلى معسكره أمر صاحب خزانته ببعث الهدايا للسلطان من طرفه[3].

نتج عن هذا اللقاء التاريخي عدة أمور من بينها: اتفاق الطرفان على توحيد قواهما لانتزاع ما وراء النهر من يد علي تكين، وإعطائها "ليغان تكين" الإبن الثاني لقدر خان، وإتفقا على تزويج "زينب" كريمة السلطان محمود، في المقابل يعطي قدر خان كريمته زوجة لابن محمود الثاني محمد[4].

ولما سمع علي تكين بالأمر هرب إلى الصحراء، فبعث محمود العيون لتقصيه فأخبروه أنه مختبئ لدى حليفه التركماني إسرائيل بن سلجوق، فأرسل يمين الدولة العسكر أخرجوه من مخبئه وأرسلوه إلى غزنة، فنفاه محمود إلى هندوستان، وظل فيها إلى أن مـــــــــــــات

[1]- أنظر، الجدول رقم:01، ص. 431.

[2] - الكرديزي، المصدر السابق، ص.265-266؛ بارتولد: التركستان...، المرجع السابق، ص. 423؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.115-116؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص.80-81.

[3] - الكرديزي، المصدر السابق، ص ص، 266-267 ؛ بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.424-425.

[4] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.426؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.116؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص.81.

في سنة 416هـ/1026م[1]، في حين ارتحل كثير من السلاجقة إلى خراسان بموافقة محمود.

رجع محمود الغزنوي إلى بلخ من دون أن يتخذ أي إجراء لتأمين مصالح حلفائه القرخانيين في بلاد ما وراء النهر، ومن المؤكد أنه لم يكن في نيته القضاء على أحد الفرعين الرئيسيين، فينفسح المجال لقدر خان ويصبح هو الحاكم المطلق لجميع تركستان، فلما وصل الأمير يغان تكين إلى بلخ بنية الذهاب إلى غزنة للزواج من الأميرة الغزنوية كما تم الإتفاق،ثم الاستيلاء على بخارا وسمرقند بمساعدة صهره السلطان محمود، أمره هذا الأخير بالعودة من حيث أتى وتأجل الأمر لأنه منشغل بحربه في سومنات(الهند)، وكان في نية محمود أن يفلح هذا الأخير في هزيمة منافسيه بتركستان ومن ثم يسهل عليهما فيما بعد إخضاع ما وراء النهر[2].

في المقابل تمكن قدر خان وأبناؤه من هزيمة طغان أخو علي تكين وانتزاع بلاساغون منه، وبقى علي تكين حاكما على بخارا وسمرقند فقط، أما أخوه طغان تكين بعد أن طرد من بلاساغون حكم لبعض الوقت باخسيكث 417-418هـ/1026-1027م، أما أوزكند عاصمة الايلك السابقة، فقد حكمها قدر خان 416-420هـ/1025-1029م[3].

استمر قدر خان على علاقة طيبة بالسلطان محمود الذي سطع نجمه في الأفاق، ففي سنة 417هـ/1026م وصل إلى غزنة سفراء من قبل اثنين من حكام خانات الأتراك غير المسلمين، وحسب رواية الكرديزي أنهما: قتاخان(كتاخان) حاكم كتا ويغرخان(إيغرخان) حاكم كوجو، ولعلهما من أسرة القراخانيين، وأعلنا طاعتهما للسلطان محمود والتمسا منه تزويجهما من أسرته، غير أنّ السلطان رد عليهما بلباقة قائلا: "أننا مسلمون وأنتم كفار، ولا يجوز لنا أن نزوجكم أخواتنا أو بناتنا فإذا أسلمتما فإنه يتحقق هذا الأمر"[4].

---

[1] - الكرديزي، المصدر السابق، ص.267.

[2] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي، المرجع السابق، ص.426؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.116-117.

[3] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي، المرجع السابق، ص.427.

[4] - الكرديزي، المصدر السابق، ص.270؛ محمد ناظم، المرجع السابق، ص.81.

وفي شوال من نفس العام استقبل محمود سفراء الخليفة العباسي القادر بالله،(أنظر، الجدول رقم:04)[1] يحملون إليه عهد إعتراف الخليفة بحكم السطان محمود كل الولايات التي فتحت على يديه، ولقبه بـ:"كهف الدولة والإسلام"، وأطلق على إبنه الأمير مسعود لقب:"شهاب الدولة وجمال الملة"[2]، في المقابل كان محمود يخاطب الخليفة بوصفه الوريث الشرعي للسامانيين والحاكم المطلق لجميع المشرق، واستطاع افتكاك وعد من الخليفة بأن لا يعقد علاقات مع القراخانيين أو يرسل إليهم الهدايا إلا عن طريقه[3]، لأنه يعتبرهم أتباعا له.

لقد طرأت تغيرات على العلاقات القراخانية الغزنوية عقب وفاة السلطان محمود الغزنوي 421هـ/الخميس 30 أبريل 1030م، حيث أصابها بعض الفتور[4]، فقد اتبع ابنه مسعود الذي تولي الحكم في سنة 422هـ/1031م نفس سياسة والده تجاه الخلافة العباسية، واجتهد هو الأخر في إفتكاك تفويض من الخليفة على حكم خراسان وخوارزم، وسعى إلى عدم إقامة الخليفة علاقات مباشرة مع القراخانيين، وحرص أن يكون هو الوسيط، لذلك أكثر في بعث الهدايا للخليفة، وأمر أن يضاف إليها مائة حلة ثمينة من شتى الأنواع، من بينها عشر منسوجات مطرزة بالذهب وخمسون حبة من المسك ومائة شمامة من الكافور، ومائتا شارة مقصبة، وخمسون سيفا هنديا، وكأس من ذهب يزن ألف مثقال مملوء باللؤلؤ، وعشر قطع من الياقوت، وعشرون قطعة نفيسة من لعل بدخشان، وعشرون خيل ختلية بسروج وبراقع من ديباج، وخمسون غلام تركي، وأهدى إلى رسول الخليفة خلعة مما يخلع على الفقهاء وأهداه الوزير مائة ألف درهم[5].

نجح السلطان مسعود بهذه السياسة في كسب ود الخليفة حيث وصله منشور ورسالة منه، ففرح كثيرا وأمر وزيره أبي سهل الزوزني أن يقرأها، وما أن ذكر الأمير في المنشور

---

[1]- أنظر، الجدول رقم:04، ص. 434.

[2] - الكرديزي، المصدر السابق، ص.270

[3] - بارتولد، التركستان من الفتح العربي، المرجع السابق، ص.428.

[4] - توفي محمود الغزنوي في ربيع الآخر سنة 421هـ بمرض الإسهال وسوء المزاج مدة سنتين، وكان نولده في سنة 360هـ.(أنظر، أبي الفدا، المصدر السابق، ج.2، ص.158.)

[5] - أبو الفضل البيهقي: تاريخ البهقي، المصدر السابق، ص ص، 22-21.

حتى نهض واقفا وقبل بساط السرير، ثم فتحوا الصناديق وأخرجوا الخلع منها واحدة سوداء والبقية ديبقيات بغدادية ملكية نادرة، وارتدى مسعود الخلعة وصلى ركعتين، وكان ارتداء الخلعة دليل على توريث الخليفة إياه ملك أبيه، وأمر السلطان بأن يكتب إلى هراة[1] وبوشنك[2] وطوس[3] وسرخس ونسا[4] وباورد[5] وباغيس(باغش)[6] وكنجروستاق[7] بهذه البشائر التي منحها من بلاط الخلافة، ونسخت صورا من المنشور والرسالة، وأبرزوا فيها الألقاب التي يدعى بها السلطان ليخطب بها على المنابر، وهي: "ناصر دين الله وحافظ عباد الله والمنتقم من أعداء الله وظهير خليفة الله أمير المؤمنين"[8].

وفي سنة422هـ/1031م جدّد الاتفاق بين السلطان مسعود والخليفة العباسي بألاّ يقيم علاقات مع القراخانيين إلاّ عن طريقه، ولكن في الوقت نفسه كان السلطان الغزنوي يعامل رأس القراخانيين معاملة الند لند، وأمر سفيره بأن يقنع قدر خان بأن الناس يريدون من الحاكمين توطيد دعائم الود بينهما، وإن رسالة خوارزمشاه التونتاش إلى مسعود تعطينا فكرة عن نوع العلاقة التي كانت بين الغزنويين والقراخانيين.

ففي سنة421هـ/1030م بعث التونتاش برسالة إلى مسعود، جاء فيها:" لا يخفى ما تحمّل السلطان الماضي(محمود) من المشقة والمئونة حتى توطدت أقدام قدر خان في الحكم هنالك واستتبت له الأمور في تلك الأنحاء، فمن الواجب أن تنمّى اليوم هذه الصلات لتزداد

[1] - هَرَاةُ: بافتح وهي مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان لم يرى مثلها، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة مليأة باعلماء وبأهل الفضل. (أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج.5، ص.396.).

[2] - بُوشَنْجُ: بفتح الشين وسكون النون وجيم، وهي بلدة نزهة خصبة في واد مشجر من نواحي هراة.(أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج.1، ص. 508.).

[3] - طوس: هي مدينة بخراسان بينها وبين نيابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما ألف قرية فتحت في أيام عثمان بن عفان –رضي الله عنه-.(أنظر، نفسه، ج.4، ص. 49.).

[4]- ناسا: بفتح أوله مقصور بفظ عرق النسا، وهي مدينة بخراسان.(أنظر، نفسه، ج.5، ص.281.).

[5] - بَاوَرْد: بفتح الواو وسكون الراء وهي أبيورد، بدة بخراسان بين سرخس ونسا. (أنظر، المصدر نفسه، ج.1، ص. 333.).

[6] - باغش: بالشين المعجمة وهي من قرى جرجان. (أنظر، نفسه، ج.1، ص.325.)

[7]- كُنْجَرُسْتاق: عمل مبير بين ناحية باذغيس ومرو الروذ. (أنظر، نفسه، ج.4، ص. 482.).

[8] - أبو الفضل البيهقي، المصدر السابق، ص ص، 45- 46.

بواسطتها تلك الألفة، وهم في الحقيقة ليسوا أحبّاء ولكن مجاملتهم واجبة كي لا يركنوا إلى الفساد، أما علي تكين فانه عدو لدود وهو كالثعلب الأبتر لأن أخاه طغان خان حرمه من حكومة بلاساغون بأمر من السلطان الماضي، ولا يمكن أن يكون العدو صديقا في يوم من الأيام، فمن الواجب على أية حال أن نعقد معه عهدا ولو شكليا، فإن ما أبرم العهد فينبغي أن تحشد ثغور بلخ وطخارستان[1] وصغانيان وترمذ[2] وقُباذيان[3] وختّلان[4] بالرجال والجند، فإن من عادته أن يهاجم كل ناحية يعرف أنها خالية من معدات الحرب والدفاع فينهبها ويتركها"[5].

أخذ مسعود بنصيحة التونتاش، وبعث في سنة422هـ/1031م سفارة إلى كاشغر، على رأسها أبو القاسم إبراهيم بن عبد الله الحصري والقاضي أبو طاهر عبد الله بن أحمد التباني، حددت مهمتها بإعلام قدر خان اعتلاء مسعود العرش، وتوكيد الصداقة والمصاهرة بين الطرفين بطلب كريمتهم لمسعود[6]، وطلب يد ابنة ولي العهد بغراتكين بن قدر خان لمودود ابن مسعود[7]، وعرض مسعود خمسون ألف دينار هروي صداقا لعروسه وثلاثون ألف لعروس ابنه[8].

يبدو من الرسائل التي بعثها السفراء من كاشغر أن المفاوضات تعثرت بسبب وفاة قدرخان سنة 423هـ/1031م، وتعيين ابنه الأكبر بغراتكين(423-439هـ/1031-1047م)

[1]- طَخارستان: بالفتح وبعد الألف راء ثم سين ثم تاء مثناة من فوق، ويقال طَخَيرستان، وهي ولاية واسعة كبيرة تشتم على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهناك طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي جيحون وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخا، وأما السفلى فهي أيضا غربي جيحون إلا أنها من بلخ وأضرب في اشرق من العليا.(أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج.4، ص.23.).

[2]- ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصغانيان، ولها قندز وربض ويحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر، ولهم شرب يجري من الصغانيان لأن جيحون يستقل عن شرب قراهم. (أنظر، نفسه، ج.2، ص. 26.).

[3]- قُباذيان: بالضم وبعد الألف ذال وياء مثناة من تحت وآخره نون وهي من نواحي بلخ. (أنظر، نفسه، ج.4، ص.303.).

[4]- خَتْلان: بفتح أوله وتسكين ثانيه وآخره نون، بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند.(أنظر، نفسه، ج.2، ص.346.).

[5] - بارتولد: التركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.437.

[6] - وكانت هذه الزوجة قد خطبت فيما سبق في عهد السلطان محمود الغزنوي من أبيها قدرخان لإبنه الأمير محمد ولكن لم يتم الإتيان بزوجته فقرر السلطان مسعود التزوج بها وكان له ذلك.(أنظر، البيهقي، المصدر السابق، ص.211.)

[7] - نفسه، ص.450.

[8] - بارتولد: التركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق ، ص.438.

مكانه على العرش، واتخذ لقب ارسلان خان، فبقى السفراء مدة أربع سنوات في بلاد القراخانيين، يعملون على تحقيق أهداف سفارتهما[1]، وقد جرت تطورات كبيرة في الدولة القراخانية بعد موت قدرخان، حيث اقتسم ولداه أرسلان خان وبغراخان المملكة فأخذ الأول كاشغر وختن وبلاساغون وكان نصيب الثاني طراز واسبيجاب[2]، وتنازعا بينهما على السلطة.

أرسل السلطان الغزنوي مسعود بعد وفاة قدرخان مكتوبا إلى كاشغر يعزي فيه وفاة الخان، ويهنئ خلفه باعتلاء العرش، ولم يرجع السفراء إلى غزنة إلاّ في425هـ/سبتمبر 1034م[3]، رفقة السفارة الأولى، وذلك بعد أن نجحوا في تنفيذ مهمتهم، غير أن خطيبة مودود توفيت في الطريق، ووصلت خطيبة مسعود "شاه خاتون" بسلام إلى عاصمة الغزنويين، فإستقبلت باحتفالات كبيرة[4].

يمكن القول أنّه رغم كل هذه الروابط الأسرية بين الدولتين، إلاّ أنّ العلاقات بين السلطان مسعود الغزنوي والقراخانيين لم تتسم بروح الصداقة، ففي خريف425هـ/1034م أي في نفس الوقت الذي رجع فيه مبعوثا الغزنويين من بلاساغون، وصل سفراء من قبل بغراتكين(بغراخان) يطلبون إرسال عروسه زينب إليه حسب الإتفاقية، في هذه الأثناء وصلت إلى مسامع السلطان مسعود أن هذا الأخير ينوي إثارة حقه في ميراث محمود باسم زينب، فغضب وأعاد الرسول بخفي حنين، ثم بعث برسالة إلى ارسلان خان يشتكي له أخيه، وقد أدت معاتبة ارسلان خان أخيه إلى زيادة عداوته له وللغزنويين معا، لذلك أظهر فرحه حين بلغه خبر انتصار صديقه الحميم طغرل السلجوقي على الغزنويين في خراسان سنة425هـ/1035م،

---

[1] - البيهقي، المصدر السابق، ص.450.

[2] - ولكن هذا الأخير طمع في استيلاء على ممتلكات أخيه وأغار عليها حيث جرت بينه وبين أخيه معارك طاحنة تمكن على إثرها من هزيمة أخية أرسلان وأصبح أسيرا بين يديه فأودعه السجن واستولى على جميع تركستان.(أنظر، رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ج.2، ص.41.).

[3] - بارتولد: التركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق ، ص.438.

[4] - البيهقي، المصدر السابق، ص.451؛ بارتولد: التركستان..،المرجع نفسه، ص.438.

وفي سنة427هـ/1037م تم القبض على إسكافي بالقرب من شاطئ أموداريا وتبين بأنه جاسوس لبغراتكين، كان يحمل رسائل موجهة إلى زعماء التركمان(طغرل و داود وبيغو والينالليين) يعدهم فيها بإرسال كل ما يطلبونه من رجال وسلاح للثورة ضد مسعود الغزنوي[1].

ومن أجل اتقاء شر بغراتكين والعمل على الحيلولة دون اتصال الطرفان، أرسل مسعود الغزنوي مبعوثه أبا صادق التباني إلى تركستان على رأس سفارة كبيرة، بأمتعة تربو قيمتها على عشرة آلاف دينار، على أمل التوصل إلى اتفاق مع بغراتكين عن طريق وساطة أخاه أرسلان خان[2].

وفي سنة 427هـ/23 آغسطس 1037م غادر السفير من غزنة وبقي بتركستان مدة ثمانية عشر شهرا، ووجد صعوبة في تحقيق المهمة، وضل يجادل حتى أعجب به بغراتكين، وقال: بأنه يذكره بمناظرات أبي حنيفة وجدله، وأقّر الجميع بأنهم لم يروا كمثله أحدا في الصدق والأمانة، وأخيرا نجح بعد مفاوضات طويلة في إبرام العهد مع أرسلان خان وأخيه بغراخان، وأقنعهما بوجوب إيثار الود مع السلطان[3]، وفي 24 سبتمبر من نفس السنة استقبل مسعود في وقت واحد رسل الأخوين، ورسول آخر من حاكم غير معروف[4].

في هذه الأثناء كان السلطان مسعود يواجه مشكلة أخرى، مفادها أنه قبل اعتلائه العرش طلب المساعدة من"علي تكين" لتنحية أخيه محمد من العرش، ووعده في مقابل ذلك منح أحد أبنائه إقليما عظيما، ولكن عندما حُلت مشكلة وراثة العرش لصالحه بدون مساعدة علي تكين، لم يجد مسعود ما يحمله على البر بوعده[5]، مما أثار عليه حنق وسخط هذا الأخير.

أمام هذه المخاطر جدد السلطان مسعود خطة أبيه بضرب حكام ما وراء النهر بعضهم ببعض، فقرر مساعدة ابن قدر خان الثاني لينتزع ما وراء النهر من يد علي تكين، وأرسـل

[1]– البيهقي، المصدر السابق، ص.33؛ بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.444.

[2] - البيهقي، المصدر السابق، ص ص،572-573؛ بارتولد، التركستان، ص.444.

[3] - البيهقي، المصدر السابق، ص ص، 573-574.

[4] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص ص، 444-445.

[5] - البيهقي، المصدر السابق، ص.32.

رسله بذلك إلى التونتاش، وفي ربيع سنة423هـ/1032م اقتحم هذا الأخير بجيشه حدود ما وراء النهر، وأمده السلطان من بلخ بخمسة عشر ألفا مقاتل، وأسند علي تكين مهمة الدفاع عن بخارا إلى المطّوعة(غازيان)، واختار 150 غلام ليحموا قلعتها وانسحب إلى دبوسيه، وعند اقتراب العدو هرب رجال علي تكين من المدينة وقَدّمُوا فروض الطاعة إلى التونتاش، في حين انضم التركمان برئاسة السلاجقة إلى علي تكين، ولم تكن المعركة حاسمة إلاّ أن التونتاش أصيب بجراح قاتلة، وانتهت المعركة بعقد صلح انسحب على إثره علي تكين إلى سمرقند، في المقابل انسحب جيش خوارزم إلى آمل وتوفي التونتاش أثناء الانسحاب سنة 423هـ/1032م[1].

أدت حملة مسعود هذه إلى تقارب علي تكين مع أسرته حيث اعترف بسيادتهم عليه، ففي بخارا وسمرقند بدأت النقود تسكّ باسم ارسلان خان ويغراخان، وبعد عامين وجد علي تكين لنفسه حليفا جديدا تمثل في شخص حاكم خوارزم[2].

بعد موت علي تكين أل أمر ملكه إلى ولديه الشابين، وفي سنة426هـ/1035م اتفاقا مع هارون القاضي بالإسيتلاء على الصغانيان وترمذ ثم عبور نهر جيحون (أموداريا) والإنضمام إلى جيش هارون في اندخود، ولم يستطع أبو القاسم حاكم الصغانيان مقاومتهما فهرب إلى بلاد الكميجي، وأخذ جيش الايلك طريق دار زنكي فحاصر ترمذ ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، في هذه الأثناء وصلت الأخبار إليهما بأن هارون قد قتل في بداية تحركه على يد غلمان السلطان مسعود، فرجع ولدا علي تكين إلى سمرقند، وفي صيف ذلك العام دفعت أخبار انتصار السلاجقة في خراسان الإخوة إلى معاودة الكرة والإغارة على نواحي صغانيان وترمذ، ولكنهما عدلا عن رأيهما بعد أن علما أن السلطان مسعود قد عبأ لهما جيوشا كبيرة، وبعثا رسولا من النبلاء بصحبة فقيه من أهل سمرقند إلى بلخ لتقديم الاعتذار، واستطاع الوزير أحمد عبد الصمد إقناع السلطان مسعود بقبول اعتذارهما وعقد الصلح معهما، فقبل ذلك

[1] - البيهقي، المصدر السابق، ص.32؛ بارتولد: التركستان من الفتح العربي، المرجع السابق، ص ص، 439-440.

[2] - نفسه، ص.440.

ولكنه رفض إستقبل الرسل كعلامة على سخطه[1].

وبعد عام أي في سنة427هـ/ 1036م استقبل السلطان مسعود كل من البتكين وعبد الله الفارسي مبعوثين من طرف الأخوين، فلقيا الكثير من الترحاب، وأستفسر مسعود من البتكين عن أحوال أخيه الايلك خان، فطمأنه وأبلغه عن رغبة هذا الأخير في مصاهرته والزواج من إحدى أميرات بيته، على أن تزوج إحدى أميرات القراخانيين من أحد أبناء السلطان، ووعده بأن يتنازل عن دعواه فيما يتصل بالختّل، كما ترجى من السلطان التوسط بينه وبين رأس الأسرة القراخانية أرسلان خان، وتعهد له في مقابل ذلك معاونته عسكريا في حربه ضد السلاجقة[2].(أنظر الخريطة رقم:21)[3].

إستجاب السلطان مسعود الغزنوي لهذه الرغبات، وتقرر أن تصبح أخت الايلك زوجة للأمير سعيد ابن السلطان مسعود، وأن تصبح ابنة نصر أخي محمود الغزنوي زوجة للايلك، ويكتب لأرسلان خان صاحب تركستان بأن الأسرتين الغزنوية والتيكينية قد أصبحتا أسرة واحدة[4]، وأرسل عبد السلام رئيس ديوان بلخ سفيرا إلى ما وراء النهر وبقى ببلاط ابنا علي تكين حتى سبتمبر سنة428هـ/1037م لينفذ المهمة[5].

في هذه الأثناء كان أبو إسحاق إبراهيم ابن الايلك الأول نصر القراخاني المقب "بوري تكين" قد ظهر فجأة بما وراء النهر في سنة428هـ/1038م، بعد الهرب من السجن الذي زجه فيه ولدا علي تكين، واختفى في بادئ الأمر لدى أخيه عين الدولة محمد بن نصر (زعيم الدولة القراخانية الغربية من431-432هـ/1041-1042م) بأوزكنـــــــد، (أنظر،الجدول رقم:02)[6]

---

[1] - البيهقي، المصدر السابق، ص.32.

[2] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص ص، 443-444.

[3] - أنظر، الخريطة رقم:21، ص. 398.

[4] - البيهقي، المصدر السابق، ص.32.

[5] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص ص، 443-444.

[6] - أنظر، الجدول رقم:02، ص. 432.

وفي سنة428هـ/1038م ربط علاقات ودية مع السلطان مسعود الغزنوي، ثم انسحب إلى منطقة الكميجي حيث جمع ثلاثة آلاف فارس، ثم استغل انشغال السلطان الغزنوي في نزاعه مع السلاجقة واستولى على وخش والختل، ووصل إلى ضفاف ينج، ثم انسحب بعد أن وصلته أخبار بنية السلطان قيادة حملة بنفسه لتأديبه[1].

في نفس هذا الوقت إستنجد التركمان بالسلطان مسعود بعد الأذى الذي لحق بهم في بلاد ما وراء النهر من قبل بوري تكين، فجمع السلطان مسعود 10.000 مقاتل وشن حملة للقضاء عليه، ولكنه اضطر إلى العودة مسرعا بعد أن وصلته أخبار من وزيره بتقدم دلود السلجوقي من سرخس صوب جوزجان، متوجها نحو ترمذ لتخريب الجسر وقطع طريق العودة على السلطان، فانسحب السلطان مسرعا إلى ترمذ تحت ضربات جيش بوري تكين[2]، من ثم ارتفعت أسهم بوري تكين بمساعدة التركمان وكسب العديد من المعارك ضد ولدي علي تكين، وأستأثر بحكم بلاد ما وراء النهر.(أنظر الخريطة رقم:18)[3].

يبدو أنّ نجم السلطان مسعود الغزنوي بدأ في الأفول مباشرة بعد انهزامه في معركة داندانقان[4] 430-431هـ/24ماي1040م، ضد طغرل بك السلجــوقي(أنظر، الجدول رقم:06)[5]

---

[1] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص ص، 446-447.

[2] - الكرديزي، المصدر السابق، ص ص، 282-283؛ البهقي، المصدر السابق، ص.32؛ بارتولد، المرجع السابق، ص ص، 446-447؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.118.

[3] - أنظر، الخريطة رقم:18، ص. 415.

[4] - وقعت معركة دندانقان في سنة 431هـ/1040م في بلدة تسمى داندنقان موجودة على بعد عشرة فراسخ من الشاهجان وتبعد بـ60 كلم من مرو، بين الجيش السلجوقي بقيادة طغرل بك والسلطان الغزنوي مسعود، حيث دارت بين الطرفين معركة رهيبة انتصر فيها السلاجقة على الجيش الغزنوي انتصارا حاسما، حيث أنهت هذه الأخيرة الصراع القائم بين القوتين لصالح السلاجقة، وكانت موقعة داندنقان البداية الحقيقة لدولة السلاجقة، حيث أنهم بعدها لم يواجهوا أي قوة كبيرة في خراسان تضاهي قوة الدولة الغزنوية كما أن هذه الدولة لم تجرؤ على محاولة استعادة أراضيها المفقودة في خراسان، فكانت بحق معركة داندانقان من كبريات المعارك الفاصلة في تاريخ السلاجقة فبفضلها أقاموا دولتهم الواسعة تحت قيادة قائدهم الحكيم طغرل بك.(أنظر، محمد عبد العظيم النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2001م، ص.51-52.)

[5] - أنظر، الجدول رقم:06، ص. 436.

المتحالف مع بوري تيكين، فقد وضعت هذه المعركة حدا نهائيا لسلطة الغزنويين في خراسان، فمباشرة بعد المعركة جلس طغرل السلجوقي على عرش، وجاءه الأعيان أجمعين وسلموا عليه بإمارة خراسان، ثم حررت الرسائل إلى خان تركستان، وإلى ابني علي تكين ولبوري تكين ولِعَيْن الدولة، ولكل أعيان تركستان من القراخانيين قصد إعلامهم بخبر الانتصار[1].

في حين بعث السلطان مسعود الغزنوي مكتوب إلى رأس القراخانيين أرسلان خان يُعرب فيه عن ثقته به، وبأنه لن يتوانى عن إرسال حملة عسكرية لينتقم له، ولكن شيء من هذا لم يحدث، ثم إن مسعود نفسه قد أذهلته صدمة الهزيمة وأفقدته الرغبة في المقاومة، فترك بلخ وغزنة وانسحب إلى الهند، بعد أن قام بمحاولة أخيرة لقلب الموازين لصالحه، فأراد إغراء "بوري تكين" بتعيينه حاكما على بلخ وطخارستان أملا أن يثير الخصومة بينه وبين السلاجقة، ولما تأكد من فشل خطته أمر كبار دولته المتبقين في غزنة الانخراط في خدمة السلاجقة، ثم رحل إلى الهند[2].

استطاع بوري تكين بمساعدة التركمان السلاجقة انتزاع جزء من ما وراء النهر من أبناء علي تيكين، خاصة: بخارى وسمرقند سنة432هـ/1042م، في حين بقت فرغانة ومرغلان واوزكند خاضعة لحكم خلفاء علي تيكين، منهم إبراهيم بن نصر وداود، وفيما بعد استطاع إبراهيم ضم الشاش[3] وتونكيث[4] الشهيرة[5].

[1] - بارتولد: التركستان..، المرجع السابق، ص ص، 448-449؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص، 118-119.

[2]- بارتولد: التركستان..، المرجع السابق، ص ص، 448-449؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص، 118-119.

[3] - الشَّاشْ: بالألف الساكنة بين الشينين المعجمتبن، وهي مدينة تقع وراء نهر سيحون، وهي من ثغور الترك.(أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.7، ص. 244.).

[4] - تُونكث: بضم التاء ثالث الحروف بعده الواو ثم النون الساكنة وفتح الكاف وفي آخرها الثاء المثلثة، وهي قرية من قرى الشاش.(أنظر، نفسه، ج.3، ص.108.).

[5] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.119.

برهنت الأحداث فيما بعد أن يأس السلطان مسعود كان سابق لأوانه، فمباشرة بعد خلعه عن العرش وإغتياله في 431هـ/ يناير1041م، إعتلى أخاه محمد الحكم للمرة ثانية لفترة وجيزة، ثم أل الأمر لابنه الثاني "مودود" فبدأت الأحداث تأخذ منحى أفضل لصالح الغزنويين، فقد ضلت بلخ وترمذ في يد مودود، وقَدَّم له ملك الترك بما وراء النهر فروض الطاعة، وعلى الأرجح أنه بوري تكين إبراهيم الذي حكم بخارا منذ 432هـ/1041-1042م وأقام لنفسه دولة مستقلة بوصفه تابعا لبغراخان، وحمل في سنة 438هـ/1046-1047م لقب "عماد الدولة" و"تاج الملة، سيف خليفة الله طمغاج خان ابراهيم"[1]، وبالرغم من أن سلطانه لم يتجاوز ما وراء النهر إلا أنه اتخذ لقب "سلطان المشرق والصين".

لم تعد لرئيس السلطة العليا للدولة القراخانية أي هيبة في عهد سليمان بن يوسف الملقب بـ "شرف الدولة"، ومن أجل المحافظة على لقب الخان الأعلى(ارسلان خان) قسم هذا الأخير[2] في سنة 435هـ/1045م الدولة إلى مقاطعات صغيرة، وزعها على إخوته وأقاربه، ولم يحتفظ إلا ببلاساغون و كاشغر، فأعطى أخاه ارسلان تكين أجزاء واسعة من بلاد الترك، وعين أخاه الأخر محمد بغراخان على مدينة طراز وأسبيجاب، وأخص عمه طغان خان بفرغانة، وأعطى (ليوسف بن)علي تكين بخارى وسمرقند وغيرها من مناطق ما وراء النهر، واكتف منهم بفروض الطاعة[3].

بعدها انقسمت دولة القراخانيين في أربعينيات القرن الحادي عشر الميلادي(11م) إلى خاقانيتين مستقلتين الواحدة عن الأخرى، إحداهما شرقية اتخذت مدينة بلاساغون عاصمة لها ثم تحولت إلى كاشغر، والثانية غربية اتخذت من مدينة أوزكند عاصمة لها ثم انتقلت إلى سمرقند.

بهذا الأمر بدأت النزاعات بين حكام الدولة القراخانية، حيث استولى بغراخان عـــلى

---

1 - بارتولد: التركستان..، المرجع السابق ، ص ص449-450.

2 - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص، 117-118.

3 - أبو الفدا، المصدر السابق، ج.2، ص.167؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص، 117-118.

السلطة من أخيه ارسلان خان وأعطى ولاية العهد من بعده لابنه حسين جعفر تكين، فغضبت منه زوجته لعدم إعطاء ولاية العهد لابنها، وقامت بتسميمه رفقة عدد من أسرته، وخنقت أخاه أرسلان خان المسجون كما قتلت وجوه أصحابه ليخلو لها الأمر، ثم وضعت ابنها على كرسي العرش في سنة 439هـ/1047م، لكن الأمر لم يستتب لها لآن أولادها اختلفوا فيما بينهم، فإغتنم طغرل خان بن قدرخان هذا الأمر وقبض على أولاد أخيه واستولى على الحكم، من 439هـ/1047م إلى 455هـ/ 1063م[1].

في نفس الفترة توفي السلطان أبو الفتوح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين سنة 438هـ/1048م، وخلفه في الملك عمه عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين ولقب بـ"شمس دين الله، سيف الدولة"[2]،(أنظر، الجدول رقم:05)[3] وفي نفس هذه السنة توفي الإخوى: بغراخان محمد بن قدرخان يوسف وعمر بن قدر خان يوسف مسمومين، فسار طفغاج خان أبو إسحاق إبراهيم بن نصر ايلك خان الملقب بـ"شمس الملك"، من سمرقند وإستولى على بلادهما، وبقت تحتى سيطرته إلى أن توفي سنة 462هـ/1070م[4].

لم تنقطع الصلة بين الغزنويين وما وراء النهر إلاّ في سنة 449هـ/1059م بعد أن أبرمت معاهدة بين السلطان السلجوقي داود والسلطان الغزنوي إبراهيم[5]، وفي عهد طغرل تكين بن طغرل خان(455-496هـ/1063-1102م) إستولى السلطان السلجوقي سنجر على جميع تركستان، وصارت جزءا من أجزاء الدولة السلجوقية[6].

[1]- رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ج.2، ص.41-42.

[2]- أبو الفدا، المصدر السابق، ج.2، ص ص، 169-170.

[3] - أنظر، الجدول رقم:05، ص. 435.

[4] - أبو الفدا، المصدر السابق، ج.2، ج.2، ص ص، 168-169.

[5] - بارتولد: التركستان..، المرجع السابق ، ص.450.

[6] - رزق الله منقريوس الصيرفي، المصدر السابق، ج.2، ص.41-42.

ثالثا: العلاقات القراخانية السلجوقية:

شرع السلاجقة[1] (أنظر،الجدول رقم:06)[2] بعد انتصارهم الساحق على الغزنويين في معركة "دندانقان" سنة 430هـ/24ماي1040م في إرساء قواعد دولتهم وتدعيمها في الأقاليم التي بسطوا عليها نفوذهم، إلا أن سلطانهم لم يكن سوى إسميا في بخارى وسمرقند وفرغانة، وأن السلطة الفعلية بتلك البلاد كانت في الواقع بأيدي الأمراء القراخانيين الأويغور[3].(أنظر، الخريطة رقم:21.)[4]

يبدو أنّ علاقة السلاجقة معهم كانت تختلف عن مثيلاتها مع السامانيين والغزنويين، حيث نشب صراع حاد بين الدولتين على المناطق الواقعة في بلاد ما وراء النهر(أنظر، الخريطة رقم:18)[5]، وأجزاء من خراسان مثل: بلخ وترمذ وتشاغانيان وخوتالان[6]، وقد كان السلاجقة أذكياء حيث بعد أن انتصروا على الدولة الغزنوية عسكريا عملوا على افتكاك مرسوم من الخليفة العباسي –خليفة كل المسلمين- لحكم مناطق خراسان، وذلك لإضفاء الشرعية على أعمالهم.

---

[1] - ينتمي السلاجقة إلى مكائيل بن سلجوق بن دقاق، وقد كان جدهم هذا شهما من مقدمي الأتراك وولد له سلجوق الذي ظهرت عليه أمارات النجابة فقدمه بيغو ملك الأتراك على أعماله ثم تغير عليه بعد دخول الوشاة بينهم، فخاف سلجوق على نفسه وهرب بقبيلته إلى دار الإسلام وأقام بنواحي جند بالقرب من بخارى ومن هناك أصبح يغزو الترك الكفار وتوفي سلجوق في سنة 107هـ، وخلف ثلاثة أولاد هم ارسلان وميكائيل وموسى، وتبنى أولاده نفس سياسية أبيهم حيث واصلوا في غزوهم للترك الكفار واستشهد على إثرها أخوهم ميكائيل وخلف من الأولاد بيغو وطغرل بك وجغروبك داود ثم هاجروا واستقروا بالقرب من بخارى ثم إلتجؤا إلى بغراخان ملك تركستان ثم غدر بهم هذا الأخير حيث قبض على أخوهم طغرل بك وأرسل جيشا للتخلص من أخيه داود فاقتتل الطرفان ووقعت الهزيمة على بغراخان ثم قصد داود موقع سجن أخيه وخلصه وإتجها معا إلى مدينة جند حيث أقاموا بها حتى انقرضت الدولة السامانية حيث عظم أمرهم وتوطد ملكهم سنة 432هـ/1042م حيث أسسوا دولتهم شيأ فشيء.(أنظر، أبي الفدا: المختصر في أخبار البشر، المصدر السابق، ج.2، ص.163.)

[2] - أنظر، الجدول رقم: 06، ص. 436.

[3] - ربيعة حامد خليفة، فن التصوير عند الأتراك الأويغور...، المرجع السابق، ص ص، 14-15.

[4] - أنظر، الخريطة رقم:21، ص. 398.

[5] - أنظر، الخريطة رقم:18، ص. 396.

[6]- بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.119.

فقد شرع طغرلبك[1](ت:455هـ/ 1063م) مباشرة بعد توليه سلطنة السلاجقة سنة 429هـ/1037م في مراسلة الخليفة العباسي القائم بأمر الله[2] (أنظر، الجدول رقم:04)[3]، سنة 432هـ/1047م، للحصول على اعتراف رسمي منه لحكم المناطق الموجودة تحت يداه، هذا ماسيكسب الدولة الوليدة شرعيتها، وفي نفس السنة حمل أبو إسحاق الفقاعى رسالة من السلطان طغرلبك إلى الخليفة العباسي، يطلب منه فيها الاعتراف به سلطانا على دولة السلاجقة، ووصف نفسه فيها بأنه عبد من عبيد أمير المؤمنين، وكانت النتيجة أن اعترف الخليفة رسميا بطغرلبك سلطانا للسلاجقة، وأضفى على دولته الشرعية، وأرسل له الخلع السلطانية مع كتاب التفويض بحكم البلاد التي في حوزته، ولقبه بـ"السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبي طالب محمد"[4].

وعمل ألب أرسلان[5](455-465هـ/1063-1072م) الذي خلف طغرلبك بدوره على كسب الشرعية من الخليفة، فاعترف هذا الأخير بسلطته، ولقبه بـ"السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ألب أرسلان محمد بن داود"[6]. من هنا ضمن السلاجقة كسب

[1]- هو محمد بن ميكائيل، السلطان الكبير، ركن الدين، أبو طالب، السلجوقي، عاش سبعين عاما، وكان بيده خوارزم ونيسابور وبغداد والري وأصبهان. (أنظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج.18، ط.11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ص ص، 107- 111.)

[2] - إسمه عبد الله، أبو جعفر بن القادر بالله، بويع له بالخلافة عند موت والده، وكان ولي عهده في حياته، وكان جميلا مليح الوجه، ورعا دينا زاهدا عالما، قوي اليقين بالله، ولد في نصف ذي العقدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وأمه أم ولد أرمينية إسمها: "بدر الدجي" وقيل "قطر الندى"، وكان نقش خاتمه: "القائم بأمر الله"، كان كثير الصدقة، مؤثرا للعدل والإحسان وقضاء الحوائج لا يرى المنع من شيء طلب منه، وكان من خير الخلفاء. (أنظر، أحمد بن يوسف القرماني، المصدر السابق، مج.2، ص. 160.).

[3] - أنظر، الجدول رقم:04، ص. 435.

[4] – محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص ص، 120-121.

[5] - هو السلطان، الملك العادل، عضد الدولة، أبو شجاع، ألب آرسلان، محمد بن السلطان جغريبك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن تقاق ابن سلجوق التركماني، الغُزّي، من عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم، ولما مات عمه طغرلبك، عهد بالملك إلى سليمان أخي ألب آرسلان، فحاربه ألب آرسلان وعمه قتلمش، فتلاشى أمر سليمان، وتسلطن ألب آرسلان . (أنظر، الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج.18، ص ص، 414-415.).

[6] – محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص ص، 120-121.

الشرعية من الخلافة وضموها إلى صفهم، ثم بدؤوا صراعهم العسكري ضد الدولة القراخانية.

بدأت الغارات السلجوقية على بلاد ما وراء النهر في عهد السلطان القراخاني طمغاج خان إبراهيم، حيث قام ألب أرسلان السلجوقي(455-465هـ/1063-1072م) بالهجوم على أراضيه، فأرسل طمغاج خان سفارة إلى بغداد سنة453هـ/1061م يشكو فيها إلى الخليفة أفعال السلطان السلجوقي، ولم يكن بوسع الخليفة العباسي إلا أن أرسل الخلع إلى الخان القراخاني، وأطلق عليه ألقابا جديدة مثل:"عز الأمة" و"كهف المسلمين" و"مؤيد العدل"[1]، لإرضائه.

تنازل طمغاج وهو على قيد الحياة بالعرش لابنه شمس الملك ناصر، الذي حكم في بخارى وسمرقند من460هـ/1068 إلى473هـ/1080م[2]، وبعد وفاة والده حدثت بينه وبين إخوته صراع مرير على الكرسي، انتهت لصالح شمس الملك سنة460هـ/ 1068م[3]. وفي عهده ضلت الحرب قائمة ضد السلاجقة.

ففي سنة 465هـ/1072م نقض ألب أرسلان(455-465هـ/1063-1072م) المعاهدة التي أبرمها مع شمس الملوك أبي الحسن نصر القراخاني، وسير جيشا عظيما من أجل إخضاع هذا الأخير، إلاّ أنّ الجيش توقف في منتصف الطريق نتيجة مقتل السلطان ألب أرسلان سنة 465هـ/1072م[4].

إغتنم شمس الملوك هذا الأمر وشن حملة مضادة لضم ترمذ وبلخ، إلاّ أنّ قواته لم تستطع تثبيت أقدامها هناك، وبقت الأوضاع متوترة بين الطرفين، حيث بعد مضي سنتين في عام 4467هـ/1074م جهز السلطان السلجوقي الجديد ملك شـــاه الأول(465- 485هـ/1072-

[1] - بارتولد: التركستان...، المرجع السابق، ص ص، 461-462.

[2] - René GROUSSET, op.cit,p. 198.

[3] - بارتولد: التركستان...، المرجع السابق، ص ص، 461-462.

[4] - René GROUSSET, op.cit,p. 198.

1092م)[1] جيشا كبيرا وسار به لضم سمرقند، إلاّ أنّه فشل في ذلك، ووقع اتفاقية سلام مع القراخانيين بعد أن توسط بين الطرفين الوزير المشهور نظام الملك السلجوقي(ت: 1078-1079م)[2]. فهدأت الأوضاع بين الطرفين.

وبعد وفاة شمس الملوك خلفه على عرش الدولة القراخانية الغربية أخوه خضر خان بن إبراهيم، وامتد سلطانه على جميع تركستان وبلاد ما وراء النهر فنعمتا بالأمن والسلام، وأمّن جانب خراسان بعقد معاهدات دائمة وتحالف مع السلاجقة[3].

ولما توفي خضر خان إعتلى ابنه أحمد خان، الذي كان شابا سيء الطباع والخلق، ظالما، يستولى على الأموال والأملاك من الرعية بدون حق، ودخل في مشادات مع الفقهاء والعلماء، وبلغ تماديه إلى الغدر بالشيخ أبي نصر أحمد الكاساني واستولى على خزينته، وأمام هذا الوضع آثر الكثير من العلماء الفرار من بطشه، أمثال: الفقيه "أبا طاهر بن علق" الذي هرب إلى سمرقند، وتظاهر بأنه ذاهب لأداء مناسك الحج، ومن سمرقند فر إلى مرو، وقام بتحريض السلطان السلجوقي ملكشاه الأول على ضم بلاد ما وراء النهر[4]. ولما كان هذا الأخير يتحين الأمر ويصطاد الفرص، لم يفوت هذا الأمر لبدأ حربه ضد القراخانيين.

فقام في سنة 482هـ/1089م بتسيير جيش كبير إلى ما وراء النهر واحتل بخارى وسمرقند، وأسر أحمد خان وإثنين من حكام شمس الملك ثم أرسل الأول إلى أصفهان وعيـــن

[1] - هو السلطان جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان محمد بن جغري بك السلجوقي التركي، إعتلى العرش بعد وفاة أبيه، ودّبر دولته النظان الوزير بوصية من والده سنة 465هـ/ 1072م وعمره أنذاك ثمانية عشر سنة، وقتل على يد الإسماعيلية في سنة 485هـ/1092م .(أنظر، علي محمد الصلابي، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006م، ص.85.)

[2] – بارتولد: التركستان، المرجع السابق، ص.462-463؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.119.

[3] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.464؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.119-120.

[4] - بارتولد، التركستان المرجع السابق، ص.465؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.120.

الأمير أبا طاهر نائبا له على بلاد ما وراء النهر[1].

اغتنم السلطان ملكشاه السلجوقي هذه الفرصة وواصل زحفه رفقة جيشه شرقا حتى وصل إلى مدينة أوزكند، واستدعى الحاكم الأعلى لدولة القراخانيين الشرقية الموجود بكاشغر، وأجبره على تقديم فروض الطاعة له، والاعتراف بالتبعية إليه عن طريق جعل الخطبة له[2]، فخضع الحاكم القرخاني لأوامر ملكشاه.

بقت تلك التبعية شكلية فقط لأنه بمجرد عودة السلطان السلجوقي إلى خراسان حتى ثار السمرقنديون على نائبه أبا طاهر وطردوه، ونصبوا يعقوب تيكين شقيق الحاكم الأعلى للدولة القراخانية الشرقية على عرش سمرقند، أدى هذا الأمر إلى تجهيز السلطان السلجوقي ملكشاه حملة جديدة لإعادة ضم بخارى وسمرقند، فهرب يعقوب تكين آت باشي، وعين السلطان السلجوقي نائبا له هناك، ثم اتجه بجيشه إلى أوزكند وبعث إلى كاشغر يطلب من خانها الأعلى تسليمه يعقوب تكين ففعل ذلك[3].

في هذه الأثناء جاءه الخبر بأن جيش بارس خان طغرل بن ينال تكين إجتاح كاشغر وأسر سلطانها، فخاف السلطان السلجوقي من مواجهته واستعمل الحيلة لتسوية الأمر، بحيث أطلق صراح يعقوب تكين وأمده بالجيوش وأرسله ليحارب ضد ينال تكين، وفي نيته أن يقتل القراخانيين بعضهم البعض[4]. وعاد إلى منطقة خراسان.

إستطاع قادر خان يوسف الحفاض على حكم القراخانيين، وإمتد سلطانه على كل من بلاساغون وكاشغر وكوتان، وبعد موته قام إبنيه بتقاسم الحكم فيما بينهما، فحكم أرسلان خان(1032-1055م) بلاساغون وكاشغر، أمّا محمود بوغراخان(1032-1057م) فإنفرد بطالاس، وفي حدود سنة 1055م قام هذا الأخير بافتكاك مدينة كاشغر من أخيه، وبعـــــدها

---

[1] - أبو الفدا، المصدر السابق، ج.2، ص.199؛ بارتولد، التركستان المرجع السابق، ص.465؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.120.؛ .René GROUSSET, op.cit,p. 198

[2] - أبو الفدا، المصدر السابق، ج.2، ص.199.

[3] - بارتولد، التركستان المرجع السابق، ص.465-466؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.121.

[4] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص. 121.

أصبحت كل من بلاساغون وكاشغر وكوتان تحت حكم بوغراخان هارون إلى سنة 1102م[1].

بقى السلطان ملك شاه السلجوقي يحلم دائما بضم بلاد ما وراء النهر إلى ملكه، ولم ييأس من ذلك، حيث إستطاع في السنة الأخيرة من حكمه 1092م من إعادة حكم تلك المنطقة إلى أحمد بن خضر خان، إلاّ أنّ سكانها رفقة الأمراء المحليين ورجال الدين لم يقبلوا ذلك الحاكم، وقاموا بالعصيان والتمرد ، وتمكنوا في سنة 1095م من إلقاء القبض على أحمد خان، وإتهموه بالردة وقتلوه، وعينوا شقيقه مسعود خان بن محمد مكانه[2]، وكان مشهور بإسم: "ركن الدين كليتش توغاتش خان مسعود"(ت: 1097-1098م)[3].

ومنذ سنة 1102م أصبح ارسلان خان بن محمد بن سليمان(ت: 1132م) هو الحاكم الأعلى للخاقانية، وقد تربي هذا الأخير في بلاط السلاجقة، وفي عهده قام "ساغون ديك" الذي ينتمي إلى سلالة القراخانيين، بإنتزاع السلطة منه طيلة الفترة الممتدة بين 1103-1109م، إلاّ أنّ السلاجقة دعموا حليفهم بالقوة وأرجعوه إلى الحكم[4]، وفي أواخر سنوات حكم أرسلان خان أصيب بمرض الفالج (وهو شلل النصفي للجسم)، فانتقلت السلطة الفعلية لابنه ناصر بن احمد، ولكنه فشل في إدارت دفة الحكم وأصبح ألعوبة في يد رئيس رجال الدين بالمدينة، مثل الفقيه المدرس: اشرف بن محمد السمرقندي وفي يد رئيس مدينة سمرقند، ثم تأمروا عليه وقتلوه في إحدى الليالي[5].

انتقلت السلطة في خاقانية القراخانيين الغربية(أنظر، الجدول رقم:02)[6] بعد وفاة أرسلان خان سنة 1232م إلى شقيقه أبو المظفر طمغاج(تومغاتش) بغراخان إبراهيم، وقد نشأ

---

[1] - René GROUSSET, op.cit,p. 198.

[2] - بارتولد، التركستان المرجع السابق، ص.466-467.

[3] - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص. 121.

[4] – بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص ص، 467-468؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.121 فما بعدها.

[5] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص ص، 469-470.

[6] - أنظر، الجدول رقم: 02، ص. 432.

هذا الأخير هو أيضا في بلاط السلطان سنجر، ولكنه لم يبقى في السلطة طويلا بحيث إنتقل الحكم إلى قليج(كليتش) طمغاج(تومغاتش) خان أبو المعالي الحسن ابن علي بن عبد المؤمن، المشهور بـ"حسن تيكين"، ثم خلفه ركن الدين (أو جلال الدين) محمود بن ارسلان خان ابن أخت السلطان سنجر[1]، في حين يرى، أحمدوف بوريبوي وزاهد الله مونروف: أن السلطة انتقلت إلى ابنه أبي المظفر تومغاتش بوغرا خان محمود[2]. في هذه المرحلة قام الكراكتاي(القراخطاي/ الخطا) باجتياح ما وراء النهر، وقاموا بخلع القراخاني الضعيف واستولوا على بالاساغون

رابعا: سيطرة الكاراكيتائيون(الخَطَا) على الدولة القراخانية(1134-1211م):

قبل قرنين من ظهور ما يسمى الممالك الخمسة في الصين وحتى بداية حكم أسرة سونغ الشمالية، كانت مملكة الخطا[3] الكبرى(Grand Khitan) تعرف باسم مملكت لياو(Liao)(907-1125م)، وكانت تسيطر على منطقة واسعة من شمال غـــــــــرب الصين

[1] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص. 471؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.121 فما بعدها.

[2] - نفسه، ص.121 فما بعدها.

[3] - الكيدانيون(الخطا) ويعرفون أيضا بـ"كاراكيتاي/القراخطاي" وهم شعب خليط من التونغوس والمغول حيث كونوا دولة في شمال الصين تعرف بـ"لاوو"(1134-1211م) كانت مترامية الأطراف تمتد من المحيط العظيم إلى بحيرة بيكال وتيان شان، زاول الكاراكيتائيون علاوة على رعي الماشية الزراعة والتجارة، وفي الثلاثينيات القرن 11م بدءوا بالزحف غربا عبر أراضي القرغيز والتركستان الشرقية حتى وصلوا في الشمال الغربي إلى نهر "أميل/أمول"، حيث بنوا مدينة وسكنوا المنطقة المعروفة حاليا بـ"تشوغوتشاك" وكان عددهم يربو عن 40000 كيبيتوك، وكان حاكم القراخاني ببلاساغون قد استدعاهم نتيجة مضايقات قبيلتي "كانغلي" و"كارلوك/القارلوق" اللتين كانتا تشكلان قوة عسكرية وسياسية كبيرة في سيميريتشي، أما بالنسبة للمجموعة الثانية المتجهة إلى تركستان الشرقية فقد هزمت في مكان ما في كاشغر على يد أرسلان خان أحمد بن تومغاتش خان حسن في سنة 1128م، وأسر زعيمهم الملقب بـ"الأحدب". (أنظر، نفسه، ص.21-22).

وأجزاء من مغوليا، ومناطق من شمال شانزي(Shanxi) وشمال منطقة جوبي(Hebei)[1].

ظل الخطا يحلمون دائما في التوسع نحو الغرب بإتجاه شمال تاريم، أين كان يعيش الأويغور في كل من تورفان وبش باليغ وموتشا، وقد تمكنت مجموعة منهم في سنة 1128م من الوصول إلى مدينة كاشغر، ولكن خان الدولة القراخانية أرسلان أحمد قام بطردهم، ففروا رفقة أميرهم الذي كان يعرف عند الصينيين باسم: "يولوي تا-ش"(Ye-liu Ta-che)، إلى الشمال الغربي، وإستقروا في تارباغاتاي(Tarbagatai) مدينة إيميل(Imil) بالقرب من تشوغتشاك(Tchougoutchak) بالغرب من مدينة إسيقول(Issiq-Koul)[2].

تمكنوا بعد ذلك عقب هزيمتهم على يد خان كاشغر أحمد بن الحسن القراخاني من تأسيس دولتهم الشاسعة، التي ضمت منطقة يدي صو وتركستان الشرقية[3]، وامتدت في بادئ الأمر من "ينيسي" إلى "تالاس"، ولقب زعيمهم يليو- داشي بـ"غوركان"(الخان العام)[4].(أنظر، الخريطة رقم: 22)[5].

في هذه الأثناء كان حاكم القراخانيين في بلاساغون عاجز عن رد ضربات الأتراك القارلوق، فطلب المساعدة من أمير الخطا "يو-لوى تا-ش(Ye-liu Ta-che)، فأمده هذا الأخير بالدعم وأصبحت منذ ذلك الوقت مدينة بلاساغون عاصمة للأمير الخطائي، وأُطلق عليه لقب تركي هو: "قورخان"(gour-khan) ومعناها ملك العالم، وتمكن الحاكم الجديد من بسط نفوذه على القراخانيين الذين كانوا موجودين في: كاشغر وخوتان، وتوسع على حساب تركستان الغربية[6]. وعرفوا باسم القراخطاي عند المسلمين.

---

[1] - Pierre Marsone : La dynastie Khitan(Liao) : une double identité, Etudes chinoises, V.XXIII, 2004, p.23.

[2] - René GROUSSET, op.cit,p. 214.

[3] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.472؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق ، ص.123.

[4] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.472؛ بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق ، ص.123.

[5] - أنظر، الخريطة رقم:22، ص. 399.

[6] -René GROUSSET, op.cit,pp. 214-215.

لا يستبعد أن تكون الصين وراء دفع الخطا نحو الغرب لتأسيس دولتهم في تركستان، كرد فعل على إنتشار الإسلام في تلك المنطقة على عهد القراخانيين، ومما يدعم هذه الفكرة هو إستعانة الخطا بإداريين صينيون وإستعمالهم اللغة الصينية[1].

بعد نجاح حاكم الخطا الأول يو-لي تا-ش(Ye-liu Ta-che)(1130-1142م) من ضم أراضي القراخانيين في إسي كول(L'Issq-koul) وكاشغر(Kachgarie)، قاموا بالهجوم على القراخانيين الغربيين، ففي رمضان عام 531هـ/ ماي عام 1137م انتصروا على الحاكم القراخاني محمود خان بما وراء النهر، بالقرب من مدينة خجند، ووصلوا إلى سمرقند، إلاّ أنهم لم يستطيعوا تحقيق أي مزيد من النجاحات[2].

أثارت هزيمة موقعة خجند الرعب في صفوف القراخانيين، وقد هب السلاجقة بقيادة السلطان سنجر(490-552هـ/1118-1157م) لمساعدتهم(أنظر، الجدول رقم:06)[3]، لكن الخطا استطاعوا الانتصار على الحليفين معا، في 9 سبتمبر 1141م بالقرب من منطقة قطوان، ثم استولوا على بخارى سنة 536هـ/1141-1142م، وعينوا عليها شخص يدعى البتكين[4]، وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي بسطوا سلطانهم على ترمذ وبلخ[5]. وهنا توقف زحفهم نحو الغرب.

أريد أنّ أقول هنا أنّ المسلمين قد فقدوا منطقة مهمة تتمثل في تركستان الشرقية(أنظر، الخريطة رقم:05)[6]، التي ضلت إسلامية تحت حكم القراخانيين، وظل هؤلاء يرفعون راية الإسلام هناك، ويضمنون الأمن للخلافة العباسية من هجمات القبائل الوثنية في آسيا الوسطى،

---

1 - René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.cit,p. 215.

2 - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.472؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق ، ص.123.

3 - أنظر، الجدول رقم:06، ص. 436.

4 - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.475-476؛ بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق، ص.123؛ . René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.cit,p. 214.

5 - بوريبوي أحمدوف وزداه الله منروف: المرجع السابق ، ص.123.

6 - أنظر، الخريطة، رقم: 05، ص. 384.

والرابح الأول من إحتلا الخطا تركستان الشرقية هي الصين، التي تخلصت من مشاكلهم في شمالها، والفائدة الثانية هي ضمان التذييق على الدين الإسلام في وسط آسيا، ومن ثم تخلصت من الهاجس الذي كان يخيفها والمتمثل في توسع الإسلام إلى أراضيها، وبقيام دولة الخطا البوذية على أنقاض القراخانيين تكون قد تخلصت من مخاوفها، حيث ستبقى هذه المنطقة إلى غاية مجيء جنكيزخان تتخبط بين البوذية والمسيحية والنسطورية والإسلام.

بعد وفاة القورخان يو-لي تاش سنة 1142م خلفه إبنه تا-بو- يان(Ta-pou-yen) من 1142م إلى سنة 1150م، وبعد موته حكم إبنه يو-ليو ي-لي(Yi-liu Yi-lie) بين سنة 1150م و 1163م، وبعد موته حكم الخطا يو-لوي شو(Ye-liu che) أو بو-سو-وان(Pou-sou-wan)، من سنة 1163 إلى 1178م، ثم حكم يو-ليو تشو-لو-كو(Ye-liu Tche-lou-Kou) الذي حكم من 1178 إلى 1211م، وفي عهد هذا الأخير وقعت دولة الخطا بين رحمة قوتين كبيرتين هما: قوة الخوارزمشاه(أنظر، الجدول رقم:07)[1] وقوة جنكيزخان[2].

طبق الخطا مبدأ الحكم الذاتي على نطاق واسع في إماراتهم الداخلية، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا مدينة بالاساغون، حيث ألغى الكورخان سلطة حُكم الخان القراخاني، وتولي بنفسه الحكم مباشرة، ولكن المدينة بقت بعد ذلك بزمن طويل مسلمة، وظل الخانات القارخانيون في البلاد الأخرى المفتوحة مثل: كاشغر وما وراء النهر، يمارسون الحكم الذاتي، وكانوا يطيعون الكورخان من خلال دفع الجزية له، في المقابل يعين هذا الأخير من يمثله وينوب عنه في تلك العواصم[3]، وكان ذلك مظهر من مظاهر التبعية لحاكم الخطا "كورخان".

ومباشرة بعد استيلاء الخطا على ترمذ وبلخ وبلاد ما وراء النهر عين غورخان نوابا له لحكم تلك المناطق، كان معظمهم من الحكام السابقين من الأويغور القراخانيين، وعين عليهم مسئولا من أسرته، وبقت المملكتان القراخانيتان: فرغانة مع اوزكيند وما وراء النهر وسمرقند تحت سلطة أسرتين قاراخانيتين متنافستين، حيث حاول حسن- تيكين ابن علي ممثل

[1]- أنظر، الجدول رقم: 07، ص. 437.

[2] - René GROUSSET, op.cit,pp. 216-217.

[3] - بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.143.

القراخانيين الفرغانيين الاستيلاء على سمرقند، لكن محاولته باءت بالفشل إلاّ أنّ ابنه وخليفته "تشاغير- خان جلال الدين علي"، نجح في تحقيق ما عجز عنه والده، واعتبارا من سنة 1156م وحتى السقوط النهائي لدولة القراخانيين، بقت سلطة المملكتين في أيدي القراخانيين الفرغانيين[1].

أمّا في سمرقند فمباشرة بعد واقعة قطوان حكمها طمغاج خان ابراهيم ابن أرسلان خان محمد، وبعد مقتله في سنة 551هـ/1156م بالقرب من بخارى من طرف الأتراك القارلوق، خلفه على العرش "تشاغري- خان جلال الدين علي بن حسن تكين"(حوالي 1160-1161م)، وقد إستطاع التخلص من زعيم القارلوق بيغوخان، وهناك رواية يوردها بارتولد تقول بأن:أخوه كليتش تومغاتش- خان مسعود بن حسن" وريثه على العرش هو الذي خاض معركة ناجحة ضد القارلوق، وأخمد انتفاضة القائد العسكري "عيار- بيغي"[2].

بعد وفاة هذا الأخير سنة 1169-1170م إعتلى العرش ابنه محمد بن مسعود (ت: حوالي 1173-1174م)، وفي سنة 1171-1172م عاود الخطا حملتهم مجددا على خوارزم عبر ما وراء النهر، بسبب عدم دفعه الإتاوة في الوقت المحدد، ومن الغرائب أنه كانت هناك فصائل قراخانية تحارب ضمن جيش "غور- خان"، وقام الخوارزم شاه إيل- ارسلان(1156-1172م) بإرسال جيش بقيادة "عيار- بيك" لملاقاتهم إلاّ أنه هزم في المعركة، فقاد "ايل-ارسلان" جيوشه بنفسه ولكن أصابه مرض في الطريق فعاد إلى غورغيانج وتوفي في 1172م، وقبل وفاته أصدر أوامره باتخاذ الإجراءات الضرورية لوقف غزو الخطا، وأشار بضرورة قطع الطريق عليهم عن طريق هدم السدود وإغراق البلاد بالمياه[3]. فعاد هؤلاء إلى مدينة فرغانة دون تحقيق مرادهم.

---

1 - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.124.

2 - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.484-485.

3 - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص ص، 124-125؛ René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.cit,p. 216.

عقب وفاة أيل ارسلان اعتلى عرش القراخانيين ابنه الأصغر سلطان شاه بمعاونة والدته تركان، فرفض الابن الأكبر تكش الذي كان حاكما على مدينة جند الإعتراف بحكم أخيه، وإلتجأ إلى حاكم الخطا "فوما" وطلب منه المساعدة للقضاء على أخيه، ووعده بدفع جزية سنوية مغرية، فَكَوَنَ هذا الأخير جيشا قويا وزحفا معا على مدينة خوارزم، فأخلى أخوه سلطان شاه وأمه المدينة ودخلاها دون قتال، واعتلى تكش العرش بمساعدة الخطا يوم الإثنين 11 ديسمبر 1172م[1].

في المقابل قام سلطان شاه بالاستنجاد بمؤيد الدولة، وقاموا بحملة عسكرية على مدينة خوارزم ولكنها فشلت، بحيث وقع مؤيد الدولة نفسه في الأسر وقطع رأسه في 11 يوليو 1174م، وهرب سلطان شاه وأمه إلى دهستان[2] فتبعهم تكش واستولى على المدينة، وقتل الملكة في حين تمكن سلطان شاه من الفرار إلى مؤيد الدولة، والتجأ إلى بلاد غياث الدين ملك الغور[3](أنظر، الصورة رقم: 10)[4] فاستقبله وأكرمه[5].

[1] - بارتولد، التركستان...، المرجع السابق، ص.488-489.

[2] - دِهِسْتَانُ: بكسر أوله وثانيه، وهي بلد مشهور في طرف مازندان قرب خوارزم وجرجان، وداهستان كذلك هي ناحية بباذغيس من أعمال هراة. (أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج.2، ص. 492.)

[3] - يطلق اسم الغور على المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي من هرات وإلى الجنوب من غرجستان وجوزجان، وحتى القرن العاشر ميلادي كان معظم سكان الغور لا يزالون على وثنيتهم رغما من أن المنطقة كانت محاطة من جميع نواحيها بالإسلام، وكان حاكم المنطقة غورشاه يدين بتبعيته لآل فريغون حاكم جوزجان، وقد قام محمود الغزنوي أول من نفذ إلى داخل بلاد الغور بجيوشه سنة 1020م ونشر الإسلام فيها في المقابل لم يتعرضوا إلى الأسرة الحاكمة وأبقوها مكانها، وفي منتصف القرن الثاني عشر استفاد سلاطين الغور من فرصة تدهور الدولتين الغزنوية والسلجوقية، وعقب أسر الغز للسلطان سنجر رفع الأخوان غياث الدين وشهاب الدين الذي اتخذ فيما بعد لقب معز الدين مملكتهما إلى مصاف دولة كبرى، وكان الأخ الثاني يتولى قيادة الجيش في العادة، وكان خلال سلطنة أخيه غياث الدين يحكم غزنة التي انتقلت إلى سلطان الغور بصفة دائمة في عام 569هـ/1173-1174م، وكان عمهم فخر الدين مسعود حاكم على باميان وطخارستان وشغنان أما ابنه شمس الدين محمد فقد ضم إلى أملاكه بعض الولايات الواقعة شمالي امودار يا مثل صغانيان ووخش، ولم يكتف الغور بمد أملاكهم شرقا فحسب بل احتلوا هرات عام 571هـ/1175-1176م، ومن ثم دخلوا في نزاع مع شاهات خوارزم في خراسان والذي كانوا يدينون بالتبعية للقراخطاي الكفار ومن هنا كانت الدولة الوحيدة الكبيرة المتمتعة بالإستقلال في شرقي العالم الإسلامي ومن هنا كان من الطبيعي أن تتجه إليها أنظار مسلمي خراسان وما وراء النهر أملا في العون.(أنظر، بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.489-490.).

[4] - أنظر، الصورة رقم: 10، ص. 410.

[5] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.488-489.

استمر السلطان القراخاني تكش يحكم خوارزم(إلى أن توفي سنة 1200م) بإسم القراخطاي، إلاّ أنّه لم يكن بمقدوره أن يعيش معهم في وئام دائم، فقد أدت تجاوزات المرسلين الخَطَا لاستلام الجزية السنوية، إلى ردة فعل قوية من تكش حيث قام بقتل المبعوثين بعد أن تمادوا عليه، ولما بلغ الخبر إلى أخاه السلطان شاه المستنجد بالغوريين، حاول استغلال الأمر لصالحه وسار مسرعا إلى الخَطَا، ونجح في إقناع ملكهم "فوما" بمساندته على خلع أخيه، فَكَّوَنَ هذا الأخير جيش قوي واتجه إلى خوارزم لإعادته إلى عرشه، ولكنه إنهزم واضطر على الانسحاب وترك قوة صغيرة مع سلطان شاه، استطاع بها دخول خراسان والإستلاء على مدينة مرو، كما انتصر على حليفه طغانشاه في يوم الأربعاء 13 مايو 1181م، وضم مدينة سرخس وطوس[1].

بعدها إستولى خان اوزغيند- إبراهيم بن حسن- سنة 1178-1179م على سمرقند، وفرض سلطته على خاقانية القراخانيين الغربيين، ثم خاض معارك ضد الغوريين والخوارزم شاه، وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي اعتلى عرش القراخانيين في سمرقند عثمان ابن إبراهيم بن حسين، وتحالف مع القراخطاي ضد الغوريين الذين شنوا هجوما بقيادة السلطان شهاب الدين محمد(1203-1206م)[2]، على مدينة غورغيانج، ولما شاهدوا قوات الخَطَا رفقة خان سمرقند عثمان زاحفة نحوهم، قاموا بفك حصارهم على غورغيانج وتركوا خوارزم، فتعقبتهم القوات المتحالفة وتوارى زعيم الغوريين شهاب الدين محمد خلف أسوارها الحصينة، وبما أن حاكم القراخانيين عثمان- خان كان مسلما فإنه لم يرغب في أن يقع شهاب الدين محمد

[1] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص. 491.

[2] - في أثناء حكم غياث الدين الغوري البلاد من سنة 558-599هـ/1163-1203م، استجد أمران حيث استولى الغز على مدينة غزنة، وظلت تحت سيطرتهم خمس عشرة سنة، وفي هذه الأثناء حدث إنشقاق داخلي في الأسرة الغورية، بحيث طالب عم غياث الدين فخر الدين مسعود حاكم الباميان بالعرش، فجرت بين الطرفين معركة عرفت باسم:"معركة راغ زار"، وقعت بين مدينة هراة وفيروزكوه، حيث دُحر فخر الدين مسعود وأسر، ولكنه أعاده إلى الحكم سنة 559هـ/1163م، وفي سنة 669هـ/1173م، استعد السلطان غياث الدين محمد الغوري لإستعادة مدينة غزنة من الغز، وعين أخاه شهاب الدين محمد حاكما عليها، وبذلك تأسست هذه الإمارة الغورية هناك بقيادة شهاب الدين وكان عليها الدفاع عن غزنة وشمال الهند، وتوسع حدود الدولة الغورية بالحملات العسكرية السنوية تجاه بلاد الهند.(أنظر، طارق فتحي سلطان: نشأة الإمارة الغورية 543هـ/1148م، مجلة، أفاق الثقافة والتراث، العدد 54، جمادى الآخر 1427م، ص ص.124-125.)

الغوري المسلم في يد زعيم الخَطَا غورخان الغير مسلم، لذلك توسط بين الطرفين وأقام الصلح بينهما، فعاد غورخان إلى دياره بعد أن أخذ فدية كبيرة من الغوريين[1].

شهد العقدان الأولان من القرن السادس الهجري/الثالث عشر الميلادي تعاظم نشاط الدولتين الشرقيتين الكبيرتين: الدولة الخوارزمية في الغرب(أنظر، الخريطة رقم:22)[2] والدولة المغولية بقيادة جنكيزخان في الشرق،(أنظر، الخريطة رقم:24)[3] وقد وجد الخَطَا أنفسهم بين فكي كماشة، وبدأت المشاكل في سنة 1205م، حيث دخل السلطان الخوارزم شاه علاء الدين محمد(1200-1220م) في نزاع معهم على سلطانهم في بلاد ما وراء النهر، فرفض دفع الإتاوة لغورخان وربط علاقات سرية مع الحاكم القراخاني عثمان، في نفس الوقت قام النايمان على غورخان فطلب العون من حليفه القراخاني، لكنه لم يلب الطلب بل انضم إلى خوارزمشاه، فأرسل غورغان ضده 30.000 ألف جندي، وفي سنة 1207م سار كل من عثمان القراخاني والسلطان علاء الدين محمد الخوارزمي بجيش عظيم، وإلتحموا بجيش غورخان في منطقة تراز، حيث وقعت الهزيمة على زعيم الخطا، واستولى خوارزمشاه على بخارى[4].

أصبح خان الأويغور القراخانيين عثمان منذ ذلك الوقت تابع لسلطان الدولة الخوارزمية، إلاّ أنه تمرد عليهم في سنة 1212م، فجمع الخورزمشاه جيشا قويا وسار شخصيا إلى سمرقند واحتلها وأعدم عثمان خان، وأطلق العنان لجنوده يفعلون فيها ما يشاؤون مدة ثلاثة أيام بلياليها[5]. بذلك استولى الخوارزمشاه على بلاد ما وراء النهر بأكملها، وإنتهى تاريخ الدولة القراخانية والدولة الكاراكيتائية(الخَطَا) معًا، وسوف تبقى الدولة الخوارزمية تواجه المد المغولي وحدها.(أنظر، الخريطة رقم:23)[6].

---

[1] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق ، ص ص، 125-126.

[2] - أنظر، الخريطة رقم:22، ص. 399.

[3] - أنظر الخريطة رقم: 24، ص. 401.

[4] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق ، ص ص، 126-127.

[5] - المرجع نفسه، ص.127.

[6] - أنظر، الخريطة رقم:23، ص. 400.

يمكن القول أنّ الخوارزميين لم يستطيعوا إبعاد الخَطَا نهائيا فقد بقوا موجودين بأقصى الشرق، حيث تتواجد مملكة أويغور الإيديقوت، حيث يقول مؤرخ المغول عطى ملك الجويني، في كتابه" جهنكشاي أو فاتح العالم"، أن الإيدقوت قبلوا دفع الجزية للخَطَا، فعينوا من ينوبهم على إدارة شؤون الأويغور وتركوا معه حامية عسكرية، إذانا بتبعيتهم لهم ولكي يضمنوا عدم تمردهم عليهم[1].

يبدو أنّ العلاقات توترت بين الطرفين في عهد حاكم "شاوكم" الذي سلك سبيل الظلم تجاه إيدي قوت، في نفس الوقت الذي كانت أنباء انتصارات زعيم المغول جنكيزخان في منغوليا تصل إلى الأويغور تباعا، فاستغل زعيمهم الوضع وأعلن الثورة على الخطا وقتل عسكرهم الموجودين في إمارته، وقيد رجاله زعيمهم "شاوكر" في الأصفاد، وسجنوه في منزل بمدينة"قراخواجة" وهدموا المنزل فوق رأسه، ثم أرسل رسله إلى جنكيزخان يعلن الإنشقاق على الخطا ويذعن طاعته للمغول، ولإثبات حسن نيته سار بنفسه في سنة 616هـ/1209م رفقة ثلاثمائة من قواته لزيارة العاهل المغولي، وقدم له فروض الطاعة مع جملة من الهدايا الفاخرة، فرحب به الخان وأكرم وفادته[2]، ومنذ ذلك التاريخ صار الأويغور من أتباع جنكيزخان(أنظر، الجدول رقم:08)[3] ومناصريه.

قدم إيدي قوت مجموعة من جيشه كمساعدة لجنكيزخان في حربه ضد سلطان الدولة الخوارزمية، فقد كان أيدقوت وجنوده رفقة جيش جغطاي وأوكتاي الذاهب لمحاصرة مدينة أترار، وعندما ذهب جنكيزخان إلى قتال التانكوت بعد عودته من إنتصاراته في العالم الإسلامي، توجه إيدقوت لنصرته من مدينة بيش باليغ، وقدّم قوات كبيرة لنصر العاهل المغولى، ونتيجة لهذه الخدمات الجليلة التي قدمها الإيدقوت خصه جنكيزخان بمزيد من العطف والإحترام وخطب له واحدة من بناته، وبعد وفاته خلفه ابنه كسماين وزوجه القـآن

---

[1] - عطى ملك الجويني: جهانكشاي، المصدر السابق، مج.1، ص.81.

[2]- نفسه، مج.1 ص.81؛ أنظر، عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، المرجع الابق، ج.1، ص ص، 50-51.

[3] - أنظر، الجدول رقم: 08، ص. 438.

بالأميرة المغولية "ألاجين بيكي"[1].

الملاحظ على هذه الفترة المغولية أن الأويغور إختفوا عن الخارطة السياسية لآسيا الوسطى، ولم يعودوا مثل قبل قوة سياسة يُعتد بها، بل بقوا كقوة ثقافية وحضارية، وفي الحقيقة بدأ هذا الأمر منذ دخولهم تحت سيطرة الخَطَا، وإستمروا كذلك في عهد المغول، وقد أصبح الأويغور هم المسيطرون على إدارة الإمبراطورية المغولية،(أنظر، الخريطة رقم:24)[2] وسوف يلعبون أدوار حضارية مهمة، سأتحدث عنها في الصفحات القادمة من البحث.

---

[1] - الجويني، المصدر السابق، مج.2، ص.82.

[2] - أنظر، الخريطة رقم: 24، ص. 401.

الفصل الثالث:

إسهاماتهم فى المجال الدينى

المبحث الأول: اعتناق الأويغور القراخانيون الدين الإسلامى.

المبحث الثاني: نشرهم الإسلام.

المبحث الثالث: إسهامهم في بناء المنشأة الدينية وترقيتهم عوم الدين.

المبحث الرابع: التواصل العلمي بين الدولة القراخانية والخلافةالإسلامية.

المبحث الأول: إعتناق الأويغور القراخانيون الدين الإسلامي.

تطرقت في الفصل السابق إلى كيفية تبني الخاقان الأويغورى ستوق بغراخان الدين الإسلامي، وكيف كان له الفضل في تأسيس أول دولة إسلامية تركية في أسيا الوسطى، وسأحاول في هذا المطلب التكلم عن كيفية إسلامه، والسنة التي اعتنق فيها الإسلام؟ وعلى يد من كان؟ وسأحاول ذكر العوامل التي جعلت الأويغور يعتنقون الإسلام؟.

أولا: إعتناق ستوق بوغراخان الإسلام:

إنّ المصادر التاريخية شحيحة المعلومات بخصوص إسلام ستوق بغراخان،(أنظر، الصورة رقم:08)[1] فالمؤرخ رزق الله منقريوس الصيرفي، يقول: أنّ "هذه الدولة عريقة في القدم ولا يعرف كيف ابتدأت، ولم يعرف أحوالها إلا بعد إسلام ملكها عبد الكريم سبق وتسمى بـ(عبد الملك)"[2]؛ من هنا يشهد هذا الأخير أنّ أول من أسلم من قراخانات هذه الدولة، هو:ستوق، ويؤكد هذا الأمر المؤرخ ابن خلدون، بقوله :"أول من أسلم منهم سبق قراخان وتسمى عبد الملك"[3]، ولكن كلا من المؤرخين لم يمدانا بالسنة التي أسلم فيها هذا القراخان.

يرى المؤرخ الروسي بارتولد: أنّ إسلام ساتوق كان في سنة 348هـ/960م[4]، ولكن في صفحات أخرى، يذكر أن هذا الأخير توفي قبل ذلك في سنة 344هـ/ 955-956م[5]، ومعنى هذا الكلام أنّه أسلم قبل هذه السنة، في المقابل لم يعطنا هو الآخر السنة بالضبط التي أسلم فيها، حيث تركها مبهمة مما أدى إلى تضارب.

جاء في كتاب: "أوزبكستان"، أنّ ساتوق ولد في سنة 334هـ/944-945م، وتوفي

1- أنظر، الصورة رقم:08، ص. 409.

2 - رزق الله منقوريوس الصيرفي: المصدر السابق، ج.2، ص.37.

3 - ابن خلدون: المصدر السابق، ج.4، ص.512.

4 - بارتولد: تاريخ الترك، مرجع سابق،ص.89.

5 - نفسه، ص.94، أنظر، ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.27، أنظر، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص.183، أنظر، زياد محمد هواش، المرجع السابق، ص.02.

حوالى سنة 429هـ/1037-1038م، واعتنق دين الإسلام في عهد الملك الساماني"عبد الملك بن نوح الذي حكم في الفترة(342-352هـ/954-964م)[1]، ويذكر المؤرخ ابن الأثير أنه في نفس هذه الفترة، وبالضبط في سنة 349هـ/960م، دخل حوالي مائتي ألف(200.000) خركاه(أسرة) من الأتراك في الإسلام[2]، والمقصور من رواية ابن الأثير هم القراخانيون[3]، ومن المحتمل أنّ يكون هذا الأمر قد حدث في زمن الزعيم القارخاني "موسي بن ساتوق بغراخان"، الذي أعلن الإسلام كدين رسمي للدولة، واقتفى رعياه أثره في اعتناق الإسلام[4]، ومن هنا لم تكن السنة التى ذكرها بارتولد هي السنة التي اعتنق فيها ستوق بغراخان الإسلام.

أعتقد أنّ إسلام ستوق بغراخان كان قبل هذا التاريخ، لأنّ كل من المؤرخ التركستاني:محمد علي البار والمؤرخ الأويغوري: ألكين ألبتكين، وماجدة مخلوف، يذكرون:بأن إسلام ملك القارخانيين الأويغور ستوق بغراخان كان في عام 323هـ/943م، وغير اسمه إلى"عبد الكريم بغراخان"، وأسلم معه حوالي مائتي ألف خيمة من عشيرته، أي حوالي مليون شخص[5]، في حين يري المؤرخان الأويغوريان محمد أمين بوغرا، وحبيب أوغلو: أن إسلامه كان في سنة 320هـ/932م، على يد القافلة التجارية التي كان يقودها الأمير الساماني أبو نصر[6].

يمكننا التوفيق بين هاتين السنتين بقولنا: أنه من الممكن أن يكون ستوق قد أسلـــــــــــم

[1] - بوريبوي أحمدوف وزداه لله منروف: المرجع السابق، ص.110.

[2] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، مج.7، ص.267؛ أنظر، الرمزي، المصدر السابق، مج.1، ص.59.

[3] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.391.

[4] - زياد محمد الهواش: القارخانيون في تركستان تاريخ منسي وحضارة باقية، المرجع السابق، ص.03.

[5] - محمد علي البار: التركستان مساهمات وكفاح، المرجع السابق، ص.20، أنظر، أركين ألبتكين، أتراك الأويغور، المرجع السابق، ص.104؛ أنظر، ماجدة مخلوف: تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، مجلة المنار الجديد، العدد 23، يوليو 2003م، ص.2.

[6] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص ص، 98-99، أنظر، حبيب أوغلو: لمحات من تاريخ.، المرجع السابق، ص ص، 27-28.

في سنة 320هـ/932م، على يد الأمير الساماني أبو نصر، ولم يُعلن إسلامه إلا بعد نجاح انقلابه الذي قاده ضد عمه، واعتلى عرش الدولة القراخانية رسميا في سنة 323هـ/943م، وهنا أعلن الإسلام كدين رسمي للدولة، كما سأبينه بعد قليل.

لقد حِيكت الكثير من الروايات والأساطير على كيفية إعتناق "ساتوق بغرخان" الإسلام، فيذكر المؤرخ ابن الأثير: أنه أسلم بعد أن رأى رؤيا في منامه، مفادها أن أحدهم نَزل عليه من السماء، وقال له: أَسْلِم تَسلم في الدنيا والآخرة، فأسلم في منامه، وفي الصباح أعلن إسلامه[1]، وأنا أعتقد أن هذه الرواية لا تستقيم مع المنطق وهي أشبه بالروايات الخرافية.

ويروي السير توماس وأرنولد رواية أخرى في نفس هذا السياق، حيث يروي: أنّ ساتوق أسلم على يد الخواجا أبو النصر الساماني الذي عزم على اتخاذ التجارة حرفة له، وفي ليلة من الليالي ظهر له النبي صلي الله عليه وسلم في منامه، وأمره بالذهاب إلى تركستان، حيث سيجد الأمير ستوق بغراخان في انتظاره للدخول في الإسلام، وفي المقابل رأي ستوق نفس الرؤيا تحثه على انتظار شخص يدعوه للإسلام، ولما التقي مع أبي نصر الساماني كان على استعداد تام لقبول تعاليم الدين الإسلامي[2]، إن هذه الرواية تشبه نظيرتها ولا تعدو عن تصورات وهمية لا أساس لها من الصحة، ويبدو أنها مأخوذة عن ابن لأثير.

وتذكر بعض الروايات أنّ ساتوق أسلم على يد أحد الفقهاء النشطين آبي الحسن محمد بن سفيان "الكلماتي"، الذي غادر مدينة نيسابور[3] في سنة 340هـ/951م، وقضى بعض الوقت في بخارى ثم رحل إلى ديار الأتراك الشرقيين، ودخل في خدمة خانهم الأكبر"خان خانان"، وظل يجوب الأقطار في بلاده ويقنع الناس بالإسلام سنة349هـ/960م، وتوفي ببلاطه قبل سنة

---

[1] - ابن الأثير:مصدر سابق، ص1668.

[2] - أنظر، أرنولد وسير توماس: الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامي، تر: حسين إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م، ص ص، 244-245.

[3] - نيسابور: بفتح النون وسكون الياء المقوطة من تحتها باثنتيين وفتح السين المهمة، وبعد الألف باء منقوطة بواحدة وفي آخرها الراء، وهي من أحسن المدين الموجودة بخراسان، ينتسب إليها كثير من العلماء، وقد جمع الحاكم أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحافظ البيّع، تاريخ علمائها في ثمان مجلدات. (أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج. 12.).

350هـ/961م[1]، وهذه الرواية تجانب الصواب في رأيي لأن ستوق أسلم قبل السنة التي تذكرها الرواية، وتذكر رواية أخرى: أنّ ستوق أسلم على يد أحد المصارعين المنتمين إلى مدينة "خيوة"، يسمى "بهلوان"[2]، وهذا مستبعد في رأيي.

لاشك أنّ كل هذه الروايات تندرج تحت إطار ترويج الصوفية لتلك القصص الدينية الخرافية، لتقنع الأتراك البسطاء على التحول إلى الإسلام، فكثيرا ما سمعنا عن فرح الصوفية بنجاحهم في إدخال الكفار في الإسلام، بعد مخاطرتهم بأنفسهم بالتجول في الصحاري الموحشة، وموطن بعض القبائل التركية، ويمكن القول أنهم كانوا في كثير من الأوقات أكثر توفيقا من العلماء والبعثات الرسمية، وذلك لاستخدامهم الحكايات الأسطورية المتحدثة عن العقاب والعذاب الأليم في النار، من أجل إقناع الأتراك للدخول في الإسلام[3]، وقد أمدتنا كتب طبقات الصوفية بأسماء كثيرة كانت تنشط في بلاد ما وراء النهر وخراسان وتركستان، أمثال: محمد بن الفضل البلخي الناشط في سمرقند، وأبو بكر الوراق من أهل ترمذ[4].

إنّ الفضل كل الفضل يعود في رأيي إلى الأسرة السامانية التي لعبت دورا بارزا في نشر الإسلام في بلاد تركستان[5]، وخاصة بعد سيطرتهم على كل آسيا الوسطى، الموقع الإستراتيجي الذي تلتقي فيه القوافل التجارية العابرة من الصين إلى العالم الإسلامي وإلى بلاد الهند، وقد قوي مركز السامانيون حتى أصبح الأمراء الصينيون يطمحون إلى ربط علاقات مصاهرة معهم، حيث أرسل أحد الأمراء الصينيين في خطبة ابنة أحد الأمراء السامانيين،

---

[1] - أنظر، بارتولد: التركستان، مرجع سابق، ص.391؛ أنظر، حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص.173؛ ص.181؛ أنظر، سعاد الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص. 38.

[2] - كارل بروكلمان، مرجع سابق،ص244.

[3] - بارتولد: تاريخ الترك، مرجع سابق، ص87.

[4] - السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطار، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط.2،1424هـ/2003م، ص171. فما بعده من عدة صفحات من هنا وهناك.

[5] - بارتولد: تاريخ الترك، مرجع سابق، ص75.

وردًا على ذلك أوفد هؤلاء مبعوثهم الخاص "أبو دلف"[1] سفيرا إلى الصين سنة 330هـ/942م من أجل إتمام المهمة[2]،(أنظر، الخريطة رقم:06)[3] وقد كانت هذه السفارة تهدف في اعتقادي إلى توطيد العلاقات التجارية بين الطرفين، كما كانت تهدف إلى ضرب الخناق على القرخانيين الأويغور المتواجدين في مدينة كاشغر.

لعبت الدولة السامانية(أنظر، الخريطة رقم:19)[4] دورا بارزا في تحويل الأويغور القارخانيين إلى الإسلام، فتقول الروايات أن خانهم الأول "ساتوق بغرخان"، أسلم على يد أحد الدعاة الأتقياء المسمي أبو نصر الساماني، في أثناء عودته بقافلة تجارية من مدينة كاشغر، في أيام حكم الأمير عبد الملك بن نوح الساماني"342-352هـ/ 954-964م"[5]، ويذكر بارتولد: أن ذاك الداعية ما هو إلاّ الأمير الساماني نفسه[6]، وقد كان أبو نصر هذا على جانب كبير من التقوى والدهاء، حيث اتخذ التجارة وسيلة لنشر الإسلام بين الأتراك، وقد استطاع بدهائه إقناع الملك"ستوق بغراخان" بإعتناق الإسلام[7]، وقد إستجاب إلى ذلك خاصة لما رأى السلع

---

[1] - أبي دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي الينبوعي، لم تفيدنا المصادر والمراجع عن تاريخ ولادة ووفاته ووفاته، ويستخلص من الرسالة الأولى والثانية التي كبهما أنه من رجال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ولم تحدد مكان ولادته، كما أنه ليس هناك أيه معلومات عن بداية حياته حتى وصل إلى نصر بن أحمد الساماني في مدينة بخارى، ويبدو أن ظروف مسعر وطريقة حياته المعيشية كشاعر وجوال دفعته إلى أن يرتحل في البلدان، وينزل على الولاة وأمراء الأطراف مادحا إياهم، فوجد نفسه في بلاط ملك بخارى نصر بن أحمد الساماني، وبعدها يصاحب البعثة الصينية في طريق عودتها إلى الصين، وقد عاش مسعر في القرن الرابع الهجري الذي يعد أزهى عصور المشرق الإسلامي فكرا وعلما وثقافتا، على الرغم من الإنتكاسات السياسية، إشتهر أبو دلف شهرة واسعة، وحظي باهتمام كبير كرحالة وجغرافي، وتعد رسالتيه الأولى والثانية من أهم مصادر للذين أردوا الكتابة على المشرق في عصره، فقد وصف فيهما الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والعلمية للدول والممالك التي كانت الموجودة هناك. (أنظر، أبي دلف: الرسالة الأولى، المصدر السابق، ص.9. فما بعدها.)

[2] - زكي محمد حسين: الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، دار الراشد العربي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص33.

[3] - أنظر، الخريطة رقم:06، ص. 385.

[4] - أنظر، الخريطة رقم: 19، ص. 397.

[5] - أحمدوف، مرجع سابق، ص110.

[6] - بارتولد: تاريخ الترك، مرجع سابق، ص96.

[7] - كارل بروكلمان: مرجع سابق، ص245.

والأموال التي كانت بحوزة القافلة، فبدأ يسأل عن الإسلام حتى دخل فيه[1]، ولا يستبعد أنه ادعى رؤيته النبي في منامه وطلب منه أن يسلم كما ذكرت من قبل، من أجل استمالة حاشيته وأتباعه للإسلام.

إنّ أقدم وثيقة تاريخية تحدثت عن كيفية إسلام ساتوق بوغراخان، هي التي كتبها المؤرخ الفارسي جمال قرشي، خلال القرن الثالث عشر الميلادي، وقد إعتمد في معلوماته عن كتاب:"تاريخ كاشغر" الذي ألفه "أبو الفتوح محمد كاشغري" وعرف باسم"حسين بن خلف كاشغري"، وملخص الرواية التي جاءت في الوثيقة، هي: أنّ أوّل منّ أسلم من الترك هو ستوق بوغراخان بن بزير ارسلان خان بن بيلكا كول قدرخان، وذلك في عهد الخليفة العباسي المطيع بالله، وفي زمن عبد الملك بن نوح الساماني، في هذا العهد إنتقلت رئاسة الأويغور إلى عم ساتوق المسمى"أغولجاق قدرخان"، وفي عهده هرب الأمير الساماني نصر بن منصور عن أخيه إلى كاشغر عند أغولجاق، فأكرم وفادته، وطلب منه الأمير الساماني أن يقطعه أرض بنى بها مسجدا للعبادة، وفي يوم من الأيام لفت إنتباه ساتوق بوغراخان طريقة صلاة الأمير الساماني وحاشيته، فبدأ يستفسر عن هذا الدين إلى أن إقتنع به وأسلم[2].

هناك رواية أكثر دقة وتفصيل عن كيفية دخول ساتوق بوغراخان في الإسلام، حيث يروي أنه: بعد وفاة والد هذا الأخير المسمي باراخان في سنة 302هـ/ 514م، كان ابنه ساتوق لا يزال صغيرا، فنصب أخاه آيسين بوغراخان على العرش مؤقتا، وعين إبنه ساتوق وليا للعهد، على أن يعتلى العرش بعد أن يكبر قليلا، ولكن آيسين طمع في الملك وفكر في نزع ولاية العهد من ساتوق بوغراخان، وإعطائها لإبنه، وقد أثار هذا الأمر حفيظة الأمير الشاب، وقرر الإبتعاد عن ضغوطات عمه والخروج إلى الصيد بعيدا، وفي يوم من أيام الربيع خرج هذا الآخير مع نَفر من حرسه وأصدقائه للصيد، والرياضة والترويح عن النفس في وادى "أرتوش" الخصيب، حيث تكثر الغزلان والوعول البرية، وبينما هو كذلك لمح قافلة من التجار

[1] - بارتولد: تاريخ الترك، مرجع سابق، ص96.

[2] - أمل أسين: صفحات من إهتداء تركستان الشرقية إلى الإسلام ستوق بغراخان، جريدة "صوت تركستان الشرقية"، العدد الأول، المجلد الأول، يناير 1984م، مركزا لنشر لتركستان الشرقية، تركيا، إستانبول، ص ص.35-36.

وقد تركوا متاعهم وخيولهم وأقبلوا يتعبدون بطريقة لم يشهدها ستوق من قبل، مما أثارت دهشته ووقف ينتظر ريثما يكملون صلاتهم[1].

كانت تلك القافلة تنتمي للسامانيين، تحركت في سنة 320هـ/932م من مدينة بخارى لتقوم بالتجارة في التركستان الشرقية، ومرت عن طريق مدينة أوزكن ثم توغلت قاصدة منطقة آرتوج التابعة لولاية كاشغر، وصادف أن صلى رجال القافلة إحدى الفرائض الخمسة في الطريق، وكانت القافلة برئاسة شيخ تقي، على جانب عظيم من الصلاح ودماثة الخلق وسعة الإطلاع، يُدعى "أبو نصر الساماني"، كان يتخذ من التجارة حرفة له، ومطية لنشر الإسلام بين الأتراك، ولما أتم أصحاب القافلة صلاتهم تقدم إليهم الأمير ساتوق وسألهم عن هذا الدين، فبين له الشيخ حقيقة الإسلام مجملا وتفصيلا، فتأثر ستوق تكين بذلك ودعاهم بالبقاء معه مدة من الزمن[2].

مكث أبو نصر الساماني مع ولي العهد ستوق تكين ردحا من الزمن في مدينة آرتوش، وأخذ في بث الدعوة الإسلامية بينهم، وفي خلال خمسة أشهر أسلم ستوق مع بعض رفاقه، ودعى بعض خلصائه وحراسه إلى الإسلام فأسلموا، ثم أخذت الأفكار تدور في رأس ستوق لِقَلب الحُكم على عمه بالقوة ونشر الإسلام، وبعد أن أعّدَ العدة توجه بحرسه الخاص المسلح نحو مدينة كاشغر، وانتظر حتى انتصف الليل وانّْقض بعسكره على عمه وهو في مخدعه، وأخذه أسيرا، ثم تخلص من معظم حرسه، في نفس الوقت تمكن أتباعه من احتلال بعض المواقع المهمة في المدينة[3].

هكذا أصبح هذا الشاب أول ملك أويغوري مسلم يتربع على بلاد تركستان، ونودي باسم "ستوق عبد الكريم بوغراخان"، ورحب المسلمون من أهل كاشغر بهذه الثورة الإسلامية أيما ترحيب، حيث تقاطروا في الصباح الباكر على السراي الملكي لتقديم فروض الطاعة، والمبايعة للأمير الجديد، وفي غضون ثلاثة أيام تَكون لساتوق قوة عسكرية كبيرة[4]، أمَّن بها

[1] - أنظر، محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.98؛ أنظر، حبيب أوغلو، المرجع السابق، ص27.

[2] - أنظر، محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.99؛ أنظر، حبيب أوغلو، المرجع السابق، ص27.

[3] - أنظر، محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.99؛ أنظر، حبيب أوغلو، المرجع السابق، ص28.

[4] - نفسه، ص28.

مركزه، وأصبح ساتوق هو أول خان أسلم من سلالة الأويغور، والمؤسس الأول للدولة القراخانية المسلمة في بلاد آسيا الوسطى.

أعلن ساتوق الدين الإسلامي على المذهب الحنفي[1] كدين رسمي ووحيد للخاقانية الأويغورية، وقد أحدث هذا الأمر نقطة تحول جذرية لا على مستوى التاريخ التركي فحسب بل على مستوى التاريخ الإسلامي ككل، لأنه ضم إليه أقوام جديدة لم يعرفها من قبل، وأضاف إلى الإسلام رقعة جغرافية جديدة لم يعهدها من قبل[2].

كان لدخول "ساتوق بغرخان" في الإسلام مكسبًا عظيمًا لهذا الدين في بلاد تركستان، ففي نفس اليوم الذي أسلم فيه تحولت حوالي عشرة ألاف خيمة إلى الإسلام - كما ذكرت من قبل -، ولا غرابة في ذلك لأنّ المنطق الطبيعي يقول أنّ الشعوب على دين ملوكها، وبما أنّ ملكهم تّحول إلى الإسلام فلابد لهم التحول هم كذلك إلى الدين الجديد، وكانت قصة إسلام "ساتوق" تشبه كثيرا قصة إسلام سعد بن عبادة الذي تحول معه جميع الأوس والخزرج إلى الإسلام، فأشرقت أنوار الإسلام من جديد في المدينة المنورة بعدما أفلت في مكة المكرمة.

يجب أنٌّ أنّوه هنا أنَّ الإسلام لم يشمل كافة قبائل الأويغور بل اقتصر على بعضها، حيث ظلّ قسمٌ منهم على الشامانية والبوذية والمسيحية، وقد استمرت المانوية موجودة بينهم

[1] - تأسس المذهب الحنفي على يد أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وهو فارسي الأصل، ويسمى بالإمام الأعظم، ولد في الكوفة في سنة 80هـ، بالعراق، وتوفي فيها في 11 من جمادى الأول 150هـ، وإنتشر مذهب أبي حنيفة في البلاد منذ أن مكن له أبو يوسف بعد توليه منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، وكان المذهب الرسمي لها، كما كان مذهب السلاجقة والدولة الغزنوية ثم الدولة العثمانية، نشأ مذهب أبي حنيفة في الكوفة مهد مدرسة الرأي، وتكونت أصول المذهب على يديه، وأجملها هو في قوله:"إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا لم أجد فيها أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت، ثم لا أخر من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم، والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب فلي أن أجتهد كما اجتهدوا"، وهو الأن شائع في أكثر البقاع الإسلامية، ويترطز وجوده في مصر والشام والعراق وباكستان والهند والصين. (أحمد المغلوث: أطلس الأديان، المرجع السابق، ص.439.)

[2] – يالماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سليمان ومحمود الانصاري، مج.1، منشورات مؤسسة فيصل للتميل، استانبول، تركيا، 1990، ص ص، 46-47.

حتى نهاية القرن الرابع الهجري/العشر الميلادي[1]، وبقت أعداد كبيرة من بدو تركستان الشرقية بعيدة عن الإسلام، وضلت تناصبه العداء وتهدد الدولة القراخانية المسلمة[2].

أحدث تحول ستوق بغراخان رفقة عشيرته الأويغورية إلى إنقلاب جذري في التركستان الشرقية وآسيا الوسطى ككل، ولا شك أن إسلامه كان له بالغ الأثر على كل المنطقة في شتى المجالات، وخاصة على المستوى الديني، وسوف أحاول تبيان ذلك في المطلب الثاني.

ثانيا: تمسك الخاقانات الأويغور بالإسلام:

بينت في العنصر السابق كيفة تحول الأويغور القراخانيين إلى الإسلام، ذلك بعد إسلام ملكهم ستوق بوغراخان، وكيف غير إسمه وأصبح يسمى عبد الكريم، وفي هذا العنصر سأحاول بسط الكلام عن تمسك خانات الأويغور بالدين الإسلامي، ومدى تطبيقهم لأحكامه.

بعد تحول الأويغور إلى الإسلام عُرف عنهم أنهم كانوا حكاما مسلمين متدينين لم يشرب أحد منهم الخمر، حكموا رعيتهم بالعدل، وقد انعكست هذه السياسة على رعيتهم فكان لها أعضم لأثر على دولتهم، بحيث تحقق الأمن والرخاء الاقتصادي في بلادهم والبلاد المجاورة لهم[1].

على المستوى الشخصي تطبع الخانات القراخانيون الأويغور بالأخلاق الإسلامية، حيث يروي المؤرخ ابن الأثير على الحاكم الثالث لهذه الدولة "هارون بين سليمان ايلك" والمعروف "ببغراخان"، - حكم في سنة 383هـ: بأنه كان متدينا يحب فعل الخير، وكانت سيرته محمودة بين الرعية، لأنه كان يُطبق العدل عليهم، وكان محبا للعلم والعلماء وأهل الدين، يكرمهم كثيرا ويرعاهم ويتفقد أحوالهم، وكان يحب أن يُكْتَبْ عنه أنه مولى رسول الله صلـــــــــــــــــــي

[1] - ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص36.

[2] - محمد علي البار، المرجع السابق، ص.18.

[1] - زياد محمد هواش، القارخانيون في تركستان، المرجع السابق، ص310.

الله عليه وسلم[1].

وفي موقع آخر يذكر عن الحاكم الأويغوري طغان خان أحمد ابن علي(قراخان) أنه:كان متدينا، عادلا، يرعى مصلحة الإسلام والمسلمين، فبمجرد اعتلائه العرش سنة 403هـ صالح سلطان الدولة الغزنوية محمود، وبعث إليه رسالة مفادها: أنّه "مِنْ مصلحة الإسلام والمسلمين هو إيقاف الحرب بين الدولتين، واشتغال كل واحد منا في محاربة الكفار"[2]، وفعلا انشغل طغان خان في محاربة القبائل الوثنية الموجودة في أقصى شرق مملكته، وكان متوكلا على الله واثقا به، فقد طلب منه أن يشفيه من مرضه لكي يحمي بلاده من هجمات خطر الكفار، وبعد ذلك يفعل به ما يشاء، فاستجاب الله له وشفاه[3].

يتكلم كل من ابن الأثير وأبو الفدا بوقار على الحاكم قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان، الذي تولى الحكم في سنة 409هـ وتوفي سنة 423هـ، فقد وصفاه بأنه كان عادلا يحسن السيرة بين رعيته، وكان حريصا على أداء الصلاة في المسجد، لا تفوته صلاة في الجماعة، وكان يحب الإسلام ويَعمل على إعلاء رايته، كثير الجهاد ضد الكفار، ولما توفي اعتلى العرش مكانه ابنه سليمان بغراتكين أرسلان خان أبو شجاع الملقب بـ"شرف الدولة"، وكان يشبهه في السيرة، فقد كان متدينا ويحب المتدينين ويبغض الكفار، وكان يحب العلم ويكرم العلماء، لذلك قصدوه من كل الجهات والبلدان، فكان يكرمهم ويجرى الأرزاق عليهم، ويشملهم بعطفه[4].

أمّا والد طفغاج خان حاكم سمرقند وفرغانة فقد كان زاهدا يكثر من العبادة، ولما مـــات

---

[1] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.7، ص ص، 462-463؛ أنظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج.4، ص.712؛ أنظر، زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.310.

[2] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.76.

[3] - نفسه، مج.8، ص ص، 116-117؛ أنظر، أبو الفدا، المختصر..، المصدر السابق، مج.2، ص ص، 149-150.

[4] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.117؛ أنظر، أبو الفدا، المصدر السابق، مج.2، ص ص، 150-151؛ أنظر، زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.310.

انتقل عرش الدولة القراخانية إلى ابنه طغان خان أبو المظفر إبراهيم بن نصر أيلك، الملقب بـ"عماد الدولة"، كان هو الآخر متدينا لا يأخذ الضريبة من أحد من رعيته حتى يستفتي فقهاء دولته، ويتأثر من الوعاظ كثيرا، ففي يوم من الأيام قال له أبو شجاع العلوي الواعظ: بأنك لا تصلح للملك، فدخل إلى بيته وأغلق بابه وعزم على التخلي عن العرش، لولا اجتماع كثير من الرعية بالقرب من بابه، وأقنعوه بالعدول عن رأييه وقالوا له: إنّ الواعظ قد أخطأ، ولن نرضى حاكما سواك يحكمنا، فعاد إلى إدارة مقاليد دولته حتى توفي سنة 460هـ، وقد أعجب الخليفة العباسي القائم بأمر الله(أنظر، الجدول رقم:04)[1] بسياسته كثيرا فمدحه وبعث إليه الخلع، وأطلق عليه ألقاب كثيرة في سنة 453هـ[2]، اعترافا منه على حسن سياسته.

أمّا السلطان شمس الملك نصر بن طمغاج خان فقد كان من أفضل الملوك القراخانيين الأويغور علما وسياسة وفصاحة، درس الفقه وكتب بخط يده الجميل مصحفا، كما أملى الحديث بنفسه، وخطب على منبري بخارا وسمرقند، وقد اتصف حكم الخضر بن طمغاج خان بالعدل هو كذلك، وعرف عنه حبه للشعر والشعراء، أمّا أرسلان خان محمد تكين بن سليمان، الذي حكم نحو ثمان وعشرين سنة(1102-1130م)، فقد اشتهر عنه تَدينه وجهاده للأتراك الوثنيين[3].

يمكن القول أنَّ الملاحظة البارزة على حكام الدولة القراخانية الأويغور أنهم لما دخلوا في الإسلام لم يعاقروا الخمر أبدا، على العكس من بعض ملوك وحكام الدول المجاورين لهم، فقد قال المؤرخ إبن الأثير عن أرسلان خان الملقب بـ"شرف الدولة": أنه لم يشرب الخمر قط[4]، وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الكرديزي: أنه عندما التقى قدرخان، حاكم الدولة القراخانية مع نظيره حاكم الدولة الغزنوية محمود، أعَّدَ له هذا الأخير خيمة كبيرة وزينها

---

[1] - أنظر، الجدول رقم:04، ص. 434.

[2] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.265؛ أنظر، زياد محمد هواش، المرجع السابق، ص.311.

[3] - زياد محمد هواش، المرجع السابق، ص.311.

[4] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.117.

أحسن تزيين، ولمَّا جلسوا قَّدم له السلطان محمود الغزنوي مجلس الطرب، وقدمت معها الخمر، فتعجب قدرخان من ذلك، ولم يحتس شيء من الخمر، إذ لم تكن من عادته ولا من عادة أجداده حكام تركستان احتساء الخمور[1].

في هذا الصدد يقدم لنا بارتولد، في كتابه: "التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي"، مقارنة بين حكام الدولة القراخانية وحكام الدولة الغزنوية خاصة محمود وابنه مسعود، فيقول: أن "الأوائل كانوا أكثر تمسكا بتعاليم الإسلام من محمود ومسعود، فهم لم يستغلوا الدين كوسيلة للحفاظ على عرشهم فقط، بل كانت تعاليمه عندهم تطبق على الجميع، وقد أحجموا عن شرب الخمر لتعارضها مع الدين من جهة، ولكي يكونوا فعلا قدوة لرعيتهم، ومثلا أعلى للملوك العدول"[2]. وهذا لا يعني أنَّ الحكام الغزنويون لم يطبقوا تعاليم الدين الإسلامي ولكن الأمر كان متفاوتا بين الطرفين.

النقطة الآخرى الملاحظة على الحُكام القراخانيون هي عنايتهم بتثبيت قواعد الأمن والنظام بين رعيتهم، والعمل على حماية ممتلكات الناس في دولتهم، فقد توجهت عناية طمغاج خان إبراهيم بن ايليك خان نصر منذ البداية إلى تثبيت قواعد النظام والأمن بأراضيه، فكان أدنى اعتداء على ممتلكات الغير يلقى عليها الفاعل جزاءًا صارمًا، ففي يوم من الأيام حدث أن كتب بعض اللصوص على باب قلعة سمرقند: "نحن كالبصلة كلما نُقطع تكبر رؤوسنا، فأمر الخان أن تكتب بجانب تلك العبارة: وأنا كالبستاني، كلما ارتفع لكم رأس اجتثثته"[3].

وقد أعمل طفغاج الحيلة للخلاص من هؤلاء اللصوص، ففي مرة من المرات قال لخواصه:"منذ مدة وأنا قد استللت سيف النقمة والانتقام من غمده، فقتلت رجالا أفاضل وشبابا زينا، واليوم أنا محتاج إلى مثل هؤلاء الرجال، لأنّه وصل إليّ أن أهل كوكر وباتِك قد عصفت بهم ريح الخلاف ونواشق عصا الطاعة، فأنا الآن في حاجة إلى رجال من أهل العمل، خاصة

[1] - الكرديزي، زين الأخبار، المصدر السابق، ص.266.

[2] - بارتولد، التركستان...، المرجع السابق، ص.452.

[3] - نفسه، ص.459.

وأني عرفت قدرهم في هذه اللحظة، لذا فيجب أن تبحثُوا لي عن أحد زعماء العصابات، التي عملت فيما مضي بقطع الطريق، حتى أسبغ عليه من عطفي وعفوي، وحتى يجمع لي رجالا من أهل العمل"[1].

فأحضروا له رجلا من المدينة كان قد اشتغل من قبل بزعامة اللصوص، ولكنه تاب وأصبح يعيش من عرق جبينه، ولما مكث أمام الخان عينه سيافه الأول(جاندار) وأمره أن يجمع له ثلاثمائة رجل لم يكن من قبل إلا لصا أو قاطع طريق، وأمر بأن يدخل الواحد تلو الآخر من أجل توزيع الخلع عليهم، فأُدخلوا إلى غرفة تحفظ فيها الخلع وكساوي الشرف، ومنها أُخذوا إلى غرفة أخرى وتم القبض عليهم وأعدموا جمعيا، ولما وصل النبأ إلى اللصوص وقطاع الطرق الآخرين أصابهم الهلع والفزع، وكفوا عن الصعلكة[2]، فَأَمِن الناس إثر ذلك على أموالهم.

ومن أجل تطهير الدولة نهائيًا من أهل الإباحة استعان خانت الدولة القراخانية برجال الدّين الزهاد والصوفية، فقد اعتمد الخان محمد تكين الملقب بـ"أرسلان خان" على الزاهد الحسن بن يوسف الساماني البخاري الملقب "نمد يوش"(صاحب الصوف)، لتطهير مدينة بخارا من أهل الإباحة والبدع، وكان يدعوه بأبي[3].

لم يكتف الخان طفغاج خان بحماية ممتلكات الشعب الكادح من السرقة والاعتداء فحسب، بل وَقَف في وجه التجار الجشعين الذين أرادوا رفع الأسعار في الأسواق، ودفعوا ألف دينار رشوة للخزينة مقابل تمرير القراخان قرار الزيادة في أثمان بعض السلع، فتظاهر بقبول ذلك، وأحظر القصابون المال إلى الخزينة ورفعوا أسعار اللحم، عندها منع القراخان الناس من شراء اللحم، فتعرض القصابون لخسائر فادحة، في المقابل اشترك في كل حي من الأحياء خمسة أو ستة من الرجال واشتروا رأس من الضأن، اقتسموا لحمه، فأوقع هذا خسارة كبيرة

---

[1] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص ص، 459-460.

[2] - نفسه، ص.460.

[3] - زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.469.

بالتجار، وجعلهم يدفعون مبالغ إضافية من المال قصد إرجاع الأسعار إلى ما كانت عليه سابقا، وهنا قال لهم طفغاج خان مقولته الشهيرة :"لا يجوز أن أبيع جميع رعيتي بألف دينار"[1].

منذ ذلك اليوم أصبحت هذه المقولة مرتبطة بطمغاج خان إبراهيم بن إيلك خان نصر، أحد ملوك القراخانيين الأويغور المسلمين، وكان الحري بنا أنٌ ندون هذه المقولة بماء من ذهب، ونعلقها على مدخل قصور الملوك، عرفانا بالمجهودات الكبيرة التي قام بها خانان الأويغور من أجل إقامة العدل بين رعيتهم، ومحاولة أخلقة التجارة في مملكتهم.

يمكن القول أنَّ القراخانيون أسلموا وحسن إسلامهم فلم يعرف عن أحد من خاناتهم أنه شرب الخمر، وقد حرصوا على أداء الصلوات في الجامع مع الجماعة، كما عملوا على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية، وتوخوا إقامة العدل على رعيتهم، وحاربوا جميع أنواع التجاوزات الشرعية مثل لإباحية، وضربوا بيد من حديد على اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يرعبون الرعية بسرقة أموالهم، كما قاوموا شتى أنواع التجاوزات التجارية، وحرصوا على رفع غلاء الأسعار عن رعيتهم.

المبحث الثاني: نشرهم الدين الإسلامي.

أولا: جهود الأويغور في نشر الإسلام:

سوف أحاول في هذا العنصر إبراز الجهود الكبيرة التي بذلها الأويغور القارخانيون في نشر الدين الإسلامي، بين بني جلدتهم من القبائل التركية الأخرى المتواجدة في تركستان الشرقية.(أنظر، الخريطة رقم:05)[2].

يجمع الكثير من الباحثين : "أن الدولة القراخانية لعبت دورا بارزا في نشر الإسلام بين

[1] - بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص ص، 460-461؛ أنظر، زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.311.

[2] - أنظر، الخريطة رقم:05، ص. 384.

القبائل التركية الضاربة في أنحاء السهوب"[1]، ويتحسر الدقوقي قائلا: "إلا أن الكتاب والمؤرخين المحدثين أجحفوا في حقها، وأغمدوا النظر عن معالم حضارتها الإسلامية الماثلة في تلك الرقعة الواسعة، في حين لا يمكنك أن تتصفح كتاب من الكتب في تاريخ الإسلام العام دون أن تجد فيه ذكرا لهذه الدولة، ومع الأسف أن من تناول تاريخ تلك الدولة ركز عن علاقاتها بالدول المجاورة لها فقط"[3]، وكأنه لم يكن لهذه الدولة دورا في تعزيز عرى الإسلام في آسيا الوسطى.

العكس من ذلك لعب خاناتها دورا مهما في نشر الإسلام في آسيا الوسطى،(أنظر، الخريطة رقم:03)[4] فمباشرة بعد تحول خانها الأول ستوق بوغرا قارخان إلى الإسلام، حوالي سنة 320هـ/932م، أعلن الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة، وبدأ صراعه ضد القبائل التركية الموجودة في أقصى شرق تركستان، التي لم تدخل في الإسلام بعد، فمثلا أعلنت كل من: دولة الأويغور الإدقوت البوذيين، وخانية خوتان، وكوجا، تمردهم عن اتحاد الدولة القراخانية، وتبعتهم كل من قبائل أوغراق وياغما وتوخسي، وشنوا جميعهم الحرب على الدولة المسلمة، فقرر ستوق بوغراخان عبد الكريم قيادة حملة عسكرية لإخضاعهم، وفعلا زحف بجيشه على مدينة "خوتان" وضرب عليها حصارا طويلا، ثم تمكن من فتحها، ومكث فيها قليلا ثم واصل الزحف بجيشه لفتح ولاية كوجا[5].

بعد إنتهائه من هذه الأخيرة وجه حملة عسكرية أخرى على دولة الإيديقوت الأويغور، فقسم جيشه إلى قسمين: قسم توجه عن طريق الشمال إلى منطقة إيلي، أما القسم الثاني الـــذي

[1]- أنظر، حسين علي الدّاقوقي: الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، بحث منشور في مجلة دراسات العلوم الإنسانية، المجلد 20، العدد 2، جامعة بغداد، 1993م، ص.6؛ MARIE-LOU GREGOIRE-BLAIS : Crise identitaire au sein de communaté ouigouer de la région autonome xinjing, op.sct, pp.28-29.

[3] – نفسه، ص.6.

[4] - أنظر، الخريطة رقم:03، ص. 382.

[5] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.99.

كان تحت قيادته المباشرة فتوجه عن طريق قاراشهر ثم قوجو،(أنظر، الخريطة رقم:03)[1] ودارت بينه وبين جيش دولة إديقوت الأويغور معارك حامية الوطيس، عادت الغلبة فيها إلى جيش ستوق والمسلمين، واستسلم الإيدقوت بشرط: أن يبقوا على ديانتهم البوذية مقابل تبعيتهم إلى دولة ساتوق المسلمة[2]، فقبل هذا الأخير وأصبح الإيديقوت جزءًا من فدرالية الدولة الأويغور القراخانية.

بعد انتهاء ستوق عبد الكريم من الإيديقوت واصل حروبه من أجل إخضاع باقي قبائل الأتراك الوثنيين، مثل: ياغما وتوخسي وأوغراق، وعين قائده الشهير ابن الشيخ أبي نصر الساماني(نجل أبو نصر الساماني) المسمى عبد الفتاح، وزيرا له ومستشارا دينيا لدولته، وأصبح المرجع الديني الأول والأخير في الدولة، فمنحه ستوق لقب: "آلب تكين" ومعناها الغازي[3]، ويعتبر هذا اللقب هو أعلى مرتبة في الدولة في ذلك الوقت.

تمّكن ستوق عبد الكريم من نشر الإسلام في الجهة الشرقية لتركستان، ونشر بسيفه الرعب في قلوب الكفار المقيمين في الأراضي الممتدة من ضفاف نهر سيحون(سرداريا) جنوبا إلى مدينة قراقورم بمنغوليا شمالا[4]، ومن المؤكد أن جيوشه وصلت حتى حدود إمبراطورية الصين.

استمر ستوق في الحكم مدة 22 سنة، ولما توفي عن عمر طويل خلفه على كري العرش ابنه موسى بوغرا قاراخان[5]، ويقول عنه المستشرق المجري أرمينيوس فامبري، أنه:"يشتهر بجهاده، فقد إستطاع على حمل ألوف من البوذيين والمسيحيين على الدخول في الإسلام"[6].

---

[1] - أنظر، الخريطة رقم:03، ص. 382 .

[2] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق ، ص.99-100.

[3] - نفسه، ص.100.

[4] - حبيب أوغلو، المرجع السابق، ص.28.

[5] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.100.

[6] - أرمينيوس فامبر، تاريخ بخارى..، المرجع السابق، ص.120.

ولمّا انتشر نبأ موت ساتوق عبد الكريم أعلنت كل من خانية: خوتان، ومملكة إديقوت البوذيتان تمردهما، فكّون الخان الجديد موسى جيشا كبيرا وتوجه به إلى ولاية خوتان وأجبرهما على الرجوع إلى بيت الطاعة، ثم جهز جيشا أخر بقيادة آلبتكين غازي ووجهه على قبائل الأويغور البوذيين القاطنين في وادي إيلي، فتمكن من إخضاعهم بعد حرب ضروس، وهّدم المعابد البوذية التى كانت موجودة في ديارهم، وطرد الأويغور الذين رفضوا الدخول في الإسلام من وادي منكلاق، وأسكن مكانهم الأتراك المسلمين[1].

وبعد سنتين أو ثلاثة أرسل الخاقان جيشا أخر بقيادة نفس القائد إلى مركز مملكة إديقوت الأويغور بقوجو، ففتح ولاية قاراشهر وكنكيت، ثم التقى بالإديقوت ودارت بين الطرفين معارك دامية، تغلب على إثرها جيش المسلمين، فأخلى أرباب الدولة والأهالي منطقة قوجو وفروا نحو الشمال محتمين بجبال تنغري تاغ(تيانشان)، ثم إنتقلوا إلى مدينة باش باليق(أورمجي حاليا) واتخذوها عاصمة لهم[2].

لمّا أكمل القائد آليب تكين غازي فتح مدينة "قوجو" تبعهم إلى مدينة "باش بليق" ودارت بينه وبينهم معارك أخرى على مدخل المدينة، ولكنه انهزم هذه المرة وجرح جروح بليغة، توفي على إثرها شهيدا وهو يجاهد في سبيل الله، وتشتت جيشه ثم انسحب مهزوما، واستعادت مملكة إديقوت منطقة قوجو وكنكيت(قاراشهر)، ودفن جثمان القائد الكبير آليب تكين غازي في منطقة "نان سان"[3]، ولم يزل ضريحه إلى اليوم هناك شاهدا على المجهودات الكبيرة التي قدمها الأويغور القراخانيون في نشر الإسلام في تلك المناطق.

بعد وفاة موسى بوغرا قاراخان سنة 372هـ/982م خلفه على كرسي العرش أخوه هارون بوغرا قاراخان، وكان رجلا ذكيا حسن التدبير، واصل في نفس سياسة والده وجده، حيث لم يمضي على حكمه إلا وقت يسير حتى كّون جيشا قويا، وواصل جهاده لإعلاء رايـــــة

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.100.

[2] - نفسه، ص.100.

[3] - أنظر، حبيب أوغلو، المرجع السابق، ص.28.

الإسلام بين الأتراك غير المسلمين، فبسط سيادته على مملكة أويغور الإديقوت، وتمكن من إدخال الألوف من البوذيين والمسيحيين في الإسلام، ولم يشذ عن طاعته خان أو أمير قبيلة أو شيخ عشيرة، واستتب الأمن والأمان في كل مناطق الدولة شرقا وغربا، ثم كّون جيشا قويا من المسلمين وغير المسلمين ونظمه أحسن تنظيم، وحرص على تدريبه تدريبا عاليا، ثم غير من إستراتيجيته بحيث توجه بفتوحاته نحو الغرب لضم أراضي الدولة السامانية[1].

يمكن القول أنه بالرغم من اهتمام القارخانيون بضم الجهة الغربية بما فيها بلاد ما وراء النهر، إلاّ أنهم لم يُفرطوا في دورهم كناشرين للإسلام في الشرق، ولم يَفُتهم أن يُسهموا بنصيب كبير من الجهاد في الجهة الشرقية لآسيا الوسطى، والشاهد على ذلك أنَّ خان كاشغر الأويغوري أرسلان خان، بعث برسالة إلى الأتراك الوثنيين الذين كانوا يعيشون في هضبة التبت، يدعوهم بالدخول في الإسلام، ولكنهم رفضوا، ولما أنس فيهم روح الطاعة والمسالمة تركهم وشأنهم[2]، والشاهد الثاني أنّ ارسلان خان علي، استشهد في سنة 389هـ/ 998م وهو يحاول نشر الإسلام في الجهة الشرقية من مدينة كاشغر[3]، ونلاحض أنّه برغم من توجيه القراخانيون ألتهم العسكرية لضم الأراضي الغربية، إلاّ أنّ إهتمامهم بقى منصبا تجاه القبائل التركية الموجودة في الشرق من أراضيهم.

بعد إعتلاء طغان خان العرش سنة 403هـ/1013م، قام بوضع حد للحرب الدائرة بين الدولة القاراخانية والدولة الغزنوية، حيث رَاسل السلطان محمود الغزنوي، قائلا: أنّه "من مصلحة الإسلام والمسلمين هو إيقاف الحرب التي لا فائدة منها بين الدولتين، وضرورة انشغال كل واحد منا بالحرب ضد الكفار، حيث تواصل أنت في غزو بـــــلاد الهند

[1] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص ص، 100-101؛ أنظر، ارسنيوس فامبرى: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تر، أحمد محمود الساداتي ويحي الخشاب، تركيا، ص.120.

[2] - حبيب أوغلو، المرجع السابق، ص.28؛ أنظر، سير توماس وأرنولد، المرجع السابق، ص.246.

[3] - محمد علي البار، المسلمين في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ، ج.1، دار الشروق، جدة، 1403هـ/1983م، ص.258؛ أنظر، حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.185.

وتنشر الإسلام فيها، في حين أوجه انشغالي إلى غزو بلاد الترك الوثنيين في أقصى الشرق"[1]، فوافق السلطان محمود الغزنوي على ذلك، وتصالحا ووّجها سيوفهما إلى الفتوحات كل في جهته، ونشرا الدين الإسلامي، وهذا من بين القرارات الصائبة التي اتخذها الحاكم القراخاني في اعتقادي، وهو يدل على مدى إهتمام القراخانيين بتوحيد صف المسلمين وتوجيه سيوفهم إلى إعلاء راية الإسلام لا إلى التناحر فيما بينهم، مثلما نشاهده اليوم.

ويذكر ابن الأثير أنّه في هذه المرحلة اغتنمت قبائل الخطا الوثنيين المتواجين في شمال الصين، مرض طغان خان، وهاجموا بحوالي ثلاث مائة ألف فارس في سنة 408هـ/1018م على تركستان الشرقية، واستولوا على منطقتي إيكي أو كوز(آلتاي الآن)(أنظر، الخريطة رقم:10)[2] وإيميل ووصلوا إلى ضفاف نهر إيلي، ولما علم الخان طغان بهزيمة جيوشه تضرع إلى الله أن يعجل بشفائه من المرض الذي هو فيه ليقوم بجهاد الكفار بنفسه، ولم يمضي وقت طويلا حتى استعاد عافيته، فجمع قواته العسكرية وأضاف إليها القوات الآتية من طرف يوسف قدرخان خان مدينة كاشغر، وقاد الجيش بنفسه، وإشتبك مع الخطا في منطقة إيميل، فقتل منهم خلقًا كثيراً وأسر أكثر من عشرة آلاف، وطارد الباقين حتى اجتازوا جبال آلتاي شمالا، وغنم عدد كبير من المواشي والأموال، ثم عاد إلى عاصمته[3]، وبهذه الهزيمة أصبح الخطا يدفعون إتاوة سنوية للدولة القاراخانية، وتوفي طخان خان في مدينة بالاساغون وخلفه أخوه أرسلان إليك خان.

بقى القراخانيون على نفس السياسة، حيث واصلوا بعث الجيوش لفترات طويلة لفتح المناطق الشرقية من تركستان، فقد كان قدرخان كثير الجهاد في تلك المناطق يقذفها بالكتيبة تلوى الأخرى، وكان له الفضل في فتح مدينة ختن الواقعة بين تركستان والحدود الصينية، وله الفضل في تثبيت الإسلام فيها حتى أصبحت تعج بالعلماء والفقهاء، وتوفـــــــــي هذا الخان

[1] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.76.

[2] - أنظر، الخريطة رقم: 10، ص.389.

[3] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.116؛ أنظر، محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.106.

في سنة 423هـ/1008[1].

ساهم القراخانيون الأويغور بنشر الإسلام في بلاد تركستان الشرقية، وأفلحوا في الكثير من الأحيان في إقناع القبائل التركية بالتحول إلى الإسلام، وإن لم يفلحوا في إقناع جميع القبائل إلا أنهم لعبوا دورا بارزا في صد هجمات هؤلاء الموجهة ضد دولتهم، كما أفلحوا في منع هجراتهم نحو الغرب، وأبقوهم محصورين بين دولتهم وبين الإمبراطورية الصينية.

ثانيا: نتائج نشر الإسلام:

ترتبت على نشر القارخانيون الإسلام في مناطق تركستان الشرقية عدة نتائج مهمة، سأحاول إبرازها في هذا المطلب.

إنّ الشواهد تؤكد على أن القراخانيين قاموا بدور بارز في خدمة الإسلام في منطقة تركستان، فبفضل جهودهم انتشر الإسلام في أوساط جديدة، واستطاعوا تحويل عدد كبير من القبائل التركية الوثنية إلى الإسلام، والشيء المهم في كل هذا أنهم نشروا الدين الإسلامي على المذهب السني[2].

من النتائج المهمة التي برزت على جهود الأويغور القراخانيين بعد إسلامهم هي: توسيع رقعة أراضي الدولة الإسلامية وضم مناطق جديدة لم يطأها الإسلام من قبل، مثل: أقصى التركستان الشرقية، وقد ذكرت من قبل كيف استطاع قدرخان فتح مدينة ختن الواقعة بين تركستان والحدود الصينية، وكيف ثَّبت الإسلام فيها حتى أصبحت تعج بالعلماء والفقهاء[3]، وبهذا الفعل أضاف رقعة جديدة إلى المساحة التي كانت تحكمها الدولة الإسلامية، وهذا الأمر هو مكسب كبير لإسلام والمسلمين.

من بين النتائج المهمة كذلك هي دخول أقوام جديدة في التركيبة الاجتماعية للخلافة العباسية، وستلعب هذه الأخيرة أدوار مهمة في خدمة الإسلام، ففي هذا الصدد يذكر المؤرخ

---

1 - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.117.

2 - عبد الله بن سعد الغامدي، انتشار الإسلام في أسيا الوسطى، جامعة أم القرى، 1428هـ/2006م، ص.100.

3 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، مج.8، ص.117.

ابن الأثير: أنه في سنة 349هـ/960م دخلت حوالي مائتي ألف(200.000) خركاه(خيمة) من الأتراك في الإسلام[1]، وينسبهم بارتولد إلى الأويغور القراخانيون[2]، والمرجح أنهم أسلموا في عهد الزعيم القراخاني الثاني موسى بن ساتوق بغراخان[3].

وفي سنة 435هـ/1043م تحول إلى الإسلام، حوالي عشرة ألاف خركاهة(خيمة) من كفار الأتراك القاطنين ببلاد بلاساغون وكاشغر،(أنظر، الخريطة رقم:03)[4] وصادف إسلامهم عيد الأضحى، فضحوا بحوالي عشرين ألف رأس من الغنم، فكفي الله المسلمين شرهم، ولما أسلموا توزعوا في البلاد فكان في كل ناحية ألف خيمة، ولم يبقى على الوثنية سوى التتار والخطا[5].

لكن المصادر لم تعطينا أي معلومات عن أصلهم وإلى أي قبيلة ينتمون؟ إلاّ أن عدد من الباحثين من بينهم: زياد محمد الهواش، وعلي البار، وحسن أحمد محمود، وعبد العزيز جنكيزخان، وعبد الله بن سعد الغامدي، وماجدة مخلوف، يجمعون على أن المقصود من كلام ابن الأثير هم الأتراك القرغيز[6].

الأمر الأخر الذي ترتب على إعتناق القراخانيون الدين الإسلامي، هو إحداثهم تحول جذري في تاريخ المنطقة، وفي تاريخ الأتراك والعالم الإسلامي ككل، فقد سيطروا بإسلامهم على جميع أراضي آسيا الوسطى، ونقلوا عاصمة دولتهم شيء فشيء من أقصى الشرق إلى الجنوب الغربي، أي من مغولستان الغربية إلى تركستان الشرقية، بنواحي كاشغر ثم بلاساغون، ومن هنا أصبحوا يتوسعون على حساب أراضي الدولة السامانية في بلاد ما وراء

---

[1] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المصدر السابق، مج.7، ص.267؛ أنظر، الرمزي، المصدر السابق، مج.1، ص.59.

[2] - بارتولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص.391.

[3] - زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص. 307.

[4] - أنظر، الخريطة رقم:03، ص. 381.

[5] - ابن خلدون، المصدر السابق، ج.4، ص516؛ أنظر، ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.265.

[6] - أنظر، زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.309؛ أنظر على البار، التركستان مساهمات وكفاح، المرجع السابق، ص.21؛ حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص.186؛ عبد العزيز جنكيزخان، تركستان قلب أسيا، المرجع السابق، ص.43؛ أنظر، عبد الله سعيد الغامدي، المرجع السابق، ص.07؛ أنظر، ماجدة مخلوف، تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامي، المرجع السابق، ص.02

النهر، ثم وحدوا تركستان الشرقية مع تركستان الغربية،(أنظر، الخريطة رقم:05)[1] ويعد هذا الأمر حدثًا هامًا وبارزًا في تاريخ الأقوام التركية منذ القديم، حيث انتقلوا من المناطق الباردة إلى المعتدلة[2]، وقد سمح لهم هذا الأمر بالتربع على منطقة إستراتيجية تربط أقصى الشرق حيث تتواجد الحضارة الصينية بالغرب حيث الحضارة الإسلامية، ومعنى هذا أنهم سيطروا على جميع مضارب القبائل التركية.

وبذلك لم يتركوا أي خيار للأتراك الوثنيين، فكان عليهم إما الإسلام والدخول في طاعة القراخانيون أو الهجرة إلى أقصى الشرق أو إلى الجهة الغربية، وفي الحالة الثانية سوف يحتكون بالحضارة الإسلامية ثم يعتنقون الدين الإسلامي شيء فشيء، وهذا ما حدث بالفعل لقبيلة الغز أو الأوغوز، التي دخلت في الإسلام وبرز منها السلاجقة والأتراك العثمانيون، والمماليك الذين لعبوا دورا مهما في التاريخ الإسلامي.

من هنا يمكن القول أنّه كان للقراخانيون فضل كبير في دفع السلاجقة للتوجه نحو الجهة الغربية،(أنظر، الخريطة رقم:21)[3] واحتكوا بالمسلمين ثم إعتنقوا الإسلام، فقد سمحت لهم الدولة السامانية بالإقامة في لأراضي التابعة لها، بعد فرارهم من تركستان الشرقية ضربات الأتراك الأويغور القارخانيون، وأقاموا في المناطق الواقعة إلى الغرب والجنوب الغربي من مدينة اسبيجاب، وكانت أعدادهم كبيرة، ثم بدؤوا في إعتناق الدين الإسلامي على عهد زعيمهم سلجوق بن دقاق[4]، ولم يطب لخلفائه المقام هناك، فأسكنتهم الدولة السامانية بالقــرب من مدينة

---

[1]- أنظر، الخريطة رقم:05، ص. 384.

[2] - يالماز أوزطونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص.152.

[3] - أنظر، الخريطة رقم:21، ص. 398.

[4] - كان الأمير سلجوق بن دقاق من أعيان ترك خزر، وكان دقاق يلقب بـ"تمربالغ- أي شديد القوس" وعلى هذا ينتسب السلاجقة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن دقاق- أي القوس من الحديد، ويلقب دقاق في بعض الأحيان بـ"تيمور- بليغ أو تيمور مبلغ"، أي السهم الحديدي الشديد، وولد الأمير سلجوق في صحراء الخزر ورباه والده تربية عسكرية، ولما كبر ظهرت عليه إمارات انجابة ومخايل التقدم، وإشتهر بالفروسية والشجاعة، فقربه إليه ملك الترك (بيغو أو بوغو) ولقبه بـ"سوباشي/ أي قائد الجيش"، وأجاز له ملك الترك وحضور مجالسه وألقى في يده زمام أمره، فكان الملك لا يحزم أمرا دون مشورته، ثم حصلت بين الطرفين جفوة بعد أن أوغرت زوجة الملك صدره، فهرب سلجوق مع قومه إلى بلاد ما وراء النهر، وأقاموا بالقرب من مدينة جند بالقرب من سمرقند، وهنا إعتنق سلجوق الدين الإسلام على المذهب الحنفي، ومنذ العقد الأخير من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بدأ تحول السلاجقة إلى الإسلام، وسعد سلجوق وأتباعه بالدين الجديد، وجاوروا السامانيين والخانيين.(أنظر، محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة المرجع السابق، ص.35. فما بعدها.).

بخارى ثم عبروا نهر جيحون، واستقروا في إخراسان على شكل جماعات متفرقة، ثم انتهزوا فرصة ضعف الشيعة البويهيين[1]، الذين كانوا مسيطرين على الخلافة العباسية، فجمع زعيمهم طغرلبك(ت:455هـ/ 1063م) قوته العسكرية ودخل بها مدينة بغداد، وخّلص الخليفة العباسية من نير أل بويه[2].

لعب السلاجقة كذلك دورًا بارزًا في إعادة المجد للخلافة العباسية من جديد، بعد أنّ تغلب الجيش السلجوقي بقيادة السلطان ألب أرسلان(455-465هـ/1063-1072م)[3] الملقب بـ"الأسد الشجاع"، على جيش الإمبراطورية البيزنطية بقيادة رومانوس الرابع(1068-1071م)، في معركة ملاذكرد (Manzikert)[4] التاريخية سنة 463هـ/1071م،(أنظر، الخريطة رقم:25)[5] فقد أوقع السلاجقة هزيمة نكراء بالتحالف المسيحي الصليبي المتكون

---

[1] - ينتمي البويهيون إلى إقليم الديلم الواقع في إقليم الجبال، دخلوا في الإسلام مع دخول الديلم على يد الناصر الأطروش على المذهب الشرعي الزيدي، وقد قامت الدولة البويهية على يد ثلاثة مإخوة هم: علي الملقب بـ"عماد الدولة" والحسن الملقب بـ"ركن الدولة" وأحمد الملقب بـ"معز الدولة"، وهذه الألفاظ أطلقها عليهم الخليفة العباسي بعد دخولهم بغداد واستيلائهم عليه، وحكموا في الفترة الممتدة بين(334-447هـ/945-1055م).(أنظر، حسن منيمنة، تاريخ الدولة البويهية، المرجع السابق، ص.96. فما بعدها).

[2] - حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص ص، 187-188.

[3] - هو السلطان السلجوقي الكبير، أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن السلطان جغري بك داود ميكائيل بن سلجوق بن تقاق بن سلجوق التركماني الغزي، ملك بعد عمه طغرل بك، حكم(455-465هـ/1063-1072م)، وكان عادلا بحيث سار في الناس سيرة حسنة. (أنظر، علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة السلاجقة وبروز مشروع..، المرجع السابق، ص.71.).

[4] - منازكرد أو منازكرت أو ملاذكرد(Manzikert/Malazgirt): هي مدينة واقعة بأرمينية على مقربة من بحيرة وان وشمال بحيرة فانجولو(Vangolu)، وملاذكرد مدينة تاريخية سيطر عليها المسلمون في القرن الأول الهجري، ولكن الروم حول إسترجاعها مرارا حتى تمكن السلاجقة من ضمها نهائيا بعد هزيمة البيزنطيين على مقربة من المدينة، وسميت تلك الموقعة الفاصلة باسم تلك المدينة تخليدا لذلك الإنتصار الإسلامي الكبير الذي حدث في سنة 463هـ/1071م، تحت قيادة السلطان ألب أرسلان السلجوقي، واليوم فإن المدينة تقع في شمال شرق تركيا، وهي تعد واحدة من أهم المدن التاريخية والسياحية والتجارية في شرق تركيا(أنظر، محمد محمد مرسي الشيخ:تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م، ص.313.)؛(أنظر،عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1421هـ/2000م، ص ص، 441-442.)

[5] - أنظر، الخريطة رقم:25، ص. 402.

من:الروم والروس والكرج والخزر والفرنجة والأرمن، وأُسِر الإمبراطور البيزنطي نفسه في تلك المعركة[1].

تعتبر هزيمة البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م نقطة تحول في تاريخ الصراع الإسلامي البيزنطي، فلأول مرة وقع الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع نفسه أسيرا في يد المسلمين، وقد قررت هذه المعركة مصير آسيا الصغرى، بحيث نجح الأتراك السلاجقة في التوغل إلى نحو 400 ميل في أسيا الصغرى، فأضافوا بذلك رقعة جديدة للدولة الإسلامية على حساب بيزنطا، ومنذ تلك المعركة لم تُحرز الإمبراطورية نصرا على المسلمين[2]. من هنا كانت المعركة من أكبر الكوارث التي حلت بالإمبراطورية البيزنطية، واستمر أثرها حتى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

بهذا وضعت المعركة حدًا نهائيًا للدور الذي كانت تلعبه هذه الإمبراطورية في حماية نصارى الشرق من ضغط المسلمين، وفي حراسة الباب الشرقي لأوربا من الضربات الإسلامية، ومن هنا قدّم السلاجقة خدمة كبيرة للدولة العباسية وأضافت لها عمرا جديدا في الحكم بجعلها تستمر في الوجود وقت أطول.

كانت فرحة الخليفة العباسي القائم بأمر الله كبيرة بانتصار السلاجقة في معركة ملاذكرد، حيث استقبل خبر النصر بحفاوة بالغة، وأرسل يهنئ السلطان السلجوقي ألب أرسلان(455-465هـ/1063-1072م)، بالفتح العظيم، ولقبه بعدة ألقاب منها: "الولد السيد الأجل، المؤيد المنصور المظفر السلطان المعظم، مالك العرب والعجم، وسيد ملوك الأمم ضياء الدين، غياث المسلمين ظهير الإمام، كهف الأنام، عضد الدولة القاهرة، تاج الملة

[1] - عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني: كتاب دولة أل سلجوق، اختصره: الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، مطبعة الموسوعات، مصر، 1318هـ/1900م، ص.38 فما بعده من عدة صفحات؛ أنظر، ابن الأثير، الكامل، المصدر السابق، ج.8، ص ص، 389-397؛ شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بم أحمد بن محمد ابن العماد(ت 1036-1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج.5، تح، عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1410هـ/1989م، ص.262.).

[2] - علي محمد محمد الصَّلاَّبي، المرجع السابق،ص.80. فما بعدها.

الباهرة سلطان ديار المسلمين، برهان أمير المؤمنين، حرس الله تمهيده، وجعل من الخيرات مزيده"[1].

يمكن القول أنّه كان للقراخانيون فضل كبير في تحديد خط سير هجرة القبائل التركية من آسيا الوسطى، وعلى رأسهم السلاجقة، بحيث وجهوهم نحو الجهة الغربية، وإغتنم هؤلاء الأوضاع السائدة لصالحهم وتقربوا من المسلمين وإعتنقوا الإسلام، ثم إستغلوا الأوضاع التي كانت تمر بها الخلافة العباسة وللدخول إلى بغداد، والحكم باسمها، وقد قدم هؤلاء خدمات جليلة للخلافة وللإسلام.

كما قدم القراخانيون خدمة كبيرة أخرى للخلافة العباسية بعد أنّ أسّسوا أوّل دولة اسلامية لهم في آسيا الوسطى، فقد عملوا على تشجيع القبائل التركية الأخرى للدخول في الإسلام، وتأسيس دول تصبح بمثابة حاجز في وجه زحف جحافل الأتراك الوثنيين على أراضي الخلافة[2]. وكانت تَحُولُ دون وقوع الخلافة تحت سيطرت تلك الشعوب التركية، خاصة في فترات الضعف التي كانت تمر بها.

لم يقتصر دور القراخانيين في ذلك فقط، بل لعبوا دورا بارزا في حماية بلاد ما وراء النهر وتركستان الشرقية من تسرب معتقدات الشيعة الإسماعيلية إليها[3]، لأنهم إعتنقوا الدين الإسلامي وتبنوا المذهب الحنفي كمذهب رسمي لدولتهم، فأكثر رعيتهم كانوا حنفيين عدى

[1] - محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، المرجع السابق، ص.88.

[2] - مسفر بن سالم الغامدي، المرجع السابق، ص.274.

[3] - تعتبر الإسماعيلية إحدى فرق الشيعة الباطنية، زعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه إسماعيل، وكان أبوه شديد المحبة له، وكانت الشيعة تظن في حياة والده أنه القائم بعده، لأنه كان أكبر إخوته سنا، ولكن مات في أثناء حياة أبيه بالعريض، وحُمل على رقاب الرجال إلى المدينة ودفن بالبقيع سنة 133هـ، وقد أنكرت طائفة من الشيعة موت إسماعيل، وقالوا إن الأمر التبس على أبيه وظنه مات، وقالت جماعة أخرى إن أباه ادّعى موته تُقية عليه من القتل، ولذلك فقد جرى تحقيق رسمى في موته على غير المعهود، وقد أدع مجموعة من عيون الشرطة بأن إسماعيل شوهد بالبصرة وقد مرّ على مُقْعَد فدعا له فبرئ، فرفعوا ذلك إلى المنصور فبعث إلى الصادق أن إسماعيل ابتك من الأحياء وأنه رؤى بالبصرة، ومن هنا زعم الاسماعيلية أن إسماعيل لم يمت، وأنه لا يموت حتى يملك الأرض، ويقوم بأمر الناس، وأنه القائم، لأن أباه أشار إليه بالإمامة، وقلّد أتباعه ذلك، ومن الإسماعيلية خرجت فرقة أخرى تسمى الإسماعيلية المستعلية، فإنه لما توفى المستنصر بالله الفاطمي سنة 487هـ في مصر، نصب الوزير القوي الأفضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش ابنه الأصغر أبا القاسم أحمد دون أخيه الأكبر نزار الذي كان يستحق الإمامة، ولقبه باسم المستعلى بالله، ونذ ذلك الوقت انقسمت الإسماعيلية الفاطمية إلى: مستعلية وهم المؤيدون لإمامة أبي القاسم أحمد بن المستنصر، ونزارية وهم المؤيدون لإمامة نزار أخيه الأكبر والمستحق للإمامة، وصارت القاهرة مركزا للمستعلية، بينما صارت شمال إيران قاعدة للنزارية، وأصبحت النزارية والمستعلية تتنازعان النفوذ في سوريا ومصر وفارس والعراق والهند. (أنظر، عبد المنعم الحنفى: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، مصر، 1413هـ/1993م، ص ص، 43-44.).

منطقة محدودة من الشاش، الذين كانوا يعتنقون المذهب الشافعي[1]، لذلك لم تجد الدعوة الشيعية الطريق سهلا لانتشارها في بلادهم.

في هذا الصدد يذكر المؤرخ ابن الأثير: أنّ السلطان القراخاني الأويغوري "بغراخان"، لعب دورا بارزا في محاربة تسرب المذهب الشيعي إلى التركستان، فقد أوقع في سنة 436هـ/44-1045م بعدد كبير من الإسماعيلية المنتقلين إلى بلاد ما وراء النهر، المحاولون الترويج للمذهب الشيعي بين سكان المنطقة، وحرضوهم للخروج على حكم الدولة القراخانية، ومبايعة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله(427-487هـ/1035-1094م)[3] في مصر، وقد استطاعت هذه الدعوة من إحراز نجاح نسبي هناك وتبعها جمع من الناس، ولمّا سمع بغراخان بالأمر قرر القضاء عليها حرص أنْ لا يفلت منه بعضهم، لذلك أعمل الحيلة وادعى بأنه يميل إلى المذهب الشيعي، وألمح للناس بأنه مع الدعوة وأنه مستعد لنصرتها، فجاءته الشيعة من كل النواحي وإجتمعت حوله، وبعدها نَّظم لهم مأدبة كبيرة في قصره، ولم يزل يراودهم حتى تيقن بأن جميعهم حضروا، حين إذ تخلص منهم جميعا، وكتب إلـــــــــــــــــى سائـــــــــر

---

[1] - أسس المذهب الشافعي الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبد الله بن عبد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي الشافعي الحجازي المكي، يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، ولد الشافعي في مدينة غزة وقيل بعسقلان في سنة 150هـ وهي السنة التي توفى فيها أبو حنيفة، ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين، ونشأ بالحجاز، وتوفي بمدينة الفسطاط بمصر سنة 204هـ، وقد حاول الشافعي المزج بين مدرستي الحجاز والعراق، كما حاول أن يمزج بين مدرستي الرأي والأثر، وإمتاز مذهبه بتدوين كتب المذهب نفسه، كما يعتبر عند المحققين أنه أول من كتب في أصول الفقه وشرحها، واعتنى بالقواعد الكلية أكثر من الفروع الفقهية، يتركز الفقه الشافعي اليوم في: مصر وجنوب الشام واليمن وشرق إفريقيا، وكردستان، وفي جنوب شرقى آسيا "أندونيسيا وماليزيا". (أنظر، سامى بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الأديان، المرجع السابق، ص. 439.).

[3] - هو المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر الإعزازِ دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور، أمه السيدة رصد، وُلد يوم الثلاثاء 16 من جمادى الأُولى 420هـ بالقاهرة، وبويع بالخلافة يوم الأحد للنصف من شعبان سنة 427هـ، وأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام، وقام بأمره الوزير أبو القاسم الجرجرائى، وأخذ له البيعة على الناس، وأطلق للجند أرزاقهم وشيئا آخر سبيل الصلة، وسكنت الأمور واستقامت الأحوال، وكتب له المستنصر سجلا بإقراره على الوزارة. (أنظر، تقى الدين أحمد بن علي المقريزي: إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح:محمد حلمى محمد أحمد، ج.2، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص ص، 184-185.).

الولايات بضرورة تتبع كل من يُشتم فيه رائحة التشيع والتخلص منه[1].

منذ هذه الحادثة أصبح حكام الدولة القراخانية أكثر يقظة لتحركات الشيعة في أراضيهم، ففي حادث أخر تم إلقاء القبض على القاضي محمد بن أحمد بن عبيد البخاري واتهموه بالتشيع، ذلك بعدما وجدوا بحوزته رسائل لإسماعيلية، وكان هذا الإمام قد ذهب إلى بلاد الشام وتولى القضاء بمدينة حلب[2]، وبعدها بعثه صاحبها أنوشتكين رسولا إلى أهله من سكان بلاد ما وراء النهر، وبعث معه مالا كبيرا ليبني لهم مدارس ومساجد وقناطر، ويصل أهلا له هناك، ليعلموا مدى المُلك والنِعمة التي وصل إليها هذا الأخير، بعد أنْ خرج من بينهم مملوكا فقيرا، وهو الآن ملك على الشام بأسره، ولما وصل القاضي إلى مدينة بخارى أُلقي القبض عليه واتهم بأنه يعمل لصالح الإسماعيلية، وحبسوه وبقى في السجن سنين، ثم أطلق[3] من طرف خان الدولة القراخانية[4]، وبفضل هذا سلمت تلك البلاد من انتشار المذهب الشيعي.

وعن كيفيه انتقال الشيعة لنشر دعوتهم في بلاد ما وراء النهر، يقول الباحث السعــودي

---

[1] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.267؛ أنظر، بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.451؛ أنظر، عبد الله بن سعيد الغامدي، المرجع السابق، ص ص، 99-100؛ أنظر، زياد محمد هواش، المرجع السابق، ص.319-310؛ أنظر، مسفر بن سالم بن عرج الغامدي: علاقات القراخانيين بتركستان، المرجع السابق، ص.272.

[2] - حلب: بفتح الحاء المهملة والام وفي آخرها الباء الموحدة، وهي بلدة كبيرة موجودة بالشام، ويقال أن هذا الموضع كان يحلب به الخليل إبراهيم صلوات الله عليه وسلم فيه نعمه أيام الجماعات، وكان يتصدق بما يحلب على الناس فكان الفقراء يقولون حلب، حلب، فعرف الموضع بذلك وبقى الاسم عليه فسمي البلد بذلك، وقيل أن حلب وحمص ابنى مهر بن حيص بن حاب بن مكنف من بني عمليق، وهو الذي بنى حلب فنسبت إليه. (أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.4، ص. 189.).

[3] - وكان سبب إطلاقه أن خان الدولة القراخانية كتب إلى السلطان ألب أرسلان يُعَنِّفُهُ على نهب والعبث الذي قام به جيشه بلاد خراسان، فأجابه هذا الأخير بالاعتذار والتبرير، وأنه ودَّ لو أنه مات ولم يحصل ذلك، وبرر له أنه من عادة الجيوش إذا دخلوا البلاد يفعلوا فيها الأفاعيل حتى تستقيم لهم الأمور، ثم قال له: ولكن ماعذركم في رجل فقيه أتاكم من بلاد بعيدة، برسالة رجل منكم، قال لكم: إني حصلت الأموال، وأريد أن أصرفها في الطاعات، وأن أُعَمِّرَ جوامعكم ومدارسكم، وأصدق على فقراء عرفتهم عندكم، فأخذتم المال وحبستموه، فسأل الخان عن ذلك، فعلم أن أبوه هو الذي حبسه، فأطلق سراحه، وأحسن إليه وأذن له بالرحيل عن بلاده، فمضى إلى مصر ثم رجع إلى بغداد ومات فيها.(أنظر، محي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي(696-775هـ): الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تح، عبد الفتاح محمد الحلو،ج.3، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، السعودية، 1413هـ/1993م، ص.45.).

[4] - نفسه،ج.3، ص.44. فما بعدها.

مسفر الغامدي: أنه لا يستبعد أن يكون البويهيين في بغداد وإصبهان[1] هم من كان وراء بث تلك الدعوة، خاصة بعد تعرضهم إلى ضغوط كبيرة من قبل السلاجقة في مدن إيران، مما دفع ببعض أفراد الطائفة الإسماعيلية الفرار إلى المشرق ونشر دعوتهم هناك[2]، وهذا وارد.

أريد التنويه هنا أنّ القارخانيون إضافة إلى المذهب الحنفي قد تبنوا التصوف الإسلامي، وتعمقوا فيه وكونوا عدة طرق صوفية لهم، فقد نشأ الخواجة أحمد يسوي(ت:1116م)[3] بجنوب قاراخستان[4] الحالية، وكان يستعمل أشعاره الصوفية المكتوبة باللغة التركية في نشر الدين الإسلامي بسرعة فائقة بين الأتراك الوثنيين الرحل، وأصبح المؤسس الحقيقي للطريقة اليسوية[5] والمؤسس الأول للتصـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوف

[1] - إصبهان: بكسر الألف أو فتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وفي آخرها النون بعد الألف، وهي مدينة في إقليم الجبال، ويقال أن أصها هو : سباهان وسباه معناها العسكر وهان تستعمل للجمع، وقد كانت جموع عساكر الأكاسرة تجتمع في ذلك الموقع. (أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.01، ص. 289.).

[2] - مسفر بن سالم بن عريج الغامدي، المرجع السابق، ص ص، 272-273.

[3] - نشأ وعاش أحمد اليسوي (ت: 562هـ/1167م) في مدينة ياسى(Yasi) أو يه- سى(Yesi) التي كانت تقع في تركستان، وقيل أنه نشأ في مدينة أسبيجاب.(أنظر، بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، المرجع السابق، ص ص، 160-161.).

[4] - تقع قرغيسستان(Kirgizskaja)، جنوب كازاخستان وشرق أوزبكستان وشمال طاجيكستان، ويحدها من جنوبها الشرقي الصين، وتبلغ مساحتها حوالى: 198500 كلم 2، وسكانها الأصليون هم القرغيز الأتراك، وقد عاش هؤلاء بالقرب من أعالي نهر ينسي(Yenisei-K el ih[v,h rfg 1600م إلى ما يعرف الآن بقرغيزيا، وفي عام 1876م احتلت روسيا المنطقة وصارت جمهورية ضمن الاتحاد السوفيتى أكتوبر 1924م، ثم حصلت على استقلالها الذاتي سنة 1926م وفي سنة 1936م تأسست دولة قرغيزسستان الحديثة.(أنظر، أحمد عادل كمال: الجمهورية الإسلامية بآسيا الوسطى، المرجع السابق، ص. 63.)

[5] - تعد الطريقة اليسوية من أهم الطرق التي ظهرت في أسيا الوسطى خلال القرنين 13 و14 الميلاديين ثم تراجعت أهميتها بعد ظهور الطريقة النقشبندية، إلا أن الياسوية عاودت نشاطها في القرن العشرين، وتأسست هذه الطريقة على يد الشيخ أحمد اليسوي وكان تلميذا للشيخ يوسف الهمداني، ولد أحمد اليسوى في صايرام وتفى في مدينة يسى(شمال قازاقستان) عام 562هـ/1166م، وكان أحمد اليسوي شاعرا يكتب باللغة التركية، ألف كتاب: " ديوان الحكمة "، وكان لأشعاره تأثيرها في دخول قبائل الترك والمغول في الإسلام، وقد إنتشرت الطريقة اليسوية في معظم أرجاء آسيا الوسطى وخوارزم ودولة التركمان ودولة التتار في وسط الفولجا، كما انتشرت طوائفها في خراسان وشمال إيران والأناضول، وفي واد فرغانة، وقد وفد أحمد اليسوي إلى التركستان ليعمل بالإرشاد والهداية، وكان يعتمد تصوفه على الإشارات الروحية الأخلاقية، وقد إنتقل إلى بخارى وتعرف هناك على الشيخ يوسف الهمداني، وانتسب إى طريقته وإنشغل بالدعوة الإسلامية واضطلع بنشرها بين الناس، وإلتف المريدون حوله وذاع صيته في كل أرجاء التركستان وبلاد ما وراء النهر وخراسان حتى شمل خوارزم، وكان له اليد الطولى في العلوم الظاهرة والباطنة، وقد وصل عدد مريدوه إلى 99 ألف مريد تقريبا وقيل 12 ألف. (أنظر، هدى درويش: دور التصوف في نشر الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 2004م، ص ص، 105-106.).

التركي[1]، ولا شك أن الأويغور مالوا إلى الصوفية.

تمكن الأويغور من إضافة رقعة واسعة جديدة للخلافة الإسلامية، وعملوا على نشر الدين الإسلامي بين الأتراك الوثنيين القاطنين في أقصى الشرق، مثل:القرغيز، والأوغوز الذين خرج منهم السلاجقة والمماليك والعثمانيون، ولعب الأويغور دورا واضحا في محاربة المذهب الشيعي الإسماعيلي، ومنعوه من التوغل في بلاد ما وراء النهر والتركستان، في المقابل تبنى هؤلاء المذهب الحنفي السني ومزجوه بالتصوف الإسلامي.

المبحث الثالث: إسهاماتهم في بناء المنشآت الدينية وترقيتهم علوم الدين.

اهتم القراخانيون الأويغور بعد تحولهم إلى الإسلام بتشييد المباني الإسلامية، مثل: المساجد، والربط[2]، والمدارس، لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية.

وقد أصبحت تركستان الشرقية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بفضل مؤسساتها العلمية ومكتباتها العامرة، من بين أكبر المراكز الحضارة والثقافة الإسلامية، ويعود الفضل في ذلك إلى دعم خانتها للعلم والعلماء، فبحق يعد هذا العصر من بين أهم الفترات الذهبية التي شاهدتها آسيا الوسطى.

أولا: بناء المساجد والمدارس.

يتبوأ المسجد مكانة متميزة في حياة الأفراد والشعوب الإسلامية، فهو بيت الله الـــــذي

[1] - يالماز، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، مج.1، ص.48.

[2] - الرباط جمعه أربطة: كانت في بدايتها تستعمل للجند لحراسة الثغور في معظم الدول الإسلامية وبمرور الوقت ومع إقبال الناس على المرابطة، أضافت تلك الأربطة إلى وظيفتها الجهادية العسكرية وظيفة التدريس والتأليف من قبل العلماء والفقهاء المرابطين فيها، وقد حظيت باهتمام المسلمين فكثر الواقفون عليها، وخلال القرن الثالث والرابع الهجريين ازدهرت الأربطة بسبب ما وقف عليها أهل الخير من الإمداد، فقصدها طلاب العلم من كل صوب لطلب العلم ومما ساعد على ذلك وجود السكن والإعاشة، ثم أخذ بعض العلماء والمشايخ والفقهاء يقيمون بها فوفد إليها من يتلقى عنهم العلم والفنون المختلفة بها، ولم تكن الربط خاصة بالرجال بل للناس ففي عام 684هـ، أنشئ رباط السيدة زينب في مصر. (أنظر، طارق بن عبد الله عبد القادر حجار: المدارس الوقفية في المدينة المنورة دراسة تاريخية وصفية، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة، 1422هـ/2001م، ص ص، 101-102.)

يمارسون فيه أهم أفعالهم الدينية، وقد حث القرآن الكريم على تعمير بيوت الله في عدد من أياته، واعتبر ذلك ترجمة فعلية للإيمان العميق بمبادئ الإسلام.

والمسجد لغة اسم مكان من الفعل سَجد، والمسجد الجامع هو الذي تقام فيه صلاة الجمعة، وقد جعل الجامع مركزا للمدن الإسلامية الجديدة التي مُصرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم تقتصر وظيفة المسجد في أداء الصلاة فقط، بل هو مكان محوري تدار منه مقاليد الدولة الإسلامية، فتعلن به السياسة العامة للدولة، ويتم فيه توجيه المؤمنين وتبصيرهم بواقع الأمور، ومن منبره كانت تعلن أهم وأخطر القرارات السياسية، مثل مبايعة الخليفة الجديد، وإعلان الحرب أو قبول الصلح، ومنه تُحدد الدولة سياستها الاجتماعية، وبه تتم عملية تعليم الناس وتوعيتهم، وغيرها[1].

إهتم الأويغور القاراخانيون بتشييد المساجد،(أنظر، الصورة رقم:11)[2]، وحرصوا على بناءها بمادة الآجر، وقد شهدت الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجريين/العاشر والثاني عشر الميلاديين، تطورًا كبيرًا في استخدام الطوب في عمارة المساجد، فمسجد "طلختان بابا" الذي يبعد ثلاثين كيلومتر عن مدينة مرو[3]، كله مبني بمادة الآجر، وهو يرجع إلى القرن الحادي عشر أو بداية القرن الثاني عشر الميلاديين، وإنَّ تصميمه وعمارته تثير الكثير من الدهشة[4].

وقد بني شمس الملك نصر بن إبراهيم القراخاني ما بين سنتي 470-471هـ/1078-1079م مسجد جامع في مدينة بخارى، كما بني اثنان من الربط أو محاط الرحال، من بينها واحد على طريق بخارى- سمرقند، عرف "برباط ملك"، وقد عرف على أرسلان خان محمد

[1] - عيسى سلمان حميد: العمارات الدينية، موسوعة حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين، ج.09، بغداد، 1985م، ص ص، 45-46.

[2] - أنظر، الصورة رقم:11، ص. 410.

[3] - تعتبر مرو من أشهر مدن خراسان، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.5، ص ص، 112-113.).

[4] - زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.315.

تكين بن سليمان (ت:525هـ/ 1132م)، كذلك حبه للتشييد والتعمير، فقد بني مسجد جامع في مدينة بخارى، كما شيد عدة مدارس لتعليم الدين الإسلامي، والفقه، واللغة العربية، في كل من مدينة بيكند[1] ومرو[2].

على عكس من السامانيون(261-389هـ/784-998م)، الذين بنوا مآذن مساجدهم بالخشب، فقد شيدها القراخانيون بالأجر، لكي يضمنوا عدم تعرضها لألسنة النيران في أوقات الحروب، كما عملوا على تزيينها بالفسيفساء، ليعطوها لمسة جمالية، وأقدم أمثلة على تلك المآذن لدينا مئذنة مدينة أوزجين(أوزكند)[3] الموجودة اليوم في جنوب قرغيزستان[4]،(أنظر، الخريطة رقم:05)[5] والتي بنيت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، يصل قطر هذه ألمآذنة 9.4 مترا، وارتفاعها يصل إلى 17 مترا، وهي مبنية بالطوب الغليظ ومزينة بصفوف من الزخارف الهندسية، وهناك مئذنة أخرى بناها القراخانيون موجودة بمدينة بلاساغون ترجع إلى نفس القرن، عرفت بمئذنة "بورانا"، شيدت على شكل أسطوانة غليظة تبدأ في النحول كلما ارتفعت إلى القمة، وتزينها أشرطة من الزخارف الهندسية، وهي تصل إلى ارتفاع أربعون مترا، وبهذا كانت تشرف على جميع مدينة بلاساغون[6]. وهي تدل على روعة العمارة القراخانية.

ومن بين تلك المساجد القراخانية هناك مسجد كبيرا موجود في منطقة "جار قورغان(Car Kurgan) بالقرب من مدينة ترمذ، ووفقا لما هو مدون على مئذنته التي ترتفع فوق قاعدة مثمنة، فهو يعود إلى عام 1108-1109م، وتحتوي أسطوانتها على ست عشرة

---

[1] - بيكند كبيرة تقه في بلاد ما وراء انهر غير بعيدة عن مدينة بخارا. (أنظر، السمعاني، المصدر السابق، ج.2، ص ص، 373-374.).

[2] - زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص ص، 316-317.

[3] - أوزكند: بالضم والواو والزي الساكنان، وهي بلدة بما وراء النهر من نواحي فرغانة، ويقال أوزجند أو أوزطند وهي آخر مدن فرغانة. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.1، ص. 208.).

[4] - قرغيزستان(Kirgizskaja)، تبلغ مساحتها حوالى: 198500 كلم2، وهي تقع في جنوب كازاخستان، وشرق أوزباكستان، وشمال طاجيكستان، أما جنوبها الشرقي فحدودها مع الصين، حصلت استقلالها الذاتي من الإتحاد السوفياتي سنة 1936م.(أنظر، المرجع نفسه، ص ص، 61-63.).

[5] - أنظر، الخريطة رقم:05، ص. 384.

[6] - زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص ص، 315-316.

حلية(نصف خيزرانة)، مكتوب عليها آيات كريمات من القرآن الكريم تشغل حزاما عريضا عند قمتها، كما توجد آخرى على كل وجه من أوجه جدران القاعدة، ونشاهد حول أبواب الجدران المتعددة تقاطع مجموعة من الأشكال المثمنة، وللتخلص من أية رتابة في أسلوب الزخرفة، نُظِّم الطوب في شكل صفوف متعرجة رأسية وأفقية، وتُعتبر المئذنة أكثر إرتفاعا من غيرها، وأسطوانتها مزخرفة على شكل نصف خيزرانة[1].

إنّ معظم آثار مدينة بخارى، تم بناؤها على يد محمد بن سليمان ارسلان خان (1087-1130م)، ومن بين هذه المباني لدينا مسجد الجمعة، الذي يرجع في تاريخه إلى بداية القرن الثاني عشر الميلادي[2].

ومن بين الأعمال التي أقامها أرسلان خان هو تخصيصه موضعا لصلاة العيد في ريكستان(الصحراء) الموجودة بين داخل مدينة بخارى وأطرافها، حيث جعل ذلك الموضع مصلى للعيد، ووسع على المصلين، فقد كانت المسافة من المصلى إلى باب حصن بخاري مقدار نصف فرسخ تمتلئ كلها بالمصلين ولا تكفيهم، يُصَلون فيها العيد عدة سنوات، إلى أن أمر أرسلان خان ببناء مصلى قرب المدينة حتى لا يتعب الناس، وزود المسجد بحديقة سماها "شمس أباد"، وحصنها بأسوار عالية، وأقام للمسجد منبر ومحراب من الآجر، كانا أية في الجمال، وبنى مبلغات للمكبرين[3]. وزين المحراب بكتابات كوفية هندسية الأسوب، وبطوب لامع باللونين الأصفر والأحمر، أما إطار عقد المحراب فقد زينه بكتابات تحمل لفظ الجلالة متكررا، واسماء الخلفاء الأربعة وعبارة "الملك لله"[4].

ومن بين الأعمال الحضارية التي قام بها هي قيامه في سنة 515هـ/1121م بتوسعة المسجد الجامع الموجود داخل حصن مدينة بخاري، وكان هذا الأخير قد بناه قتيبة بن مسلم الباهلي في سنة 64هـ/712م، فاشترى أرسلان خان بيوتا كثيرة داخل المدينة وأمر بأن يهدم

---

[1] - اقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.14.
[2] - نفسه، ص.13.
[3] - النرشخي، المصدر السابق، ص ص، 82-83.
[4] - اقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص ص، 13-14.

من المسجد الجامع ما كان قريبًا من الحصن، وأمر بهدم المنارة التي كانت قريبة من الحصن وإقامتها داخل المدينة، فكانت في غاية الفخامة والجمال، بحيث لم يشهد مثلها في أية مكان، ولمَّا أوشك البناؤون من إتمامها ورّكّبوا رأسها إنهارت على المسجد، وهَدَمَتْ ثُلُثَهُ وحطمت جميع الأخشاب المنقوشة والمخروطة، فأمر أرسلان خان مرة أخرى بإقامة المنارة على نفقته الخاصة، وبالغ البناؤون في إحكامها فبنوا رأسها من الأجر، وكان المسجد يحتوي على خمسة أروقة داخلية، رواقان منها يُطِلان على المدينة مع المنارة[1].

لم يبقى من المسجد اليوم سوى 47 متر من إرتفاع المئذنة، مكتوب على الخزف الذي يغطيها اسم ارسلان خان، وتاريخ تشييدها 521هـ/1127م، والمئذنة ذات شكل أسطوانة غليظة، ويتكون ذِرْوة السطح من عقود مدببة محمولة على سنادات حلزونية، وتأخذ هذه المئذنة بالنحول كلما ارتفعت نحو القمة، ويزينها ثلاثة عشر شريطا من الزخارف الهندسية المحفورة، وكانت هذه المئذنة تشرف على المدينة كلها، حتى أنها أصبحت شعارًا تعرف به مدينة بخارى[2].

نلاحظ من خلال المساجد التي أنشأها القراخانيون الأويغور بداية إحلال مادة الآجر مكان اللبن، ويظهر ذلك جليا في المساجد التي شيدوها، ومن بين مميزات المساجد الأويغورية هي الصغر ودقة التركيز مع إحتوائها على ساحات ضخمة بنيت بنفس الأسلوب، وتحتوي على أنصاف قباب اربع، وهو نفس الأسلوب الذي عرف عند العثمانيين خلال القرن السادس عشر، ومن بين المساجد الذي يجسد هذا الأمر، لدينا مسجد طلخان بابا، الذي يبعد ثلاثين كيلومترا عن مدينة مرو القديمة، يرجع إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الميلاديين[3].

المسجد مبنى كله بالأجر، وفيه الكثير من الأشياء التي تثير الدهشة من ناحية التخطيط المعماري، فمساحته مستطيلة، وتغطي وسطه قبة رئيسية، وإلى جانبها قباب صغيرة متقاطعة، وتّتكون واجهات المبنى من مجموعة من الحنيات، مزينة بتشكيلات غنية ومتنوعة من

---

[1]- النرشخي، المصدر السابق، ص.81.

[2]- اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.13.

[3]- نفسه، ص. 11.

الطوب، والزخارف المصنوعة بالطوب والسائدة في تزيين واجهات المسجد، نراها مكررة في حنية المحراب ذات العقد المدبب، ويعتبر مسجد طلختان بابا، أنه يعتبر الخطوة الأولى بالنسبة لتصميم العمائر ذات القبة الواحدة، التى تمتد إلى كل جوانب المبنى، وقد اتبع هذا الأسلوب ذاته المهندس البناء سنان في العصر العثماني[1].

اتجه الأتراك الأويغور المسلمون في تركستان الشرقية لدراسة علوم الإسلام، فتبنوا فكرة إنشاء نظام المدارس والمؤسسات التعليمية الإسلامية، على شاكلة المدارس التي كانت معروفة لدى السامانيون، وعادة ما كانت تلك المدارس ملحقة بالمساجد الكبرى، وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة بما تفي احتياجات الطلبة، فكانت تدفع مرتبات شهرية منتظمة للمدرسين والطلاب، كما كانت تتكفل بإقامتهم وإعاشتهم داخل المدرسة[2].

وكانت النساء تشاركنا في مثل تلك الأعمال الخيرية، فأوقفن الأموال على المساجد والمدارس قربة منهن إلى الله تعالي، فقد أوقفت إحداهن وتدعى السيدة "زلفيار" قطعة من أخصب الأراضي الزراعية على جامع "عيد كده" ومدرسته، وكان هذا الجامع الجامعة من أكبر المساجد الموجودة في تركستان، حيث بلغت مساحته 18 ألف متر مربع، ومعني اسم "عيد كده" هو "ساحة العيد"، ويعود سبب تسميته بهذا الاسم إلى أن أهل كاشغر كانوا يمضون فيه أيام وليالي عيد الفطر والأضحى، وقد تحول هذا المسجد خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، إلى جمعية عصرية بعد أن أضيف إليه مدرسة تحتوي على قاعات للتدريس ومساكن للطلبة، وبني عليها بوابة ضخمة على جانبيها منارتان كبيرتان[3].

وإذا كانت مدارس وجامعات بخارى وسمرقند وفرغانة في بلاد ما وراء النهر قد نشطت في خدمة الإسلام ونشر علومه، فإن مدينة كاشغر قد اشتهرت باسم "بخارى الثانية"، لكونها كانت مركزا هاما لتعليم العلوم الإسلامية، وقبلة لطلاب العلم بشتى فروعه، فقد ضمت مدرستها أكثر من سبعة عشرة معهدا علميا لمختلف فروع العلوم الإسلامية، وزَخِرت بمكتبة

---

[1] - اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.11.

[2] - ماجد مخلوف، تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص.03.

[3] - انفسه، ص.03.

كبيرة تسمى "مكتبة المسعودي"، كانت تضم وحدها أزيد من 200 ألف كتاب[1]. لذلك تبوأت عاصمة القراخانيين كاشغر مكانة علمية مرموقة لا تقل عن مثيلاتها في مختلف الحواضر الإسلامية، مثل: بخارى وسمرقند وبغداد ومصر والقيروان.

قام الأويغور القراخانيون بعد اعتناقهم الإسلام بمساهمة كبيرة في المجال الحضاري، فقد حرصوا على تعمير بلاد تركستان ومنطقة ما وراء النهر بالبنايات، كانت تضاهي في جمالها تلك الموجودة في البلاد الإسلامية، وكان من بين تلك المنجزات هي بناؤهم المساجد والمدارس، وترميم بعض المدن وتعمير التي أهملت.

ثانيا: الأضرحة.

إهتم القراخانيون بتشييد مقابر خاصة للأسرة الحاكمة، وتعتبر مقبرة "عرب أتا"(Araba ta) التي ماتزال باقية إلى اليوم بمدينة "تم/Tim" قرب زرافشان، من بين أقدم العمائر الجنائزية للقراخانيين، ويرجع تاريخ تشييدها إلى عام 367هـ/978م، وهي تحتوي على قبة واحدة، محمولة على أربعة حيطان (6×6 مترا)، أحدهما هو الواجهة التي لها معالم محددة، وهذه المقبرة تختلف عن مقبرة السامانيين الموجودة ببخارى، التي ترجع إلى النصف الأول من القرن العاشر الموجودة ببخارى، خاصة من حيث إرتفاع العقود الثلاثة الحاملة للقبة، ومن حيث إختفائها وراء المدخل، مما جعلها تبدو أكثر إتساعا وأكثر إرتفاعا عما هو عليه في الحقيقة، وقد زادتها الزخارف الهندسية المجسدة على الطوب رونقا وجمالا، فهي تزين واجهة مدخل المقبرة، وخاصة تلك العقد الواسعة المدببة، الحنيات الثلاث التي تزينه[2].

ومن بين المقابر التي تثير الإنتباه في عهد الدولة القراخانية، نجد المقبرة التي شيدها الحاكم القراخاني شمس الملوك نصر بن إبراهيم(1068-1082م)، لزوجته عائشة بيبي إبنة السلطان آلب آرسلان، يصل مسطح المقبرة إلى سبعة أمتار في مثلها، وتحتوي على قبة، وحنية المدخل ضيقة تزينها دعائم وأعمدة ركينة غليظة، غريبة الشكل، فهي تظهر عريضة من الأعلى والأسفل أمّا في الوسط كانت نحيلة، وتتزين الواجهات والمئذنتان بأربعة وستين

[1] - ماجد مخلوف، تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص.03.

[2] - نفسه، ص. 14.

تصميما زخرفيا منقوشًا، وهي مغشاة ببلاطات مربعة من الخزف، ذات رسومات صليبية ونجمية[1].

وعلى شاكلة مقبرة عائشة بيبي شيد القراخانيون كذلك لـ"بلاجي خاتون" مقبرة هي الأخرى، وبالرغم من أنها كانت بنفس أبعاد المقبرة السابقة إلاّ أنّها كانت أبسط منها من حيث المظهر، فالقبة من الداخل محمولة على عقود ركنية، ومكونة من ثمانية أخاديد أو قنوات، أمّا من الخارج فشكلها عبارة عن مخروط هرمي يتكون من 12 ضلعا، ويوجد في كل واجهة من جانبي المدخل حنية طويلة ضيقة خالية من الزخارف، ولا زخارف إطلاقا اللهم إلاّ الكتابة الموجودة على الخزف بخط النسخ الردئ، تدور حول الحافة العليا للمبنى[2].

ومن أكثر المقابر القراخانية رشاقة من وجهة النظر المعماري، مجوعة المقابر الثلاثة الموجودة في جزء من إقليم أوزكند، لم يبقى من أقدمها وأرحبها سوى عقد من قبة وجانب من المدخل، ويرجع تاريخ بنائها إلى عام 403هـ/1012م، وتنسب إلى الحاكم القراخاني نصر بن علي، وحيث تصل مساحة هذا المبنى إلى 8,5 مترًا مربعاً، تغطي جدرانه قبة محمولة على أربعة عقود، ويوجد أسفل عقد القبة الوحيد الباقي مجموعة من خمسة عقود دائرية تحيط بها حلية جانبية، وتزين هذه المجموعة أشكال مُحَّورة من زهرات اللوتس، ومراوح نخلية مصبوبة من مادة الجص، ذي الحواف المشطوفة أو المائلة[3]، ويذكرنا هذا الأمر باسلوب جص سامراء في القرن التاسع.

تزين المقبرة أشكال من النجوم والجداريات ذات الشكل الرباعي، تتكون من تقاطع خطوط أنصاف المثمنات، والتي تتم صياغتها بقوالب الطوب في الحواف العريضة، وهي أصدق مثال للّوحدات الزخرفية الهندسية، ونري لأول مرة تعبيرات من الأورق النباتيـــــــة،

---

[1]- اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.15.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه، ص.15.

بالإضافة إلى الأشكال المألوفة من الزخارف الهندسية[1].

أما المقبرة الثانية والتي تقع إلى شمال المجموعة، فهي من أحسن المقابر الثلاثة، بُنيت عام 547هـ/1152م، من قبل الحاكم القراخاني "ألب قليج تانقا بيلكه تورك طوغرول قاغان"، المعروف بـ"جلال الديس حسين"، وهي تتكون من أربعة جدران تغطيها قبة محمولة على عقود، تعتبر بسبب مظهرها البديع علامة بارزة في تاريخ العصر، هذا ما جعلها واحدة من أروع الإنشاءات العمارة القراخانية، حيث يحيط بها شريط عريض من الزخارف الهندسية، وأشكالا من الأفرع النباتية مع خط النسخ على المدخل، وتتكون تفاصيل هذه الزخارف الدقية من أفرع نباتية، وزهور اللوتس ومراوح، بالإضافة إلى أشكال حنيات ثلاث خفيفة الغَور، لها عقود مدببة[2].

يوجد على الوجه الداخلي لعقد المدخل نجوم كبيرة ثمانية الجوانب، مصنوعة من الفخار المحروق، وممسوكة بعضها البعض بأربعة أذرع، تزينها هي الأخرى أشكال من محالق العنب ومروج النخيل وأفرع النباتات، ويدور حول عقد المدخل المدبب شريط كتابي بالغ الروعة، توجد عند قمته حشوة من الخزف الفبروزي اللون، وعلى جانبي هذه الحشوة توجد ميدالية مستديرة مزخرفة[3].

أما المقبة الثالثة فهي تقع إلى جنوب المقبرة الثانية، تم بناؤها في عام 582هـ/1187م، وقد إختفى الجزء الأوسط من النص المدون فوق حنية عقد المدخل، ومع أنّ المنحنى المعماري في هذه المقبرة يتجه نحو الخطوط المتعامدة، إلاّ أنّها فيما يبدو تميل نحو محاكاة أسلوب مقبرة جلال الدين حسين، التي بنيت قبلها بنحو 35 عاما، وشكل الواجهة تبدو تقليدية للغاية، وتغطي المقبرة أشكال زخرفية تبدأ من الخارج إلى الداخل، فثمة أشكال جميلة تزين العضدات الركينة المستديرة، تتمثل في نقوش من الكتابات الكوفية المضفرة، ورسوم هندسية أخرى مع كتابات بخط النسخ، تدور مع الحواف وتتداخل مع الأفرع النباتية والمراوح النخلية

[1]- اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص ص، 15-16.

[2]- نفسه، ص ص، 16-17.

[3]- نفسه، ص.17.

المحفورة، والواجهات الجانبية للمبنى منقسمة إلى ثلاث حنيات بواسطة عقود مدببة[1].

على الرغم من الثراء الزخرفي المتجلي في هذه المقبرة، إلاّ أنّها ضعيفة من الناحية المعمارية، إذا ما قورنت بالمقبرتين السابقتين، ويتضح من تاريخها أنّها تنسب إلى محمد ابن نصر حفيد جلال الدين حسين (طوغرول قاغان)، الذي حكم فرغانة من عاصمته أوزكند[2].

من الأضرحة التي لها أهمية بين مقابر القراخانيين، كذلك "مقبرة الشيخ فضل" الموجودة في "سقيد بولاند"(Sefid Bulend) بالقرب من العاصمة القديمة كاسان(Kassan)، وهي تعتبر مقبرة وفي نفس الوقت مزار لأحد الأولياء المشاهير، تتكون من ثلاثة طوابق يصل إرتفاعها 14 مترا، كلها مبنية بالآجر، والقسم الذي به عقود القبة مكون من ثمانية أضلاع، ويحمل هذه العقود أرعة حيطان، كأنها المكعب، وعلى عكس ما نرى من بساطة الشكل الخارجي لهذا المبنى المصنوع من الطوب غير المزخرف، إلاّ أنّ المدخل يكشف عن ثراء زخرفي، أما جدران الجزء الأوسط من القبة فتتجلى فيها الرؤية الواضحة لمفهوم الزخارف المعمارية لدى القراخانيون، التي ناردا ما نجدها في مكان آخر[3].

والمبنى مزخرف بالجص والزخرفة تبدأ من قواعد الجدران، وتتكون من صفوف وعقود ثلاثية الفصوص، ويليها صف من الحلقات الزخرفية تحيط بها كتابات كوفية، ويحدد هذا إطار من الحليات الجصية المقوسة والمسننة، وتوجد بدائرة جدران المبنى وأعلاه نصوص قرآنية مدونة بالخط الكوفي، أما القبة فكانت مزينة بزخارفة جصية[4].

ويوجد حوالي خمسة عشرة أو عشرين مقبرة أخرى شيدها القراخانيون، إلاّ أننى أكتفيت بذكر الشهيرة منها والتي كانت لها خصوصية فقط، ذلك لقلة المعلومات عنها.

---

[1]- اوقطاى آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص. 17.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

[4]- نفسه، ص ص، 17-18.

المبحث الرابع: اهتمام خانات الدولة القارخانية بالعلم والعلماء.

أدى اعتناق الأويغور القارخانيون الدين الإسلامي إلى ازدهار الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر والتركستان الشرقية، ذلك لِما كان للدين الإسلامي من تأثيرًا روحيًا وعقليًا وحضاريًا عليهم، فقد أدى إلى تغيير جذري في تفكيرهم، حيث أصبحوا أكثر حرصًا على طلب العلم في شتى المجالات، فقد أدرك خانات الدولة القارخانية أنّ إزدهار الحركة العلمية والفكرية لدى الأمم والشعوب هو مقياس لمعرفة مدى تحضرها، من هنا إهتموا بالعلم والعلماء وعملوا على إقامة مجالس المناضرات، وشجعوا العلماء والفقهاء على تأليف الكتب في شتى المجالات، هذا ما أدى إلى تطور الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر والتركستان في عهدهم.

أولا- رعايتهم العلم والعاملين عليه:

جاء في مقدمة ترجمة كتاب: "الحدائق"، للوطواط (ت573هـ/1177م): "أن القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، هو قرن نفقت فيه سوق العلوم والآداب في الممالك الإسلامية الشرقية، وخاصة خراسان وما وراء النهر"[1]، فهذا الأمر يشهد على إهتمام القراخانيون بالعلم، وذلك من خلال الدعم الكبير الذي كانوا يقدمونه لرجال العلم والأدب، لذلك أنتج هذا الأمر أثر كبير في نشاط الحركة الفكرية وازدهارها[2].

يمكن القول أنّ نسبة تدعيم الحكام القراخانيون للعلم كانت متفاوتة، فقد عرف عن الحاكم القراخاني هارون بين سليمان ايلك المعروف ببغراخان، الذي حكم من سنة 383هـ/993م، أنه كان محبا للعلم والعلماء وأهل الدين، وكان يتفقد أحوالهم ويرعاهم ويكرمهم كثيرا[3].

---

[1] - رشيد الدين الوطواط: حدائق السحر في دقائق الشعر، تر: إبراهيم أمين الشواربي، تق: أحمد الخولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009م، ص.26.

[2] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.12.

[3] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.7، ص ص، 462-463؛ أنظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج.4، ص.712؛ أنظر، زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.310.

أما إيلك خان ناصر الحق بن علي بن ستق شمس الدولة، الذي تولى الحكم بعد وفاة عمه بغراخان هارون سليمان سنة 383هـ/993م، فقد كان هو الأخر محبا للعلم والعلماء، إلى درجة أن سلطان الدولة الغزنوية محمود بعث إليه رسولا حاملا معه رسالة، يطلب منه فيها الحُلُولْ لبعض المسائل الدينية، تضمنت ما يلي: **"**قال تعالي:(يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[1]، وقد اتفق أرباب الحقائق وأصحاب الدقائق على أن المراد التقوى من الجهل، فليس نقصان الأرواح الناس أسوأ من نقصان الجهل، وأدنأ من قلة العلم، والكلام القديم يشهد بصحة هذه القضية وصدق هذا الخبر، (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[2]، فنحن نريد من أئمة ما وراء النهر وعلماء الشرق وأفاضل الحضرة الخاقانية أن يبينوا لنا ضروريات هذه المسائل: ما النبوة، وما النهي عن المنكر، وما الصراط، وما الميزان، وما الرحمة، وما الشفقة، وما العدل، وما الفضل؟**"**[3].

فور وصل هذه الرسالة إلى الأمير القراخاني واطلع على مضمونها، دعى جميع أئمة بلاد ما وراء النهر وناقشهم في مسائل الرسالة، ثم أمر عدد منهم بتصنيف كتاب في هذا الباب، وإشترط على أن يضعوا أجوبة واضحة لجميع ما ورد في الرسالة التي بعث بها السلطان محمود الغزنوي، فامتثل هؤلاء الأئمة لأوامره وطلبوا منه إمهالهم أربعة أشهر[4].

وقد أجاب الفقيه:"محمد عبدة" على جميع المسائل الواردة في رسالة السلطان الغزنوي، واستحسن معظم من حضر من علماء وفقهاء بلاد ما وراء النهر إجابته، فضلا عن استحسان الأمير القراخاني والسلطان محمود الغزنوي لها[5].

---

[1]- القرأن الكريم، سورة الحجرات، الأية:13، ص. 413.

[2]- القرآن الكريم، سورة المجادلة، سورة:58، الآية:11، ص. 435.

[3] – سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.124؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية(315-609هـ)/(927-1212م) خلال العصر العباسي من سنة (350-609هـ)/(961-1212م)، **مجلة كلية التربية**، العدد السادس، بغداد، 2005م، ص.445.

[4] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.124؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص.445.

[5] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.125؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص.445.

إن دل هذا الأمر على شيئ إنّما يدل على مدى اهتمام الأمير القرخاني بالعلم، وتشجيع العلماء والفقهاء على تصنيف المصنفات العلمية، كما يبين مدى تفوق علماء الدولة القراخانية على نظرائهم المتواجدين في الدولة الغزنوية، فلو أنّ هؤلاء كانوا على المستوي الذي كان عليه علماء بلاد ما وراء النهر، لما تجاوزهم السلطان محمود الغزنوي وطلب الفتوى من غيرهم، وخاصة إذا علمنا أنّ العلاقات بين الدولتين كانت متذبذبة تتحسن حينا وتتوتر أحيانا، اللهما إلاّ إذا كانت نية السلطان محمود تهدف إلى إمتحان علماء الدولة القراخانية، لمعرفة مدى معرفتهم الفقه، أو لمعرفة المذهب المتبني من قبلهم، وهذا أمر مستبعد في رأيي.

واصل حكام الدلولة القراخانيين(أنظر، الجدول رقم:01)[1] إهتمامهم بالعلم والعلماء، فيشهد للسلطان "سليمان بغراتكين أرسلان خان أبو شجاع" الملقب"شرف الدولة"، أنه كان متدينا يحب المتدينين ويبغض الكفار، ومحبا للعلم حيث كان يُكرم العلماء لذلك قصدوه من كل الجهات، فيكرمهم ويجرى عليهم الأرزاق ويشملهم بعطفه ورعايته[2].

وإذا كان السلطان إيلك خان محبًا للعلم والعلماء فإن السلطان القارخاني "شمس الملك نصر بن طمغاج خان" كان من أفضل الملوك علما وسياسة، فقد كان يشتغل هو نفسه بالعلم، وعرف عليه أنه كان فصيح اللسان هذا ما ساعده على دراسة الفقه، وكتب بخط يده مصحفا كان روعة في الجمال، وأملى الحديث وخطب على منبري بخارا وسمرقند[3]،(انظر،الخريطة رقم:18)[4] ويروى عنه أنه كان يحب العلماء ويتفقد أحوالهم، ويسعى إلى تحسين أحوالهم، فقد وهب أملاكا سلطانية لأهل العلم لأنها كانت قريبة من المدينة[5].

---

[1]- أنظر، الجدول رقم:01، ص.431.

[2] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.117؛ أنظر، أبو الفدا، المصدر السابق، مج.2، ص ص، 150-151؛ أنظر، زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.310.

[3] - زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.311.

[4] - أنظر، الخريطة رقم:18، ص. 396.

[5] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.13.

وعرف عليه أيضًا أنّه كان يعظم العالم عمر الخيام[1] غاية التعظيم، فقد كان يُجلسه معه على سرير ملكه، فكان بذلك يضاهي السلطان ملكشاه(465-485هـ/1072-1092م)[2] الذي كان ينزل هو الأخر عمر الخيام منزلة الندماء[3].

إهتم أبي شجاع الخَضِر بن إبراهيم بن طمغاج خان أخي شمس الملك، باللأدب والشعر والشعراء[4]، وكان صديقًا حميمًا لهم، فكثير ما كان يستضيف في بلاطه العديد من الشعراء، أمثال: الشاعر نجيبي الفراغاني، وعَمْعَقْ البخاري، ورشيدي السمرقندي، والساغرجي وغيرهم، وكانت له معهم مجالس ومناظرات شعرية عديدة، وكان لعمعق مكانة خاصة في مجلس الخاقان فقد كان أميرا للشعراء[5]، ومن محاسن الخاقان أنه كان يعتمد على العلماء في إدارة مقاليد دولته، فقد عين القاضى أحمد بن سليمان بن نصر بن حاتم ابن علي بن الحسن الكاساني(أو الكاشاني)، الذي درس بسمرقند في منصب قاضي القضاة للدولة[6].

وقد عمل هذا الخاقان كذلك على إيواء العلماء الفارين من بطش حكامهم، فقد رحب بالعالم مسعود بن محمود بن أحمد أبو محمد، الخرقاني الزهري، الذي كان خطيبا بمدينة

---

[1] - غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابراهيم الخيّام: هز أحد النابغين في الشرق، ولد في نيسابور في أواسط القرن الخامس الهجري، وتوفى في أوائل القرن السادس الهجري، وكان رجلا ذكي، حاد الذهن، عصبي المزاج، متشائما، يحمل بين جنبيه نفسا ثائرة متمردة على الحياة وما فيها من عقائد وتقاليد ونظم، وقد درس العلوم الشائعة في عصره فأتقنها، وبرز بالفلسفة والفلك والرياضيات، والطبيعيات، وقد ألأف رسائل وكتبا في مختلف العلوم، دلت على صفاء ذهن وسعة اطلاع، ومع أنه كان نابغة المفكرين في عصره، مقربا من الملوك محترما من الأمراء، فإنه لم يشتهر اشتهارا متناسبا مع مكانته العالية كأشتهاره بعد وفاته، خصوصا في القرون المتأخرة وبين الفرنجة على الأخص، وعلة اشتهاره هي رباعياته، وكان الشاعر الأنكليزي "فتيز كرالد"، كان أول من لفت انظار الغربيين إليها فنقلها إلى الإنكليزية باسلوب رائع، وبذلك ذاع صيته في الغرب.(أنظر، أحمد حامد الصراف: عمر الخيام، عصره، سيرته، أدبه، فلسفته، رباعياته، تر، أحمد حامد الصراف، مطبعة دار السلام، 1350هـ، مقدمة، ص.ج-د)

[2] - هو السلطان الكبير جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان محمد بن جغري بك السلجوقي التركي، تملك بعد أبيه، ودبّر دولته نظام الملك الوزير بوصية من ألب أرسلان، تولى الحكم في سنة 465هـ وعمره ثمانية عشر عاما.(أنظر، محمد علي الصلابي، دولة السلاجقة، المرجع السابق، ص.85.)

[3] - أحمد حامد الصراف، المرجع السابق، ص.13.

[4] - زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.311.

[5] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.13؛ أنظر، سعاد هادي حسن الطائي، المرجع السابق، ص.446.

[6] - بن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق، ج.3، ص.181؛ أنظر، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، المصدر السابق، ج.3، ص. 75.

خرقان[1]، وقد هرب هذا الأخير إلى كاشغر بعدما أراد قاضي القضاة أحمد بن سليمان في عهد أحمد خان البطش به ليأخذ مكانه في القضاء بخرقان، وبقى هناك تحت حماية حاكم الدولة إلى غاية وفاته[2].

ويصف ابن الأثير كيف كان الخاقان طغان خان أبو المظفر إبراهيم بن نصر أيلك، الملقب بـ"عماد الدولة"، يحترم العلماء ويبني سياسته على استشارتهم، ويهتم بعلماء وفقهاء دولته، حيث أنه لا يأخذ قرار إداري لاسيما ما يتعلق بفرض ضريبة جديدة على رعيته، إلا بعد إستفتاء كبار الفقهاء من الدولة[3].

ومن أهم الشواهد على اهتمام الأمراء القراخانيون الأويغور بالعلم وأهله، هو أن أميرا من أمرائهم المسمى: "محمد بن محمد بن محمد أبو عبد الله مجد الدين الخُتَنِيّ"، كان أبوه ملكا لبلاد ما وراء النهر، وبعد وفاته أصبح هو الحاكم الرسمي فترك إدارة الدولة لأخيه الأصغر، وتفرغ هو لطلب العلم، وبدأ ينتقل بين مدينة بخارى وسمرقند وخراسان وبلاد الشام، حتى أصبح فقيها، ثم قلده السلطان نور الدين زنكي(1146-1174م)[4] إدارة المدرسة الصَّادِرِيَّة - لم أجد تعريف لها -، ثم انتقل إلى مصر وتولى إدارة المدرسة السُّيُوفِيَّة بالقاهرة وكان أول من دَّرس بها، ثم واصل رحلته إلى بلاد الأندلس رفقة الشيخ أبا القاسم الشاطبي، ومكث بها مدة من الزمن، وبعدها عاد إلى مصر وأقام بها حتى وافته المنية سنة 576هـ/1180م، ودفـــــــن

---

[1] - خرقان: بفتح الخاء المعجمة والراء الساكنة والقاف المفتوحة بعده الألف ثم النون، وهي قرية من قرى سمرقند.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.5، ص.88.

[2] - بن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق،ج.3، ص.474.

[3] - ابن الأثير، المصدر السابق، مج.8، ص.265؛ أنظر، زياد محمد هواش، المرجع السابق، ص.311.

[4] - هو السلطان نور الدين محمود بن زنكي إبن السلطان عماد الدين زنكي، كان حكمه من سنة 1146 إلى سنة 1174م، كان له الفضل في إخضاع دمشق وعدد من قلاع سورية لحكمه، ومن أجل اكتساب مزيد من القوة التي تتيح له الهجوم على الصليبين من الجنوب، خاض حربا كبيرة من أجل ضم مصر لحكمه، فأرسل ثلاث قوات عسكرية منتقاة، كن على رأسيها قائده الشهير: أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبي.(أنظر، ليدينا أندريفنا سيمينوفا: صلاح الدين والمماليك في مصر، تر، حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998م، ص.29.)

في جبل المقطع[1].

ويذكر المؤرخ ابن الفوطي في كتابه "مجمع الآداب في معجم الألقاب": أن مشيد الدولة ومؤيد الملة بغراخان بن قلدة قراخان أبو المظفر محمد بن يوسف، ولي أمير المؤمنين ملك المشرق، كان مهتم بسماع الأحاديث النبوية، فاجتهد في سماعها حتى أجازه الفقيه أبو بكر محمد ابن زيد بن محمد الأَوُشي، وكتب له الحافظ عبد الرحيم بن أحمد مسألة في تنويع السماع وتجنيس الإجازة[2].

ومن الشواهد الأخرى على اهتمام القارخانيون بالعلم والعلماء أنه أُلفت كتب عديدة باسمهم، وخاصة في عهد الخاقان قلج طمغاج، منها: (تاريخ ملوك تركستان) وكتاب: (انشاد سندباد) لبهاء الدين الظهيري السمرقندي، وكتاب: (أعراض الرياسة في أغراض السياسة)، وقد مدح هذا الخان الشاعر رضي الدين النيسابوري، أحد أفضل شعراء خراسان في عصره[3].

ثانيا: العلماء في عهد الدولة القراخانية:

نتج عن إهتمام سلاطين الدولة القراخاينة الأويغورية بالعلم وأهله، بروز عدد كبير من العلماء في شتى المجالات، وعلى رأسها المجال الديني، وسأحاول في هذا العنصر ذكرهم إجمالا.

1- علم رسم المصحف والقراءات:

أولى الأويغور القراخانيون إهتمامهم منذ إسلامهم بتعلم القرآن الكريم، وقد واجهتهم في ذلك عَقَبَة وحيدة متمثلة في عدم معرفتهم اللغة العربية، فعمدوا إلى ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية الأويغورية، حرصا منهم على تسهيل تلاوة كتاب الله تعالي لرعيتهم،

[1] - بن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق،ج.3، ص ص، 348-349؛ أنظر، حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.13؛ أنظر، سعاد هادي حسن الطائي، المرجع السابق، ص.446.

[2] - كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي الشيباني(ت 723هـ): مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح، محمد الكاظم، ج.5، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، قم، إيران، 1416هـ، ص.236.

[3] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.13.

ومن ثّم تسهيل فهمه، وكانت أوّل ترجمة لمعاني القرآن الكريم في مدينة كاشغر، على عهد الملك الأويغوري ابن علي الحسن بن سليمان، الملقب "تبغاج بوغراقراخان"، المتوفي سنة 496هـ/1102م[1]، وكانت هذه بادرة حسنة من هذا الحاكم.

أصبح الأويغور القراخانيون منذ ذلك الوقت يهتمون بالقرآن الكريم، فيَدْرُسُونه لفهم معانيه، ويطبقون أوامره ويجتنبون نواهيه[2].

وقد حرص القراخانيون على كتابة القرآن الكريم بخط جميل، فالباحث العراقي الداقوقي يذكر: أنّ جلال الدين قلج طمغاج خان سلطان سمرقند كان بارع في التخطيط، حتى وصل إلى مستوى ابن مُقْلة وابن البوّاب، لذلك شجع كتابة القرآن الكريم بخط جميل[3]، ولا شك أنّ هذا عمل حضاري قام به الحكام القراخانيون، سعوا من أجله إلى إشاعة إنتشار كتاب الله بين أكبر عدد من رعيتهم وقبائل آسيا الوسطى.

في الحقيقة يعد فن كتابة أو رسم المصحف الشريف علم قائم بحد ذاته عند المسلمين، يطلق عليه في الكتب المتخصصة إسم"علم مرسوم الخط" أو "رسم المصحف" أو "رسوم خط التنزيل"، وقد عَرّفه أهل الاختصاص بأنه: "العلم بقواعد رسم خط المصحف الإمام الذي كتبه الصحابة بأمر من الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعا"[4]. وقد برع فيه الأويغور، كما رأينا.

إهتم القرخانيون اهتماما بالغًا بعلم القراءات، وهو العِلْمُ الذي يدرس كيفية أداء كلمات القرآن الكريم بشكل صحيح مع التعرف على الإختلافات المَعْزُوّا لناقليها، وقد مر علم القرأت بثلاث مراحل، المرحلة الأولى: من نُزول القرآن الكريم إلى كتابة المصحف العثماني - عثمان بن عفان- (المصحف الامام)، والمرحلة الثانية: من كتابة المصحف الإمام إلى سنة

[1] - رحمة الله أحمد رحمتي، التهجير الصيني في تركستان الشرقية، المرجع السابق، ص.38.

[2] -Mehmet-Ali AKINCI , op.cit. p.03.

[3] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.13.

[4] - أحمد نصيف الجنابي: علوم القرآن الكريم، موسوعة حضارة العراق، ج.7، المرجع السابق، ص ص، 21-22.

300هـ/912م، وهي السنة التي ألف فيها ابن مجاهد كتابه السبعة في القراءات، أما المرحلة الثالثة: فتمتد من ما بعد هذا الكتاب إلى اليوم [1].

شجّع الأويغور القراخانيون هذا العلم حتى نبغ في عهدهم عدد كبير من القراء، منهم:أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان الطرازي - تم تعريفه من قبل-، المتوفي سنة 385هـ/995م، وهو مقرئ مُحَقِق، أخذ القراءة مباشرة عن ابن مجاهد وأحمد بن أبي بكر الزيتوني وغيرهم، روى عنه أبو جعفر بن مسرور وأبو سعد الكنجرودي، وبرز في هذا العلم كذلك: أبي الطيب طاهر بن محمد بن جعفر بن نصر بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عبد الجبار بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، الخواقندي[2] المخزومي، المتوفي سنة 501هـ/1107م، كان له دور كبير في مجال القراءات، سمع القرآن عن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[3].

وكان للمقرئ محمد بن يعقوب بن أبي طالب الكاساني[4]، المتوفي سنة 555م/1160م باع طويل في هذا المجال، وهو من أهل الخير والقرآن، نشأ في مدينة بخارى وسكن في مدينة سرخس، وكان للمقرئ، أبي حفص عمر بن محمد بن طاهر الاندكاني الفرغاني، فضل كبير في إثراء هذا العلم، إذ كان شيخا صالحا كثير التلاوة والتدريس، عالما بالروايات والقراءات[5].

ومن عاصمة الأويغور القراخانيون كاشغر برز المقرئ أبا إسحاق بن عثمان بن يوسف بن أيوب الكاشغري، الذي كان له باع كبيرا في تطوير علم القراءات في بلاد تركستان، حيث سمع القراءات على يد عماد الدين علي بن عبد الملك بن أبي الغنائم بن بصلا،

---

[1] - أحمد نصيف الجنابي، المرجع السابق، ص ص، 22-23.

[2] - الخُوَاقَنْدي: بضم الخاء المعجمة والقاف المفتوحة بينهما الواو والألف ثم النون الساكنة وفي آخرها الدال المهملة، نسبة إلى خواقند، وهي بلدة من بلاد فرغانة. (أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.5، ص.200.)

[3] – السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.5، ص ص، 200-201؛ سعاد هادي حسن الطائي، المرجع السابق، ص.448.

[4]- الكاساني: بفتح الكاف والسين بينهما الألف والنون في آخرها، هذه نسبة إلى كاسان، وهي بلدة وراء الشاش. (أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.10، ص.320.).

[5] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.133؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص.448.

في سنة 644هـ/1246، وكان لإبراهيم الكاشغري المتوفي في سنة 645هـ/1247م، كذلك قراءة جميلة[1].

2 - علم التفسير:

إهتم علماء الدولة القراخانية الأويغورية بدراسة القرآن الكريم، وإجتهدوا في فهم معانية، وحاولوا تفسيره تفسيرًا جيدًا، ويعتبر علم التفسير من أهمّ عُلوم القرآن الكريم بعد علم القراءات، لهذا كانت الكتب المؤلفة في هذا المجال أكثر من غيره، وقد كثرت مناحي المفسرين واتجاهاتهم، فمنهم من اكتفى بالتفسير اللغوي أو البياني، ومنهم من إهتم بالأحكام القرآنية المتصلة بالمامالات، وهذا المنحى يقترن بالاتجاهات الفقهية، ومنهم من اتجه بالتفسير اتجاها مأثورا، فجمع ما صح عنده من أقوال السلف الصالح في التفسير، ومنهم من لم يكتف بأقوال السلف بل إجتهد وأعمل رايه[2].

والتفسير في عرف العلماء هو كشف معاني القرآن الكريم وبيان المراد بالآيات، وهو عكس التأويل فأصل هذا الأخير في اللغة مشتق من الأول، فمعنى قولهم ما تأويل هذا الكلام؟ أي الامَ تؤول العاقبة في المراد به، قال تعالى:"يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ"[3]، أي تكشف عاقبته، ويأتي بمفهوم العاقبة، ومنه قوله تعالى:"ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً"[4]، وقد يراد به تأويل الأحلام، وقد يراد بالتأويل صرف الآية عن ظاهرها لِتُوافق وجهة نظر خاصة أو لتوافق الهوى، وفي هذا المجال تَرِدُ التفاسير الخاصة بأهل الفرق وأصحاب الأهواء: من معتزلة، وباطنية، وفرق غالية، وفرق الصوفية، فالتأويل حالة خاصة من حالات التفسير، وبينهما عموم وخصوص، فالتفسير أعم من التأويل فيمكن القول أن كل تفسير تأويل وليس كل تأويل تفسير[5].

إجتهد القراخانيون وعلماءهم في علم التفسير لمعرفة معاني القرآن الكريم معـــــــرفة

[1] - ابن الفوطي، المصدر السابق، ج.5، ص.53.

[2] - أحمد نصيف الجنابي: علوم القرآن الكريم، المرجع السابق، ج.7، ص ص، 51-52.

[3] - القرآن الكريم: سورة الأعراف، الأية 53.

[4] - سورة النساء، الأية 59.

[5] - أحمد نصيف الجنابي: علوم القرآن الكريم، المرجع السابق، ج.7، ص.52.

صحيحة، وشجعوا العلماء على دراسة هذا الفن، فظهر منهم عدد كبير من المفسرين كان لهم أكبر الأثر في تطوير هذا العلم، وسأحاول ذكر البعض من المشتغلين بهذا العلم في عهد الدولة القراخانية ومنهم:

أبو بكر محمد علي بن إسماعيل الشاشي[1] القفال الكبير، المتوفي سنة 365هـ/975م، كان إماما في التفسير، ميالا إلى الاعتدال في مذهبه، ولكنه سرعان ما عاد إلى مذهب الأشعري، إذ أخذ علم الكلام عنه، وقد تفقه على يديه عدد كبير من المفسرين من أشهرهم:والد إمام الحرمين عبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني، وأبي الحسن عبد الرحمن بن محمد البوشنجي، وغيرهم، ومن أهم مصنفاته:(التفسير الكبير)[2].

ومن التفاسير المشهورة في هذه الفترة أذكر: تفسير أبو عبد الله الحسين بن علي بن خلف بن جبريل بن خليل بن صالح بن محمد الألمعي الكاشغري، الذي توفي بعد سنة 484هـ/1091م، وكان له أكثر من مائة وعشرين مؤلف[3]، من بينها:(المقنع في تفسيرالقرآن)[4].

من بين المفسرين كذلك أذكر: إسماعيل بن أبي زياد الشاشي، له تفسير حدّث به أبو علي أحمد بن محمد المعروف بابن الشيخ الهمداني المتوفي سنة 504هـ/1110م[5]. ومن بين العلماء الذين ذكرهم ياقوت كذلك، نجد: الواعظ أبو المعالي طغرلشاه محمد بن الحسن بن هاشم الكاشغري، الذي ولد في سنة 490هـ/1096م وتوفي في سنة 550هـ/1155م، وسمع الحديث كثيرا وتعلم التفسير[6]، وقد فسر القرآن الكريم لأول مرة بلغة قومه الأويغورية[7].

---

[1]- الشاشي: بالألف الساكنة بين الشينين المعجمتين، وهذه نسبة إلى مدينة وراء نهر سيحون، يقال لها الشاش وهي من ثغور الترك.(أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.7، ص. 244.).

[2] - ابن خلكان: المصدر السابق، ج.4، ص ص، 200-201.

[3] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.10، ص ص، 324-325.

[4] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.15.

[5] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.134؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص.449.

[6] - ياقوت، المصدر السابق، مج.4، ص.430.

[7] - ماجدة مخلوف، المرجع السابق، ص.109.

من التفاسير المعروفة كذلك، تفسير القاسم أحمد بن محمد زين الدين الحنفي البخاري العنابي الذي توفى في سنة 586هـ/1158م، و"تفسير التيسير" لنجم الدين أبي حفص النسفي الذي توفي سنة 537هـ/1142م، وكتاب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري(ت546هـ/1151م)، وهو تفسير قيل أنه يتجاوز في حجمه ألف جزء[1].

3- علم الحديث:

الحديث في اللغة هو اسم من التَحديث وهو الإخبار أو نقيض القديم، فالقرآن الكريم هو كلام الله وهو قديم ويقابله الحديث، وهو ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام، والحديث في إصطلاح بعض المحدثين هو: مرادف للسنة النبوية، لذلك بحث علماء الحديث في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق واخبار واقوال وافعال، سواء اثبت حكما شرعيا أم لا[2].

إهتم القراخانيون بعلم الحديث، ويذكر المؤرخ النسفي أنه برز عدد كبير من المحدثين في آسيا الوسطى على عهد الدولة القراخانية الأويغورية، مثل: الشيخ أبي سعد سعيد بن عثمان بن المنهال الزاهد الشاشي، أصله من مدينة شاش، وكان يعرف بلقب "الفعال"، رحل إلى مدينة سمرقند في سنة 313هـ/925م[3]، واستقر بها ثم تقلد قضاءها كما تقلد قضاء بخارا، وتوفي في سنة 311هـ/923م[4].

من المحدثين الذين برزوا في عهد الدولة القراخانية نجد أبو الفتوح عبد الغافر ابن الحسين الكاشغري الألمعي الحافظ[5]، وأخوه أبو عبد الله حسين بن علي الألمعي، - وقد ذكرته من قبل - له مصنفات في الحديث بلغت مائة وعشرين مصنفا[6]، وأنجبت كاشغر كذلك العالم

[1] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.15.

[2] - قحطان عبد الرحمن الدوري: علوم الحديث الشريف، موسوعة حضارة العراق، المرجع السابق، ج.7، ص.78.

[3] - أحمد النسفي، المصدر السابق، ص.29.

[4] - نفسه، ص.82.

[5] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.6، ص.105.

[6] - ماجدة مخلوف، المرجع السابق، ص.109.

الحافظ أبي الفتوح عبد الغافر بن الحسين بن أبي الحسن الكاشغري، الذي يعد من بين كبار المحدثين في منطقة تركستان، فقد انتقل إلى مدينة سمرقند وروى الحديث فيها، حيث روي عن شيوخه عن الرسول صلي الله عليه وسلم أنه قال: "من أراد أن يشتري نفسه من النار فليصطنع المعروف إلى من لا يرجو عوضه في الدنيا غير الدعاء"[1].

وقد كان لمدينة خرشكت[2] التابعة للقراخانيين علماء كثر في الحديث، أبرزهم: أبي سعيد سعد بن عبد الرحمن بن حميد الخرشكتي، المتوفى سنة 340هـ/951م، كان له باع كبير في مجال الحديث، إذ روى عنه يوسف بن يعقوب القاضي، ومحمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، وأبو سعيد الحسن بن محمد بن سهل الفارسي، كذلك برز من بين المحدثين في بلاد ما وراء النهر في عصر الدولة القراخانية، أبو القاسم المظفر بن حاجب بن أركين الفرغاني[3]، المتوفي سنة 363هـ/973م، روى الحديث عن أبي علي إسماعيل بن محمد الدمشقي، وأبي يعلى الموصلي ومحمد بن يزيد بن عبد الصمد وغيرهم[4].

ومن مدينة أسبيجاب [5] التابعة للدولة القراخانية، خرج عدد كبير من المحدثين والعلماء، منهم: أبو علي الحسن بن منصور بن عبد الله بن أحمد، المؤدب المقرئ الإسبيجابي، الذي حدّث عن الحسن بن علي المداني، ومحمد بن يوسف الفقيه الشافعي السمرقندي، وروى

[1] - نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي(ت 537): القند في ذكر علماء سمرقند، تح، نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1991م، ص.278.

[2] - خرشكت: بفتح الخاء المعجمة والراء وسكون الشين وفتح الكاف وفي آخرها التاء المنقوطة باثنتين من فوقها، وهي مدينة موجودة في بلاد الشاش. (أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.5، ص. 83.).

[3] - فرغانة: بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الغين المعجمة وفي آخرها، ويوجد منطقتين تسمى فرغانة، الأولى قرية موجودة في فارس والثانية: هي ولاية كبيرة موجودة وراء الشاش من بلاد المشرق وراء نهر جيحون وسيحون، خرج منها عدد كبير إشتهروا في كل فن ونوع من العلوم. (أنظر، نفسه، ج.9، ص ص، 274-275.).

[4] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.134-135؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص.449.

[5]- إسفيجاب: بكسر الألف وسكون السين وكسر الفاء وسكون الياء المنقوطة باثنين من تحتها وفتح الجيم وفي أخرها الباء المنقوطة بواحدة، وهي بلدة كبيرة من بلاد المشرق من ثغور الترك.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.1، ص.241.).

الحديث عن ظفر بن الليث الإسفيجابي، ومجاهد بن أعين الفرغاني، وعن مجموعة من علماء أهل خراسان والعراق، ومات بعد سنة 380هـ/990م[1].

ويذكر كل من السمعاني وياقوت الحموي من بين المشتغلين بعلم الحديث في عاصمة دولة القراخانيين الأويغور الكاشغري، أبو عبد الله الحسين بن علي بن خلف بن جبرائيل ابن الخليل بن صالح بن محمد، الألمعي الكاشغري، تتلمذ على يد الحافظ أبا عبد الله محمد بن علي الصوري وأبا طالب بن غيلان وغيرهم، كان شيخا فاضلا واعظا له مصنفات كثيرة في علم الحديث، تزيد عن مائة وعشرين كتاب، وروى عنه أبو نصر محمد بن محمد السرمدي الشجاعي وعلماء كثر، توفي في مدينة بغداد سنة 484هـ/1091م[2].

وقد برز ابنه أبو الفتوح عبد الغافر بن الحسين الكاشغري أيضا بين المحدثين، وكان حافظا، ثقة، سمع الحديث عن: أبي طاهر محمد بن عبد الملك الدندانقاني، وقام برحلة إلى إقليم الجبال والعراق وما جاوز بغداد، وتوفي قبل والده بعشر سنين سنة474هـ/1081م[3].

ومن تركستان ظهر العالم الجليل أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم التركستاني البخاري، روى الحديث عن شيوخ بخارى ورحل إلى مدينة نسف ثم عاد إلى بخارى واستقر فيها ردحا من الزمن، ثم مات ببلخ في سنة 409هـ/1018م[4].

أمّا قرية "توذيج"[5] فقد خرج منها المحدث أبو حامد بن حمزة بن محمد بن إسحاق بن أحمد المطوعي الروذباري، الذي كان يسكن في سمرقند، وحدّث عن أبيه حمزة بن محمد التوذيجي، وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحافظ، وأبو بكر محمد بن محمد بن علي الزهري، توفى بقلعة باتكر الموجودة على طريق جيحون بنواحي ترمـــــــــذ،

[1] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.1، ص.241.

[2] - نفسه، ج.10، ص ص، 324-325؛ أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج.4، ص ص، 430-431.

[3] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.10، ص.325.

[4] - النسفي، المصدر السابق، ص.397.

[5] - توذيج: بضم التاء ثالث الحروف ثم الذال المعجمة المكسورة بعد الواو وبعدها الياء الساكنة آخر الحروف وفي آخرها الجيم، وهي قرية من نواحي الروذبار من وراء نهر سيحون.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.3، ص.102.).

في 12 رمضان سنة 512هـ/1118م[1].

ومن بين علماء مدينة سمرقند المحدثين الذين عاشوا في عهد الدولة القراخانية الأويغورية، وذكرهم المؤرخ نجم الدين ألنسفي (ت 537هـ/1142م) في كتابه: "القند في ذكر علماء سمرقند"، أذكر المحدث أبي صالح خلف بن محمد بن إسماعيل الخيام البخاري، الذي تتلمذ على يد عبد الرحمان بن معاذ صاحب يحي بن معاذ الرازي، من مدينة ببورنمد وهي مدينة تابعة لأعمال سمرقند، فقد كان شيخ المحدثين بمدينة بخارا، سمع وكتب الحديث عن صالح جزرة، ثم انتقل إلى بخارا ونسف وبلاد ما وراء النهر وسمع الأحاديث عن علمائها، توفي ببخارى في أخر سنة إحدى أو بداية سنة اثنتين وستين وثلاثمائة[2].

ساهمت مدينة فاراب[3] التابعة للدولة القراخانية هي الأخرى بالكثير من العلماء، من بينهم: العالم المحدث أبو زكريا يحي بن أحمد الفرابي، الذي كان يروي الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عبيد الله بن شريح البخاري، وقد روى عنه العديد من الشيوخ نذكر منهم:الحسن بن منصور المقرئ بمدينة اسبيجاب[4].

من المحدثين كذلك: أبو المنور بدر بن زياد بن عبد الله بن محمد بن محمد الخجندي[5]، المتوفي سنة 514هـ/1120م، الذي أقام بسمرقند وروى بها الحديث عن أبي حفص عمر بن منصور بن خنب الحافظ، وروى عنه عمر بن محمد ألنسفي[6]، ولدينا المحدث أبو حامد أحمد بن حمزة بن محمد بن إسحاق بن أحمد ألمطوعي، المتوفي سنة

---

[1] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.3، ص.102.

[2] - النسفي، المصدر السابق، ص ص، 25-26.

[3] - بارب أو فارب: بفتح الباء أو الفاء والراء وبين الألفين وفي آخرها الباء الأخرى، وهي ناحية من وراء نهر سيحون من بلاد المشرق.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.2، ص.26.).

[4] - نفسه.

[5] - خجند: بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون وفي أخرها الدال، وهي بلدة كبيرة من أطراف نهر سيحون من بلاد تركستان الشرقية، فتحت سنة 130هـ في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، وخرج منها عدد كبير من أهل العلم في كل الإختصاصات.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر نفسه، ج.5، ص ص، 52-53.).

[6] - المصدر نفسه، ج.5، ص.54.

526هـ/1131م، حدّث في سمرقند عن أبيه حمزة وروى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفي[1].

ويذكر السمعاني ممن صاحبوه في طلب علم الحديث من أهل سمرقند في عهد الدولة القراخانية، المحدث أبو النجم محمد بن أمين بن أحمد بن عبد الملك الشجاعي الخوارزمي، وهو شيخ فاضل عالم، كان حريص على طلب الحديث، تفقه على الشيخ عمر بن محمد السرخسي، والتقى بالسمعاني في مدينة مرو وأصبحا رفيقين في طلب العلم بحيث لم يكونا يتفارقان، حتى توفي سنة 545 أو 6هـ/1150-51م[2].

ويذكر السمعاني كذلك أنّه التقى في مدينة نيسابور بأبي المعالي طغرلشاه بن محمد بن الحسن الكاشغري، وسمع معه الحديث عن أبي عبد الله الفراوي، وأبي القاسم الشجاعي، وأبي محمد عبد الجبار بن محمد الخواري، وكان أبو المعالي طغرلشاه واعظا حسن الوعظ، سكن في مدينة هرات وصاهر بعض الأتراك، حيث عاود السمعاني الالتقاء به في سنة 546هـ/1151م، وأسمعه بقراءته وأسمع أولاده، كما سمع منه بنفسه الصحيح[3].

يذكر كذلك أنّه التقى بالإمام المحدث الصالح أبو الفتح محمد بن مسعود بن علي الخاقاني(نسبة إلى الدولة الأويغورية القراخانية) السمرقندي، وكان يسكن في أشفورقان، كان ورع يحتاط في لقمة عيشه، سمع من أبا جعفر بن عبد الله البيهقي، وأبا جعفر محمد بن السنجزي، التقى به السمعاني في أشفورقان وأخذ عليه الحديث، توفى في سنة 547هـ/1152م[4].

ساهم القراخانيون الأويغور بقسط وافر في خدمة العلم الشرعي، وإثراء العلوم الدينية في بلاد ما وراء النهر وتركستان، ذلك برعايتهم العلم، والتكفل بأهله عن طريق الالتفات إلــى

---

[1] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.135؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص.449.

[2] - السمعاني، التحبير، المصدر السابق، ص.212.

[3] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.10، ص.326.

[4] - السمعاني، التحبير، المصدر السابق، ص.246.

أحوالهم وتوفير الأجواء المناسبة لهم، ليبقوا دائما منشغلين بالعلم، وكانت نتيجة ذلك هو بروز عدد كبير من القراء والمفسرين والمحدثين في عهدهم.

4 - علم الفقه:

يعتبر الفقه من بين العلوم التي برز فيها عدد كبير من العلماء في عهد الدولة الأويغورية القارخانية، وقد لعبوا دورا كبيرا في تطوير هذا العلم ببلاد ما وراء النهر وتركستان، ومن بين العلماء الذين ذكرهم ياقوت الحموي في هذا المجال، لدينا: أبو نصر أحمد بن الشيخ بن حموية بن زهير الكاساني، من مدينة كاسان[1] التابعة إلى الدولة القراخانية، نبغ في الفقه الشافعي، وتتلمذ على يدي كل من الشيخ أبا الحسين محمد بن طالب وأبا يعلى عبد المؤمن بن خلف، وكلاهما عالمان من مدينة نسف، صنف هذا الفقيه عدة كتب، من بينها:كتاب(تواني الحجج)، الذي إنتشر إنتشارًا واسعًا في آسيا الوسطى، توفي هذا الأخير بمدينة كاش سنة 343هـ/954م وهو لم يزال شابا قادرا على العطاء[2].

ومن عاصمة الأويغور بلاساغون، برز الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن موسى البلاساغوني، تعلم فيها ثم رحل إلى مدينة بغداد وأكمل طلب العلم هناك، حيث درس الفقه على يد القاضي أبي عبد الله الدامغاني الحنفي، وبعد ذلك رحل إلى بلاد الشام وتولى قضاء بيت المقدس[3]، وبعدها أصبح قاضي مدينة دمشق[4]، وعرف عنه أنه كان متعصب إلى المذهب الحنفي ضد المذهب الشافعي وأتباعه، حيث نُقِل عنه أنه كان يقول: "لو كان لي ولاية لأخذت من أصحاب الشافعي الجزية"[5]، ومات بدمشق في سنة 506هـ/1112م.

---

[1] - كاسان: بفتح الكاف والسين بينهما الأف والنون في آخرها، وهب بلدة وراء الشاش ولها قلعة حصينة.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.10، ص.320.).

[2] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج.1، ص.430.

[3] - بيت المقدس: هي بلدة مشهورة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم في غير موضع، وفيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة والمواضع الشريفة، وكان إليها قبلة المسلمين سبعة عشر شهرا، قيل بناها كورش بن حام بن نوح، وقيل بناها بهمن بن اسفنديار.(أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.11، ص ص، 439-440.).

[4] - دِمَشْقُ الشّام: بكسر أوله وفتح ثانيه وشين معجمة وآخره قاف، وهي البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف، قيل سميت بذلك لأنهم دَمْشَقوا في بنائها أي أسرعوا، وهناك رواية أخرى تقول أنها سميت دمشق نسبة لدماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. (أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج.2، ص. 463. فما بعدها.)

[5] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج.2، مج.1، ص.476.

ومن مدينة الشاش برز الفقيه أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل ألشاشي، القفال الكبير المتوفي سنة 365هـ/975م أو سنة 366هـ/976م، كان إمام عصره بلا منازع، فقيها أصوليا محّدثا ومفسرا لغويا، ولم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته، كان كثير السفر لطلب العلم، حيث رحل إلى خراسان والعراق والحجاز[1] والشام والثغور، أخذ الفقه عن ابن سريج، وهو أول من صنف في الجدل الحسن من الفقهاء، وله مصنفات كثير منها: كتاب في(أصول الفقه) و(شرح الرسائل)، وله كتاب:(التقريب) وهو نادر الوجود، وهذا المصنف غير كتاب التقريب للفقيه سلم الرازي. لعب القفال دورا بارزا في نشر المذهب الشافعي في بلاده، وكان يستشهد به من طرف أكبر علماء المسلمين، فقد وروى عنه الحاكم أبو عبد الله وأبو عبد الله ابن منده وأبو عبد الرحمن السلمي[2].

ومن أشهر شيوخه في العراق أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو العباس السراجو أبو القاسم وغيرهم، أما شيوخه في بلاد ما وراء النهر فأبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسبوري، ومحمد بن بيان الكازروني وغيرهم[3].

ومن مدينة كَاسَن[4] لمع صيت الفقيه: نصر أحمد بن سليمان بن نصر بن حاتم بن علي بن الحسن، وقد تقلد منصب "قاضي القضاة" في عهد الخاقان أبي شجاع الخَضِر ابـــن ابراهيم

---

[1] - الحِجاز: بالكسر وآخره زاي، في الحجاز وجهان: يجوز أن يكون مأخوذا من قول العرب حجز الرجل بعيره يحجزه إذا شده شدا يقيده به، ويقال للحبل حجاز، ويجوز أن يكون سمي حجازا لأنه يحتجز بالجبال، يقال: احتجزت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها واتّزرت، ومنه قيل حجزة السراويل، وقد أجمع العلماء على أنه المنع أي حجزه حجزا، والحجاز جبل ممتد حالّ بين الغور غور تهامة ونجد، فكأنه منع كلّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجزٌ بينهما، ولأنه يفصل بين الغور والشام وبين البادية، ومن هنا ما سال من حرّة بني سُليم وحرّة ليلي غهو الغور حتى يقطعه البحر، وما سال من ذات عرق مغربا فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة، وهو حجاز أسود حجز بين نجد وتهامة، وما سال من ذات عرق مقبلا فهو نجد إلى أن يقطعه العراق.(أنظر، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.2، ص. 218. فما بعدها.).

[2] - أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان(608-681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح:إحسان عباس، ج.4، دار صادر،بيروت، ص ص، 200-201.

[3] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.136؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص ص، 449-450.

[4] - كَاسَن: بفتح الكاف والسين المهملة وفي آخرها النون، هي قرية من قرى نَخْشَب.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.10، ص.321.)

القراخاني الأويغوري، أخي شمس المُلْك، ثم درس الحديث بمدينة سمرقند، وأملى في داره بسكة المحتسب، وبعده تقلد الوزارة في عهد أحمد بن الخَضِر خاقان، واستشهد في أول عهده[1].

أمّا مدينة أشروسنا[2] التابعة للدولة القراخانية الأويغورية، فقد برز منها كل من العالم:أبو طلحة حكيم بن نصر بن خانج بن خندبك، روى عن محمد بن الفضل بن حراش البلخي والقاسم بن عباد الترمذي وعدد كبير من العلماء، كان فاضلا خيرا ذهب إلى سمرقند وحدّث بها، وكذلك برز الفقيه أبو جعفر محمد بن عمرو ابن الشعبي بن سليمان الأسروشني، وكان عالما متميزا، روى عن عمه لقمان بن الشعبي، وتولى قضاء مدينة بخارى، ثم رحل إلى مدينة سمرقند وولى القضاء بها إلى أن مات سنة 404هـ/1013م[3]، ولدينا الإمام محمد بن عبد الكريم التركستاني المعروف ببرهان الأئمة[4].

من الفقهاء المشهورين في أشروسنا، أذكر: أبو جعفر محمد الحسن بن المحسن الأشروسني، المتوفي سنة 470هـ/1077م، وقد رحل هذا الأخير إلى مدينة بغداد في سنة 430هـ/1038م لطلب العلم، وتفقه على يد عدد من فقهائها، من بينهم: الفقيه الصيمري، وقاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني، والقاضي عبيد الله أبو زيد الدبوسي، الذي رحل إلى الشام واستقر في بيت المقدس، ثم رجع إلى بغداد[5].

من مشاهير فقهاء الحنفية فيما وراء النهر، أذكر أبو اليسر محمد بن محمد البزدوي، الذي ألف كتب في أصول الفقه، وألف أخوه: أبو العسر علي بن محمد البزدوي(ت482هـ/1089م) كتاب:"أصول الفقه"، كما شرح أصول الفقه عدة مرات، ومن بين فقهاء بلاد ما وراء المهر ثمة الفقيه لأصولي المتكلم والمناظر، محمد بن عبد الحميد

---

[1] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.10، ص.320.

[2] - أسروشنا بسكون السين المهملة وضم الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفي أخرها النون، وهي بلدة كبيرة وراء سمرقند ودون نهر سيحون، خرج منها جماعة من العلماء في كل فن.(أنظر، المصدر نفسه، ج.1، ص.232.)

[3] - نفسه، ج.1، ص ص، 232-233.

[4] - بن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق،ج.3، ص.237.

[5] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.137؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق ، ص. 450.

الأسْمَنْدي السمرقندي(488-563هـ/1095-1168م)، الذي ولد بسمرقند ورحل إلى بغداد وناظر علماءها، وقد خلف أثار جليلة من بينها: كتاب(العالمي) في عدة مجلدات، كما شرح كتاب(الجامع الكبير)، لصاحبه الشيباني في فروع الفقه الحنفي في عدة مجلدات[1].

ومن مدينة بلاساغون خرج الفقيه محمد بن موسى أبو عبد الله البلاساغوني المعروف بالتركي، رحل هذا الأخير إلى بغداد وتفقه على يد القاضي أبي عبد الله الدامغاني، ثم قصد دمشق وتولى قضاءها، ثم وتوفي سنة 506هـ/1112م[2]، ومن نفس المدينة برز: محمد بن موسى اللامشي المسمى بالتركي الحنفي(ت 506هـ/1112م)، الذي ألف كتاب(أصول الفقه) على مذهب أبي حنيفة، ورحل إلى بيت المقدس وتولى قضاءها، وكان يعرف بالبلاساغوني الحنفي قاضي دمشق[3].

وكذلك برز الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي، المعروف بالمستظهري، الملقب"فخر الإسلام"، المتوفي سنة 507هـ/1113م، تفقه على يد أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني، وعلى القاضي أبي منصور الطوسي، ثم رحل إلى مدينة بغداد ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، وقرأ كتاب: (الشامل) في الفقه على مصنفه أبي نصر ابن الصباغ، ثم ذهب إلى نيسابور وتكلم في مسائل هناك، ثم عاد إلى بغداد وتعين في تدريس الفقه خلافا لأستاذه أبي إسحاق، وانتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية، ألف تصانيف كثيرة منها: (حلية العلماء)، ذكر فيه مذهب الشافعي وضم إلى كل مسألة اختلاف الأئمة فيها، ثم جمع ذلك في كتاب وسماه(المستظهري)، وتولي التدريس بالمدرسة النظامية[4] ببغداد إلى غاية

[1] - حسين عي الداقوقي، المرجع السابق، ص.16.
[2] - بن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق،ج.3، ص.375.
[3] - حسين عي الداقوقي، المرجع السابق، ص.16.
[4] - تأسست المدرسة النظامية بين عام 457 و459 هـ، على يد الوزير السلجوقي نظام الملك، ومع أن تأسيس المدارس كان سابقا لنظام الملك، وإنه م يكن مبتكرا له لكنه وفي نظر الجميع كان هو أول من سن نظاما جديدا في حقل التربية والتعليم، هو تعيين رواتب وتخصيص مساكن لطلاب العلم، وتأمين سكن ونفقات للمدّرسين، فقد كانت المدرسة النظامية من المدارس المجهزة ليل نهار، إذا كانت أسباب فراغ البال والمطالعة وتحصي العلم متوفرة فيها للمعلمين وطلاب العلم على حد سواء، وكانت للنظامية موقوفات كثيرة من أسواق وحمامات ودكاكين وضياع، لتأمين أجور العمال والأساتذة، ونفقات الطلبة، وكان فيها أيضا مكتبة قيمة ذات منصة، وأساتذة ومعيدون وكتبية، وحراس، وخدم كثيرون، وكانت نفقات الأساتذة والطلاب خمسة عشر ألف دينار سنويا، وكان عدد طلابها ستة آلاف طالب يدرسون النحو واللغة، والفنون الأدبية، والفقه والتفسر والحديث، وغير ذلك من العلوم الشرعية، وأوجد نظام الملك نظاميات أخرى في البصرة، وأصفهان وبلخ وهراة ومرو والموصل، وكان أكثر أساتذة النظاميات وكتبييها وطلابها من مشاهير علماء القرن الخامس والسادس والسابع ومعروفيهم. (أنظر، نظام الملك الطوسي: سير الملوك أو سياست نامه، المصدر السابق، ص ص، 21-22.)

وفاته[1]، وقام ببناء في مدينة بغداد الشرقية مدرسة عرفت باسم مدرسة الشاشي، شافعية المذهب[2].

ومن مدينة كاسان السابق ذكرها تخرج الفقيه بكر بن سليمان بن عمران بن إلياس الكاساني، الذي رحل إلى سمرقند للاستزادة في الفقه، ثم رجع إلى مدينته الأصلية، وتوفي فيها سنة 513هـ/1119م[3].

ومن بين العلماء الذين أنجبتهم مدينة كاشغر أذكر الإمام الزاهد الشيخ حسين بن خلف الكاشغري، عرف عنه أنه كان شديد التمسك بالدين الإسلامي لا يلين للسلاطين أبدا، فقد كان يجعل طاعته لله فوق طاعة السلاطين[4]، ومن مدينة ختن[5] خرج جماعة من الفقهاء من بينهم: الفقيه أبو داود سليمان بن داود بن سليمان الختني، تلقن الفقه على أبا علي الحسن بن علي بن سليمان المرغيناني، زار مدينة سمرقند في سنة 523هـ/1129[6].

يذكر السمعاني بروز العالم أبو الحسن علي بن موجود بن الحسين بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن العباس النظري الكاشاني، من أهل مدينة الكشانية، وهي بلدة من السغد بنواحي سمرقند، وكان إماما فاضلا مناظرا، كثير الحفظ، تفقه على يد عمه مسعود بن الحسين، ثم على يد البرهان عبد العزيز البخاري، ثم رحل إلى مرو وأخذ الفقه على القاضي محمد بن الحسين الأرسابندي، وكان حسن السيرة متواضعا كثير التلاوة للقرآن الكريم، حافظا له،

---

[1] - ابن خلكان، المصدر السابق،ج.4، ص ص، 220-221.

[2] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.138؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق ، ص.450.

[3] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.10، ص ص، 320-321.

[4] - أمل أسين: صفحات من اهتداء تركستان الشرقية إلى الإسلام مدينة كاشغر في عهد الخاقاني الثاني، **مجلة تركستان**، السنة الأولى، مج.1، مركز النشر لتركستان الشرقية، العدد الثاني، شعبان 1404هـ/ ماي 1984م، استنبول- تركيا، ص ص، 39-40.

[5] - ختن : بضم الخاء المعجمة والتاء المفتوحة ثالث الحروف وفي آخرها النون، وهي بلدة وراء يوزكند من بلاد الترك دون كاشغر.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج5، ص.49.).

[6] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج5، ص.49.

كتب(الأمالي) عن مشايخ بخارى، تولى التدريس في المدرسة الخاقانية بمرو مدة من الزمن، وتفقه عليه جماعة كثيرة من بينهم السمعاني وسمع منه، كانت ولادته في سنة 408هـ/1017م وتوفى سنة 557هـ/1162م ودفن بمرو[1].

ثالثا: التواصل العلمي بين حواضر الدولة القراخانية وحواضر الخلافة العباسية.

لم يقتصر نشاط العلماء الذين عاشوا في كنف الدولة القراخانية في رقعة حكم هذه الأخيرة، بل كان لهم اتصال وثيق بالعالم الإسلامي، حيث رحلوا إلى مختلف المدارس والمعاهد العلمية المعروفة آنذاك، وتقلدوا مراكز التدريس فيها، أو تولوا مناصب قضائية مهمة في أهم الحواضر الإسلامية، إضافة إلى مشاركتهم في حلقات العلم والمناظرات.

في المقابل كان يقصد بلاد الدولة القراخانية علماء من شتى حواضر الدولة الإسلامية، فيُرَحَب بهم بحفاوة، ويغمرون بالحب والكرم ليطيب لهم المقام، وسوف أحاول في هذا المطلب إعطاء نظرة على هذا التواصل الحضاري بن الدولة القراخانية والدول الإسلامية.

1- العلماء القراخانيون الذين رحلوا إلى حواضر البلاد الإسلامية.

عمل القراخانيون على تحسين علاقاتهم بالخلافة العباسية، فاتخذوا لقب موالي أمير المؤمنين، ونقشوا هذا اللقب على سكتهم، وضربوا العملة باسم الخليفة العباسي القادر بالله[2]، ودعوا له على المنابر، وحرصوا أن تكون عرى الصداقة بين الطرفين دائمة الوصال، فكانوا يبعثون بالرسل للخليفة ويشجعون العلماء بالذهاب إلى بغداد مركز العلم والعلماء، فقد أرسل الخاقان محمد بن سليمان العالم الجليل: أبا علي الحسين بن علي اللآمشي، القاطن بمدينة

---

[1] - السمعاني: التحبير، المصدر السابق، ص ص، 116-117.

[2]- هو الخليفة العباسي أحمد أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر، بويع له بالخلافة ليلة خلع عمه الطائع، وعمره يومئذ أربع وأربعون سنة، وكان أبيض، كبير اللحية يخصبها، وكان دائم النهجد كثير الصدقات، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثماية، وأمه أمة اسمها "يمنى"، نقش خاتمه:"القادر بالله"، وليس له من الخلافة إلا اسمها، وكان مقهورا على أمره، توفى في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربعمية، وهو ابن ست وثمانين سنة، وكانت خلافته احدى وأربعين سنة وشهور. (أنظر، أحمد بن يوسف القرماني، المصدر السابق، مج.2، ص ص، 158-159.)

سمرقند بسفارة إلى الخليفة العباسي المسترشد بالله[1]،(أنظر، الجدول رقم، 04)[2] فقدم بغداد في عام 515هـ/1121م[3].

لم تذكر المصادر محتوى تلك السفارة، ويمكن إرجاعها إلى محاولة القراخانيون كسب ود الخلافة من أجل الإعتراف بهم كنواب لنها في بلاد ما وراء النهر وخراسان، لأن العلاقة في تلك الفترة كانت متوترة بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان الغزنوي مسعود، فتذكر المصادر أنه وقع فتور بين السلطان مسعود والخليفة، فخرج هذا الأخير على إثرها لقتاله فالتقى الجمعان، وإنهزم جيش الخليفة وأسر من طرف السلطان مسعود، وحبس بقلعة موجودة بالقرب من همذان، وبقى هناك إلى أن قتل على يد الباطنية[4]. وأنا أستغرب هذه الرواية التي وردت عند القرماني.

مهما يكن من أمر فقد رحل من مدينة بخارى إلى بغداد الفقيه ابراهيم بن محمد بن أحمد بن هشام أبو إسحاق البخاري، وكان فقيها كبيرا أطلق عليه لقب: الأمين، سمع الفقه عن أبو علي صالح، ودخل إلى مدينة بغداد في سنة 337هـ ، ودّرس بها الفقه وتتلمذ على يده الفقيه الشهير محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري، وهو فقيه كبير من أهل النظر في عصره، توفي أبو إسحاق البخاري في سنة 346هـ[5].

من أشهر الفقهاء الذين زاروا بغداد، أذكر: الفقيه أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل ألشاشي القفال الكبير، المتوفي سنة 365هـ/975م أو سنة 366هـ/976م، الذي ذكرته من قبل،

[1] - هو الخليفة أبو منصور المسترشد بالله ابن المستظهر بالله، بويع له بالخلافة يوم موت والده بعهد منه، وكان أشقر، بطلا شجاعا، ذا عالية وشهامة زائدة، ضبط أمور الخلافة ورتبها وأحيا رسومها ونشر أعلامها، ولد في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأرعماية، وأمه أمة اسمها "لبانة"، نقش خاتمه:"المسترشد بالله"، قتل بمدينة مراغة يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسماية، وعاش أربعا وأربعين سنة، فكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور. (أنظر، أحمد بن يوسف القرماني، المصدر السابق، ص ص، 168-170.).

[2] - أنظر، الجدول رقم:04، ص. 454.

[3] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.14.

[4] - أحمد بن يوسف القرماني، المصدر السابق، مج.2، ص ص، 169-170.

[5] - ابي الوفاء القرشي الحنفي المصري، الجواهر المضيه في طبقات الحنفية، ج.1، المصدر السابق، ص.45.

فقد رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور[1]، وأخذ العلم عن أشهر شيوخ العراق، مثل: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو العباس السراجو أبو القاسم وغيرهم[2].

ومن قرية باف[3] التابعة لبلاد ما وراء النهر، رَحل العالم أبو محمد عبد الله بن محمد البخاري، المعروف بالبافي، وسكن مدينة بغداد وكان من أفقه أهل زمانه في المذهب الشافعي، يتقن النحو والأدب، وكان بليغ العبارة، حاضر البديهة، معروف بمحاضراته الجيدة، كان يقول الشعر من غير تكلفة، ويكتب الكتب الطويلة من غير روية ولا تفكير، توفي سنة 398هـ/999م[4].

رحل ابن القفال الكبير الفقيه أبو الحسن القاسم بن أبي بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي، المتوفي سنة 400هـ/1009م، كذلك إلى مدينة بغداد، وكان إماما حافظا ذاع صيته أثناء حياة أبيه، وكان له مصنفات عديدة منها:(التقريب) و(شرح مختصر المزني)[5].

ومن مدينة أسروشنا قام العالم أبو بكر مطرف بن جمهور بن الفضل الأسروشني برحلة إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وزار مدينة بغداد، وحَّدّث بها عن حمدان بن ذي النون وعبد الصمد بن الفضل البلخيين، وروى عنه أبو الحسن علي بن الحربي السكري[6]، ومن نفس المدينة خرج الفقيه المشهور: أبو جعفر محمد الحسن بن المحسن الأشروسني، المتوفي سنة 470هـ/1077م، وزار مدينة بغداد في سنة 430هـ/1038م، وطلب العلم، وتفقه على يد عدد من فقهائها، من بينهم: الفقيه الصيمري وقاضي القضاة أبي عبد الله الدامغـــــاني

[1] - ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المصدر السابق، ج.4، ص ص، 200-201.

[2] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.136؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص ص، 449-450.

[3] - باف: بفتح الباء المنقوطة بواحدة في آخرها الفاء، وهي قرية من قرى خوارزم.(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.2، ص ص، 47-48.)

[4] - نفسه.

[5] - سعاد هادي الطائي: القراخانيون، المرجع السابق، ص.145؛ أنظر، سعاد هادي حسين الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص.453.

[6] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.1، ص ص، 233-234.

والقاضي عبيد الله أبو زيد الدبوسي، ثم رحل إلى بيت المقدس، ورجع إلى بغداد[1].

وممن رحلوا إلى بغداد لدينا محمد بن أحمد البخاري، الذي درس على شيوخ بلاده ثم سافر إلى العراق فأكرمه الوزير السلجوقي نظام الملك[2]، وكان له مجلس يحضره الفقهاء بباب الأزج، وتوفي في عام 482-1089م[3].

[1] - سعاد هادي حسن الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية، المرجع السابق، ص.450.

[2] - هو الخواجة نظام الملك، كان وزيرا للسلطان ألب أرسلان وملكشاه الشلجوقيان على التوالى في مدة ثلاثين سنة(455-475هـ)، حيث وسع آفاق دولة السلاجقة توسعة لم يُرَ لها مثيل، وإنه لم يكن في أنحاء كاشغر، وأوزجند، وبلاساغون، وما وراء النهر، وخوارزم، وخراسان، وبلاد العراق، وأذربيجان، وأرمينية، والشام، من يتأخر عن تنفيذ أوامره، حتى السلطانان المذكوران كانا لا يحيدان عن آرائه وقراراته، وكان أباطرة الروم يطيعونه، وكان حكام الأطراف يعيشون في ظل حمايته، ويضعون كتبه على رؤوسهم، ولد نظام الملك سنة 408هـ في نوقان إحدى قرى "الراذكان" بطوس، وفيها تعلم وقرأ القرآن، وأتقن اللغة العربية وتفقه في الفقه الشافعي، وتعلم الحديث، في كل من طوس ومرو ونيسابور، وكانا ذكيا، بحيث تمكن من أن يلفت إليه نظر جغري بك أخي طغرل السلجوقي، وصار بعد ذلك كاتب ابنه ألب أرسلان، ومتصدي كل شؤونه، ثم عينه وزيرا له عام 451هـ في أثناء حكومته بخراسان، ولما أصبح سلطانا عهد إليه عام 455هـ بوزارة ممالك آل سلجوق زظل يشغل هذا المنصب العظيم إلى آخر لحظات حياته، وعمر الخواجة سبعا وسبعين سنة، ولقب بعدة ألقاب منها:"تاج الحضرتين" لأنه كان وزيرا لسلطانين، ومنح من دار الخلافة لقب"رضي أمير المؤمنين"، في حين أنهم لم يمنحوا أي لقب لأي وزير غيره، ولم يكن نظام الملك بارعا في السياسة، إنما كان ذا خبرة وإطلاع على أكثر العلوم، وكان يسهم في تدبير شؤون الديوان والولاية، ويقوم على تنظيم العساكر وتعبئة الجيوش، فكان يقاتل في طليعة الجيش جنبا إلى جنب مع أبنائه وغلمانه، ويواجه الأخطار بعزم الرجال، وكان لنظام الملك اثنا عشر ولدا، وعدد كبير من الأصهار والأقارب، عهد إلى كل واحد منهم بولاية وحكومة، كما أنه وصل أنصاره بالنعمة، حتى أصبح سلطان السلاجقة من أقصاه إلى أقصاه تحت نفوذه وسيطرته، وكان أمره نافذا في كل مكان، ويروى أنه كان للخواجة نفسه ألف غلام، حتى أن خصومه خوفوا ملكشاه منه وأنه يبيت لأمر، ولكنه استطاع بحسن تدبيره أن يجد مخرجا لسوء الظن هذا، وظل غلمانه بنفوذهم وقدرتهم حتى بعد موت سيدهم، ومن أهم أعمال نظام الملك هي تأسيسه المدرسة النظامية، وبهذا أسس لنظام جديد في حقل التربية والتعليم، من خلال تعيين رواتب وتخصيص مساكن لطلاب العلم، وتأمين سكن ونفقات للمدرّسين، فقد كانت المدارس النظامية مجهزة ليل نهار، ومن هنا أصبحت مكانا جيدا لتحصيل العلم والمطالعة للطلاب والعلماء على حد سواء، وكان من أشهر هذه المدارس، نظامية نيسابور، ونظامية بغداد، فقد كان يحضر في الأولى ثلاثمائة طالب يوميا، وعلى مدى ثلاثين سنة، للإصغاء إلى درس إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني(ت: 478هـ)، والإمام محمد الغزالي، أما نظامية بغداد(أسست بين عام 457-459هـ)، فكانت لها أوقاف كثيرة من أسواق وحمامات ودكاكين وضياع، لتأمين أجور العمال والأساتذة، ونفقات الطلبة، وكان فيها مكتبة قيمة وأساتذة ومعيدون وكتبة وحراس وخدم كثيرون، حيث كانت نفقة الأساتذة والطرب خمسة عشر ألف دينار سنويا، وكان عدد طلابها ستة آلاف، وأوجد نظام الملك نظاميات أخرى في البصرة وأصفهان وبلخ وهراة ومرو والموصل، وكان التعليم في النظامية ضربا من التعصب للمذهب الشافعي، ولم يكن يدرس فيها سوى الآداب والعلوم الدينية فقط، ويحضر تدريس العلوم العقلية، قتل الخواجة نظام الملك من قبل رجل كان يرتدي لباس الصوفية وتظاهر بتقديم له رسالة، واقترب منه وطعنه بسكين فأرداه قتيلا في 10 من رمضاء 485هـ.(أنظر، نظام الملك الطوسي(ت:485هـ): سير الملوك أو سياسة نامه، تر، يوسف بكار، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، 2012م، ص ص، 11- 26.)

[3] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.21.

رحل من عاصمة القراخانيون بلاساغون الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن موسى البلاساغوني، إلى مدينة بغداد وأكمل طلب العلم فيها، فدرس الفقه على يد القاضي أبي عبد الله الدامغاني الحنفي، وبعد ذلك رحل إلى بلاد الشام وتولى قضاء بيت المقدس ثم أصبح قاضي مدينة دمشق ،ومات بها في سنة 506هـ/1112م[1].

ومن علماء تركستان الذين وجُدوا في مدينة بغداد، لدينا الفقيه: ابراهيم بن عثمان بن يوسف بن ايوب ابو اسحاق بن ابي عمرو الكاشغري، الذي ولد في مدينة بغداد، وكان فقيها معروفا هناك، وقد ولد في مدينة بغداد في 12 جمادى الآولى سنة 554هـ، وكانت وفاته في 645هـ[2].

زار كذلك بغداد العالم الصوفي، المقرئ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عثمان التركستاني الأصل، وهو أخو عمر وعثمان ابنى إبراهيم المعروف ببني التركي الواعظ، قدم بغداد وسمع بها الحديث مع أخيه عمر، وأقام معه برباط الزوزني حيث كان ينوب عنه لما يكون مسافرا، فتكلم في الوعظ، وتوفي بمدينة واسط، وهو لا يزال شابا في 27 ذي الحجة 598هـ/1193م[3].

ومن الفقهاء القراخانيين الأويغور الحنفية الذين كان لهم صيت كبير في بغداد، أذكر: أحمد بن مسعود بن علي أبو الفضل، التركستاني، الفقيه المعروف بضياء الدين، الذي رحل من تركستان إلى بغداد لطلب الفقه وتتلمذ على يد كثير من فقهائها، واختص بخدمة الوزير ناصر ابن مهدي العلوي، وكان هذا الأخير ينفذه في الرسائل من الديوان إلى الأطراف، كما كان يعرض عليه الرقاع للناس، وولاه على المظالم والتدريس بمشهد أبي حنيفة الموجود بباب الطاق، وبعد عزل الوزير ابن المهدي عن الوزارة في سنة 604هـ/1207م، جعل له النظر في أوقافه، وأوكل إليه الرئاسة على أصحابه وخلع عليه خلع سوداء، وخوطب بالاحترام التام، وفي سنة 607هـ/1210م أجازه الخليفة مع من أجاز

[1] - ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج.1، ص.476.

[2] - ابي الوفاء القرشي الحنفي المصري: الجواهر المضيه في طبقات الحنفية، المصدر السابق، ج.1، ص.42.

[3] - ابن الفوطي، المصدر السابق، ج.5، ص.84.

من المشايخ في تلك السنة، وكان التركستاني قد تفقه وبرع في علم النظر، وانتهت إليه الرئاسة في مذهب أبي حنيفة، وكان عفيفا نزيها، توفي 26 بيع الآخر سنة 610هـ/1213م، وصلى عليه بالمدرسة النظامية ودفن بمقبرة الخيزران، المجاورة لمشهد أبي حنيفة[1].

لم يقتصر علماء الدولة القراخانية على الإلتحاق ببغداد والدراسة بها فقط، بل لدينا عدد كبير منهم من دَّرَّسَ في مدارسها النظامية، وممن دَّرس فيها من علماء بلاد ما وراء النهر وتركستان، أذكر:

- العالم محمد بن أحمد أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي(427-507هـ/1035-1111م)، صاحب كتاب:(الشامل) وهو من أجود كتب الشافعية، دّرس بالنظامية وصنف كتاب أخر سماه:(المستظهري) للخليفة المستظهر بالله(470-512هـ/1073-1118م)، توفي أبو بكر الشاشي ودفن عند أبي اسحق الشيرازي[2].

- لدينا الشريف العلوي الدبوسي، الذي رحل إلى مدينة بغداد وأصبح له باع طويل هناك فعينه نظام الملك مدرسا بالمدرسة النظامية، وتوفي في سنة 482هـ/1089م[3].

- ودّرس فيها الفقيه أبو بكر محمد بن ثابت بن الحسن بن علي الخجندي، المتوفى سنة 483هـ/1090م، وكان فقيها واعظا أصوليا، له مصنفات كثيرة منها: كتاب(زواهر الدرر أو نقض جواهر النظر)، وكتاب(روضة المنظار)[4].

- كما دّرس فيها العالم أبو بكر محمد الشاشي، التوفي سنة 505هـ/1111م[5].

---

[1] - ابن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق، ج.1، ص.331 فما بعدها؛ تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المضري الحنفي(ت 1005هـ): الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو،ج.2، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، السعودية، د.ت.ن،ص ص، 106-107.

[2] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.21.

[3] - نفسه، ص.21.

[4] - سعاد هادي حسن الطائي: الحركة العلمية، المرجع السابق، ص.453.

[5] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.21.

- ودّرس فيها أبو حفص عمر بن محمد النسفي، المعروف بصاحب مائة مؤلف، الذي ذهب إلى بغداد حاجا في سنة 507هـ/1113م، كما دّرس بالمدرسة التتشية، ولعله أول من درس فيها من أهل ما وراء النهر[1].

- منهم أيضا أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي، المعروف بالمستظهري والملقب بفخر الإسلام، المتوفى سنة 507هـ/1113م، رحل إلى مدينة بغداد ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي وقرأ عليه، كما درس كتاب:(الشامل) في الفقه على يد مصنفه أبي نصر ابن الصباغ، ثم ذهب إلى نيسابور بعدها عاد إلى بغداد، وعين لتدريس الفقه بالعراق بعد أستاذه أبي إسحاق ثم انتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية، وتولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد إلى غاية وفاته[2]، وقام ببناء مدرسة باسم الشاشي في مدينة بغداد لشرقية شافعية المذهب[3].

وقد ولد وعاش في بغداد الفقيه إبراهيم بن عثمان بن يوسف بن أيوب بن إسحاق بن أبي عمرو، الكاشغري المحتد الزركشي، البغدادي الدار والوفاة، في سنة 554هـ/1159م وتوفي سنة 645هـ/1247م[4].

ثمة عالم كان له صيت واسع في أنحاء العالم الإسلامي ودرس في المدرسة المستنصرية[5] ببغداد، وهو العالم رشيد الدين عمر بن محمد أبو حفص الفرغاني، كان زاهدا يجمع بين فنون العلم، لديه خط جميل، جيد الإنشاء لطيف النظم، دخل إلى بغداد وقدم فوائد كبيرة في الفقه وعلم الأدب وتعليم الخط، ثم سافر إلى الشام وسكن بسنجار حيث درس الفقه

---

[1] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.21.

[2] - ابن خلكان، المصدر السابق،ج.4، ص ص، 220-221.

[3] - سعاد هادي حسن الطائي: الحركة العلمية، المرجع السابق، ص.450.

[4] - بن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق،ج.1، ص.92.

[5] - تأسست في سنة 625هـ وتم إفتتاحها في سنة 631هـ وإستمرت إلى سنة 1048هـ، بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله (623-640هـ/1226-1242م)، وهو أو من ابتكر فكرة جمع المذاهب الفقهية الأربهة في بناية واحدة، فكانت أعظم جامعة علمية ببغداد في أواخر الدولة العباسية، عنيت بتدريس علوم القرآن، والسنة النبوية، والمذاهب الفقهية، وعلوم العربية، والرياضيات، وقسمة الفرائض والتركات، ومنافع الحيوان، وعلم الطب وحفظ قوام الصحة، وتقويم الابدان في آن واحد.(أنظر، ناجى معروف: تاريخ علماء المستنصرية، وزارة المعارف، بغداد، 1379هـ/1959م، ص.1.).

والأدب والأصول، ثم رجع إلى بغداد وعرض عليه التدريس في المدرسة التتشية فرفض، ولما فتحت المدرة المستنصرية في سنة 631هـ/1233م ندب إلى التدريس فيها، ولم يزل مدرسا فيها حتى وافاه الأجل سنة 632هـ/1234م، وقد كان إماما في الفقه والأصول والخلاف وعلم الكلام والفلاسفة وعلم العربية، وكان يكتب بخط جميل، وله نظم ونثر بليغ وهو أول من درس للحنفية بالمستنصرية[1].

لم يقتصر علماء الدولة القراخانية الأويغورية على الذهاب إلى بغداد بل منهم من توجه إلى مدينة دمشق والشام، أذكر منهم: الفقيه محمد بن أحمد بن عبيد البخاري، الذي قرأ بما وراء النهر ثم سافر إلى الشام وتولى القضاء بحلب، ثم أنفذه حاكمها أنوشتكين برسالة إلى سكان بلاد ما وراء النهر، وسجن هناك مدة من الزمن، ثم أطلق سراحه ورحل إلى مصر ثم إلى بغداد وقصد الوزير نظام المُلْك السلجوقي - تم تعريفه سابقا -، فأكرمه، وأجرى عليه الأعطيات، وأعطى لأبنه أبي اليمين مسعود جراية سَنِيَّة، وأقاما ببغداد، وكان هو وابنه يجيدان الكلام في مذهب المعتزلة، ويقيمان مجلسا للمناظرت بدارهما المجودة بباب الأزج يحضره الفقهاء، توفي أبو جعفر في سنة 482هـ/1090م، وتقلد ابنه أبو اليمين المراتب عند الوزير ابن عميد الدولة أبي منصور بنجهير، ثم التحق بسيف الدولة أبي الحسن صدقة بن مزيد، ومات هناك بالنيل سنة 491هـ/1098م[2].

وممن إلتحق بالشام من عاصمة القراخانيين بلاساغون، أذكر: الفقيه محمد بن عبد الله البلاساغوني المعروف بالتركي، وتولي القضاء إلى غاية وافته في جمادى الآخرة من سنة 506هـ/1112م[3].

ولدينا محمد بن أحمد البخاري الذي درس على شيوخ بلاده ثم سافر إلـــى الشام، وولي

---

[1] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.22.

[2] - بن أبي الوفاء القرشي الحنفي،المصدر السابق،ج.3، ص.44. فما بعدها.

[3] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.22.

قضاء مدينة حلب ثم رحل إلى مصر وأقام فيها سنين ثم ذهب إلى العراق[1]. ولدينا المحدث أبو الفضل أحمد بن علي بن عمرو السليماني البيكندي[2]، يقول عنه السمعاني: أنه من الحفاظ المكثرين، كان يصنف في كل أسبوع مجموعا في الجامع حتى صنف أكثر من أربعمائة مصنف صغير، وكان يحدث في الجامع كل يوم جمعة، قام برحلة لزيارة العراق والشام وديار مصر، وتوفي سنة 412هـ/1021م[3].

رحل إلى الشام من بلاد ما وراء النهر في عهد الدولة القراخانية، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، الملقب بـ"ملك العلماء"، تفقه على يد محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي المعروف بـ"علاء الدين"، وقد زوجه ابنته فاطمة[4]، وكانت فقيهة عالمة، ولزم أباها وبرع في علمي الأصول والفروع، وصنف كتاب:(البدائع) وهو عبارة عن شرح لكتاب شيخه المسمى:(التحفة)، فقال فقهاء زمانه: "شرح تحفته، وزوجه ابنته"[5].

كما سافر الكاساني إلى دمشق، وأُرْسِل رسولا من طرف ملك الروم إلى نور الدين محمود بحلب، وسبب ذلك أنه تناظر مع فقيه ببلاد الروم، في مسألة المجتهدين، فتغلب عليه الكاساني، فقال الوزير هذا رجل محترم، لا ينبغي أن نصرفه، بل ننفذه رسولا إلى الملك نور الدين محمود، فأعجب به هذا الأخير وولاه إدارة مدرسة الْحَلاوِيَّة، وذلك بطلب من الفقهاء،

---

[1] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق ، ص.21.

[2] - بيكند: من بلاد ما وراء النهر علي مقربة من مدينة بخارى، وهي بلدة كبيرة وحسنة كثيرة العلماء(أنظر، السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.2، ص ص، 373-374.).

[3] - نفسه، ج.2، ص.373.

[4] - فاطمة بنت محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، مؤلّف كتاب(التحفة)، وهي زوجة الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، صاحب كتاب(البدائع)، أخذت الفقه على أبيها، وحفظت مصنفه(التحفة)، وكانت تَنْقُلُ المذهب نقلا جيدا، وكان زوجها الكاساني ربما يهيم في الفُتْيَا، فترده إلى الصواب، وتعرفه وجه الخطأ، فيرجع إلى قولها، وكانت تفتي وزوجها يحترم فتوتها ويكرمها، وكانت الفتوى قبل أن تتزوج تخرج عليها خطها وخط والدها، ولما تزوجت الكاساني أصبحت الفتوى تخرج بخط الثلاثة، وهي من سنة سنة إفطار الفقهاء بمدرسة الحَلاَوِيَّةِ في شهر رمضان بحلب، حيث باعت سواريها وصنعت بثمنهما فطور في كل ليلة، مات رحمها الله ودفنت بحلب.(أنظر، بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، المصدر السابق، ج.4، ص.122. فما بعدها.).

[5] - نفسه، ج.4، ص.25. فما بعدها.

وألف كتاب أخر اسمه:(الُّلطان المبين في أُصولِ الدين)، وتوفي يوم الأحد 10 من رجب سنة 487هـ/1094م، ودفن عند زوجته، داخل مقام سيدنا إبراهيم الخليل، بظاهر مدينة حلب، وسمي ذلك المكان بـ: قبر المرأة وزوجها[1].

لدينا العالم جمال الدين محمد بن أحمد البخاري الحصري، ولد بمدينة بخارى في محل يصنع فيه الحصير، وبدأ دراسته في بلده فتفقه على يد الإمام الحسن بن منصور قاضي خان الأوزجندي، وكان من تلامذته المخلصين له، ثم رحل إلى مدينة نيسابور ليزيد في العلم فدرس فيها الحديث، بعده رحل إلى مدينة حلب وأكمل دراسة الحديث فيها ثم إلتحق بدمشق في سنة 611هـ/1214م، وعُين مدرسا في المدرسة النورية، وحضر الملك المعظم عيسى مع الفقهاء في أول درس ألقاه فيها[2].

له مؤلفات عديدة منها:(التحرير في شرح الجامع الكبير)، وهو في ثمانية مجلدات، شرح فيه كتاب الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وله كتاب:(الطريقة الحصرية في علم الخلاف بين الشافعية والحنفية)، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم: 366- أصول الفقه، وبقى يدرس بالنورية خمس وعشرين سنة حتى توفى سنة 636هـ/1238م عن عمر يناهز تسعون سنة، ومن أشهر تلاميذه سِبْط بن الجوزي[3].

يذكر ابن الفوطي: أن هناك من زار بلاد الروم من علماء بلاد ما وراء النهر في عهد الدولة القارخانية، من بينهم: المحدث الواعظ الصوفي مظفر الدين أبو المعالي مطهر بن سيف الدين سعيد بن المطهر بن سعيد البخاري، الذي ذهب إلى بغداد وروى بها الحديث وعقد مجلسًا للوعظ، ثم سافر إلى آذربيجان وبعدها إلى مدينة مراغة وتولى العمل في مدرسة الخليفة هناك، وتصدر مجلس الكلام وذاع صيته، ثم سافر إلى بلاد الروم وسكن في مدينة قيصرية، وتوفي بها سنة 681هـ/1282م، وكان عالما فصيحا، سمع الحديث عن والده وعــدد

[1] - بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، المصدر السابق، ج.4، ص.25. فما بعدها.

[2] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص ص، 20-21.

[3] - نفسه، ص ص، 20-21.

كبير من الأئمة، وألف كتب في النثر والنظم[1].

هناك من العلماء من رحل إلى مصر، أذكر: محمد بن أحمد أبو جعفر البيكندي (ت 482هـ/1089م) القاضي، الذي ناظر فيها جماعة من الإسماعلية، منهم المقدم أبو نصر هبة الله، ورد عليه في كتاب سماه: (الهدي والإرشاد لأهل الحيرة والعناد)[2].

كما زار العالم شجاع الدين هبة الله بن أحمد بن معلى الطرازي، التركستاني، الحنفي المذهب، مصر وتوفي بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة في سنة 733هـ/1332م، وأصله من تركستان، ورحل إلى دمشق وطلب الفقه فيها، وكان فقيها، أصوليا، نحويا، دائم الاشتغال والكتابة مع كبر سنه، حيث قُرِأ عليه المصنف:"قطعة من النار" في أصول الفقه، وكتاب:(المثال) في أصول الدين، كله، ونقل عنه ضبط "داد" ومعناه[3].

وهناك من علماء الدولة القارخانية من زار بلاد الأندلس[4]، مثل نصر بن الحسن بن القاسم بن أبي حاتم الشاشي التنكتي، الذي ولد في سنة 406هـ/1015م، دخل الأندلس وحدث فيها وسمع هناك على عدد من العلماء[5].

<u>2- العلماء الذين رحلوا من حواضر العالم الإسلامي إلى بلاد الدولة القراخانية.</u>

لم تقتصر الهجرة لطلب العلم من طرف علماء بلاد ما وراء النهر وتركستان إلى بغداد والشام ومصر فقط، بل هناك عدد كبير من أقرانهم من مختلف البلدان الإسلاميـــــة

---

[1] - ابن الفوطي، المصدر السابق، ج.5، ص.314.

[2] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.15.

[3] - ابن سالم بن أبي الوفاء القرشي، المصدر الاسابق،ج.1، ص.33.

[4] - الأَنْدُلُس: يقال بضم الدال وفتحها، وضم الدال ليس إلا: وهي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها العرب في الإسلام، وقد جرى على الألسن أن تلزَم الألف واللام، والأندلس جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها نحو الشهر في نيف وعشرين مرحلة، تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر، وهي جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث قد أحاط بها البحران، المحيط والمتوسط، وهو خليج خارج من البحر المحيط قرب سَلاَ من برّ البربر.(أنظر، ياقوت: معجم البلدان، المصدر السابق، ج.1، ص.262. فما بعدها.).

[5] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.22.

الذين زاروا حواضر الدولة القراخانية، مثل: سمرقند وبخارى وكاشغر وبلاساغون، وسوف أحاول في هذا المطلب ذكر البعض منهم.

فمن مدينة البصرة[1]، رحل العالم أبي حسان عيسى بن عبد الله بن عمرو بن محمد بن يحي بن عمرو بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان البصري، ويقال: البغدادي الجوال في البلاد، حيث دخل إلى سمرقند وبخارا ونسف وحدث بهم الحديث، ومات بالطالقان سنة 320هـ/932م[2].

هناك مِن العلماء مَن رحل من أرض الأندلس ليطلب العلم في بلاد ما وراء النهر أذكر، منهم: أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الملك بن نصر الأندلسي الحافظ الأموي، كان من أجّل العلماء، سمع الحديث ببلاد المغرب، ثم انتقل إلى مصر وسمع فيها الحديث عن أصحاب يونس بن عبد الأعلى وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب، وبالشام أدرك أصحاب هشام بن عمار ومحمد بن عزيز الأيلي، وبمكة أخذ الحديث عن أبا سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي، وببغداد عن أبا علي إسماعيل بن محمد الصفار وغيرهم، ثم انتقل إلى الكوفة والتقى بالسمعاني ثم ذهب إلى نيسابور ثم إصباهان ومرو، ثم ذهب إلى بخارى وسمع من العالم ابن خنب، ثم قصد المحدث: علي بن محتاج وأبي يعلي ألنسفي الموجود في كشانية، ثم دخل الشاش، ومنها رحل إلى اسبيجاب وكتب بها الكثير من الأحاديث، ثم انصرف إلى بخارى واستوطنها، وتوفى بها سنة 365هـ/975م[3].

ومن مدينة عاصمة الدولة الغزنوية، غزنة[4] زار العالم الفاضل أبي سهل بن عمـــر بن

---

[1] - البصرة: بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وفي آخرها الراء، الموجودة في اعراق، تعرف بقبة الإسلام وخزانة العرب، بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب رضي اللع عنهما، في سنة 17هـ وسكنها الناس ستة ثماني عشر.(أنظر، السمعاني، المصدر الابق، ج.2، ص. 236.).

[2] - النسفي، القند،المصدر السابق، ص.456.

[3] - السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج.1، ص ص، 365-366.

[4]- غزنة: بفتح الغين المعجمة والزاي الساكنة(المعجمة) وآخرها النون المفتوحة، وهي بدة كبيرة من أو الهند. (أنظر، المصدر نفسه، ج.9، ص.142.).

محمد بن إبراهيم بن أبي أحمد بن أحمد بن الفضل، العطار الصفار، المحتسب الغزنوي مدينة سمرقند، وأملى فيها في رباط المربع سنة 429هـ/1038م[1].

يذكر المؤرخ السمعاني صاحب كتاب:"الأنساب"، ممن رحل واستقر في مدينة سمرقند من أهل مكة، أبو المظفر خلف بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، كان والد جده محمد من أهل مكة المكرمة، ثم رحل إلى مدينة سمرقند واستقر بيها بقرية يقال لها روذان، وأنجب فيها الكثير من الأولاد، وقد ولد أبو المظفر في مدينة الجرجانية بخوارزم سنة 504هـ/1110م، وكان جليل القدر، حسن السيرة، ساكنا وقورا، ويذكر السمعاني أنه قدم عليهم في مرو وقعد ليطلب العلم معهم في الجامع رمضان[2].

ومن مدينة بغداد سافر إلى سمرقند في سنة 510هـ/1116م، الشيخ العالم الحجاج أبي الفرج رستم بن العباس البغدادي، وذلك رفقة رسول الخليفة عطية بن علي بن عطية القرشي في سفارة إلى محمد بن سليمان خاقان الدولة القراخانية[3].

أما في سنة 515هـ/1121م، زار مدينة سمرقند الأمير العالم علي بن محمد بن طاهر العراقي الزكي، وكان فاضلا، بليغ اللسان، حافظا للأشعار والقصص عن الأتراك ولباسهم، جيد الخط، بقي في سمرقند وسمع فيها الكثير من الأحاديث ثم رجع إلى العراق[4].

وقصد بلاد ما وراء النهر أبو سليمان داود الأربلي الموصلي، ونزل بمرو في سنة 520هـ/1126م، ومنها خرج إلى بلاد ما وراء النهر، كما قصد تلك البلاد شيخ الحنفية بدمشق، أبو الموفق برهان الدين مسعود القرشي الأموي المدرس بالنورية والخاتونية، مدينة بخارى، واطلع على الدراسات الفقيهة المتواجدة هناك، وتوفى عام 599هـ/1202م[5].

---

[1] - النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، المصدر السابق، ص.90. فما بعدها.

[2] - السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ص.59.

[3] - النسفي، القند في ذكر علماء سمرقند، المصدر السابق، ص.59.

[4] - نفسه، ص.433.

[5] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.20.

ومن بلاد المغرب[1] زار الحسن عمران بن موسى بن الحسن السني المغربي المالكي، بلاد ما وراء النهر، وتجول بين مدينة بخارى وسمرقند وفرغانة، وكان يلقب بـ"السيد العالم البليغ"، وكان ماهر في الكتابة، ماهر في قول الشعر، مناظر جيد، والتقى بعدد من ملوك المنطقة، وناظر العلماء ونظم الشعر البليغ بما وراء النهر، كما كتب رسائل هناك، وكان ذلك في سنة 432هـ/1040م[2].

كما خرج من نفس المنطقة العالم: موسى بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن سنان ابن عطاء بن عبد العزيز بن عطية بن ياسين بن عبد الوهاب بن سحبان بن عاصم القحطاني، أبو هارون المغربي، في رحلة إلى بلاد المشرق، وبقى في بخارى مدة 13 سنة وتفقه فيها، وكان فاضل، مناظر، وشاعر بليغ، محدث، محاضر، ضل ينشر الحديث والفقه، ويقيم المناظرات، ويدرس علم الكلام[3].

وقد زار محب الدِّين أبو محمد عبد العزيز بن الحسين بن عبد العزيز ويعرف بابن هلالة، الأندلسي الطبيري المحدث، بلاد ما وراء النهر، فقد قدِم إلى مكة المكرمة مع الحجاج في سنة 605هـ/1208م طالبا للحديث، وأخذ عن المحدثين هناك، ثم ذهب إلى واسط وسمع من القاضي ابن المندائي، ثم رحل إلى أصبهان وسمع من أبي المجد زاهر بن أبي طاهر الثقفي، وبعدها سافر إلى خراسان وسمع من أصحاب أبي عبد الله الفراوي، ثم شد الرحال إلى خوارزم ومرو وبخارى وسمرقند وسمع الحديث هناك، ثم عاد إلى بغداد وتوفي بها في شهر رمضان سنة 617هـ/1220م[4].

وقد قصد بلاد تركستان العالم: كمال الدين أبو العباس أحمد بن أبو الفضائل الدخميسـي

---

[1] - بلاد المغرب: بافتح ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كصيرة ووَعْثاء شاسعة، حدّها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر دبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس وإن كانت إلى الشمال أقرب، وطول هذا في البر مسيرة شهرين. (أنظر، ياقوت: معجم البلدان، المصدر السابق، ج.5، ص.161.).

[2] - النسفي، المصدر السابق، ص ص، 467-468.

[3] - بن أبي الوفاء القرشي الحنفي،المصدر السابق،ج.3، ص ص، 519-520.

[4] - ابن الفوطي: المصدر السابق، ج.5، ص ص، 21-22.

(الدخميس وهي إحدى قرى مصر في الناحية الغربية)، وكان هذا الأخير قد ارتحل إلى مدينة بغداد، وسمع العلم عن شيوخها، ثم سافر إلى خراسان ومنها إلى بلاد ما وراء النهر وقصد مدينة كاشغر وختن، وسمع العلم عن شيوخها وصنف كتاب:(تقييد الإسناد عن شيوخ مدينة السلام بغداد)[1].

لدينا كذلك عالم أخر رحل من مدينة نسف إلى بلاد ما وراء النهر ومات في بلاد تركستان، في محرم سنة 514هـ/1120م، وهو: سعيد الملك أبي محمد عبد السيد بن محمد بن عطاء بن إبراهيم بن موسى بن عمران بن إسحاق بن حمدوية بن أفدوية الأفراني النسفي[2].

نلاحظ أنّ الحياة العلمية في عهد الدولة القراخانية الأويغورية في بلاد ما وراء النهر وتركستان كانت مزدهرة، لذلك كان العلماء يشدون إليها الرحال للإستزادة في العلم والتدريس، والإحتكاك بالعلماء الموجودين هناك عن طريق إقامة المناظرات، وقد حفل عصر الدولة القراخانية بذلك، هذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى إهتمام الحكام القراخانيون بالعلم والعلماء، لذلك نشطت الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر والتركستان في عهدهم، وكثرت الرحلات العلمية من تلك المنطقة إلى بغداد والشام ومصر والأندل والعكس.

---

[1] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.20.

[2] - النسفي، المصدر السابق، ص.288.

الفصل الرابع:

إسهامهم فى المجال الأدبى والثقافى:

المبحث الأول: اللغة الأويغورية.

المبحث الثاني: تطور الطباعة والترجمة لدى الأويغور.

المبحث الثالث: الإنتاج الأدبي الأويغوري.

المبحث الرابع: الأدباء الأتراك الذين برزوا في عهد الدولة القراخانية.

المبحث الأول: اللغة الأويغورية:

تعتبر الأبجدية الأويغورية(أنظر، الصورة رقم:12)[1] من بين أرقى الأبجديات التركية المعروفة في آسيا الوسطى، فقد دونت بها العديد من المخطوطات والكتب والرسائل، وكان لها آثر كبير في المجتمعات الآسيوية، وسوف أحاول التطرق في هذه الجزئية من الموضوع إلى التعريف باللغة الأويغورية، وكيفية تطورها، ونوعية الإنتاج الأدبي الذي كتب بها.

تعد اللغة التركية من بين اللغات الالتصاقية التي تتميز بها لغات ألتاي- أورال[2] التورانية[3]،(أنظر، الخريطة رقم: 10)[4] وتتشعب اللغة التركية إلى فرعين هامين: الفـــــرع

---

[1]- أنظر، الصورة رقم: 12، ص. 411.

[2] - قمت مجموعة من الأقوام التي تتشبه من حيث السمة الأقوام الآرية والسامية والمنغولية من قبل علماء القرن التاسع عشر، بأقوام أورال- ألطاي، وهي تدل على نفس المعنى للأقوام الطورانية التي تنتمي إلى العرق الأبيض، وتنقم مجموعة أقوام أورال- ألطاي إلى قسمين رءيسيين: أورال أو(أقوام قين- أوغور) وأقوام ألطاي، أما القسم الأول فهو على قسمين: أقوام ألفين وأقوام أوغور، وتتألف أقوام فين من ثمانية أقوام هي: اللابون، وألفين(وتضم الكاريل)، والأستون، والموردفين، والجرميس(الماريون)، والفوتياك(الأدمورتيون)، والزوين(الكوميون)، والساموید، وإن أقوام الموردفين والجرميس والفوتياك والزورين تتشابه فيما بينها وتشكل مجموعة يطلق عليها اسم أقوام فين الفولجا، أما الساموید فيشكلون حلقة الوصل بين أقوام فين وأوغور ضمن الأقوام الأورالية، أما فيما يخص المجموعة الثانية الخاصة بأقوام أوغور فتضم المجريين إضافة إلى أقوام الفوكول ةالأوستياك القليلة العدد، أما الغالبية العظمى لأقوام أورال – ألطاي تشكلها أقوام الألطاي والأتراك، ويشكل أقوام ألطاي من ثلاثة أقوام رئسية هم: الأتراك والمغول والمانجو- تونكوز، ويقترب المانجو من قوم التونكوز. (أنظر، يالماز أوزتونا: المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص ص، 22-23.).

[3] - أرض توران: تقول الرواية أن الملك أفريدون كان له ثلاثة أولاد هم: "شرج" و"طورج" و"ايرج"، وقبل وفاته قام بتقسيم المناطق بينهم، فأعطى ابنه "شرج" ناحية الروم والعرب، وخص"طورج" بالصين ونواحي الترك، وأعطى ابنه "إيرج" العراق والسند والهند والحجاز، فتأمر كل من طورج وشرج على قتل أخيهما الأخر، وتقاسما الملك بينهما، فسميت المنطقة التي بحوزة طورج بـ"طوران" وسميت مملكة إيرج بـ:"إيران"، ومن ثم عرفت المنطقة التي يسكنها أهل الفرس غرب نهر جيحون بإيران، وأصبح سكانها يعرفون بالإيرانيون، أما الأرض التي تقع شرقه ويقطنها الترك فعرفت بتوران، وأصبح سكانها يعرفون بالتورانيون.(أنظر، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو صيت ألكرمي، بيت الأفكار الدولية، المملكة العربية السعودية، بدون أجزاء، ص 31؛ الرمزي: تلفيق الأخبار وتلفيق ، المصدر السابق، مج 1، ص ص، 68،69؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، المصدر السابق، ج1،ص 108.).

[4] - أنظر، الخريطة رقم: 10، ص. 389.

الأويغوري الخاقاني(الخاقاني نسبة إلى الدولة القراخانية) والفرع الأوغوزي[1]، وتتفرع منهما لهجات كثيرة تتحدث بها شعوب آسيا الوسطى[2]، وقد إستطاع العالم الفلندي بالرحلات العلمية التي قام بها فيما بين سنوات: 1838م و1849م إلى جبال أورال/ آلتاي،(أنظر، الخريطة رقم:10)[3] في وضع حد للخلافات التي كانت تُثار حول الأصل الذي كانت تنحدر منه اللغة التركية، وخَلُص إلى نتائج علمية هامة، مفادها أن أسرة اللغات الأورالية/ الألتائية تشمل خمسة فروع رئيسية، هي:

1- الفرع الأويغوري (ugur).
2- الفرع الفلندي- الأويغوري (Fin-Ugur).
3- الفرع المغولي (Mogol).
4- فرع صامويد (Samoyed).
5- الفرع التونغوزي (Tunguz)[4] .

[1] - كانت قبائل الأوغوز التركية الأصل يتقطن بين الخزر وأرال وشرق أرال والسواحل الشمالية لبحر الأسرار والمناطق الممتدة جنوبا إلى البلاد الإسلامية، وأصبحت هذه المناطق تحت حكم السامانيين الفرس، وقد رحلت بعض قبائل الأوغوز إلى أوربا بعد أن عبرت نهري ايتيل(الفولجا) ويايق(أورال)، وتسربوا إلى البلقان مؤثرين على تاريخ أوربا الشرقية في القرن الحادي عشر، وتشير المصادر البيزنطية إليهم باسن أوز(UZ) وتذكرهم المصادر الروسية تحت اسم تورك(Tork) وجمعها الأتراك(Torki)، وعاش هؤلاء لفترة في شمال الخزر بين نهري ايتيل ويايق ثم عبروا إلى أوكرانيا الحالية، ثم عبروا نهر الدانوب ووصلوا إلى اليونان ونهبوا المقاطعات البيزنطية في سنة 1065، وقد كانت هناك وحدات من الأوغوز والبجناك في الجيش البيزنطي في معركة مالازكيرت التي دارت رحاها في عام 1071م، وقد عجلت هذه الوحدات بهزيمة البيزنطيين وذلك بعد أن إلتحقت سريعا بالجيش السلجوقي، أما الأوغوز الذين بقوا بالقرب من الفولجا فقد كونوا مملكة خاصة بهم وكانت تتبع إل دولة الخزر في القرن العاشر، إلا أنها كانت ترتبط بعلاقات وروابط مع الدولة القراخانية أيضا وتمكنوا فيما بعد من إنتزاع العرش منهم، وقد كان بحر قزوين يشكل الحدود الغربية للمملكة الأوغوز، أما الحدود الشمالية الشرقية فكانت تتوقف عند نهر أمبا الذي يصب في قزوين، وتنحدر من الشمال الغربي إلى الشمال حتى تصل إلى بحيرة جالقار الواقعة شمال ارال وتصل إلى صاري صو في الشمال الشرقي، وتتوقف في قاراداغ في الشرق.(أنظر، يالماز أوزتونا: مدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص. 343. فما بعدها.)

[2] - نصر الله مبشر الطيرازي، المرجع السابق، ص.56.

[3] - أنظر، الخريطة رقم:10، ص. 389.

[4] - الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص.100.

تعتبر هذه الفروع ذات أهمية لدى شعوب وسط آسيا، ويشير المؤرخ القراخاني محمود الكاشغري إلى أهمية اللغة التركية، ويؤكد على ضرورة تعلم لهجات القبائل التركية خاصة في عصره، لأن الأتراك بلغوا أعلى المراتب بتكوينهم دول قوية، حيث يقول:"فإني نقبت بلادهم وفيافيهم، واقتبست لغاتهم وقوافيهم، تركية وتركمانية أغُزِية وجكيلية ويغمائية وقرقزية، مع كوني من أفصحهم لسانا، وأوضحهم بيانا، وأحذقهم جنبا، وأعرقهم محتدا، وأثقبهم سنانا، حتى استقام عندي لغة كل طائفة منهم أحسن قوام، والفته ابلغ تأليف في أزين نظام"[1].

يعطينا هذا الأخير معلومات دقيقة عن الحروف التي تتكون منها اللغة التركية، فيقول:"الحروف التي تدور عليها ألسنة التُرك بأسرها هي ثمانية عشر حرفا أصلية تركب منها الكتابة التركية، تجمعها هذه المقالة:(أخوك. لف. سمح. نزق. بذر. شتيا)"[2]، وهناك سبعة أحرف فرعية أخرى لا ذكر لها في الخط، وهي: الباء الصلبة، والجيم العربية، وهي عزيزة في هذه اللغة، والزاي المتولدة بين مخرجي الزاي والشين، والفاء العربية، والغين المعجمة، والكاف المتولدة بين مخرجى القاف والكاف، وكاف الغنة المتولدة بين الغين والقاف والنون والقاف، فهذا الحرف أصعب للنطق لغير الترك، وتكتب هذه الأحرف الفرعية على صيغة الحروف الأصلية لكنها تنطق، فيعرف بها[3].

لا توجد في لغات الترك بأسرها حرف الثاء، وإذا احتيج إلى كتابة الثاء كتبت على صورة الذال التركية ويجعل عليه تنقيط، وكذلك الضاد تكتب كالذال وتنقط، بل لديها حروف إطباق مثل: الطاء والظاء والصاد والضاد، ولديها حروف الحلق مثل: الحاء والهاء والعين[4]، وكلام الترك يحتوي على الإشباع والإمالة والإشمام إلى الحركات الثلاث والصــلابة

[1] - محمود الكاشغري: ديوان لغات الترك، المصدر السابق، ج.1، ص.3.

[2] - نفسه، ج.1، ص. 7.

[3] - نفسه، ج.1، ص. 8.

[4] - نفسه، ج.1، ص ص، 8-9.

في اللفظ والركة والغنة والحرف الخيشومي والجمع بين الساكنين واجتماع القاف مع الجيم ومبادلة الباء بالميم والنون باللام وغير ذلك[1].

يعتبر هذا الخط هو الخط المستعمل من قبل الدولة الخاقانية الأويغور وسلاطينهم من قديم الزمان، وهو الخط المستعمل في المنطقة الممتدة من مدينة كاشغر إلى حدود الصين العليا محدقا بجميع ديار الترك، وبه يتراسلون[2].

كما يذكر الكاشغري أن: "لِلأويغور لسان تركي محض مؤلف من أربعة وعشرين حرفا، ولهم لغة أخرى يتكلمون بها فيما بينهم، يكتبون بها الصحف والدواوين ويكتبون بها الرسائل الموجهة إلى الصين، وأفصح الألسن هو لسان الخاقانية ومن اختلط بهم، أما أهل بلاساغون فيتكلمون سغدية وتركية، ولكاشغر رستاق يتكلم فيها بالكتجاكية وجوف البلد بالتركية الخاقانية"[3]، وكانت اللغة الأويغورية هي اللغة التي يتحدث بها السكان المتحضرين القاطنين في المدن الممتدة من مدينة كاشغر إلى مدينة كمول[4].

تنقسم اللغة الأويغورية إلي قسمين: الأولى منها ذوات الحرف "ن/ N" مثلا: أينغ، بها حرف "ن"، أما الثانية فذوات الحرف "ي/Y" فمثلا: "أينغ"، فيها حرف "ي"، وتصادف اللهجة المقرونة بـ"ن" أكثر في الكتابة الرونية مع بقايا اللغة الهانية[5].

---

[1]- محمود الكاشغري، المصدر السابق ، ج.1، ص.10.

[2]- نفسه، ج.1، ص.10.

[3]- نفسه، ج.1، ص.30-31.

[4] - Abel REMUSAT : Recherches sur les langues tatares, ou mémoires sur différens points grammaire et de la littérature, des mandchous, des mongols, des ouigours et des tibetains, tome 1, L'imprimerie royale, paris, 1820, p.253.

[5]- أركين آلبتكي، المرجع السابق، ص.100.

يمكن دراسة الخط الأويغوري تاريخيا على ثلاثة مراحل هي:

أولا- مرحلة استخدامهم الكتابة الأورخونية[1]:

كان ذلك في الفترة الممتدة من القرن السادس إلى القرن السابع الميلاديين، حيث عاش فيها الأويغور بجوار أوردوس وأورخون وسلانكا في منغوليا، (أنظر، الصورة رقم:01+02)[2] وواصلوا استخدام هذا الخط بعد أن هاجروا إلى منطقة تركستان الشرقية، وقد درس هذا الخط لأول مرة العالم الروسي "يادرنتسوف" سنة 1889م، خلال الأبحاث التي قام بها بجوار أورخون ونيس، وقد أكتشف نفس الخط في منطقة الآلتاي وجنوب قازاقستان وتركستان الشرقية(إيلي- خوتن- كوما)،(أنظر، الخريطة رقم:05)[3] وبجوار أراضي اليقلقوت، حيث كان هذا الخط يكتب من اليمين إلى اليسار، وفي العهود المتأخرة أصبح يكتب من الأعلى إلى الأسفل مثل الكتابة الصينية[4].

يحتوي الخط الأورخوني على أكثر من مائة وخمسين إشارة تزيد عما كان مستخدما في خط ينسي، ويحتوي على ثمانية وثلاثين حرفا، تكون غير متصلة، حيث لا يتصل الحرف بما قبله أو بما يأتي بعده، ويكتب من اليمين إلى اليسار، ويفصل بين الكلمات بوضع نقتطين فوق بعضها البعض، ويوجد من بين الثمانية والثلاثين حرفا، أربعة أحرف تستخدم كإشارات صوتية، والباقية أربعة وثلاثون حرفا هي حروف صامتة، وتكتب الكلمات الصوتية في آخر الكلمة، ولا تستعمل الأبجدية الأورخونية حرفي (A.E) في أول الكلمة أو في المقطع الهجاء الأول منها، فالخط الأبجدي الأورخوني من ناحية الإملاء في الصوامت سليم ومترابط، ورغم كثرة الحروف الساكنة فلا نرى فيها أي تداخل، ويحدث بعض التبادل والتغاير بين الصوامت

---

[1]- تتناول نقوش أو كتابات أورخون فترة نصف قرن فقط من 630 إلى 680 وهي الفترة التي كان أتراك الشرق في أثنائها تحت حكم الصين، وتتحدث عن حصول الأتراك على إستقلالهم تحت قيادة بعض الخانات الجدد، وأن هؤلاء قد استطاعوا في زمن قصير أن يخضعوا لحكمهم أبناء جنسهم من أتراك الغرب.(أنظر، بارتولد، تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.18.).

[2]- أنظر، الصورة رقم:01+2، ص. 404.

[3]- أنظر، الخريطة رقم:05، ص. 384.

[4]- أركين آلبتكي، المرجع السابق، ص.101.

الحادة واللينة[1].

لقد تعددت الآراء ووجهات النظر حول أصل خط أورخون (كوك تورك)، فمن قائل إنه امتداد للكتابات القديمة فيما بين القرنين الخامس والتاسع الميلاديين، التي كانت مستخدمة في منطقة ينيسي، ومن قائل أنه مشتق من الخط الأرامي[2] والصغدي والبهلوي، وهناك من يدّعي أنه خط تركي أصيل وأن الأتراك هم الذين أوجدوه[3]، وكل يحاول أن يجد الأسانيد التي تؤيد وجهة نظريته.

1- الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص. 95.

2- أول ظهور لكلمة أرام كاسم لمنطقة أو دولة كان في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، وذلك في نقش مسماري للملك الأكدى نرام – سين (Naram-Sin)، ويبدو من سياق النص أن أرام كانت تقع في الجزء الأعلى من أرض الرافدين، وقد بلغ الأراميون أقصى أهميتهم السياسية في القرنين الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد، لاضمحلال الامبراطورية الأشورية خلال تلك الفترة، ففي الشرق غزت القبائل الأرامية الجزء الشمالي من أرش الرافدين، وأسست هناك سلسلة من الدول الصغيرة، أهماها: دولة بيت أديني(Bit Adini) التي كان مركزها تل برسب(Til Barsib)، ودولة بيت بخياني (Bit Bakhyani) التي كان مركزها جوزانا(تل حلاف)، وإلى الجنوب من ذلك، توغلت عدة جماعات من الأراميين في الجزئين الأوسط والجنوبي من أرض الرافدين، وهنا استولى الملك الأرامي أدد – أبل – ادن(Adad- apai-iddin) على عرش بابل في أول القرن الحادي عشر، وعلى شواطء الخليج أنشأ القبائل الكلدانية، وهي متصقة النسب بالأراميين، عدة دول صغيرة، أهمها: دولة بيت يكيني(Bit-Yakini)، وفي الغرب في كيليكيا دولة سمال وفي سوريا دولة بيت أجوشي(Bit- Agushi)، وفي حماه دولة انجهولت وإلى الجنوب منها مدينة صوبا ودمشق، وقد إنتشرت اللغة الأرامية رغم نقوشها القليلة بشكل واسع خارج حدود الشعب الأرامي، والمرحلة الأولى لهذا التوسع اللغوي تتفق زمنا وفترة الاحتلال الشورى فالأرامي، بفضل خطها البسيط، فإنتشرت بسرعة في أرض الرافدين، بين البابليين والأشوريين، ثم أصبحت محل اللغة الأكدية لغة الدولية أنذك، وقد مكن الفتح الفارسي خلال القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد لكل من ساحل سوريا وفلسطين كله اللغة الأرامية من أن تصبح هي اللغة الرسمية لكل إمبراطورية الفرس الواقعة بين مصر ونهر الفرات، ومن هنا حلت اللغة الأرامية محل كل من اللغة العبرية والفينيقية وسائر اللغات السامية الأخرى، وقد تعرضت اللغة الأرامية إلى تقهقر خلال مجيء الهيلينية، ولكن بقت الأرامية موجودة في شمال الصحراء في دولة البتراء وتدمر، ثم إنتعشت بعد ذلك في ظل توحيد الشرق الأدنى تحت الإمبراطورية الرومانية، حيث إستعملتها بعض الدول العربية الصغيرة وكذلك أصبحت اللغة الرسمية للكنيسة السريانية، وبهذا عاشت الأرامية قرونا بعد ذلك وأنتجت أدبا دينيا (أنظر، سبتينو موسكاني: الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب بكر، دار الرّقي، بيروت، 1986م، ص. 176- 177-178- 181.)

3- Mehmet-Ali AKINCI : La REFORME DE L’ECRITURE TURQUE, Revue DYALANG, Rouen : Publications de l’Université de Rouen, 2005, p.02؛ الصفصافي أحمد القاطوري، المرجع السابق، ص. 95.

يرى كل من الأكاديمي الروسي بارتولد، ومحمد علي كينسي: أن الأبجدية الأورخونية هي نفسها الأبجدية التي عُثر عليها في آثار مدينة ينسي، في القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وهذه الأخيرة هي الأقدم من حيث الزمان، ويعتقدان أنها تعود في أصلها إلى الأتراك القرغيز- تم تعريفهم من قبل-، وأنّ كل من الأبجدية الأورخونية والينسي مأخوذتين في الأصل من اللغة الصغدية(أنظر، الخريطة رقم:10)[1] التي تعود إلى ما قبل القرن الأول الميلادي[2]، ويشاطرهما الرأي الباحث الصفصافي أحمد القطوري حيث يذكر: أنّ الأبجدية الأورخونية تقوم على أساس الأبجدية الصغدية القديمة التي تقوم بدورها على الأبجدية الآرامية القديمة[3].

مهما يكن من أمر فإن الأتراك لم يكتفوا باستعارة حروف الأبجدية الصغدية كما هي فقط بل أضافوا إليها علامات من عندهم، واخضعوا الأبجدية الجديدة المستعارة للقوانين صوتية للغة التركية، وخاصة قانون تناسب المقاطع[4]. ثم أصبحت تعرف باللغة الأويغورية.

أريد التنويه هنا أن معظم القبائل التركية التي كانت تقطن في آسيا الوسطى إستعملوا الأبجدية الأورخونية، ماعدى الأتراك الموجودين بالتركستان بقسميها الشرقية والغربية، حيث إستخدموا ألف باء خاصة بهم، فمثلا الأتراك القاطنين في منطقة الصغد إستعملوا ألف باء مكونة من أربعة عشر حرفا، وإنتشرت بينهم بشكل واسع حيث أخذتها عنهم القبائل القاطنة في ضفاف نهر زرافشان وروافده، أما بقية القبائل التركية الأخرى فقد إستخدمت الأبجدية الأويغورية[5].

---

[1]- أنظر، الخريطة رقم:10، ص. 391.

[2]- بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.23. فما بعدها؛ Mehmet-Ali AKINCI : La REFORME DE L’ECRITURE TURQUE,:op.sct, p.02.

[3]- الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص. 107.

[4] - Mehmet-Ali AKINCI : La REFORME DE L’ECRITURE TURQUE,op.sct, p.03.

[5]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.93.

ثانيا- مرحلة إستعمال الخط الصغدي:

ترك الأويغور الأبجدية الأورخونية وطوروا كتابة جديدة خاصة بهم مستوحات من الأبجدية الصغدية[1].

وقد إستخدموا الأبجدية الصغدية منذ القرن الأول إلى الثالث الهجري/السابع إلى التاسع الميلادي، بعد هجرتهم من منغوليا إلى تركستان الشرقية، وكان هذا الخط يتكون من ثمانية عشر حرفًا، يكتب كالخط العربي من اليمين إلى اليسار، وكانت كل أمور دولتهم تكتب به، وقد اقتبسه منهم المغول والمانجو فيما بعد، وكتبت به عدة كتب، واستمر الأتراك الأويغور وبعض القبائل التركية في استخدامه فترة طويلة بعد اعتناقهم الدين الإسلامي[2].

حيث يذكر الأكاديمي الروسي بارتولد: أنه عُثر بجانب نقش خاقان الأويغور المكتوب باللغة الصينية نقش صغدي وبجانبه أسطر من اللغة التركية كتبت بالرسم الأورخوني، ويرجع النقش الصغدي إلى النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، والخط الأويغوري يمثل أول خط غير أورخوني انتشر بين الأتراك[3]، ومن هنا يعتقد هذا الأخير أن الخط الأويغوري مأخوذ عن الخط الصغدي.

يمكن القول أنّه في هذه الفترة تبنى الأويغور الأبجدية الصغدية القديمة، وإستمروا في استخدام الخط الأورخوني لأكثر من قرن، وشيء فشيء تخلوا عن استعماله بصفة نهائية في أواخر القرن الخامس الهجر/الحادي عشر الميلادي، وظل الخط الأويغوري هو الخط السائد بين القبائل التركية بصفة عامة، ثم تخلوا عنه بعد إعتناقها الإسلام[4].

[1] - Mehmet-Ali AKINCI : La REFORME DE L'ECRITURE TURQUE,op.sct, p.02.

[2]- أركين آلبتكي، المرجع السابق، ص.101.

[3]- بارتولد، تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.65.

[4]- الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص.107.

فقد كان حكام كل من مدينة كامول (Kamoui) وكوتشو (Khotcho) وتورفان (Tourfan) وديليبالي(d'Ili-bali)، يكتبون بالخط الأويغوري المدون من اليمين إلى اليسار على الطريقة الصينية[1].

لقد تبنى الأويغور الأتراك الأبجدية الصغدية المتشكلة من أربعة عشر حرفا التي تحدثت عنها قبل قليل، وأضافوا إليها إثنا عشر حرفا أويغوريا، فصارت ألف باء الأويغور مكونة من ستة وعشرين حرفا[2]، لذلك ضن بعض المؤرخون وعلى رأسهم بارتولد أن ألف باء الأويغور مأخوذة عن الأبجدية الصغدية، وفي الحقيقة ما هذا إلا تخمين فقط.

وقد ذهبت الباحثة الإيرانية شيرين بياتي إلى نفس ما ذهب إليه محمد أمين بوغرا حيث قالت أنّ:"الأويغور إستعملوا بعد إعتناقهم المانوية الأبجدية الصغدية التي كانت تُرَدُ إلى الأصول الإيرانية، متخذين منها طريقة جديدة عرفت فيما بعد بالكتابة الأويغورية"[3]، ويوافقها الرأي روني قروسي(René GROUSSET)، حيث يذكر: أنه في الوقت الذي تبنى فيه الأويغور المعتقد المانوي في مدينة تورفان، تبنوا الحروف الصغدية، المأخوذة من سوريا، وصنعوا بها هم أيضا كتابة جديدة، أصبحت تعرف بالكتابة الأويغورية، إستطاعت في القرن الثامن الحلول محل الحروف التركية الأورخونية، وبهذه اللغة الجديدة كتبوا أدبهم الوطني، وترجموا العديد من النصوص المانوية الصغدية إلى الأويغورية، ومن ثم تقدم الأويغور كثيرا على بقية الأقوام التركية-المغولية، وضلوا كذلك إلى غاية قيام إمبراطورية جنكيزخان 1206م[4].

---

[1] - Abel REMUSAT : Recherches sur les langues tatare, op.st, p.257.

[2]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.93؛ أنظر، Oleg Grabar: L'art et l'expression – L'Ancien Monde, HISTOIRE DE L'HUMANITE, op.st, p. 345.

[3]- شيرين بياتي: المغول التركيبة الدينية والسياسية، المرجع السابق، ص.22.

[4] - René GROUSSET : L'EMPIRE DES STEPPES , op.st,p. 171.

ويُّعَد الصغديون(أنظر، الخريطة رقم:11)[1] من بين أهم الشعوب الإيرانية التي كان للأتراك بها صِلاة حضارية بعد الصينيين، فقد اكتشف الباحثون الكثير من النقوش التركية المكتوبة بالخط الصغدي، تناولت أغلبها العلاقات التركية الصينية الصغدية، وكان أقدمها النقش الذي أقيم في سنة 581م، وهناك نقشان آخران يعودان إلى بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، كتبا بثلاث لغات هي: التركية والصينية والصغدية، وجميع الأدلة العلمية تفيد بأن الأتراك قد دخلوا لفترة طويلة تحت تأثير الحضارة الصغدية وتبنوا لغتهم[2].

يُمكن الاعتقاد أنّ الأتراك الأويغور استخدموا الأبجدية الصغدية بعد انهيار دولتهم في منغوليا(745-840م) وهجرتهم إلى تركستان الشرقية، مع أن النصوص التركية التي كتبت بالصغدية قليلة إلا أن جميعها تعود إلى البوذيين الأويغور[3]. وقد إنتشر الخط الأويغوري المقتبس من الأبجدية الصغدية بشكل واسع بن الأتراك بعد تركهم الخط الأورخوني.

يُعتقد أنّ الصغدية هي أبجدية ترجع أصولها إلى الأبجدية الأرامية، التي استخدمها الأنباط[4] في شرق الأردن، ومنها تطور الخط العربي[5]، وقد انتقلت إلى الأويغور عن طريق المانويون المهاجرين إلى بلاد ما وراء النهر، ونقلوا معهم خطهم الخاص وحافظوا عليه[6]،

[1]- أنظر، الخريطة رقم:11، ص. 390.

[2]- الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص.116.

[3]- الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص.117.

[4]- ينتمي الأنباط إلى العرب الرحل، ويرى بعض الباحثين الغربيين أنهم ليسوا عربا، وإنما هم من الآراميين، وقد نشأت دولة الأنباط في شمال غرب الجزيرة العربية، في الموضع الذي عرف بإسم:"بلاد العرب الحجري أو الصخرية"، وفي هذا الموضع تقع دولة شرق الأردن حاليا، وكانت دولة الأنباط تمتد من حدود فلسطين شمالا، إلى حدود الحجاز جنوبا، ومن بادية الشام إلى شبه جزيرة سيناء غربا، وفي أوج إتشاعها، امتدت دولة الأنبار إلى منطقة دمشق، وسهل البقاع، وضمت الأجزاء الجنوبية والشرقية من فلسطين، وأقاليم حوران وأدوم ومدين وردان، وأجزاء من ساحل البحر الأحمر.(أنظر، حلمي محروس اسماعيل: الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص.252.).

[5]- رحمة الله أحمد رحمتي: التهجير الصيني في تركستان الشرقية، المرجع السابق، ص. 32.

[6] - Mehmet-Ali AKINCI, op.cit. p.03.

فقد عثر على هذه الأبجدية مكتوبة على قبر الخاقان الأويغوري، ولما أسلموا نبذوا تلك الكتابة واستعملوا الحروف العربية بدالها[1].

أما الباحث رحمة الله رحمتى فيَعتقد: أن الأويغور عرفوا الأبجدية الصغدية عن طريق المسيحيين النساطرة الفارين من سوريا إلى إيران[2]، وهذا مستبعد في رأيي، وأنا أرى نفس رأي محمد علي وبارتولد الذي سبق ذكرهما.

حافظ الأويغور على الكتابة الصغدية التي انتقلت إليهم عن طريق المانويون في القرن الثاني الهجري/السابع الميلادي، وطوروها حتى أصبحت تعرف عند العلماء باسم الكتابة الأويغورية، وواصلوا استعمالها بعد دخولهم في الإسلام ولم يتركوها بسهولة[3]، وبقى الخط الأويغوري مستعمل من قبل الأتراك فترة طويلة، إستمرت أربعمائة(400) سنة، منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، فمعظم المخطوطات الأويغورية المتعلقة بالديانة البوذية والمانوية والمسيحية النسطورية، كانت مكتوبة بالخط الأويغوري[4].

وأقدم المخطوطات الأويغورية المعروفة في آسيا الوسطى، هو نص متعلق بالديانة المانوية يعود في تاريخه إلى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وتطور الخط الأويغوري شيء فشيء إلى أن وصل في الفترة البوذية إلى أعلى درجات الرقي، حيث كتب به الأداب البوذية خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وترجمت إليه كثير من الأعمال الصينية البوذية، ثم استعملت الأبجدية الأويغورية على أوسع نطاق خارج حدود دولتهم التي أسسوها في تركستان الشرقية[5].

---

[1]- بارتولد، تاريخ الترك، المرجع السابق، ص. 66.

[2]- رحمة الله أحمد رحمتي: التهجير الصيني في تركستان الشرقية، المرجع السابق، ص. 32.

[3]- بارتولد، تاريخ الترك، المرجع السابق، ص. 66.

[4]- الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق ، ص.117.

[5]- المرجع، ص.117.

ثالثا- استعمال الحروف العربية:

اقتبس الأتراك الأويغور الخط العربي بعد اعتناقهم الإسلام سنة 933-976م، واستعملوه في كتابتهم الأويغورية، بحيث أصبحت تكتب من اليمين إلى اليسار بالحروف العربية، وقد كتب اللغويون والشعراء والأدباء الأويغور، مثل: محمود الكاشغري وأحمد يوكنيني وبلال ناظم والكتاب الذين جاؤوا بعدهم، مؤلفاتهم بالخط الأويغوري العربي[1]، ويذكر محمد علي أكنسي(Mehmet-Ali AKINCI): أنهم تبنوه منذ سنة 960م[2].

كان للأتراك القراخانيون الأويغور الفضل في ترك إستعمال الأبجدية الأورخونية القديمة، وبدؤوا تدوينها بالأحرف العربية، وبذلك بدأت الألفاظ العربية والفارسية تدخل في اللغة التركية، ومن هنا نشأة مجموعة من الأدباء والشعراء يكتبون باللغتين التركية والعربية[3].

يعطينا المؤرخ الروسي بارتولد تفاصيل مهمة عن تأثر الأبجدية الأويغورية بالأبجدية العربية في آسيا الوسطى، في فترة حكم الدولة القراخانية، حيث يقول: أنه "لم يكن للترك في أي مكان تابعين كلية للحضارة العربية ولإيرانية، لأن الأتراك معروف عليهم أنهم لا يتخلون عن لغتهم بسهولة، مع هذا فإن تأثير المدنية العربية والإيرانية عليهم كان قويا، حيث كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في آسيا الوسطى حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وفي نفس الوقت كانت الفارسة تنافس العربية في ميداني الإدارة والأدب في الدولة القراخانية، وظلت اللغة العربية موجودة في ولاية كاشغر حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، ومن بقايا ذلك وثيقة قانونية ترجع إلى عهد بغراخان حاكم مدينة كاشغر الأويغوري، ومع ذلك فإن الوثائق التي ترجع إلى هذا العهد تدل على أن اللغة الأويغورية في وقت القراخانيين كانت إلى حد ما لغة اصطلاحات إدارية فقط"[4].

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.102.

[2] - Mehmet-Ali AKINCI,op.cit, p.02.

[3]- يالماز أوزتونة تاريخ الدولة العثمانية، المرج السابق، مج.1، ص ص، 47-48؛ أنظر، زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.312.

[4]- بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.152.

يدعم المؤرخ الأويغوري محمد أمين بوغرا، نفس النظرية، حيث يذكر: أنّ ألف باء الأويغور استعملت بجانب ألف باء العرب، وسموها ألف باء الخاقانية، لأن خاقان الأويغور هو الذي تبنى الأبجدية العربية، وكانت هذه الدولة تارة تستعمل الأبجدية الأويغورية بجانب ألف باء العربية، وتارة تستعمل كلتيهما بصورة منفصلة، وظل ذلك حتى القرن الخامس عشر الميلادي، ولكن ألف باء الأويغور أستعملت حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي[1].

إنّ لألف باء الأويغور أصول ولواحق، فثمانية عشر منها أحرف أصلية وثمانية أخرى غير أصلية، وإن بعض من الحروف الأصلية والغير أصلية اللاحقة وضعت عليها نقاط في تنظيمها[2].

يمكن القول أنّ هذه الكتابة شاهدة على تطور الحضارة الأويغورية، حيث اقتبسوا تلك الأبجدية من الصغد ونقلوها إلى منغوليا وتبناها جنكيزخان وجعلها اللغة الرسمية لإمبراطوريته، وإستطاع بفضلها تكوين نظاما قويا لإدارته وتجارته، ولا تزال مستعملة اليوم في الجمهورية المغولية[3]، وهي لا تزال متداولة إلى غاية اليوم في تركستان الشرقية أين يعيش معظم الأويغور في بلاد تركستان الشرقية "سنجيانغ"[4].(أنظر، الخريطة رقم:09)[5].

المبحث الثاني: تطور الطباعة والترجمة لدى الأويغور:

كتب الأويغور على الأوراق والرقوق وزينوها بالتصاوير المُنسقة بالألوان البديعة، وقد عثر الباحثون عن أثار تركية نقشت على الخشب، فجعلوا من ذلك برهانا على أنّ الأتراك هم أول من أوجد فن الطباعة، وكان هذا الفن قد اكتشفه الصنيون قبل الأوربيين[6]، ويبدو

---

[1]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص ص، 93-94.

[2]- نفسه، ص.94.

[3] - Françoise AUBIN, op.cit,pp.05-06.

[4]- عمرو توران: مرجع سابق، ص10.

[5]- أنظر الخريطة رقم: 09، ص. 388.

[6]- نصر الله مبشر الطيرازي، المرجع السابق، ص.79؛ أنظر، حسن مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، المرجع السابق، ص.12.

أنّ الأويغور إقتبسوا فن الطباعة عن الصينيون، واستعملوا في طباعتهم فن جديد لم يكن معروفا لدى المسلمين والأوربيون، تمثل في إستعمال الأحرف المتحركة، كما طوروا في طريقة الطباعة وإستعملوا الكلائش الخشبية، ولم يكتب الأويغور كتاباتهم على الأشجار بل استعملوا الورق، وقد لعب الأويغور دورا كبيرا في نشر الورق في العالم الإسلامي عن طريق سمرقند وإحلاله مكان الجلود الحيوانية[1].

والأوراق كانت معدات الكتابة المستخدمة من أجل الأرشيف، وكان الأويغور يعرفون استخدام الورق قبل الأوربيين، والدليل على ذلك بقاء مواد أرشيفية أويغورية كثيرة في هذا الجانب، من بينها موضوعات هامة، مثل تأجير حديقة صغيرة في آسيا الوسطى[2]، وقد تم تتابع اكتشاف نُصب تذكارية منقوشة منذ عصور "الكوك تورك" والدولة الأويغورية في مناطق عديدة بآسيا الوسطى، تثبت ذلك، مثل وديان يانسي وأورخون وحوض طاريم(Tarim)، حيث عُثر على لغة مكتوبة على الورق في منطقة طورفان(Turfan) وخوجو(Hoço)، كما تم العثور أيضا على ألواح خشبية عليها كتابات في نفس المنطقة[3].

تطور فن الطباعة لدى الأويغور حيث طبعت الكتب على القوالب الخشبية، فقد تم الإشارة إلى ذلك في رسالة صينية كتبت حوالي سنة 870م، جاء فيها:"حدث وأنا في "شوان" أن فحصت في حانوت وراق كتابا مدرسيا مطبوعا عن أصل خشبي"[4]، ويشير هذا الأمر إلى مدى تطور فن الطباعة لدى الأويغور خاصة في الولايات الغربية مثل: سشوان والتركستان وهي الولايات التي دفعها في تيار المدنية المبشرون البوذيون الذين جاءوا من الهند، وكانت لديهم ثقافة خاصة مستقلة عن ثقافة العواصم الشرقية[5].

[1]- يالماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، مج.1، ص.39.

[2]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.107.

[3]- الصفصافص أحمد القطوري، المرجع السابق، ص.86.

[4]- ويل دايريل ديورانت، المرجع السابق، ص.156.

[5]- نفسه، ص.156.

إنّ أهم الإكشافات التي تمت في هذا المجال، هي العثور على كتب دينية أسطورية مكتوبة بأحرف على ألواح خشبية متحركة للطباعة، وبجانبها لوازم استخدموها في حفر الأحرف الأويغورية القديمة، كانت مثبتة بين التروس المتحركة، إستعملوها في طباعة الكتب، ويبين هذا الأمر مدى تطور الأويغور في عملية الطباعة المتحركة، ومدى أخذ الأويغور بوسائل الرقي والتحضر، وقد إنبهر علماء الألمان من هذه الإكتشافات لأن تلك التقنية المتقدمة في طبع الكتب لم تكن معروفة في أوروبا، لذلك قالوا: يحق للأويغور أن يفخروا بأجدادهم الأوائل لأنهم كانوا أكثر تحضرا[1].

إنتشرت طريقة الطبع بالقوالب الخشبية إلى الولايات الشرقية في أوائل القرن العاشر الميلادي، حين أقنع "قنج- دو" أحد رؤساء وزارات إمبراطور الصين بتخصص بعض المال لطبع أمهات الكتب الصينية القديمة[2]. ولا شك أن الأويغور كان لهم الفضل في نقل فن الطباعة على الأحرف الخشبية المتحركة إلى المسلمين.

لقد تعلم الأتراك الأويغور علم التوثيق من خلال كتابة المخطوطات، مستخدمين في ذلك الخط الأفقي من اليمين إلى الشمال، فقد قام جنكيزخان إثر إحتلاله للنايمان[3] بضم الناساخ الأويغوري الذي وجده يعمل لدى خانهم إلى حاشيته، وأمره بإنشاء نظام كتابي جديد حيث يتوائم فيه الخطط الأويغوري مع الخط المغولي، وكان المخطوط الأويغوري- المغولي نسخة تكاد تكون مطابقة للخط الأويغوري القديم، باستثناء أنّه كتب بشكل عمودي من الأعلى إلى الأسفل، على نمط الكتابة الصينية، واستمر جنكيزخان على مدى سنين طويلة يستخدم

---

[1]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.93.

[2]- ويل دايريل ديورانت، المرجع السابق، ص.156.

[3]- النايمان هم قبائل من الأتراك الذين غلب عليهم الطابع المغولي، وهم يقطنون الحواضر الأعلى لنهر أرخن، ونحدرات جبال التاي، وحول البحيرات الواقعة في تلك المناطق، كانوا يدينون بالمسيحية مثل قبيلة كرايت، وقد إستعار النايمان مبادئ ثقافتهم من جيرانهم الأويغوريين الموجودين في الجنوب، وكان هؤلاء النايمان بدوا رحلة يقيم بعضهم في مناطق الجبال الوعرة، ويقيم البعض الأخر في الصحاري، وكانون اللنايمان موك مشهورون وأقوياء، ولهم جيوش عديدة، وكانت تقاليدهم وعاداتهم تشبه عادات المغول، وفي قديم الزمان يطلق على ملوكهم اسم "كوشلوك خان" ومعناه: ملك عظيم، أو "بويروق خان" ومعناها: معطي الأمر، وفي عهد جنكيزخان، كان ملكهم يدعى:"تايانك خان"، وقد حاربه جنكيزخان عندما علم بسوء نيته وتآمره عليه. (أنظر، عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، المرجع السابق، ج.1، ص ص، 29-30.)

ناسخين أويغور في عملية تسهيل التواصل بين مختلف أجزاء إمبراطوريته[1]، فما من مرسوم يصدر في الصين الشمالية إلاّ وكان مدون باللغة الأويغورية[2].

كما إستعان جنكيز خان بالكَتَبَة الأويغور لكونهم يعرفون الكتابة والتعابير القانونية المستخدمة أنذاك، وطبقا لما جاء في كتاب"الأويغور" لأركين آلبتكين عن فون لوكوك، أن هؤلاء كانوا متفوقين في معرفة قوانين الكتابة قياسا بأوروبا في ذلك العهد، حيث أن هذا المجال فيها كان حكرا على القادة الأوروبيين فقط، في الحين كان القروي الأويغوري يعرف كيف يعقد اتفاقية بتعبيرات قانونية مناسبة، أما الجنود الأويغور فقد كانوا يعرفون القوانين القضائية[3].

أدى استخدام الكَتَبَة الأويغور من قِبَل المغول إلى إنتشار طبقة من الكُتاب الذين عرفوا بإسم"بخشي"، كانوا منتشرين في مختلف مقاطعات الإمبراطورية المغولية،(أنظر، الخريطة رقم:24)[4]، كما كان يطلق على رؤساء المحاكم الملكية المغولية إسم "الوغ بخشي" ومعناها بالتركية رئيس الكَتَبَة، وكان هؤلاء يُخْتَارُون من أفضل الكَتَبَة الأويغور، وكان يطلق عليهم إسم"مغول بخشي" من قبل المصادر الأويغورية[5].

تمتع الكَتَبَة الأويغور بمنزلة مرموقة في القصر المغولي، حيث إختصوا بكتابة المراسيم الملكية، وترتيب وحفظ الدمغة والأختام المغولية، كما كانت تُوكل إليهم مهمة وضع الشعارات الملكية، وكتابة السجلات الحكومية بالمغولية والتركية، فضلا عن نقش العملة، كما أطلق لفظ البخشي أيضا على بعض المشتغلين بفن الكتاب من الأويغور[6].

---

[1]- إيمي شوا: عصر الإمبراطورية "كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها"، تر: منذر محمود صالح محمد، العبيكان، المملكة العربية السعودية، 1432هـ/2011م، ص.156.

[2]- السيد البز العريني: المغول، المرجع السابق، ص.163.

[3]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 107-108.

[4]- أنظر، الخريطة رقم: 24، ص. 401.

[5]- ربيعة حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور، المرجع السابق، ص. 108.

[6]- نفسه، ص. 109.

ومن بين الكَتَبَة الأويغور المشهورين الذين إرتقوا إلى مراتب عليا في إمبراطورية المغول، لدينا الأويغوري البوذي كوركوز(Korguz)، الذي يعود في أصله إلى قرية يرليق(Yarliq)، غير بعيدة عن مدينة "بيش باليق" من الجهة الغربية[1]، فقد عمل هذا الأخير في وظيفة مُعلّم لأولاد المغول، ثم في وظيفة كاتم الأسرار لوالي خوارزم "جنتمور"، وبعد موت هذا الحاكم في أواخر فترة حكم أوكداي[2](632-638هـ/1234-1240م)، تولى إدارة منطقة خراسان وجميع أملاك المغول الواقعة إلى الغرب من نهر أموداريا[3].

ومن الكَتَبَة والمستشارين المرموقين الذين تولوا تعليم المغول وأطفالهم اللغة الأويغورية، لدينا كل من "تا- تا- تونجا" الأويغوري و"لي ليوشوتساي" الصيني، وقد عمل الأول كمستشار لدى ملك النايمان، ثم تولى عملية تعليم أبناء جنكيزخان وأحفاده الكتابة الأويغورية[4]، (أنظر، الصورة رقم:12)[5]. وقد طلب جنكيزخان وأبناؤه من الأويغور المتحضرون وضع قواعد الادارة المدنية لإمبراطوريتهم، حسب ما كان موجود في دواوينهم من اللغة والكتابة، ومن هنا تَعَرف المغول على ما كان سائدا في منطقة أورخون وتورفان من الحضارة التركية القديمة[6]. وأصبح النظام الاداري والدواوين التى أنشأها الأويغور للمغول الشيء الإيجابي الوحيد الذي أسهموا به بعد التدمير المهول الذي أحدثوه.

إشتغل البَخْشِي الأويغور بفن الكِتَابْ، وكانوا يُعَلِمُون أطفال المغول فنيات الكتابة الأويغورية، وكان التلاميذ الموهوبين في العصر المغولي يُفْرَض عليهم قضاء فترة طويلة في تعلم فن الكتابة، فيتعلمون منذ الطفولة الموضوعات المختصة بفن الكتاب، والأبجدية

---

[1]- بارتولد، التركستان...، المرجع السابق، ص. 683.

[2]- أوكتاي قاآن هو الابن الثالث لجنكيزخان، ومعنى إسمه هو: العروج إلى الجبل، وقد إشتهر بالعقل والكفاءة وسداد الرأي والتدبير والثبات والوقار والفتوة والعدل، ولكن كان ميالا إلى اللهو والشراب، تولى حكم المغول بعد وفاة واله جنكيز خان سنة 626هـ/1228م.(أنظر، رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ- تريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد ويحي الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص ص، 16-17.)

[3]- رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ، المصدر نفسه، ص.68 فما بعدها.

[4]- السيد الباز العريني: المغول، المرجع السابق، ص.150.

[5]- أنظر، الصورة رقم:12، ص. 411.

[6]- السيد الباز العريني: المغول، المرجع السابق، ص ص، 152-153.

الأويغورية، كما كانوا يدرسون أيضا النصوص المقدسة، ثم يُفرض عليهم الخدمة مدة طويلة ضمن طبقة الموظفين في المقاطعات المغولية[1].

كان من نتيجة الإقبال على استخدام الكَتَبَة والفنانين الأويغور من طبقة البخشي في العصر المغولي، أنّ ظهرت بعض التأثيرات الأويغورية على الأعمال الفنية المغولية التي أُنْجِزَت خلال ذلك العصر، ويمكن القول أن بداية ظهور فن التصوير الديني الإسلامي، يرجع في المقام الأول إلى مشاركة الفنانين الأويغور في الأنشطة الأدبية والفنية، في بعض المراكز الفنية المغولية[2].

إستمرت طبقة "البخشي" موجودة إلى عصر التيموريين، حيث يُعتقد أن الشاعر والمزوق والخطاط الكبير على شيرنوائي(1441-1501م)، الذي ولد في مدينة هرات أنه كان إبنا لشخص أويغوري من طبقة البخشي، وأنّ أسرته من ناحية أمه كانت من الأُسَر التي أشتهرت بنَظْم الشعر بالتركية[3].

وإستمر الأوزبك[4] الذين حكموا بعض المناطق في الإمبراطورية التيمورية(أنظر، الخريطة رقم:26)[5] في منطقة وراء النهر يستعملون الكَتَبَة الأويغور من طبقة البخشي، مثل: أبي القاسم البخشي، ومحمود مذهب، الذي عرف بالكاتب وباسم محمود بخشي الأويغوري، وقد عمل محمود بخشي في خدمة السلطان حسين ميرزا بايقرا، وكان يُعتبر من أصغر الكَتَبَة

[1]- ربيعة حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور، المرجع السابق، ص. 110.

[2]- نفسه، ص. 12.

[3]- نفسه، ص ص، 120-121.

[4]- يعود الأوزبك في أصلهم إلى قبيلة القارلوق التركية وتقول الرواية التي سموا على إثرها بالأزبك إلى أنه بعد سقوط حكم التيموريين، خلفتهم أسرة الشيابانيين بقيادة أبو الفتح محمد خان الشيباني، المنحدر من نسل خانات القبيلة الذهبية، والتي أطلق المؤرخون على شعبها خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي لقب "شعوب الأوزبك"، نسبتا للخان أوزبك(بن طغرل شاه 712-742هـ/1313-1391م)، وكان كثير الغارات والحروب ضد المغول الإلخانيين، فكثر تداول عبارة " جاء الأوزبك "، وعندما سيطر الشيبانين على الحكم في بلاد ما وراء النهر، غلب علي تسميتهم بالأزبك، ثم هاجرت قبائل أخرى إلى تركستان وحكمت هناك فبقوا يعرفون بالأوزبك، وهم يعيشون إلي اليوم هناك في طاجاكستان وكازاخستان وتركمانستان وأفغانستان. (أنظر، عمرو توران: مرجع سابق، ص.9.).

[5]- أنظر، الخريطة رقم:26، ص. 403.

البخشي الذين عملوا في خدمة هذا السلطان، ثم إنتقل بعد ذلك للعمل في بخارى وظل بها إلى غاية وفاته سنة 1541م[1].

بَرع الأتراك الأويغور في فن الترجمة واحتلوا مكانة مرموقة في الخلافة العباسية، حيث يقول المؤرخ ابن الفوطي أن: "مظفر الدّين قتلغ بن إبراهيم الأمير التركي الأويغوري، الذي كان يقيم في بغداد ويعرف بشحنة حربي الترجمان، كان شاب كيس من أولاد أمراء الأويغور، كان جميل الصورة، حسن السيرة، يكرم أصحابه، وكان مُعَين في منصب الترجمان في الديوان، يترجم الكلام من التركية والأويغورية والفارسية إلى اللغة العربية الفصيحة، وكانت ترجمته سليمة وصحيحة"[2].

ويذكر ابن أبي الوفاء في كتابه: "الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية"، أن أبو المعالي نصر بن منصور المديني وهو خطيب بمدينة سمرقند، كان يعمل مترجًا في عهد الحاكم الأويغوري أحمد بن الخضر خاقان، واستشهد في أول عهده[3].

المبحث الثالث: الإنتاج الآدبي الأويغوري:

اهتم لأتراك الأويغور بالأدب وكان لهم إنتاج أدبي كبير عبر العصور، ويمكننا دراسة ذلك بتقسيمه إلى ثلاثة عصور هي:

1- أدب أويغوري قبل اعتناقهم الدين الإسلامي.
2- لأدب الأويغوري تحت التأثير الإسلامي.
3- الأدب الذي ظهر تحت التأثير الغربي.

وسوف أقتصر على دراسة الأدب الأويغوري قبل وبعد إسلامهم فقط.

[1]- ربيعة حامد خليفة: فن التصوير، المرجع السابق ، ص.121.

[2]- ابن الفوطي، مجمع الأداب، المصدر السابق، ج.5، ص ص، 99-100.

[3]- بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضيئة...، المصدر السابق، ج.1، هامش ص.71.

أولا: الإنتاج الأدبي قبل الإسلام:

تأثر الأدب الأويغوري قبل إسلامهم بما تعرضوا له في مراحلهم التاريخية والدينية والثقافية المختلفة، ويتجلى ذلك بوضوح في نقوش "أورخون" أو"الكوك تورك"، وفي الآثار البوذية والأويغورية والمانوية والمسيحية التي خلفوها.

أظهرت الحفريات التي أُجْرِيَت في كل من: منطقة أورخون، وسلانكا، وينسي، وطورفان، وقوجو، وكوجار، وخوتن، بآسيا الوسطى، عدة أثار تخص الآدب التركي الأويغوري، والقسم الأكبر مما أمكن دراسته من هذه الأثار هي عبارة عن موضوعات دينية، تتحدث عن أدعية وناصائح دينية تتعلق البوذية والمانوية تتمثل[1].

إمتاز الأدب التركي في بداية أمره في شكل ملاحم[2] أسطورية والملاحم تحكي بشكل منظوم بطولات أمة من الأمم، أومعتقداتها الدينية، كما تُعَّبِر عن مغامراتها وفضائلها[3]، ولا شك أن الملاحم سواء من الناحية التاريخية أو الفكرية أو العقائدية أو حتى الفنية تحمل قيمة كبيرة، وغالبا ما تكون مصدرا مهمًا تُلْقِي الضوء على الصفحات المبهمة من تاريخ أمة من الأمم، ومن هنا تنبع أهميتها التاريخية لأنها تعود بنا إلى عصور ما قبل التاريخ وتقص علينا ما نجهله عن تاريخ تلك الأمة وسواء أكانت تلك الملاحم حقيقية أو لا، فإنها ذات أهمية قصوى بما تقدمه من أخبار لأمة معينة.

وقد تمكن الباحثون من دِراسة نصوص أدبية أويغورية، مثل قصة:"جاشتاني بك" وقصة الأخوين، وقصة الكتاب الذهبي، ولكن جل الملاحم القديمة للأويغور ضاعت ولم يبقى

---

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.41.

[2]- لابد من توافر ثلاثة شروط وثلاث مراحل لتكوين وتثبيت النواة في تشكيل الملحمة القومية، أول هذه الشروط هو حدوث حادثة أو حدث أو مغامرة تزلزل كيان هذه الأمة، وتجعلها تتحدث عنها، ولا تنساها قط وتكون قد حدثت فيما قبل تسجيل التاريخ، هذا الحد هو الذي يشكل النواة الأولى للملحمة، ثم تكبر وتتعاظم هذه النواة رويدا رويدا مع الزمن، وتبدأ الأجيال تحكيها بشكل شفاهي لبعضها البعض، ومع تقدم الزمن ووسائل التسجيل وكتابة التاريخ يتم جمع هذه الروايات الشفاهية، والتي تمت في مناخ أسطوري أحيانا، ومناقبي أحيانا أخرى، وملحمي أو قومي في كثير من الأحيان، وتعتبر هذه هي مراحل تسجيل الملاحم. (أنظر، الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص ص، 141-142.)

[3]- الصفصافي أحمد القطوري، المرجع السابق، ص. 141.

منها سوى بعض ملخصاتها في موزعة في المصادر الصينية والإيرانية والتركية، وأغلب تلك الملاحم تتكلم عن أصل الأتراك وعن هجرتهم[1]، وسوف أحاول ذكر كل ملحمة على حدى.

1- أسطورة الأصل(الإشتقاق):

ملحمة الأويغور هذه عبارة عن مقتطفات تتحدث عن نشأة الأويغور وهجرتهم، وقد تم إستخلاصها من المصادر الصينية، وهي تحكي قصة إنحدار الأويغور من ذئبة بوزقيرية، وفي جزء أخر تتحدث عن هجرتهم من منطقة أوتوكن(Otuken) إلى حوض طاريم، والقسمان يتممان بعضهما البعض[2].

ملخص أسطورة الإشتقاق هي: أنّه كان لأحد حكام الأتراك القدامى ابنتان، كانتا على درجة كبيرة من الحسن والجمال، بحيث كان يعتقد بأنهما خلقتا لتكونا زوجتان للآلهة، ولا تليقان جنس البشر، ومن هنا فكر الأب إسكانهن في قلعة عالية بناها في الإقليم الشمالي المقفر لمملكته، لكي يُقربهن من الآلهة من جهة ويُبعدهن عن كل إنسان تسول له نفسه خطبتهن، وقد نجح ذاك الملك في خطته، حيث استمع لدعائه وتوسلاته إله السماء "كوك طاري"، فنزل على شكل ذئب أغبر وتزوج من الفتاتين، وقد نتج عن هذا الزاوج إنجاب تسعة أوغوز وعشرة أويغور، وظهرت قبائل (الطقوز أوغوز وأون أويغور)، وقد تكاثر أولاد الأوغوز التسعة والأويغور العشرة بصورة كبيرة[3]. بالرغم من أنّ هذه الرواية تبقى مجرد أسطورة إختلقها الأويغور، إلاّ أنها تعطينا فكرة عن أصلهم الذين أرادوا أن يجعلوه ينحدر من نسل الآلهة.

2- ملحمة الهجرة:

ملخصها أنّ الطقوز أوغوز(الأويغور التسعة) تزايد عددهم وعظمت قوتهم حتى أسسوا دولة أويغورية قوية، وعاشوا في سعادة بالقرب من جبل "هولين"، مستمدين البركة من مياه

---

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.41.

[2]- الصفصافي أحمد القاطوري، المرجع السابق، ص. 129.

[3]- أنظر، يالماز أوزتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص. 122؛ أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.41.

نهرى "طوغلا وسلانكا"، وذات ليلة سقط من السماء نور أزرق على شجرة موجودة بين هذين النهرين، ونَشر ذلك النور ضياءه شهورا طويلة في كل المنطقة، وانتفخت الشجرة وانتشرت منها أصوات ونغمات عذبة في كل الجوانب، وانتشر النور في الليالي إلى مسافة ثلاثين قدما عن الشجرة، انشق على إثرها جذع الشجرة وظهرت منه خمسة أقسام لكل واحد منها طفل جميل، ولأنهم نزلوا من السماء أصبحوا مقدسين لدى الأويغور، وقد وقف الجميع إجلالا لهم، وأعطوا لكل واحد منهم إسم يليق به، منهم: سونكورتيكن، وقتور تكين، وتوكك تكين، وأور تكين، وبوكو تكين، واتخذوا من بوغوخان(بوكو تكيت) الذي كان أصغرهم واجملهم وأدهاهم قاغان عليهم، وأولموا لذلك الولائم وأقاموا الإحتفالات[1].

ظل بوغوخان يحكمهم وكان عصره عصر رفاهية في سنوات عديدة، وبعدها اعتلى عرش الأويغور حاكم جديد، ففكر مصادقة الصينيين وإيقاف الحرب الدائرة بين الطرفين، من أجل ذلك قرر الزواج من أميرة صينية، وأعطوه "كيو- لي- ين"، وكان لدى الأويغور موضع صخرة مقدسة لا ينبت فيها العشب أبدا، موجودة إلى الجنوب من جبال تانرى، ويعرف ذلك المكان بالجبل المبارك أو الجبل السعيد(قوطلوق طاغ)، فطلب الصينيون هذه الصخرة مهرا للأميرة، فقبل الخاقان الأويغوري، مع العلم أن ذلك الجبل كان مقدسا لدى الأويغور ويعتقد أنه رمز لوطنهم، وأنه يمد دولتهم بالبركة والسعادة، فعمد الصينيون إلى إحراق وتقطيع الصخرة وحملها إلى الصين، وقد نتج عن هذا الأمر أوخم العواقب للأويغور، فمنذ ذلك الوقت انقلب حالهم رأسا على عقب وضاعت منهم البركة، وانحسرت الأنهار التي كانت تروي مزارعهم وأصبحت الأرض لا تنبت، ومات الحكام الأتراك واحدا تلو الآخر[2].

فبدأ الناس والحيوانات والوحوش والطيور وحتى الأطفال يصرخون الهجرة الهجرة، واهتزت الأرض والسماء بهذا الصوت، وأُعتقد الجميع أن ذلك كان إرادة الآلهة التي كانت

[1]- علاء الدين عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح العالم(جهان كشاي)، المصدر السابق، مج.1، ص ص، 89-90.

[2]- يالماز أوزتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص ص، 122-123؛ أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 41-42.

تطردهم، فاجتمع الأويغور في مكان واحد وقرروا الهجرة ومضوا إلى أقصى الغرب، حتى وصلوا إلى الواد الذي شيدوا به مدن(بش باليق) بالتركستان، وانخفض الصوت فاستقروا هناك، ولموا شملهم وتكاثروا من جديد، ونظموا أنفسهم فأصبحوا أمة ذات وطن وخاقان، وشيدوا المدن الخمسة التي أطلقوا عليها إسم بيش باليغ[1].

تعطينا هذه القصة فكرة وجيزة عن تكوين الأويغور دولة قوية في منغوليا ينتمي حكامها إلى جنس الآلهة، وقد تكلمت عن علاقة الأويغور بالصينيين، الذين كانوا هم المتسببين في هجرتهم إلى منطقة تركستان بعد أن إستولوا على الحجارة المقدسة الموجودة في الجبل المقدس، وقد أعادوا في تركستان تكوين دولة جديدة وبنوا مدنا كانت أكثر تحضر.

3- قصة جاشتاني بك:

إنّ أحد نصوص الأسطورة الناقصة التي تجذب الانتباه من بين النصوص الأدبية الأويغورية البوذية المانوية هي قصة "جاشتاني بك"، وهو اسم لخاقان كان يحارب الفساد ويواجه المصائب التي أراد الجن إدخالها إلى وطن الأتراك الأويغور، وكان على الملك حماية شعبه لكي يكون بحق ملكا للدولة، فَقَبِل التحدي وذهب إلى مفترق الطرق وتحارب مع اعداد هائلة من الجن الشرسين، الذين كانوا يأكلون لحوم البشر ويشربون دماءهم ويلفون أمعاءهم على أجسامهم، ويلقون بأشياء عجيبة، وكان جاشتاني يدخل في وسطهم دون أي تردد ويصرخ فيهم قائلا: أيها الجان أخبروني ! بأي حق تقتلون الناس في بلدي؟ ممن أخذتم القدرة على دخول هذه المدينة؟ انظروا إلى سيفي الحاد سأقطع به أجسامكم وأمزقها إربا، فغضب الجان من هذا الكلام وأمسكوا بعضهم البعض وأسدلوا شعورهم الحمراء بلون النار على ظهورهم، وبدؤوا في ضرب جاشتاني بك بالحراب، ولكن هذا الأخير تمكن من صدهم وأمسك بقائدهم المسمى أورومكي من شعره وفصل رأسه عن جسده، فخافت الجن وهربت منهزمة[2].

---

[1]- عطا ملك الجويني، المصدر السابق، مج.1، ص.93.

[2]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 42-43.

4- أنصاب بنغو أويغور(Uygur Bengu Taslar): تنقسم الأنصاب أو النقوش التي تحمل نصوصا أدبية وتعود إلى الأويغور إلى سبعة نقوش هي:

1- طارياط	Taryet
2- تس	Tes
3- شينه – أوصو	Sine-usu
4- قارابلغاصون	Kara Balagasun
5- موربلجين	Gurbelç in
6- صومون تس	Somon Tes
7- صومون سيڤروى	Somon Sevruy

وكلها قِطع أدبية منقوشة على مسلات حجرية تُخلد ذِكرى ملوك الأويغور وحروبهم، وسعيهم الدءوب لتوحيد القبائل التركية من أجل مواجهة الأعداء، ويختلف حجم وعدد سطور كل نقش عن الآخر، كما تختلف تواريخ إكتشافها، كلها جاءت نتيجة الحفريات الأثرية التي تمت في أواخر القرن التاسع والعاشر الميلاديين[1].

حرص الأويغور على تدوين هذه الملاحم والقصص والأساطير في أشكال أدبية، وعملوا على حفظها وتناقلها أبًا عن جد. وإضافة إلى هذه الملاحم فإن الحفريات الأثرية التي أجريت في منطقة آسيا الوسطى أظهرت أنّ الأتراك الأويغور أنتجوا أشعارا كثيرة، فقد أشار مؤرخ الأدب التركي رشيد رحمتي أرات(1900-1969م) في كتابه المسمى: "الشعر التركي القديم"، إلى وجود سبعة وعشرين(27) قطعة شعرية تخص الأويغور، ستة منها مكتوبة تحت التأثير الإسلامي، وأظهر أيضا شروح وإيضاحات ونصوص مترجمة إلى اللغة التركية الأناضولية الحالية[2].

[1]- الصفصافي أحمد القاطوري، المرجع الابق، ص. 136.

[2]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.44.

إنّ الأشعار التي تتخذ مكانها في هذا المؤلف هي أشعار مكتوبة بالخط الأويغوري، توجد عشرون قطعة منها مكتوبة تحت التأثير البوذي، وسبعة منها تحت التأثير الماني، وقد أكد رشيد رحمتي أرات من أن هذه الأشعار مكتوبة بين القرنين الثامن والثالث عشر الميلاديين، ومعظمها تحمل أسماء مثل: قوشوغ وقوشمه وطافشوت وطاقماق وبير وكوج، وهي تفرعات دينية ومدائح وسور تتحدث عن الموت وجهنم ونصائح وتضرعات، ويوجد بين هذه النصوص أشعار للطبيعة الشيقة الخلابة، وأشعار غنائية للحب، وأغاني الشباب(الفتوة) والحكمة[1].

لقد كان صاحب كتاب"أرينجور تكيني" هو أول شاعر تركي أويغوري، تربى تحت التأثير الماني في الفترة الأولى للأويغور، وكان له قطعتين شعريتين الأولى عبارة عن مديح في أسلوب تضرع مكتوب من أجل ماني، أما القطعة الثانية فهي في الحب، ذات طبيعة دنيوية وأدبية وتختلف عن المنظومات الدينية من ناحيتي الشكل والمضمون[2].

وقد قُبل هذا النص على أنه أول نموذج لأشعار الحب الغنائية في اللغة التركية، وهذا هو نص القطعة الثانية:

"الحبيبة التي ليست لها نظير

روحي المحبوبة

قد فكرت في خطبتك، وأعاني من الشوق

وكلما عانيت من الشوق... يا جميلتي القاسية

إنني أريد أن أصلك

إني أفكر في حبيبتي الفريدة

أريد أن أقبل محبوبتي

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 44-45. عن كتاب " الشعر التركي القديم" لرشيد رحمتي أرات.

[2]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 45-46.

وإذا قلت أسير... يا حبيبتي الجميلة

لا أتمكن من السير يا رحيمتي

ليتني أدخل يا صغيرتي

ولكني لا أستطيع الدخول أيضا

يا من لك رائحة العنبر والمسك

فلتأمر الآلهة المضيئة

لا نستطيع فراقا أكثر من ذلك(مع من توحدنا معه) بعد أن توحدنا مع ذات الطبع الرقيق.

ولتمدنا الملائكة الأشداء بالقوة

ولنجلس في بهجة مع سوداء العيون"[1].

وقد برز العديد من الشعراء الأويغور قبل الإسلام من بينهم:

1- آرينجو تكيني(يعرف بقطعتين شعريتين)
2- كول طارقان(يعرف باسمه فقط).
3- صيغكو شلى طوطونج، قام بترجمة رحلة الرحالة الصيني المشهور:هيوان تشانج، الذي درس اتساع الدول التركية، فقام بترجمتها إلى اللغة الأويغورية في النصف الأول من القرن العاشر، والترجمة موجودة في المكتبة القومية بباريس.
4- كيكي، تربى هذا الشاعر في بيئة بوذية، وله قطعتان شعريتان.
5- براتيايان، وله قطعتان شعريتان.
6- آصيغ طوطونج.

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 45-46.

7- جيصويا طوطونج[1]، له قطعة شعرية تسمى:"زيت الثرثرة" أورد جزء منها:

"إنه يتيح للمريدين معلومات متعددة وأول شيء فيها أن تكون متلونة.

وينثر بذور بعض الطرق السوداء السيئة.

والإنسان العاقل ينتبه كل وقت قبل أن يخطئ أكثر من ذلك.

وهو هكذا يفتح أعظم أبواب النروانا(هي حالة نفسية ومعنوية لدى المتدينين الهنود)"[2].

8- كاليم كيشي، ولهذا الشاعر الذي يعتقد أنه تربى في بيئة بوذية قطعة شعرية رقيقة.

9- جوجو، وقد ذكر في كتاب دوان لغات الترك لمحمود الكاشغري، ويعتقد أن جــزءا من الشعر المنظوم في هذا الكتاب يعود له[3].

وهناك نص شعري لمؤلف مجهول يتحدث عن تركي أويغوري تغرب عن وطنة، ويسأل عن حال الماكثين في الوطن الأم، وهل هم يبكون من أجله أم لا يبكون، هذا نصه:

"إن السحب البيضاء ترعد في كبد السماء

هل كلها ستمطر ثلجا

وأمي العجوز ذات الشعر الأبيض

هل ستذرف دموعها متألمة

إن السحب البيضاء ترعد في كبد السماء

هل ستمطر ثلجا أم مطرا

وأمي العجوز الهرمة

---

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق ، ص.47.

[2]- نفسه، ص ص، 47-48.

[3]- نفسه، ص ص، ص.47.

هل ستذرف دمعها بسبب السوق

هل سحب الربيع ستمطر مطرها مانحة الحياة، ترعد في كبد السماء

هل الزوجات الصغيرات السن سيذرفن دموعهن

هل سحب البريع ترعد في كبد السماء

هل ستمطر مطرا كثيرا

وهل ستذرف صنو قلبي دموعها"[1].

ثانيا: الإنتاج الأدبي للأويغور بعد إسلامهم.

حقق الأتراك الأويغور تقدما كبيرا في مجال الأدب بعد اعتناقهم الدين الإسلامي، فقد أخرجوا في الفترة الممتدة بين القرن الخامس والثالث عشر الهجري/الحادي عشر والتاسع عشر الميلاديين، أسماء كبيرة تزيد عددها عن خمسة وسبعون شخصية، منهم الأديب واللغوي والشاعر والقانوني والفلكي والرياضي والطبيب والمؤرخ والجغرافي، مثل يوسف خاص حاجب، ومحمود الكاشغري، وأحمد يوكنيني، وأحمد سيد الكاشغري، ومحمد يوسف بن محتشم الكاشغري، ومولَلا محمد صادق الكاشغري، ومحمد صادق الياركندي، ومحمد صادق ينكي حصاري وجلال الدين كاتب الياركندي، ومولَلا محمد تيمور الكاشغري، وسَدّى الكاشغري وعبد الله السرمنى ومولَلا موسى الأقصوى، ومولَلا موسى السايرامى، وبلال ناظم وعبد الرحيم نزارى ومحمد بابا خواجه الخوتنى ومحمد بن سدير زين الدين الكاشغري[2].

أنتج هؤلاء ما يزيد عن 130 مؤلف، والجزء الأكبر من تلك المؤلفات موجود حتى الآن في مكتبة لينتجراد القومية بروسيا، وقد ترجم العلماء الأتراك الأويغور ما يزيد عن250 مؤلف عن العربية والفارسية[3]، وسأحاول ذكر بعض المؤلفات التي توفرت لدي المعلومات عنها.

---

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق ، ص ص، 48-49.

[2]- نفسه ، ص ص، 49-50.

[3]- نفسه، ص.50.

1- كتاب "قوتادغوبليك" ليوسف خاص حاجب(1019-1085م):

يعد كتاب قوتادغوبليك ومعناه:"علم السعادة" الذي ألفه يوسف خاص حاجب بالحروف الأويغورية بعد مرور ثلاثمائة(300) عام على تشييد الآثار التذكارية الأورخونية[1]، من بين التحف الفنية والأدبية الأكثر قدما للدولة التركية الأويغورية القراخانية[2].

ولد يوسف في مدينة بلاساغون(كوز أورد) التي تقع في منطقة سميرتشي، وهي تعد واحدة من عواصم الدولة الأويغورية القراخانية[3]، وكان منذ صغره مهتما بالقراءة والكتابة، صاحب معلومات قَيِمة وموسوعية، أجاد لغات عديدة مثل: العربية، والفارسية، ولغات وسط إيران، إضافة إلى لغة قومه الأويغورية، وأجاد الكتابة منذ نعومة أظافره، وقرأ مؤلفات مشاهير علماء عصره، مثل: الفرابي[4]، وابن سينا(370-428)[5]، ولما أصبح ذا عِلم غزير

---

[1]- تتناول نقوش أورخون فترة نصف قرن من 630 إلى 680م التي كان أتراك الشرق في أثنائها تحت حكم الصين، وتتحدث كذلك عن الأتراك الذين إستطاعوا الحصول على إستقلالهم تحت قيادة بعض الخانات الجدد، وإستطاعوا في زمن قصير من إخضاع أبناء جنسهم من أتراك الغرب لحكمهم.(أنظر، بارتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.18.)

[2]- التركستان تحت الإحتلال الصيني، المرجع السابق، ص.35؛ Pierre KOUZNIETSOV, opt. cit. p.58 .

[3]- Pierre KOUZNIETSOV, opt. cit. p.58. -

[4]- هو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي صاحب كتاب: ديوان الأدب، وكان من أهل اللغة واشتهر تصنيفه في الآفاق، وهو من مدينة فاراب، موجودة فوق الشاش، قريبة من بلاساغون. (أنظر، السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.9، ص ص، 211-212؛ عز الدين ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، ج.2، مكتبة المثنى، بغداد، ص.402.).

[5]- هو العلامة الشهير الفيلسوف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخيُّ ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطِّبِّ والفلسفة والمنطق، كان أبوه كاتبا من دعاة الإسماعلية، ولد ابن سينا في سنة سبعين وثلاث مئة ودرس القرآن الكريم وكثيرا من الأدب وهو ابن عشر سنين، ثم درس المنطق وأحكمه وفقه كتاب إقليدس وتفقه في الفقه وهو ابن ست عشرة سنة، ثم قرأ جميع أجزاء الفلسفة وقرأ كتاب:"ما بعد الطبيعة"، فأشكل عليه وأعاد قراءته أربعين مرة، إلى أن كثر على مجلد للفرابي في أغراض كتاب"ما بعد الحكمة الطبيعية" ففتح له أغراض الكتب، وقد عالج سلطان بخارى نوح الساماني وإطلع على خزانة كتبه، ولما وصل إلى سن الثمانية عشر من عمره فرغ من العلوم كلها، وصنف المجموع، وصنف كتاب "الحاصل والمحصول" في عشرين مجلدة في الفقه والتفسير والزهد لأبي بكر البرقي، وصنف في منطقة الجبال كتبا كثيرة منها: "الإنصاف" في عشرون مجلد، و"البر والإثم" في مجلدان، و"الشفاء" في ثمانية عشر مجلدا، وكتاب"القانون" في عدة مجلدات، و"الإرصاد" في مجلد، و"النجاة" في ثلاث مجلدات، و"الإشارات" في مجلد، و"القولنج" في مجلد، و"اللغة" في عشر مجلدات، و"أدوية القلب" مجلد، و"الموجز" مجلد، و"المعاد" مجلد، ورسائل كثيرة، ثم نزل مدينة الريّ وخدم مجد الدولة وأمه، ثم خرج إلى قزوين وهمذان، فوزر بها، ثم أقام عليه الأمراء ونهبوا داره وأرادوا قتله فاختفى، ثم أعاده شمس الدولة القولنج واستوزره ثانيا، ثم هرب إلى أصبهان متنكرا في زي الصوفية هو وأخوه وخادمه وغلامه، فأكرمه علاء الدولة صاحب أصبهان، وتوفي بهمذان بعد مرض عضال سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وسنه ثلاث وخمسون سنة، ودفن عند سور همذان وقيل نُقل تابوته إلى أصبهان. (أنظر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت: 748هـ/1374م): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ج.17، ط.11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ص. 531 فما بعدها من عدت صفحات.)

ألف كتاب:"قوتادغوبيليك" ومعناها علم السعادة[1]، ويقول بارتولد معناه:"العلم الذي يسعد أو العلم اللائق بالملوك"، لأن كلمة"قوت" معناها البحث والسعادة، وكانت تستعمل في كل مكان في الكتاب، وهي أداة للتعظيم مثل عبارة: صاحب الفخامة في العربية[2].

يُعتبر كتاب"قوتادغوبيليك" من بين المؤلفات المتميزة لأتراك، وقد كتب بالخط الأويغوري بين عامي 462-463هـ/1069-1070م خصيصا للحاكم القراخاني طمغاج بوغراخان(أبو علي حسن قراخان)، وقد أكمل كتابته في مدينة كاشغر، فأُعْجِب الخاقان بهذا المؤلف كثيرا، وأطلق على يوسف البلاساغوني لقب "خاص حاجب" أي من رجال القصر، أو "أولوغ خاص حاجب" أي كبير الحُجّاب، ويعتقد أنه لما أتم يوسف هذا الكتاب كان يبلغ من العمر خمسين عاما[3].

الكتاب منظوم في حوالي 6500 بيت من الشعر، وهو يتحدث عن سياسة المُلك والأخلاق، ويَعمل على تِبيان حق الرعية على رَاعيها، وواجب المَحكوم نحو الحَاكم، كما يتحدث عن الفَضِيلة والرذيلة وأثر كل منهما في حياة الجماعة والمجتمع، كما أرشد الكتاب إلى كثير من أمور الدنيا والدين، والروح التركية تتجلى في هذا الكتاب من أوله إلى أخره، والنزعة الخلقية من أبرز ما يتصف به هذا المؤلف[4].

وقد نقل مجيب المصري في مؤلفه "تاريخ الآدب التركي"، ما كَتَب يوسف خاص حاجب عن العدل والقانون، حيث قال:" العدل والقانون متمي عاقل الحكم، وأيما حاكم جعل العدالة رائدة فقد أرسى أساس ملكه وأسعد أيامه، ياحاكما يريد الخير لبلاده، عليك أن تسوس الرعية بخلوص نية، وإلا هوى عنك ملكك وهان شأنك، فطهر قلبك، تملك رقاب من يعاديك، وعش في سلام، وإنعم بالوئام، الحاكم يهدم ملكه إن حاد عن الصراط السوي وركب الطريق على غير قصد، إذا شئت الغلبة على عدوك فكن حديد البصر مرهف السمع، واعلم أن العمل

[1]- أركين آلبتكي، المرجع السابق، ص ص، 50-51.

[2]- بارتولد، تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.153.

[3]- أركين آلبتكي، المرجع السابق، ص ص، 50-51.

[4]- نصر الله مبشر الطيرازي، المرجع السابق، ص.79.

يبنى والكسل يهدم، فخذ من الكسل حذرك، وإذا تراخيت فمن ذا الذي يدفع عنك عداك"[1].

يشكل الكتاب تراثا هاما في الأدب الإسلامي فهو مؤلف علمي تربوي أخلاقي وسياسي، لأنه يتحدث عن تشكيلات الدولة القراخانية ويوضح مستواها الاجتماعي والثقافي، كما يمدنا بمعلومات قَيّمة عن تشكيلات الدول التركية القديمة، والقسم الأكبر من المنظومة عبارة عن قصة تمثيلية، يُقدم فيها عالم فاضل جليل دروس وعِظات لحاكم الدولة القراخانية الأويغورية وصديقه، ويريه كيفية إقامة العدل بين الرعية، وكيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الخمر ولعب القمار[2].

يستعمل الكاتب المجاز في التحدث عن الدولة، حيث لا يوجد اسم واحد لشخص تاريخي، فملك الدولة القراخانية يُرمز إليه بالعدالة، أما الفضائل الحميدة فيمثلها كل من وزيره وابنه وإخوته[3].

يبدو أنّ المؤلِف كان معتّز بما كتب، ويبدو ذلك في مقدمة الكتاب التي نقلها حسن مجيب المصري في كتابه: تاريخ أداب الترك:"إن هذا الكتاب أعجوبة الأعاجيب، فقد أزدان بأقوال حكماء الصين وعلمائها، وطوبى لكل من تفهم شعره وتدبر معانيه، لأنه بذلك لا شك مرتفع درجات، لقد أجمع أهل الذكر في الصين والتركستان وكل بلاد المشرق على أن هذا الكتاب وحيد نسجه وفريد في بابه، وأن أقلام بلغاء الترك لتكبو دونه ويعز عليها أن تأتي بشيء مثله، وقد سماه أهل الصين "أدب الملوك"، وعرف عند أعيان البيان في المشرق بـ"زينة الأمراء"، أما الفرس فقالوا إنه "شاهنامة تركية"، وقال غيرهم إنه "نصائح الملوك"[4].

من أهم مميزات هذا الكتاب أنه ظّل محافظا على الشخصية التركية سواء في المبنى أو المعنى، وأما مظاهر التغيير فيه فأبرزها التوفيق بين الأساطير والحكايات الشعبية التي تميز بها الأدب التركي في ذلك الوقت، وبين الأسس العامة للدين الإسلامي، وتظهر المؤثرات

[1]- حسين مجيب المصري: تاريخ الأدب التركي، المرجع السابق، ص.13.

[2]- زياد محمد الهواش، المرجع السابق، 312.

[3]- بارتولد، تاريخ الترك، المرجع السابق، ص.154.

[4]- حسين مجيب المصري: تاريخ الأدب التركي، المرجع السابق، ص.13.

الإسلامية فيه بشكل واضح، فقد ورد فيه على سبيل المثال:

"من لا خير للناس فيه غير جدير بالحياة.

فضائل الإنسان لا تظهر إلا بين الناس.

الدين يدعوك لأن تجعل الأشرار أخيار، وأن تقابل الجفاء بالوفاء، وأن تعفو عند المقدرة"[1].

وذكر الباحث التركي "أركين آلبتكين": أن أول نسخة لهذا الكتاب قد اكتشفت في عشرينيات القرن التاسع عشر الميلادي في إستانبول، أما النسخة الثانية فقد اكتشفت في سنة 1897م في القاهرة، واكتشفت النسخة الثالثة في ولاية نامانغان بأوزبكستان في سنة 1914م[2].

في حين يري الباحث الروسي بارتولد: أنّ أوّل ظهور لهذا الكتاب كان في سنة 1891م، حيث عثر المستشرق الروسي ف. رادولف(W.Radloff)، على نسخة مكتوبة بالحروف التركية الأويغورية بمكتبة فينا، ونشرها بالزنكوغراف، ثم نشر متن الكتاب مطبوعا مع ترجمة ألمانية سنة 1900م، وبعد ذلك جمع اللغوي التركي تلك النسخ الثلاث باستخراج صورها الفوتوغرافية، وقارنها مع بعضها البعض، وأصلح ما وقع بها من الأخطاء في ترجمة رادلف، في نحو ثمانية أعوام، ثم نشر النسخ الثلاث في ثلاثة مجلدات سنة 1942م[3].

قام بدراسة هذا المؤلف عدد كبير من العلماء، أمثال: جوزيف فريهر، وفون هام بورجستال، وآريني فامبري، وويلهام رادولف، وويلهام طومسن، وسيرجي مالوف، والأستاذ زكي وليدي طوغان، وم.دل آجار، وقاموا بترجمته إلى عدة لغات حديثة[4]، ويوجد نسخة من الكتاب مكتوبة بالخط العربي في دار الكتب المصرية، كانت تعتبر فريدة من نوعها حتى ظهرت نسخة أخرى بفرغانة بتركستان، ونقلت إلى مدينة لنينجراد الروسية[5].

---

[1]- زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.313.

[2]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.51.

[3]- بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، تر، حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، 1966م، هامش ص.133.

[4]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 51-52.

[5]- بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، هامش ص.133.

وقد تم نقش أبيات من أشعار هذا الكتاب على مزهرية خزفية مصنوعة حوالي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وجدت في مدينة "سرايجك" على مصب نهر أورال، في آسيا الوسطى[1].

2- كتاب ديوان لغات الترك لمحمود الكاشغري(1019-1134م):

يجب التحدث في معرض ذكرنا بواكير الأدب التركي الأويغوري عن الكتاب الشهير:"ديوان لغلت الترك"، الذي ألفه محمود الكاشغري في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، مابين: 464 و466هـ/1072-1074م، ورغم أنه من مواليد مدينة كاشغر فإنه ألفه باللغة العربية في مدينة بغداد، زمن السلاجقة(447-656هـ/1055-1258م)[2]، وقدمه كهدية للخليفة العباسي أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدى بأمر الله(467-487هـ/1075-1094م)، يقول في مقدمة كتابه:" ووضعت كتابي هذا مستعينا بالله تعالي موسما بديوان لُغات الترك ...برسم الحضرة المقدسة النبوية الإمامية الهاشمية العباسية، سيدنا ومولانا أبى القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين.."[3].

الكتاب على جانب كبير من الأهمية حيث يقدم لنا وجهة نظر تاريخ الحضارة التركية الأويغورية الإسلامية، ويعكس حياة الأتراك الاجتماعية والسياسية، وعاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم، كما يدّل على مدى تأثّر الأويغور بالتقاليد الإسلامية من خلال إيرادهم الآيات

---

[1]- نفسه، ص.134.

[2]- ابتدأ هذا العصر أثناء خلافة القائم بالله، وانتهى بمقتل المعتصم بالله، وتميز بانتقال السلطان الفعلي إلى أيدي السلاجقة الأتراك الذين أقاموا في بلاد الجبل، كانت أوضاع الخلافة مع هؤلاء السلاجقة أفضل منها مع بني بويه، لأنهم احترموا الخلفاء تدينا باعتبارهم على مذهب أهل السنة، وأبدوا لهم من مظاهر التعظيم والإجلال ما يقضي به منصبهم الديني، ولم يكن الخلفاء خلال هذا العصر على نمط واحد من القدرة والتصرف، فإنهم منذ عهد المسترشد بالله شرعوا يستردون بعض نفوذهم الفعلي، واستقلوا بحكم بغداد والأعمال التابعة لها منذ عهد المقتفي، واستعادوا نفوذهم منذ عهد الناصر، واستقلوا بحكم العراق ومكثوا ستة وستين عاما لم يخضعوا فيها لأي سلطان إلى أن قام المغول باحتلال بغداد، وأسقطوا الخلافة العباسية، ومثل العصر السلجوقي من الخلافاء كل من: القائم والمقتدي، والمستظهر، والمسترشد، والرشيد، والمتقي، والمستنجد، والمستضيء، والناصر، والظاهر، والمستنصر والمستعصم. (أنظر، محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، لبنان، 1430هـ/2009م، ص ص، 35-36.)

[3]- محمود الكاشغري، المصدر السابق، مج.1، ص.03-04.

القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة في الكتابة[1].

على ما يبدو فإن محمود الكاشغري قد تلقى تعليما جيدا على يد علماء بلده كاشغر، حيث تتلمذ لحسين بِنّي حلب(ت:486هـ/1093م)، وأتقن علوم الدين الإسلامي، واللغة العربية والفارسية بالإضافة إلى لهجات تركية مختلفة، حيث درس في صغره في المدرسة الحميدية والمدرسة الساجية العالية – لم أجد لهما تعريف-، وتعّلم الفلسفة واللغات والنحو والمنطق والتاريخ والجغرافيا والفلك والطب، وإنتقل بين المراكز الثقافية الإسلامية في بخارى، وسمرقند، ونيسابور، وإستفاد منها كثيرا، وقد ترك محمود مدينته كاشغر في عام 449هـ/1057م وهو في التاسعة والأربعين من عمره، وتجّول لمدة 15 سنة لدراسة اللهجات التركية المختلفة، وجمع المعلومات لكتابة "ديوان لغات الترك"، وقد إنتقل إلى بغداد في عام 464هـ/1072م هربا من الإضطراب السياسي الذي كان يحدث في عاصمة القراخانيين كاشغر[2]. حيث أكمل كتابة معجمه هناك.

وقد ذكر محمود الكاشغري ذلك في كتابه: "إني نقبت بلادهم وفيافيهم، واقتبست لُغاتهم وقوافيهم، تُركية وتركمانية، أغُزية وجِكِلية ويغمائية وقرقزية، مع كوني من أفصحهم لسانا، وأوضحهم بيانا، وأحذقهم جنانا وأعرَقِهم مَحْتِدًا، وأثقفهم سنانا، حتى استقام عندي لغة كل طائفة منهم أحسن قوم، وألفته ابلغ تأليف في أزين نظام."[3].

بهذا التجوال أمدنا الكاشغري بمعلومات وافرة عن القبائل التركية، حيث قال: "الترك في الأصل عشرون قبيلة، وكل قبيلة منها بطون لا يحصيهم إلا الله، فاني عاد أمهات القبائل وتارك الحلل، إلاّ بطون الغزية التركمانية، فإني ذاكر بطونهم وسمات دوابهم، لحاجة الناس إلى معرفتهم، ومبين منازل كل قبيلة منهم، من الأرض الشرقية على الترتيب، من قرب الروم إلى المشرق، جاهلية وإسلامية، فأول القبائل قرب الروم: بجنك ثم ققجاق ثم أغز ثم يماك ثم

[1]- زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.113.

[2]- حودت جقمجقجي: المعاجم اللغوية، مقرر اللغة التركية، جامعة الملك سعود، كلية اللغات والترجمة، قسم اللغات الآسيوية والترجمة، الرياض، 1428م، ص.16.

[3]- محمود الكاشغري، المصدر السابق، مج.1، ص.03.

بشغرت ثم يسمل ثم قاى ثم يباقو ثم تتار ثم قرقز، وهذه قرب الصين، هذه القبائل كلها بحذاء الروم ممتدة إلى الشرق، ثم جيكل ثم تخسي ثم يغما ثم إغراق ثم جرق ثم جمل ثم أيغر ثم تنكت ثم ختاي، وهي الصين، ثم تفغاج وهي ماصين وهذه القبائل متوسطة بين الجنوب والشمال"[1].

لقد أمدنا الكاشغري بمعلومات دقيقة عن التاريخ التركي وأساطيره، وعن الجغرافيا والأدب الشعبي، فأرسى بذلك للأسس الأولى لعلم التركيات، كما أوضح القواعد الهامة للغة التركية في كتابه، وزودنا بالتغيرات الصوتية التي لحقت بها، وأمدنا بحالات الاسم والنماذج الغنية، خاصة فيما يخص بناء الفعل[2]، فمحمد الكاشغري عالم لغوي متمكن، يُقّسم اللهجات التركية الأدبية في ذلك العهد إلى اللهجة الشرقية(الخاقانية) واللهجة الغربية(الأوغوزية).

يمكن القول أنّ كتاب"ديوان لغات الترك" هو عبارة عن دائرة معارف نظمت طبقا للترتيب الأبجدي للهجات التركية المكتوبة، والمتحدث بها في زمانه[3]، حيث يقول الكاشغري:"ووضعته مرتبا على ولاء حروف المعجم كما زينه بنصوص نثرية منظومة ونماذج وبعض الوقائع التركية، موشحا بحكمة أو سجع أو مثل أو شعر أو رجز أو نثر"[4]، ويضيف في مكان أخر:" ونثرت فيها شواهد من أشعارهم التي تفوهوا بها في ايذانهم بالأمور وأشعارهم، وكذلك الأمثال التي ضربوها على مدارج الحكمة في الكربة والنعمة"[5].

والكتاب عبارة عن قاموس يعطي لسبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية مقابلها العربي، ونظمت الجمل من أجل أنّ تفهم معانيها جيدا، فأصبح قاموس يرقى إلى درجة دائرة معارف ثمينة، حفظت تراث اللغة التركية والثقافة الأتراك القديمة[6]، ويبدوا أن الكاشغري كان يهدف من هذا الإنجاز الكبير إلى تعريف العرب باللهجات التركية.

---

[1]- محمود الكاشغري، المصدر السابق ، مج.1، ص. 27-28.

[2]- نفسه ، مج.1، مج.1، ص. 07 فما بعدها من عدة صفحات.

[3]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.52.

[4]- محمود الكاشغري، المصدر السابق، مج.1، ص. 04.

[5]- نفسه، مج.1، ص. 07.

[6]- أركين آلبتكين، المرجع الابق، ص ص، 52-53.

أورد المؤلف أيضا كلمات من مختلف لهجات اللغة التركية الشرقية الخاقانية والأوغوزية والأويغورية، وأعطى شواهد كثيرة من فنون الأدب الشعبي والأساليب الأدبية المختلفة من نثر أو شعر أو رجز أو مَثَل أو حكمة، ومن هنا يُعد هذا المصنف كنزا ثمينا للغة والأدب والثقافة التركية[1].

وينفرد الكاشغري بإعطاء معلومات عن حدود بلاد المسلمين في شرق تركستان زمن الدولة الأويغورية القراخانية، حيث يقول:"تفغاج هو إسم ماصين وهي بعد الصين بمسافة أربعة أشهر ثم الصين ثلاث في الأصل: العليا في الشرق"تفغاج" والوسطى"خطاي" والسفلى"برخان" وهي كاشغر، ولكن تفغاج يعرف الآن بـ"ماصين" ثم "ختاي" بـ"صين"[2]، كما أمدنا بمعلومات مهمة عن مدن الأويغور، حيث يقول:"أيغر اسم ولاية وهي خمس مدائن، بناها ذو القرنين حين صالح ملك الترك"[3]، من هنا أستطيع القول أن هذا الكتاب هو مصدر مهم للحياة الاجتماعية، ولدراسة طبيعة إنتشار الجغرافي للأقوام التركية وكذا أديانهم القديمة.

لعل أهم ما يلفت النظر أنّ محمود الكاشغري هو الوحيد من بين الذين كتبوا باللغة العربية، إعتمد على مشاهدات واقعية ولم ينقل عن كتب مدونة، وهو الوحيد من بين الكتب العربية الذين لم يستعملوا كلمة تغزغز لدلالة عن قبائل الأويغور بل إستعمل كلمة أويغور، وهذا يثبت أن المؤلفين العرب نقلوا كلمة تغزغز للدلالة عن الأويغور خطأ عن الكتب القديمة، ثم تناقلوها فيما بينهم، وتدل معلوماته القصيرة التي ذكرها على أنه كان يملك كتبا تاريخية كثيرة ولكنها فقدت.

تضمن المجلد الأول من كتاب:"ديوان لغات الترك"، في الصفحة 25 خريطة للعالم، جعل فيها الكاشغري وسط آسيا هو مركزا للأرض(أنظر، الصورة رقم:13)[4]، وفي صفحات

---

[1]- حودت جقمجقجي: المعاجم اللغوية، المرجع السابق، ص. 17.

[2]- محمود الكاشغري، المصدر السابق، مج.1، ص.378.

[3]- نفسه، مج.1، ص. 101.

[4]- أنظر، الصورة رقم: 13، ص. 411.

أخرى أورد بعض الحروب التي دارت رحاها بين الترك الوثنيين والأويغور المسلمين[1]، كما ضم عبارات تُمَجِد الحكمة والعلم، حيث قال:" أطلب الحكمة والعلم وتعلمه ولا تتكبر عن العلم، فإن من إدعّى الحكمة والأدب بغير تعلم يتحير حالة الإمتحان"[2]، وفي موضع أخر من المؤلف يقول في نفس السياق:"أحسن إلى الرجل العالم الحكيم واستمع كلامه وتعلم ماله من الأدب والمنفعة واستعمل بما تعلمت منه وبه سمي الرجل "بلكابك" أي أمير العلم عاقل حكيم، وكان خان أيغر يسمى "كول بلكاخان" ومعناه عاقل كالغدير"[3].

ولأهمية هذا الكتاب فقد إعتمد العرب والأتراك فترات طويلة عليه، سواء من أجل تَعَلُم اللغة التركية وقواعدها، أو من حيث كونه مصدرا مهما لتراث الترك الثقافي.

نشرت عدة ترجمات وبحوث عن الكتاب، وطبعت نسخته الأصلية من قبل الكثير من العلماء، في: ألمانيا وروسيا والمجر وفرنسا، وقد طبع هذا المصنف لأول مرة في مطبعة عامرة باستانبول، عام 1333-1335هـ/1914-1916م، في ثلاث مجلدات، ولكن أفضل ترجمة طبق الأصل له تم نشرها من قبل الأستاذ بسيم آتالاي، كانت في خمسة مجلدات تم نشرها ما بين أعوام 1943 و 1943م، من ضمن مطبوعات المجمع اللغوي التركي، وإحتوت على فهارس وصور[4]، والطبعة التي بين يداي قام بترجمتها الباحث التركي: بسيم أطالاى(1939-1941م)، وظهرت ضمن نشريات مجمع اللغة التركية[5].

لقد عاد محمود الكاشغري من مدينة بغداد إلى بلده في سنة 1080م، وإستقر في مدينة كاشغر عاصمة دولة القراخانيين الأويغور، وأسس هناك بعد عودته المدرسة المحمودية في أوبال، وضّل يُدّرس فيها عدة علوم إلى أن وافته المنية في سنة 483هـ/1090م، عن عمر يناهز 97 سنة، ودفن هناك[6].

---

[1]- زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.314.
[2]- محمود الكاشغري، المصدر السابق، مج.1، ص. 213.
[3]- محمود الكاشغري، المصدر السابق، مج.1، مج.1، ص. 358.
[4]- حودت جقمجقجي: المعاجم اللغوية، ص.18.
[5]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.53.
[6]- حودت جقمجقجي: المعاجم اللغوية، ص.17.

3- كتاب "هبة الحقائق" للأديب أحمد يوكنكى(1110-1180م):

أحمد بن محمود يوكنكي هو أديب أويغوري، ولد بمدينة يوكنكى التابعة إلى القراخانيين الغربيين، في سنة 1110م وتوفى حوالي سنة 1180م، ويرجع نسبه إلى الأتراك الأويغور، وقيل أنه كان أعمى، لكن أخلاقه وصفاته كانت ساطعة، فبالرغم من أنه ولد أعمى البصر إلا أن الله تعالى ملأ قلبه وروحه بنور البصيرة[1].

ألف كتابه"هبة الحقائق" أو"عتبة الحقائق" في القرن السادس الهجري/أوائل القرن الثاني عشر الميلادي،وقد عَثَر عليه لأول مرة العالم التركي نجيب عاصم في سنة 1918م، وقام بترجمته إلى اللغة التركية الأناضولية، ثم نشره الأستاذ رشيد رحمتى آرات سنة 1951م[2].

يعد "عتبة الحقائق" أثرا أدبيا ضخما ذا طابع تهذيبي، كتبه بهدف تفسير عدد من المسائل والقضايا السياسية والاجتماعية والأخلاقية على أساس تعاليم الدين الإسلامي، على شاكلة كتاب"قوتادغوبيليك"[3]، والكتاب مؤلف بشكل علمي منظوم في الأخلاق وفي اللغة التركية، وصنف من أجل تربية أفراد المجتمع داخل إطار الثقافة التركية الإسلامية، وقد إحتوى المدخل على تعظيم الله عز وجل والرسول صلي الله عليه وسلم، وتحدث عن وفاة الصحابة الأربعة الكرام، وكتب بقافية في شكل جميل، أما القسم الذي يشرح الموضوع الرئيسي، فقد كتب على شكل رباعيات(a-a-x-a) في شكل قافية وعلى شكل:(mani)[4].

تألف الكتاب من 14 باب تتضمن 484 بيتا، وقد وصل عدد الأبيات بالتعليقات التي كتبها الآخرون إلى حوالي 512 بيتا، وقد ألفه في أواخر عهد الدولة القراخانية باللغة

---

[1]- عبد الرحمان جمال الكاشغري: الأديب الأويغوري أحمد يوكنكي ومؤلفه عتبة الحقائق، مقال منشور في منتدى المنى والآرب الثقافية، سير وأعلام وشخصيات، الموضع مضاف إلى الموقع في 2010/05/05م، على 04:57 د، ورفعته يوم 2015/08/11م على 18:59د.

[2]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 53-54.

[3]- عبد الرحمان جمال الكاشغري: الأديب الأويغوري أحمد يوكنكي ومؤلفه عتبة الحقائق، مقال سابق.

[4]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.54.

الأويغورية الكاشغرية، حيث يقول:" لو علم كل شخص لغة كاشغر يعرف من هو الأدب المذكور"[1].

يعتبر أحمد يوكني كاتب منظومات تعليمية تمدنا بمعلومات أخلاقية ووعظية أكثر منه مجرد شاعر خيالي يملك إحساس رقيق، وأكد في منظوماته على الأعراف التركية والمبادئ الإسلامية، وقد ساق المبادئ الأساسية للحياة القائمة على العلم والكرم والفضيلة[2]، حيث ذكر الأديب بعد حمد الله والثناء على رسوله فضل العلم وفوائده، وذم الجهل والجهلة، وقال: بأنّ المعرفة هي التي تفتح طريق السعادة أمام الإنسان، وتوقف المؤلف كثيرا عند قضية الأخلاق، ومدح بلهفة بالغة العلم والمتفوقين فيه، كما مجد التواضع والتعاطف والعدالة والإنسانية[3].

وقال عن نفسه وعن الكتاب:"اسمي الأديب أحمد، كلامي هو الأدب والنصيحة، وتمضي روحي، ويبقى هنا كلامي، ويمضي الربيع ويأتي الربيع ويمضي هذا العمر، وينقضي عمر الربيع، وعن العلم يقول: يعرف الأشخاص بالعلم، والجهل يعتبر مفقودا بينما

هو حي، وإذا مات العالم فإن اسمه لا يموت، وعندما يكون الجاهل سليما معافى فإن اسمه ميت، وعن الكرم يقول: إنّ الصالح من هذا الشعب هو الشخص الكريم، وإنّ الكرم يزيد الشرف والرتبة والجمال، وإذا أردت أنّ تكون محبوبا بين الناس كن كريما، فالكرم يجعلك محبوبا"[4].

لا يمككنى أمام هذه المعاني الراقية التي وردت عن أويغوري إعتنق الإسلام، ووهب حياته من أجل تعليم المجتمع والحكام معني الأخلاق، وأخلقة المجتمع وضرورة تمجيد العلم والعلماء، الذي به ترقى حياة الأفراد والأمة، إلا القول أنه كان من الواجب علينا الإهتمام بهذا الكتاب وأن نكتب ما ورد فيه من المعاني بماء من ذهب ونعمل سويا على تطبيقها.

---

[1]- عبد الرحمان جمال الكاشغري: الأديب الأويغوري أحمد يوكنكي ومؤلفه عتبة الحقائق، مقال سابق.

[2]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 54-55.

[3]- عبد الرحمان جمال الكاشغري: الأديب الأويغوري أحمد يوكنكي ومؤلفه عتبة الحقائق، مقال سابق.

[4]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 54-55.

4- كتاب "القاموس المصنف" لعبد الفاضل محمد بن عمر الكاشغري.

لم تتوفر لدي أي معلومات عن تاريخ ميلاد ووفاة كاتب هذا المؤلف، والشيء المعروف أنه ألف كتابه المسمى بـ"القاموس المصنف"(Essurah, Minelshah)، في مدينة كاشغر سنة 1282م، ودونه باللهجة التركية الأويغورية، وهو كتاب يتألف من مائتين وأربعة وستين صفحة، موجود إلى الآن في معهد العلوم الشرقية بروسيا[1].أنجب الأتراك الأويغور عدد كبير من الأدباء والمؤلفين خاصة في الفترة خارج نطاق بحثنا.

المبحث الرابع: الأدباء الأتراك الذين برزوا في عهد الدولة القراخانية.

لقد برز عدد كبير من علماء اللغة العربية والنحو والشعر في بلاد ما رواء النهر والتركستان في عهد الدولة الأويغورية القراخانية، وسوف أحاول ذكر البعض منهم في الأسطر القادمة.

أولا: الفارابي الفيلسوف الأديب.كثير منا يعتقد بأن الفارابي كان فيلسوفا فقط ولم يسهم بقسط وافر في إثراء اللغة العربية بمؤلفات قيمة، ولا ننفي أن الفارابي إشتهر أكثر بحكمته وفلسفته، وهو شيخ الفلاسفة قاطبة وحكيمهم.

لكن رغم من أن الفرابي كان تركي من غير العرب مع ذلك كان له باع كبير في اللغة العربية، إسمه الكامل هو: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، التركي[2]، ويعرف باسم أبو إبراهيم إسحاق ابن إبراهين الفارابي، أي يتنمي إلى فارب وهي مدينة تقع فوق الشاش بالقرب من مدينة بلاساغون[3]، وكانت هذه الآخيرة عاصمة الدولة القراخانية الأويغورية، وكان والده "أولوغ طرخان" الذي يعود في أصله إلى قبائل القارلوق من نبلاء مدينته، وحصل الفارابي على تعليمه في كل من مدينة طالاس وبالاساغون وكاشغر[4].

---

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق ، ص ص، 55-56.

[2] - الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج.15، ص.416.

[3] - ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، المصدر السابق، ج.2، ص. 402.

[4] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص. 119.

حرص الفرابي على تعلم اللغة العربية، ويبدو أنه تعلمها في مدينته ثم إنتقل إلى مدينة بغداد وأتقنها، وكان ذكي خفيف الحفظ بحيث أنه أتقن عدد من اللغات، وقد إلتقى في مدينة بغداد بالملك سيف الدولة بن حمدان التركي، وجلس في صدر مجلسه، وأخذ يناظر العلماء في فنون اللغة، وقد أبهر الحاضرين بكلامه حيث أنصت إليه الجميع، ومذ ذلك الوقت على شأنه عند ابن حمدان، وأغدق عليه الأموال فكان يعطيه في كل يوم أربعة دراهم، مع ذلك لم يغتر الفرابي بتلك الأموال ولا بمكانته، فقد كان يحب الوحدة والعزلة ويفضل الأماكن النَّزِهة، وكان يتزهز زُهْد الفلاسفة ولا يفرح بملبس أو منزل جميل[1].

أبدع الفارابي كذلك في الموسيقى وكان أستاذا، وكانت موهبته في اللحن فريدة من نوعها، فقد كان لحنه يسري بسرعة في نفوس السامعين ويتفاعلون معه، يقول الذهبي في كتابه: "سير أعلام النبلاء": أن الفارابي حضر مرة مجلس الملك سيف الدولة بن حمدان، وأخذ يناظر العلماء في الفنون ثم أخرج عوده وأخذ يعزف عليه ألحان أدخلت السرور على الحاضرين، ففرح أهل المجلس وضحكوا كثيرا، ثم غير الضَّرْب وعزف لحنا جعلهم يناموا جميعا، فرحل الفارابي وتركهم نيام[2].

صنف الفرابي العديد من كتب في الفلسفة والمنطق والطب، منها: كتاب"إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها" في المنطق، وكتاب"السياسة المدنية"[3]، وألف مقالة في إثبات الكيمياء وأغلب تأليفه الأخرى في الرياضيات والإلاهيات[4]، وأسلوب الفاربي دقيق مركز، ليس فيه تكرار ولا ترادف، وهو يعتني باللفظ والعبارة، ويعطي أغزر المعاني في جُمل مختصرة، وعرف عنه أنه كان شَغوفً بالمقابلات فعندما تخطر له فكرة لا بد أن يذكر مقابلها، وكان يمر على الأمور التي يفترض أنها معروفة دون أن يطيل في شرحها، لكنه عند الحديث عن أساس

[1] - الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج.15، ص ص، 417-418.

[2] - نفسه، ج.15، ص. 417.

[3] - محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.119.

[4] - الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج.15، ص. 418.

النظرية ودعامة المذهب يجلي الغموض ويدلي فيه برأيه[1].

إنّ ما يهمنا من بين هذه المصنفات كتاب"ديوان الأدب" الذي صنفه في اللغة العربية، وهو مهم لأنه يعتبر أول معجم لغوي إخترعه الفرابي في هذا الفن، ويعرف"بمعاجم الأبنية"، ولم يبدأ هذا النوع من المعاجم إلاّ في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ويعتبر العالم اللغوي الفارابي هو الرائد فيه، وتكمن أهمية هذا المعجم في أن جُل المعاجم التي جاءت بعده سارت على نفس نظام أبنيته، ولم يقتصر تأثير معجم الفارابي على المعاجم العربية فقط، بل تجاوزها إلى التأثير في المعاجم المزدوجة ذات اللغتين[2]، كما يتضح في معجم:"ديوان لغات الترك" للكاشغري الذي ذكرته من قبل، وقد أثر معجم الفرابي على معاجم الأفعال العربية كذلك.

إستهل الفارابي معجمه بمقدمة تناول فيها مسائل عدة، ثم أتبعها بمادة لغوية موزعة على أبوابها بحسب أبنيتها، ثم ذَيل معظم أبواب الأفعال بأحكام تصريفية، وقد عالج الفارابي في مقدمة "ديوان الأدب" كثيرا من القضايا اللغوية والتصريفية، كما تَحَدَثَ عن منهجه في تنظيم المادة اللغوية وترتيبها، وأشار إلى قيمة اللغة العربية وفَضلها على سائر اللغات، كما أشار إلى مؤلفات اللغويين السابقين ونقدها نقدا إجماليا، ثم ذكر أهمية التصنيف الذي كتبه والإختراع الذي إبتكره في هذا المصنف، وأهم ما يسترعي الإنتباه في هذه المقدمة حديثها التفصيلي عن منهج الكتاب، والإسهاب في شرح نظامه وخطته لما فيه من جدة وإبتكار[3].

قسّم كتابه كتابه إلى ستة أقسام سماها:"كتبًا"، وهي على الترتيب الآتي: أ- كتاب السَالِمْ وعرفه بقوله: ما سلم من حرف المد واللين والتضعيف، ب – كتاب المضاعف، ج- كتاب المثال، د- كتاب ذوات الثلاث، هـ - كتاب ذوات الأربعة، و- كتاب المهموز، وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين: أسماء وأفعال، وقدم الأسماء على الأفعال، ثم قسم كل شطر

[1] - سعيد زايد: الفارابي، ط.3، دار المعارف، القاهرة، 2001م،ص.23.

[2] - محمد علي الزركان: معاجم الأبنية في العربية "ديوان الأدب" للفرابي نموذجا، مجلة مجمع اللغة العربية، مج.78، ج.3، دمشق، د.ت.ن، ص.743.

[3] - نفسه، ص ص، 744-745.

منها إلى أبواب بحسب التجرد والزيادة[1].

ولما كان كل باب من هذه الأبواب قد يشترك في عدة أبنية كالثلاثي المجرد من الأسماء الذي له تسعة أبنية، فقد وضع قاعدة لتقديم بعض هذه الأبنية على بعض، فابتدأ بالمفتوح الأول ثم أتبعه المَضْمُون ثم المَكْسُور، وقدم ساكن الحشو على المتحرك، وقدم ياء التأنيث على همزة التأنيث وقدم الهمزة على النون، وكان البناء الواحد يخضع لتقسيمات أخرى، مثل بناء(فعل) الذي قسمه إلى أصل هو(فعل) وفرعين هما:(فعلة) بزيادة التاء، و(فعلي) بزيادة ياء النسب، أما كتاب الهمزة فقد قّسم أبوابه إلى ثلاثة أقسام، هي: المهموز الفاء ثم المهموز العين ثم المهموز اللام، ورّتب كل قسم من هذه الأقسام نظرا إلى الحرفين الآخرين غير الحرف المهموز[2].

أدت عدة عوامل إلى إختراع الفارابي هذا النظام، من بينها أنه عاش في المئة الرابعة للهجرة وهي فترة كَثُرَتْ فيها عملية تأليف المعاجم، وأخذت الصورة المألوفة المتمثلة في ترتيب الألفاظ ترتيبا هجائيا، ثم انصرفوا إلى ترتيبها على حسب المعاني، وقد درس الفارابي المسألة وعلة وجوهها، ونظر في المعاجم السابقين، واهتدى إلى موطن الخلل فيها، وأراد أن يؤلف معجما يفوق معاجم السابقين ويتلافى النقص الذي فيها، فإخترع منهج خاص[3].

كان"ديوان الأدب" فتحا جديدا في تاريخ المعاجم العربية، ودفعة موفقة إلى الأمام في ميدان البحث اللغوي، وترجع قيمته اللغوية إلى عدة أمور وهي:

1- ترتيب كلماته ترتيبا هجائيا، وصنفه وفق نظام الأبواب والفصول، وهو أول معجم سلك هذا النظام، بحيث أخذ أصحاب المعاجم بعده بهذا الترتيب، وعلى رأسهم تلميذه وابن أخته الجوهري صاحب الصحاح.

2- هو أول معجم عربي جامع اتبع نظام الأبنية في ترتيب الألفاظ.

[1] - محمد علي الزركان، المرجع السابق، ص ص، 746.

[2] - نفسه، ص. 747.

[3] - نفسه، ص ص، 748-749.

3 – التخلي عن نظام التقاليب الذي أسسه الخليل واقتفى أثره اللغويون من بعده[1].

ثانيا: إسماعيل بن حماد الجوهري[2] الفرابي (393هـ/1003م).

هو اللغوي، أبو إسماعيل بن حمّاد أصله من أتراك مدينة فاراب، كان يُضْرَبُ به المثل في ضبط اللغة العربية، كان يمتاز بخطه الجميل، يشبه الخطوط المنسوبة لخط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي، تعلم اللغة العربية عن خاله أبي إبراهيم الفارابي صاحب كتاب:"ديوان الأدب"، وأخذها كذلك عن: أبي سعيد السِّيرافي وأبي علي الفارسي[3] الشهير[4]، كما درس اللغة عن أبو السري محمد بن إبراهيم الأصبهاني، الذي قرأ عليه كتاب "ديوان الأدب" بأصبهان، كما أخذ الأدب عن أبو علي الفارسي، وهو ممن أكثر الجوهري في الأخذ عنه، فكثيرا ما وجدناه ينقل عنه في صحاحه[5].

يقول الثعالبي أنّ الفرابي كان يؤثر السفر على الوطن، والغربة على السكن والمسكن، ويخترق البدو والحضر، فسافر إلى البلاد العربية وإتصل بالقبائل العربية التي تتقن اللسان العربي مثل: ربيعة ومضر، قصد إتقان اللسان العربي، بعدها إنتقل إلى بلاد الشام ثم العراق ليزداد تعلما للغة العربية، وبعدما تفقه في العربية عاد إلى خراسان وذهب إلى مدينة نيسابور، ولم يزل مقيمًا بها منكبا على التدريس والتأليف وتعليم الخط الأنيق، وكتابة المصاحف والدفاتر اللطيفة، حتى مضى لسبيله[6].

---

[1] - محمد علي الزركان، المرجع السابق، ص ص، 752-753.

[2] - لقب بالجوهري نسبة إلى بيع الجوهر.(أنظر، سمير محمود لبد: المسائل النحوية في تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري – دراسة وصفية تحليلية)، ماجستير، إشراف، محمود محمد العامودي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية – غزة-، 1430هـ/2009م، ص.08.)

[3]- هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: 368هـ)، قرأ عليه الجوهري كتاب ديوان الأدب، وأكثر من الأخذ عنه، فكثيرًا ما يذكر في الصحاح. (أنظر، المرجع نفسه، ص. 09.).

[4] - ابن الأثير: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج.17، ص.80. فما بعدها.

[5] - سمير محمود لبد، المرجع السابق، ص ص، 09-10.

[6] - الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المصدر السابق، ج.4، ص. 468؛ أنظر، ابن الأثير: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج.17، ص.80. فما بعدها.

وقد صنف كتاب في اللغة العربية سماه: "الصحاح"، ويقال أنّه بقى منه قطعة من مسودة بيضها دونها بعده تلميذه إبراهيم بن صالح الورّاق، وكتب الجوهري مقدمة في النحو العربي، والجهوري هو أول من خطرت له فكرة الطيران، ولما أخبر الناس بذلك ضحكوا عليه ورموه بالجنون، ولكن هذا الأمر لم يُثنيه عن محاولة تطبيق فكرته، حيث صنع جناحين من الخشب وصعد إلى سطح داره بنيسابور محاولا الطيران، ولكنه فشل في تحقيق نظريته، وقضى نحبه إثر تلك المحاولة، حيث توفي في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة، وهناك من قال أنه مات في حدود سنة أربع مئة[1].

إنّ هذه المحاولة تشبه التجربة التي قام بها عباس ابن فرناس عندما حاول الطيران في الأندلس ولكنه فشل، ولا أدرى إنّ كان الفرابي قد أخذ فكرته عن ابن فرناس أم العكس، أم هاتين التجربتين كانتا محل الصدفة فقط.

إمتاز القرن الرابع الذي عاش فيه الجوهري بتأليف المعاجم، وذلك لتحقيق أمرين أساسيين هما: التزام الصحيح من الألفاظ، وتيسير البحث عن المواد، وذهب كل منها مذهبا خاصا ليحقق هذين الغرضين، وفي أواخر هذا القرن ظهر أشهر معجم عربي حققهما إلى درجة بعيدة، ذلك هو "تاج اللغة وصحاح العربية" لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الذي إشتهر بالصِّحَاح، ويأتي بالكسر وهو مفرد نعت كصحيح، وقد جاء فعَال بفتح الفاء لغة في فَعِيل، كصحيح وصَحاح وشحيح وشحاح وبَرِى، وبَراء[2].

وقد مدحه الثعالبي في كتابه: "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"، حيث قال:" وله كتاب الصحاح في اللغة، وهو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولا من مجمل اللغة"[3].

الواضح من عنوان الكتاب أن المؤلف كان يرمي قبل كل شيء إلـــــــى تدوين الصحيح

---

[1] - ابن الأثير: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج.17، ص. 82.

[2] - حسين نصّار: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج.2، ط.2، مكتبة مصر، 1968م، ص. 485.

[3] - الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن العصر، المصدر السابق، ج.4، ص. 468.

من الألفاظ، وقد نبه على ذلك في بداية مقدمة كتابه، لذلك ألح على التزام الصحة التي ظهرت آثارها في العنوان والمقدمة، وفي صغر المعجم بالنسبة لغيره، وقد اشتهر بأنه أول معجم عنى بهذه الناحية،:"وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح بل جمعوا فيها ما صح وغيره وينبهون على ما لم يثبت غالبا، وأول من التزم الصحيح مقتصرا عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ولهذا سمى كتابه الصحاح"[1].

ولكي يحقق الغرض الأول أي الصحيح من الألفاظ فقط، إلتزم الجوهري بذكر الصحيح من المفردات وإقتصر عليه ولم يذكر سواه، أما من كان قبله من أصحاب المعاجم فقد كانوا يذكرون غير الصحيح من المفردات ويقومون بنقده، وكانت الدعائم التي أقام عليها الجوهرى نقده للألفاظ السماع والفهم، وأراد بالسماع روايته عن العلماء فلا اعتماد عنده على الكتب أو الوجادة، وذلك مشافهة العرب في البادية وخاصة في الحجاز وبلاد ربيعة ومضر، ولم يفسر الجوهرى في مقدمته القصيرة الكلام على هذه الدعائم[2].

وفي سبيل الوصول إلى الغرض الثاني طرح الجوهري نظم كل من سبقه من أصحاب المعاجم وإبتكر نظاما جديدا بهر العيون، وبقوا من بعده محافظين عليه لعصور طوال، فقد أهمل الجوهري ترتيب الحروف على المخارج ونظام التقاليب وتقسيم الكتاب إلى أبواب بحسب أبنية الألفاظ التي يحتويها، وأتى بنظام جديد أخذ بذوره الأولى من خاله الفارابي، صاحب ديوان الأدب، وتتمثل في عدّ أواخر الألفاظ في ترتيبها على الألف باء من أوائلها، فالمعجم ينقسم إلى 28 باب كل منها يتناول الألفاظ المتحدة الحرف الأخير، فباب لما آخره الهمزة، بعده باب لما آخره الباء، فباب لما آخره التاء إلى آخره، أي بالترتيب الذي نعرفه اليوم، غير أنه جمع ما بين آخره الواو والياء في باب واحد، وأخّر الألف اللينة غير المهموزة لا المنقلبة عن واو أو ياء في باب بعد باب الواو والياء، وقد عرفنا قبل أن سبب اهتمامهم بأواخر الألفاظ غلبة السجع على كتاب هذه العصور وكثرة الشعراء الذين من أصل عربي[3].

[1]- حسين نصّار، المرجع السابق، ص ص، 475-485.

[2]- نفسه، ص. 485.

[3]- نفسه، ص. 486.

قسّم الجوهري كل باب من هذه الأبواب إلى فصول تبعا للحرف الأول من اللفظ، مرتبا على الألفباء أيضا، فباب الهمزة مثلا يحتوي على فصل الهمزة، ففصل الباء، فالتاء..الخ، وخالف في الفصل ما اتبعه في الأبواب بإزاء الواو فلم يجمع بينها وبين الياء، ولكنه أراد أن يفصل بينهما فصلا واضحا، لذلك قدم الواو على الهاء وأعقبها بالهاء فالياء، وراعى في ترتيب الألفاظ في داخل الفصول الحرف الثاني أيضا، وجعل على ترتيب الألفباء مع تقديم الواو على الهاء هنا للمرة الثانية للفصل بين الواوى واليائى، وذكر في هذه الفصول جميع الألفاظ، ثنائية البنية كانت أو ثلاثية أو رباعية فلا مراعاة لذلك عنده لأن الأهمية كلها تقوم على ترتيب الحروف، وكان يعتمد على الحروف الأصلية وحدها ويهمل الزائد، فإذا كان اللفظ رباعيا أو خماسيا لم يكتف بترتيب آخره فقط بل يرتب وسطه كله[1].

كان هذا الترتيب بدعًا في عصره، حيث تمكن المؤلف عن طريقه التخلص من الإضطراب والفوضى التي عاناها المتقدمون، واشتهر ابتكاره هذا بين اللغويين والعلماء، وكانت نواته الآولى مأخوذة من ديوان الأدب للفرابي، ولكن بناء الجوهري الرائد قَّيَد الأنظار عن الالتفات إلى غيره.

على الرغم من براعة الجوهري في اللغة والنحو والعروض وعلم الكلام وغيرها من العلوم، إلا أنه كان يقول الشعر ولم يكن شعره بالرديء ولا بالفائق، وإنما كان وسط، وقد وصفه الثعالبي بقوله:" وللجوهري شعر العلماء لا شعر مُفلقِي الشعراء، وأنا كاتب من لمعه ما أنشدنيه أبو سعيد دوست وإسماعيل بن محمد، فمن ذلك قوله:

لو كان لي بدٌّ من الناس قطعت حبل الناس بالياس.

العزُّ في العزلة لكنَّهُ لا بدّ للناس من الناس"[2].

كان للجهوري الذي عاش في سنوات حكم الدولة القراخانية الأويغورية، إسهامًا كبيرًا

[1]- حسين نصّار، المرجع السابق، ص. 486-487.

[2]- الثعالبي: يتيمة الدهر، المصدر السابق، ج.4، ص ص، 468-469.

في تطوير المعجم العربي، فله يعود الفضل في ابتكار مدرسة القافية ونشرها بين العلماء العرب، وذلك من خلال معجمه:"معجم الصحاح".

ثالثا: الإمام الزَمَخْشَري(467-538هـ/1075-1144م).

إسمه أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، ولد بقرية زمخشر القريبة من مدينة خوارزم، كان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو[1]، ولد وعاش في أثناء فترة حكم الدولة القراخانية عام 467هـ/1075م، وسافر إلى مكة المكرمة لطلب العلم وجاور بها فلقب بـ"جار الله"، ثم إنتقل في حواضر العالم الإسلامي لينهل منها العلم، وبعدها عاد إلى الجرجانية عاصمة خوارزم، وأقام بها ينشر العلم، ويؤلف الكتب حتى توفي سنة 538هـ/1144م[2]، يقول السمعاني أنه ورد مدينة مرو في زمانه ولكنه لم يلتقي به ولم ينعم بالأخذ عنه[3].

إشتهر الزمخشري بكتابه: "الكَشَّافْ" الذي ألفه في تفسير القرآن الكريم، وهو أحد المراجع المهمة في تفسير كتاب الله تعالي، وقد توسع فيه في الأمور اللغوية، ويؤخذ عنه ميله للمعتزلة، وأخذه بآرائهم ودفاعه عنهم[4]، وعلى الرغم من ذلك فإن الكَشَّافْ لا يستغنى عنه لطلاب العلم.

إشتغل الزمخشري باللغة العربية وألف فيها المصنفات، ومن بين أبرز الكتب التي ألفها في النحو كتاب: "المُفَصَّلْ"، وقد قام اللغوي أبو حيان بشرحه في أربعة أجزاء كبيرة، وهذا يدل على مدى أهمية كتاب المُفَصَّلْ، وألف الزمخشري كذلك كتاب جمع فيه الأمثال سماه:"المستعصي في الأمثال"، وله كتاب أخر إسمه: "القسطاس في العروض"، وكتاب:"ربيع الأبرار" في الأدب، كما صنف كتاب سماه:"نكت الأعراب في غريب الاعراب" جعله خاص بالنحو، وكتاب أخر سماه:"أطواق الذهب"، وألف كتاب سماه:"أجب العجب في شرح لاميه

[1]- الثعالبي: يتيمة الدهر، المصدر السابق، ج.6، ص. 297.

[2]- ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، المصدر السابق، ج.2، ص.74.

[3]- السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.6، ص. 297.

[4]- محمد علي البار: المسلمون في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ، المرجع السابق، ج.1، ص.493.

العرب"، وله ديوان شعر جيد، ومعجم عربي فارسي سماه"المقدمة"، وألف كتاب:"مقدمة في اللغة"[1].

ومن أهم الكتب التي ألفها الزمخشري هو كتاب:"أساس البلاغة"، حيث بدأ المؤلف كتابه بمقدمة قصيرة شملت صفحتين، ثم قسم معجمه إلى عدة أبواب رتبها حسب الحروف ألف باء المعروفة، فالأول باب الهمزة ثم باب الباء إلى غاية باب الياء، مع تقديم باب الواو على باب الهاء، والباب يحتوي على الألفاظ التي أولها الحرف المعقود له، وقّسم الأبواب إلى فصول بحسب الحرف الثاني من حروف الألفاظ الأصلية، مع تقديم الواو أيضا على الهاء، ولم يُسَمِ المؤلف هذه الفصول فصولا وإنما اكتفى بذكر العنوان وحده، وقسم كل فصل إلى مواد كانت مرتبة بحسب الحرف الثالث منها إن كانت ثلاثية، أو الثالث فالرابع إن كانت رباعية[2].

يعد أسلوب الكتاب أتجاه جديد أوجده الزمخشري في تأليف المعاجم العربية في القرن الخامس الهجري، ويظهر هذا النوع أول ما يظهر في عنوان الكتاب نفسه، فهو ليس بالمحيط ولا الصحيح ولا تهذيب ولا بارع في اللغة، وإنما أساس البلاغة، ومن هنا تحول الميدان من اللغة إلى البلاغة، الموجودة في القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالي باللغة العربية[3].

وهو كتاب تعليم اللغة العربية للفرس بالفارسية الدرّية وآخر للترك بالتركية، ومعجم للمفردات بهذه اللغات في نفس الوقت، حيث المداخل باللغة العربية، وقد استخدم هذه الألفاظ في جمل قصيرة مستقلة لغرض تعليم اللغة العربية، كتبت ترجمات باللغة العربية من قبل الزمخشري، تم ترجمة مقدمة الأدب إلى اللغة التركية باللهجة الخوارزمية الأوغوزية القديمة، ولهجات قانكلي وقبجاق، بأمر من الأمير الخوارزمي أبو المظفر آتسوز بن محمد بن آنوش تكين خوارزمشاه(ت: 551هـ/1156م)، ووضعه في مكتبته العامرة في القصر، وكان ذلك ما بين الأعوام 1128م و1144م. وللكتاب نسخ مخطوطة كثيرة استنسخت في بلدان متعددة،

---

[1]- محمد علي البار: المسلمون في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ، المرجع السابق، ج.1، ص.493.

[2]- حسين ناصر: المعجم العربي، المرج السابق، ج.2، ص ص، 693-694.

[3]- نفسه، ج.2، ص. 690.

وأفضل نسخة تركية هي نسخة شوشتر، تحتوي على 3506 مدخل بالعربية مع شروحها باللغة التركية[1].

يعتبر هذا المصدر مرجعا هاما لمصادر التراث التركي، ومكملا لكتاب: "ديوان لغات الترك" لمحمود الكاشغري، وقد أعجب أبي حجر العسقلاني صاحب كتاب: "غراس الأساس" بكتاب الزمخشري، ورأى أن يخلصه بلإقتصار على ما فيه من مجاز، وتملك مكتبة الأوقاف العامة في بغداد نسخة منه تحت رقم:6576[2]. مع ذلك لم يقض هذا النوع الجديد في تصنيف المعاجم على النظام الذي أوجده الجوهري في الترتيب.

رابعا: علماء الأدب الذين أنجبتهما مدينتي الشاش وإخسكث.

1- من مدينة الشاش:

أسهمت مدينة الشاش الواقعة وراء نهر سيحون في منطقة ثغور الترك بإخراج قسط وافر من علماء اللغة، الذين أثروا الحياة العلمية في عهد الدولة القراخانية، ومن أهم هؤلاء:

أ- الإمام أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي، الذي يعتبر أحد أئمة الدنيا في علم التفسير والحديث والفقه، سار ذكره في بلاد المشرق والمغرب، ومع ذلك فهو لغوي كبير، ولد في سنة 291هـ[3]، وكان إمام عصره في بلاد تركستان في عهد الدولة القراخانية، وأعلمهم باللغة العربية، وكان كثير السفر والتجوال في طلب العلم بمختلف مجالاته[4].

له تصانيف مشهورة ذاع صيتها في بلاد خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور، وقد سافر عدد كبير من علماء المسلمين لأخذ عنه اللغة العربية، فقد سمع عنه أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبا العباس الراج، وأبا القاسم البغوي وغيرهم كثير، وروى عنه

[1]- حودت جقمجقجي: المعاجم اللغوية، المرجع السابق، ص ص، 18-19.

[2]- حسين ناصر: المعجم العربي، المرج السابق، ج.2، ص. 710. عن العسقلاني

[3]- السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.7، ص. 244.

[4]- سعاد الطائي، المرجع السابق، ص.447.

الحاكم أبو عبد الله وأبو عبد الله بن مندة وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم، توفي في الشاش سنة 365هـ/974م[1].

ب - اللغوي أبو الفتح أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن أحمد بن عبد الله الشاشي الخرقاني، توفي في سنة 550هـ/1155م، وكان شيخا أديبا عالما سديد الرأي جواد النفس، من أشهر تلاميذه أبو سعد عبد الكريم السمعاني[2].

ج- وظهر الشاعر نجيبي الفرغاني، وقد حظي باهتمام الأمير القراخاني أبي شجاع خظر خان بن طمغاج أو طفغاج بن إبراهيم، الذي كان يعرف عنه أنه يحب اللأدب والشعر والشعراء، فإستضافه في بلاطه[3]، وكان لنجيبي شعر كثير بقيت بفضله بعض الأسماء التي تعود لعدد من الأمراء القراخانيين[4].

وكان الخاقان يستضيف معه العديد من الشعراء أمثال: عَمْعَقْ البخاري ورشيدي السمرقندي والساغرجي وغيرهم، وكانت له معهم مجالس ومناظرات شعرية عديدة، وكان لعمعق مكانة خاصة في مجلس الخاقان بحيث كان يعد بمثابة أمير للشعراء[5].

2- مدينة إخسيكث:

عرف عن سكان مدينة إخسيكث الواقعة ببلاد فرغانة إهتمامهم بالأدب، وبرز منهم عدد كثير في عهد حكم الدولة القراخانية منهم:

أ- اللغوي أبو الفاء محمد بن محمد بن القاسم بن خذيو الإخسيكثي، الذي كان إمامًا في اللغة العربية، عارفًا بخباياها، متقنًا للشعر يميز الرديئ من الحسن، وكان ورعًا وقورًا حسن السيرة، لعب هذا الأخير دورًا مهمًا في خدمة اللغة العربية في بلاد ما وراء النهر وتركستان

---

[1]- ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، المصدر السابق، ج.3، ص. 50.

[2]- سعاد الطائي، المرجع السابق، ص.447.

[3] - زياد محمد الهواش، المرجع السابق، ص.311.

[4] - سعاد الطائي، المرجع السابق، ص.448.

[5] - حسين علي الداقوقي، المرجع السابق، ص.13؛ أنظر، سعاد هادي حسن الطائي، المرجع السابق، ص.446.

على عهد الدولة القراخانية، فقد كانت له تصانيف كثير وقد أسهم بقسط وافر في تدوين علم التاريخ، توفي في سنة خمسمائة وعشرون هجرية[1].

ب- ومن نفس المدينة ظهر **أخوه أبو راشد أحمد بن محمد بن القاسم الأخسيكثي،** كان أديبًا فاضلاً، حسن الشعر عذب القول، تخرج على يديه أكثر فضلاء منطقة خراسان، وقد سمع السمعاني صاحب كتاب:"الأنساب" منه كتاب:"الآداب" للخليل بن أحمد بروايته عن الصوفي عن ابي عبيد الفرغاني، وكتب عنه الكثير من الشعر المليح، توفي أبو رشاد في سنة 530هـ/1135م، ودفن بجنب أخيه[2].

ترك هذا الآخير مصنفات عدة من أشهرها كتاب في التاريخ عرف:"بتاريخ أبي رشاد" وسمى ايضا: "تاريخ فرغانة"، ومن مصنفاته الأخرى كتاب: شرح ديوان سقط الزند للمعري، وسماه:"الزواند"، فضلا عن:"ديوان للشعر"[3].

ج- ظهر كذلك **الأديب أثير الدين الإخسيكثي** المتوفي سنة 577هـ/1181م، وهو من أشهر شعراء المدح في ذلك العصر، وكان له باع طويل في النثر، كان شعره مليء بالمعاني والصياغة اللفظية، وتَغْلُب على أشعاره مشاهداته الشخصية، فله أبيات شعرية كثيرة بالفارسية أكثرها في المدح، فضلا عن قصائده في الوصف، مثل وصفه لما شاهده من معارك مهمة وقعت بين قبائل المغول من الخطا والسلاجقة، مثل: معركة قطوان التي جرت في سنة 536هـ/1141م[4].

أسهمَ القراخانيون الأويغور بقسط وافر في مجال الأدب، وقد برز من نسلهم العديد من الأدباء، سواء قبل إسلامهم أو بعد، حيث أنتجوا كم كبير من الكتب الأدبية أغنوا بها المكتبات التركستانية والمكتبات الموزعة على بلاد ما وراء النهر، وقد رحل العديد من الأدباء

[1] - السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.1، ص. 153؛ أنظر، ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج.1، ص. 34.

[2] - السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج.1، 153؛ أنظر، ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج.1، ص. 34.

[3] - سعاد هادي حسن الطائي: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الأمارة القراخنية، المرجع السابق، ص.447.

[4] - نفسه، ص.448.

للأخذ عنهم قواعد اللغة العربية، ولا شك أن هذا الأمر خدم اللغة العربية وساهم في نشرها في آسيا الوسطى، ويعد هذا الأمر إسهام من بين إسهامات الأويغور في المجال الأدبي.

الفصل الخامس:

إسهامهم فى مجال العمارة والفن:

المبحث الأول: في المجال العمراني.

المبحث الثاني: في مجال الفن.

المبحث الثالث: فن التصوير لدي الأويغور.

المبحث الرابع: تأثير التصوير الأويغوري على التصوير الإسلامي.

المبحث الأول: في المجال العمراني.

في الوقت الذي كان معروف على معظم القبائل التركية القاطنة في آسيا الوسطى أنها كانت تعيش البداوة والإنحطاط، عُرف عن الأويغور أنهم كانوا يميلون إلى التحضر، فقد إهتموا منذ القِدم بترقية حياتهم المعيشية، فقد بنوا الكثير من المدن في حين كانت القبائل التركية الأخرى تسكن الخيام، وقد إهتم الأويغور القراخانيون بالعمران والمعمار، حيث شيدوا أثناء فترة حكمهم الكثير من المباني الراقية، من بينها القصور والقلاع والربط والأسوار والحدائق، وسأحاول إجلاء الأمر في هذا المبحث.

أولا: تشييد المدن:

يشهد الباحثون الأوربيون عن طريق الحفريات التي قاموا بها في مدن لأويغور مثل:خوجو، وإيدي قوت، في أوائل القرن العشرين الميلادي، أن بلاد تركستان قد تقدمت في المجال المعماري بعد تأسيس الدولة الأويغورية، ووفق تلك الوثائق التاريخية والأثرية فإن هؤلاء الأويغور أخذوا بأعظم أسباب المدنية والعمران، الشيء الذي جعل المستشرقين الألمان يقولون: أنه يحق للأتراك أن يفخروا بأجدادهم اللّذين خلفوا هذه المدن الزاهرة، في وقت لم يكن لإنجلتيز والفرنسيين والألمان شيء من ذلك[1].

يشهد الباحث التركي يالماز أوزتونا أنّ الأتراك في عهد الأويغور القراخانيون وصلوا إلى ذروة الحضارة المستقرة، هذا ما مكنهم من تأسيس عدد كبير من المدن وطوروا أخرى، ومن بينها نجد: قاراهوجا وقارا بالكاسون وبيش بالق، وقاراشار وكاشغر وخوتان وياركنت وتورفان وقومول، وكولجا وأورمجي وكوجا وأق صو، وسوجو وكانجو وجرجن[2].(أنظر، الصور رقم:04)[3].

[1]- عبد العزيز جنكيزخان، تركستان قلب أسيا، المرجع السابق، ص ص، 33-34.

[2]- يالماز أوزتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص.127.

[3]- أنظر، الصور رقم:04، ص. 406.

وثمة معلومات وفيرة عن المدن والمستوطنات الأويغورية ذات التصميم المدني، تم لإشار إليها في البحوث والدراسات التي أجراها العلماء الكازاخ[1] والقرغيز- تم تعريفها من قبل - والأوزبك[2]،(أنظر، الخريطة رقم:05)[3] فمثلا تقول أنّ عدد المدن التى كانت موجودة بين منطقة تاريم حتى مدينة أترار بلغ عددها حوالي 130 مدينة كبيرة، وبلغ عددها على الضفة اليسرى لنهر سيحون(سرداريا): 12 مدينة، منها: أوزكند وأركوك، وكانت المدن الضخمة موجودة أيضا في: سيميرتيشي مثل: بالاساغون[4] وأك- بيشيم، والماليق، وكولان، ونوزكيت، وبلغ عدد مدن واحة طاشقند زهاء 50 مدينة، منها: أسفيجاب وبيكنت وتونكيت وناوكيت وبيناكث، وكان عددها في فرغانة حوالي 39 مدينة منها: أوزغيند واخسيكت ومرغيلان وكوفا، وبلغ عددها في أوستروشان 12 مدينة، منها: بوند وجكيت وشهريستان أما في واحة بخارى فقد بلغ عددها 29 مدينة[5]، (أنظر، الخريطة رقم:03)[6]. نرى أن الأويغور كان لهم باع طويل في تشييد المدن، والأهتمام بالبناء والتعمير بدل الإكتفاء بالعيش في الخيام. وقد وصل عدد مدنهم إلى 152 مدينة.

---

[1]- نسبتا إلى دولة كازاخستان(Kazakhstan)، وهي أكبر جمهوريات أسيا الوسطى، تبلغ مساحتها: 2717300 كم2، تأسست في سنة 1636م كجمهورية تابعة للإتحاد السوفياتي، وتمتد كازاخستان على 3000كلم من الشرق إلى الغرب، و1700كام من الشمال إلى الجنوب، تحدها من الجنوب جمهورية تركمانستان وأوزبكستان وقرغيزستان وجزء من حدودها الجنوبية الشرقية مع الصين، ويتصل شمال كازاخستان طبيعيا وثقافيا بجنوب غرب سيبيريا، أما من الشمال الغربي الفولجا والأورالوبحيرة قزوين، وشرقا سيبيريا.(أنظر، أحمد عادل كمال: الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى، المرجع السابق، ص ص، 74-75.)

[2]- نسبتا إلى أوزبكستا(Uzbekistan)، صارت منذ 1925م إحدى الجمهوريات التأسيسية للإتحاد السوفيتي، وهي جمهورية تمتد من المناطق المرتفعة في ألاي وجبال تيان شان بالجنوب الشرقي إلى بحر آرال بالشمال الغربي، تحدها من الجنوب أفغانستان، وفي الشمال الشرقي والشمال الغربي كازاخستان، ومن الجنوب الغربي تركمانستان.(أنظر، نفسه، ص ص، 55-56.).

[3]- أنظر، الخريطة رقم:05، ص. 384.

[4]- تعرف بلاساغون بـ" قوزالوش"، وأُلُش: معناها القرية في لغة جِكِلْ أما عند أهل بلاساغون وما والاها من بلاد أرغو معناها البلدة. (أنظر، محمود الكاشغري: ديوان لغات الترك، المصدر السابق، ج.1، ص. 60.).

[5]- العرب في أوزباكستان، المرجع السابق، ص.129.

[6]- أنظر، الخريطة رقم: 03، ص. 382.

وتقول الروايات التاريخية أنّ الأويغور بعد هجرتهم من منغوليا إلى تركستان وجدوا مدن "بش باليق" مهدمة فأعادوا بناءها من جديد، وعمروها حتى أصبحت في أحسن حال، وقد قاموا ببناء مدينة جديدة كبيرة في الجهة الشرقية من مدينة بش باليق، أطلقوا عليها إسم "جونغ باليق" ومعناها:"المدينة الكبيرة"[1]. وهذا يعني أنها كانت أكبر وأوسع من مدينة بش باليق، وكانت هذه المدينة غاية في الجمال والأبهة، وهي لا تزال موجودة إلى غاية اليوم وتعرف بـ"جوجنغ الحالية" ومعناها(المدينة القديمة).

إضافة إلى هتين المدينتين بنى الأويغور في وادي إيلي ثلاثة مدن أخرى كبيرة هي:مدينة "إيلي باليق" ومدينة "منجلاق"، أما المدينة الثالثة فكانت في ولاية إيلي وسموها "سومي طلاس"، وإضافة إلى ذلك قاموا بتعمير الكثير من العمائر في الغرب من بحيرة لوب نور من بينها مدينة:"أوسمي" و"نريم" و"سولمي"، كما بنوا العديد من المدن في المنطقة الواقعة بين دونخوانغ ولانجو المتاخمة للصين، يصل عددها إلى خمس عشرة مدينة، من بينها مدينة "سوجو"، و"كانغجو"، لا تزالا موجودتين إلى غاية اليوم، أما المدن الأخرى فهي عبارة عن أثار[2]. وقد تفننوا في التشييد حيث حرصوا على توفير كل متطلبات العيش.

وفي عهد الدولة القراخانية عمل حاكمها أرسلان خان محمد بن سليمان في أيامه على إحياء مدينة بيكند من جديد، وذلك بعد أنّ امتدت إليها يد التدهور شأنها في ذلك شأن الكثير من المدن، على إثر الحروب التي صاحبت سقوط الدولة السامانية، فحّول إليها الكثير من الرعية فشيدوا بها عمارات جميلة، وأقام بها قصرا له كان أية في الجمال[3]. وبذلك إزدهرت هذه المدينة ودبت فيها الحياة من جديد.

أطلق الأويغور إسم "أرْدُو" على عاصمة دولتهم، ومنه سموا بلدة كاشغر "أرد" و"كَنْدْ" أي بلدة الإقامة وقصبة المُلُوك، وقد أطلقوا أيضا على مدينة بلاساغون اســـــــــــــــــم

[1]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.92.

[2]- نفسه، ص.92.

[3]- النرشخي، تاريخ بخارى، المصدر السابق، ص.37.

"قوز-أُرْدُو"[1]، أصبحت هذه الأخيرة هي العاصمة بعد كاشغر.

وكان الصينيون يطلقون على المدن الأويغورية إسم: "لقي – جانغ – آن" ولقب "ما - جنغ – وياوو"، من أجل تمييز المدن الأويغورية التي بنوها في أقصى الشرق من المدن الصينية[2]. وعلى الأغلب أنها كانت تضاهي المدن الصينية في الجمال والأبهة.

تنقسم الأبنية لدى القبائل المتحضرة في آسيا الوسطى من بينها الأويغور إلى ثلاثة أقسام رئيسيه: المباني التي تشبه الخيمة، حيث تُبْنَى غرفها بالحجارة بشكل دائري على طراز الخيمة أو مربع، ويحتل الموقد في تلك المباني مكانة مهمة، وكان هذا النوع من البناء، وشبيه بالمباني الهندية والبوذية، والمباني المقامة على النمط الصيني[3].

كانت المدن الأويغورية في أغلب الأحيان محصنة تحصينا جيدا، بحيث تحاط بها الأسوار العالية والمتينة، في شكل ثلاثة طوابق (يصل إرتفاعها ما بين عشر إلى عشرين ذراعا وقطرها مابين خمسة إلى تة أذرع)، ويحفر حولها خندق دائري من سبعة طوابق مملوء بالماء، وتقام عليها الحراسة المشددة[4]، لذلك قام الحاكم القراخاني أرسلان خان بئعادة تشييد السور المزدوج الذي كان يحيط بمدينة بخاري في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وكان قد تهدم وأعاد بناؤه قبله قلج طمغاج خان مسعود عام 560هـ/1165م[5]

أطلق الأويغور اسم:"باليق" على مدنهم وهي تعني: الحصن أو المدينة بلغتهم[6]، وفي وسط المدينة يتم بناء القلعة المسمات"غطاء الجيش"، وقصر الحاكم في، وتشيد أماكن العبادة في مكان عالي بأسلوب متناسب مع عمارة القصر وتحـــــــــــــــــــــــــــــــــــاط

[1]- محمود الكاشغري: ديوان لغات الترك، المصدر السابق، ج.1، ص.113.

[2]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.93.

[3]- أركين آلب تكين، المرجع السابق، ص.111.

[4]- ابن الفقيه الهمذاني: نصوص لم تحقق من كتاب أخبار البلدان، المصدر السابق، ص. 133؛ محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.93.

[5]- بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.198.

[6]- محمود الكاشغري: ديوان لغات الترك، المصدر السابق، ج.1، ص. 318.

بالجدران[1].

إهتم الأويغور بالجانب الجمالي لأبنيتهم بحيث كانوا يحرصون على تجميلها، فكانت منسقة تنسيقا هندسيا رائعا، ومزخرفة بزخرفة فريدة من نوعها، لذلك لم تتعرض للتخريب، وتم الحفاض عليها كما هي لقرون عديدة، وقد أثبتت تلك البقايا من الأسوار والقلاع والأبنية مدى مهارة الأويغور في فن العمارة والزخرفة[2].(أنظر، الصور رقم:04)[3].

وقد بَيَّنَتْ الأبحاث التي أُجْرِيَتْ بجوار مدينة "خوتن" أن العمارة الأويغورية تأثرت بالحضارة الصينية من جهة، وبالحضارة الهندية البوذية من جهة أحرى، فمثلا: كان عنصر العقود المستخدمة على شكل حدوة الفَرَسْ في طراز جندهارا الأويغوري، أما العمود فكان يبنى قصيرا على قاعدة تتخذ شكل زهرة اللوتس المستعملة في العمارة الصينية والهندية، وكان معظم أعمدة الأويغور تبنى من خشب الأشجار، وتزخرف ثم تطلى بالذهب، أمّا زخارف السقف فكانت تصنع من الجص، على شكل تاج تحاط أطرافه بوحدات من زهرة اللوتس[4].

وتشهد الأثار المكتشفة في منطقة "طرفان" على تَأثُر العمارة الأويغورية بالعمارة البوذية المانوية، حيث تم العثور على بقايا معابد بوذية ومانوية، إلاّ أنّ هذه الأخيرة كانت قليلة مقارنة بالأولى، وقد عثر داخل تلك المعابد على أساطير وقصص مجسمة، وصور لحكام الأويغور والرهبان، مرسومة على الجدران، كما تم إكتشاف كتابات أويغورية على أنماط مختلفة مكتوبة بألف باء الأويغور القديمة[5].

إهتم الأتراك الأويغور كذلك بتقريب المسافات بيــن تلــــك المدن بعضها ببعض، لذلك

---

[1]- أركين آلب تكين، المرجع السابق، ص.111.

[2]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.93.

[3]- أنظر، الصور رقم:04، ص. 425.

[4]- أركين آلب تكين، المرجع السابق، ص.112.

[5]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.93.

أقاموا العديد من الطرق المؤدية إليها، وشقوا الكثير من القنوات والترع من أجل إيصال المياه إلى المدن والمناطق النائية والمقفرة[1].

ثانيا: القصور.

تنافس الحكام الأويغور في تشييد المباني، ومن بين المباني الكثيرة التي شيدها الحاكم طمغاج خان ابراهيم بن الحسين، نجد القصر النفيس الذي أقامه في محلة كرجمين بمدينة سمرقند[2]. كان هذا القصر أية في الجمال، رَصَدَ له أموال كبيرة، وإهتم بتزيينه بالفسيفساء والزخارف الجميلة.

وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بنى شمس الملك نصر بن إبراهيم القراخاني(1068-1080م) الذي اشتهر بعمائره الكثيرة، قصر "شمس أباد" قرب مدينة بخارى، وزوده ببساتين وشيد في وسطها مسرح، وجعل حول القصر مراعي واسعة، وأقيمت الحراسة المشددة على القصر فكانت المنطقة محرمة على العامة، وقد استمر العناية بقصر شمس أباد في عهد خضر خان، ولكنه أُهْمِلَ وخُرِبَ أثناء حملة ملكشاه السلجوقي الذي شنها على القراخانيين في سنة 1087م[3].

حذى الحاكم القراخاني أحمد خان شمس الملك إبراهيم حذو سابقيه، حيث بنى هو الأخر في سنة 1095م قصر بمنطقة جويبار أي (القناة) قرب باب إبراهيم[4]، وأغلب الظن أنّ المراد بهذا هو الموضع المعروف باسم "جويبار(قناة) أبي إبراهيم"، وقد ظل هذا القصر مقرا للخانات القراخانيين الأويغور مدة ثلاثين سنة[5]، ثم أمر أرسلان خان بهدم القصر وإعادة بنائه داخل القلعة، وبعدها بأعوام أمر هذا الخان ببناء قصر جديد بحي دروازجه(أي في الجزء الشمالي الغربي من المدينة)، في شارع بوليث، وبني في نفس المكان حمامات، وفيما بعد قام

---

[1]- يالماز أوزتونا، المرجع السابق، ص.127.

[2]- بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.463.

[3]- نفسه، ص.205.

[4]- نفسه، ص ص، 206-209.

[5]- نفسه، ص.467.

أرسلان خان بتحويل هذا القصر إلى مدرسة وابتني لنفسه قصرا جديدا بجوار باب سعداباد (بني سعد)، أي قريبا من الطرف الجنوبي الغربي للشهرستان[1].

بعد إنتهاء أرسلان خان محمد بن سليمان من إعادة إحياء مدينة بيكند من جديد، شيد لنفسه قصرًا بالغ التكلفة سماه"حرام كام"، يعبر به نهر يمي، وكان ماء هذا الأخير يصل حينا وأحيانًا أخرى لا يصل، فأراد الخان حفر قناة جديدة للمدينة لتزويد السكان بالمياه، ولكن المشروع توقف بعدما تبين لهم أنَّ التلة التي بنيت عليها المدينة كانت تقوم على قاعدة صخرية، فبذلوا مقادير عظيمة من الزيت والخل لتليين الصخر، لكنهم يستطيعوا حفر أكثر من فرسخ واحد، وهلك إثرها خلق كثير فعدل أرسلان خان عن الحفر بعد أن بذل جهود كبيرة أخذت منه الكثير من الوقت والأموال[2].

إهتم هذا الحاكم أيضا ببناء الحمامات في الدور والقصور التي شيدها، منها الدار التي شيّدها في محلة دراوازه جه أي "البوابة" أو "الباب الصغير"، في حي بوليث في مدينة بخارى، وأمر ببناء حمام آخر بباب السراي، وقد بقيت هذه السراي دار الملك لسنوات طويلة، ثم أصبحت مدرسة للفقهاء، وأوقفوا الحمام الذي على باب السرى والقرى الأخرى على تلك المدرسة[3].

عمرت قصور القراخانيون الأويغور مدة طويلا، فحتى أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي كان لا يزال لفرع من العائلة المالكة الأويغورية قصر صيفي على منحدرات جبال تيان شان[4].

---

[1]- بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص ص، 206-209.

[2]- النرشخي، تاريخ بخارى، المصدر السابق، ص.37.

[3]- سعاد هادي حسن إرحيم الطائي: القراخانيون دراسة في أصولهم التاريخية، المرجع السابق، ص.44.

[4]- ملاحم أسيا الوسطى الشفوية، المرجع السابق، ص.13.

ثالثا: محاط الرحال(الربط أو الخانات).

إهتم القراخانيون الأويغور ببناء الربط أو محاط الرحال، وترجع أقدم الخانات المعروفة في التاريخ المعماري التركي إلى زمن الأويغور القراخانيين، وكانت تعرف باسم "الرباطات"، وقد أخذها عنهم فيما بعد السلاجقة العظام أو سلاجقة الروم.

فقد شيد شمس الملوك نصر بن إبراهيم (461-475هـ)، إثنان من محاط الرحال، واحدة منها على طريق بخارى- سمرقند، والثاني على طريق سمرقند- خجندة(Khodwhend)[1]، بمحلة "أق كتل" حيث وجدت فيما بعد مقبرته[2]، وكان قد خصصها لزوجته عائشة ابنة السلطان السلجوقي ألب أرسلان[3].

وأكثر هذه الرُبط أهمية هو المسمى:"رباط مَلِكْ"، في سنة 471هـ/1078-1079م قرب مدينة خرجنك[4]، ومن بقايا جدرانه يمكن القول أنه كان مربع الشكل، يبلغ 86×86 مترا، وزعت غرفه على طابقين، وهي تدور على فناء مركزي، أمّا الأسقف فهي بنظام القباب، والمبنى كله مشيد باللبن ومغطى بالآجر، والمدخل يحتوي على عُقَدْ مدببة، يعرف ببلاد تركستان باسم "بيشطاق"، وهو يرتفع إلى منتصف واجهة المبنى، وأبعاد مدخل المبنى تكشف عن ضخامته وروعته حيث يصل إرتفاعه إلى 12×15 مترا، أما إرتفاع الجدران فقد بلغ إثنا عشر مترا، ويعلو العقد نص قرآني مكتوب بالخط الكوفي، ويدور حول العقد إطار عريض مزين بوحدات من نجوم كبيرة وأشكال صليبية أو متقاطعة من الطوب البارز، وهذا النوع من المداخل أو البوابات كان من إبداع القراخانيين[5].

ويوجد على القسم العلوي من حائط المدخل نص فارسي مكتوب بالخط الكوفي، ويوجد

---

[1]- اقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.18.

[2]- بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.464.

[3]- مسفر الغامدي، المرجع السابق، ص.273.

[4]- بارتولد، التركستان، المرجع السابق، ص.464.

[5]- اقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.18.

إلى يسار الواجهة، برج أسطواني يبلغ ارتفاعه 15,5 مترا، ويبدو أنها كانت مئذنة، وعلى هذا البرج يوجد زخرفة على شكل شريط كتابي دائري عريض، ويوجد بالحيطان الجانبية دعامات، وحانيات طويلة تنتهي بحشوات لعود مدببة، وزخارف هندسية جميلة[1]، وتعتبر هذه الواجهة نموذجا فريدا للبوابات الضخمة، وأسلوب فريد من أساليب العمارة الأويغورية القراخانية.

وفي سنة ستين وخمسمائة(560هـ/1164م) أمر الخان العالم ركن الدنيا والدين مسعود قلج طمغاج خان (492-496هـ/1098-1102م)، ببناء ربض خارج الربض القديم الموجود داخل عاصمته، وقد شيد أرسلان خان كذلك ربض في مدينة بخارى، وأمر بعد ذلك ببناء رباط أخر بجانب الرباط القديم ووصل بعضهم البعض[2].

ومن الخانات التي بناها القراخانيون نجد "خان دهستان"، الذي يرجع إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وهو يشبه في مساحته المربعة(37×37 مترا)، وفي أبراجه الجانبية وفي فنائه المتوسط ذي البوائك، كل من رباط الزعفران الموجود على طريق نيسابور- سبزور، الذي شيده السلطان ملكشاه في القرن الحادي عشر الميلادي، ويشبه كذلك رباط أنوشروان الموجود في "أقحوان/Ekhvan" في مدينة سمنان، ويكمن الإختلاف بينهما في الإيوانات، حيث يحتوي الأخيرين على أربعة إيوانات، في حين يحتوي رباط داهستان على إيوان واحد يتمثل في إيوان المدخل[3]، ومن هذا الأختلاف يعتقد أن هذا الأخير كان أقدم من الأولين.

من بين الخانات القراخانية نجد "خان آقجا قلعة"(Akchakale) الواقع على طريق مرو – آمل، وهو مبنى باللبن ولآجر، وهو يتكون من فنائين، أحدهما يلي الآخر، ويطل على كل فناء أربعة إيوانات ذات بوائك، وتخطيط هذا الخان ينم عن تناسق وإنسجام كبيرين، ويبدو

[1]- اقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص ص، 18-19.

[2]- النرشخي، المصدر السابق، ص.59.

[3]- اقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.20.

أنه يرجع في تاريخه إلى نهاية القرن الحادي عشر[1].

وفي الطريق المؤدية من أمول إلى خوازم(على ضفاف نهر جيحون)، يصادفنا "خان دايا خاتون"(Daya Khatun)، وهو في شكل مربع وله أربعة إيوانات، وأبراج مختلفة الأساليب، واحد مصمت والأخر مجوف، موجود في أركان المبنى وجدرانه، أما الغرفتان الموجودتان في الزاوية الشمالية الغربية خلف الإيواني الغربي فانهما تشبهان تماما تخطيط الغرف في رباط شرف، إذ استخدمت فيهما نفس الأسلوب المعماري من خلال البناء بالطوب المتماسك اللبنات، وهو يذكرنا بمسجد "طلخانا بابا"[2].

هناك خان آخر موجود في خرائب قورتلو تبه شهر(Kutlu) "باشانه" يختلف في تخطيطه عن الخانات القراخانية السابقة الذكر، فهو يبدو وكأنه صورة طبق الأصل مصغرة لخانات سلاجقة الأناضول، -التي بنيت فيما بعد- حيث فالفناء مفتوح في المقدمة ويليه بهو مغطى، وهي نفس هندسة وتخطيط الخانات والأربطة العظيمة لدى سلاطين سلاجقة الروم، ويرجح أن يعود هذا الخان إلى نهاية القرن الحادي عشر أو بداية الثاني عشر الميلاديين[3].

المبحث الثاني: في مجال الفن.

أولا: في مجال الموسيقى.

كان الأتراك بصفة عامة مولعين بالموسيقى والرقص والمسرح، وتحفل المؤلفات بالمعلومات عن حب الأتراك الأويغور للموسيقى، فهي تبرز مهارتهم في العزف على اللات الموسيقية.

حيث ينقل لنا الباحث الأويغوري أركين آلبتكين ما ورد في مذكرات الرحالة الصيني "شوان زيان"، الذي قام برحلة في أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى مدينة خوتان الأويغورية، حيث لاحظ أن سكان هذه المدينة كانوا يعيشون في رفاهية ورخاء

---

[1]- اقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.20.
[2]- نفسه.
[3]- نفسه.

اقتصادي، وأنهم كانوا شغوفين بالموسيقى وبسماع الأغاني الفولكلورية[1]، وقد أكد هذا الأمر الرحالة الصيني الأخر: "جانغ جين" الذي زار المدينة، ولاحظ بأن الموسيقيون والشعراء كانوا يغلبون على سكان مدينة خوتن[2].

وفيما يخص أمهر الموسيقيين وتواجدهم فيذكر الرّحالة الأول أنّ أهل مدينة كوجار يُعَّدُوْنَ أساتذة الآلات الموسيقية، فقد كانوا يعزفون بمهارة على آلتي: "الهون" و"الكونغو"[3]، ويذكر الرّحالة الصيني الأخر:"وان- ين" الذي كان موجودا في مدينة الأويغور "قره خوجه" كسفير من قبل الإمبراطور الصيني في فترة حكم أرسلان خان سنة 981م، أن سكان هذه المدينة كانوا يعزفون بشكل جيد على آلة الكونغو ذات الخمس والعشرين وترا، كما كانوا يعزفون بمهارة على آلة الناي، وأنهم كانوا يصطحبون معهم دائما آلة الرباب عند ذهابهم في نزهاتهم البرية، فالموسيقى كانت تعزف عندهم في أوقات تناول طعامهم في حضرة حاكمهم أرسلان خان[4].

وقد أثبتت التصاوير الأثارية التي اكتشفت في مدينة كوجار كذلك أن الأويغور الأتراك ساهموا في تطوير عدد كبير من لألات الموسيقية، واخترعوا أخرى جديدة،(أنظر، الخريطة رقم:03)[5]، فقد صُّور الموسيقيون على سجاد وهم منقسمين على أنفسهم قسمين، ويحملون عدد من الآلات الموسيقية تعود كلها للأويغور[6].

وينقل الباحث الأويغوري أركين آلبتكين عن كتاب: "تواريخ الموسيقيين" الذي كتبه الشاعر الخوتني "عصمت الله" في سنة 1855م، أن قادرخان ياركندي الأويغوري هو مخترع

---

[1]- أركين ألبتكين، المرجع السابق، ص.121. عن الرحالة: شوان زيان.

[2]- التركستان الشرقية تحت الإحتلال الصيني، المرجع السابق، ص.33.

[3]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.121.

[4]- نفسه.

[5]- أنظر، الخريطة رقم:03، ص. 401.

[6]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.123.

الآلة الموسيقية المسماة "هشتار"[1].

ويذكر نفس المؤلف أنه كان الفضل للأويغور في اختراع آلة الرباب، وكان لهم حوالى 63 نوع من الآلات الموسيقية أذكرها كما يلي:

"1- آدى داب، 2- شالداب، 3- باقسى دابى، 4- داب دوساغى، 5- أيككى تره فيكه اورودبفان دومباق، 6- ايككى تارليق كبجك، 7- تورت تارليق كيجك، 8- اون تارليك كيجك، 9- قول توريلغازى، 10- جن توربلغازى، 11- توريلغازى دومباغى، 12- برليكى رواب، 13- قشقر روابي، 14- دولان روابي، 15- قوش رواب، 16- باش ناغرا، 17- اوطورا ناغرا، 18- ناغرا دومباغى، 19- قشقر دوتارى، 20- زوتن دوتارى، 21- اوج تارليق طامبير، 22- بش طارليق طامبور، 23- ناى، 24- ناى(اون دوشوكك)، 25- جاباى، 26- جوب صابابى، 27- أكيز قوموزى، 28- قوموز (فى شكل الطنبور)، 29- طقطق، 30- طقطق دومباغى، 31- صاتار رايككى طارليق، 32- صاتار طقوز طارلين، 33- قالون، 34- كجك زن، 35-جون زن، 36- بيالة، 37- كولول، 38- فوترو(جونجا)، 39- جافجة، 40- جويتاشى، 41- دومبرا، 42- يلله، 43- جان، 44- آيكنى، 45- هوبى، 46- بارمان، 47- دمير، 48- قامو، 49- سكربيبكا، 50- جوناى، 51- قوجار صونابى، 52- قارنى، 53- بت جاكور، 54- ركساوزا، 55- جهار طار، 56- هشتار، 57- سيت، 58- بشتار، 59- جونتار، 60- زيلتا، 61- ينجينى، 62- جان"[2]، ولم يذكر الآلة رقم 63.

وإذا كان الأتراك الأويغور قد اخترعوا جزءا كبيرا من هذه الآلات الموسيقية، فإن جزءا أخر أخذوه عن جيرانهم الصينيين والهنود والعرب، حيـــــــــث أعطيت لبعض الآلات

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.123.

[2]- نفسه، ص. 124.

الموسيقية أسماء عربية وفارسية وهندية وصينية[1]، وطبقا للرحالة الصيني: "نانتو" فإن الآلات الموسيقية التي كانت موجودة لدى الأتراك الأويغور أكثر عددا من مثيلاتها الموجودة في المدرسة الموسيقية الهندية[2].

أدى تطور فن الموسيقى لدى الأويغور بالإمبراطور الصيني "تاي زونغ" إلى إرسال باحثين مختصين في الآلات الموسيقية إلى مدن: تورفان، وكوجا، وكاشغر، للأخذ عن الموسيقى الأويغورية، فوجدوا مجموعات من الأوركسترا تتكون من 20 فرد و 25 آلة موسيقية، كما وجدوا في مدينة كاشغر مجموعات موسيقية مكونة من 12 فردا و 20 آلة موسيقية، ولقد شرحوا بالتفصيل أسماء تلك الآلات ومواصفاتها وخصائصها[3].

وقد قَدِم كذلك من الصين كل من الموسيقيين الشهيرين: "لي" و"جيانغ" إلى تركستان الشرقية، ودرسا بها فنون الموسيقى لفترة، وأخذا معهما إلى الصين نماذج من لآلات الموسيقية استعملت في الجيش الصيني[4].

تتكون الموسيقى الأويغورية من أثني عشر مقاما منها ما أستحدث في ثلاث عصور أويغورية، فيما بين القرن السابع والتاسع الهجريين/الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين، وبرز خمسة منها في القرن السابع، والتسعة الأخرى في القرن الثامن، أما في القرن التاسع فقد أكمل اللإثني عشر مقاما، وكانت هذه المقامات تتميز بجمعها الخصائص القومية الأويغورية، وعاداتهم وتقاليدهم، وأشكال مجتمعهم وحياتهم، ورغباتهم وأمانيهم، باختلاف العصور التي مرت عليهم، وقد أظهرت الخمس مقامات الأولى منها تقديسهم الشمس والقمر والنجوم والأرض والماء[5].

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 124-125.

[2]- نفسه، ص.122.

[3]- التركستان الشرقية تحت الإحتلال الصيني، ص.33.

[4]- نفسه، ص.34.

[5]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.125.

ثانيا: في المجال المسرحي.

عرف الأتراك الأويغور فن المسرح منذ القديم، وقد وردت معلومات غزيرة عن إهتمام هؤلاء بالمسرح في الوثائق المتحصل عليها من الأعمال التنقيبية التي أجريت في مناطق عديدة من آسيا الوسطى، من بينها: بجوار قورغاس، وتكس، وبمحذات منطقة تورفان، وخوتن، ولوب نور، وقد بَيَّنت هذه الحفريان مدى تطور المسرح البدائي لدى الأويغور، وأظهرت بأن المسرح عندهم كان مرتبط بالدين، حيث كان المبشرون البوذيون يعرضون معتقدهم للناس عن طريق عرض مسرحيات ذات طقوس دينية، وخاصة المبشرون البوذيون، ونتيجة لذلك ظهر فن مسرحي جديد عرف بـ"المسرح الأسطوري"، يعتبر مزيج بين المسرح الابتدائي الأويغوري القومي والمسرح الديني[1].

وقد أبدع الأويغور في مجال فن التمثيل الصامت والمسرح وبرعوا في فن الحكاية، حتى أنه من وجهة النظر الدرامة تعتبر موضوعات القصص الأويغورية من بين أجود الموضوعات لدى الصينيين، فقد أثارت إهتمامهم[2].

ونقل الباحث التركي أركين آلبتكين عن الرحالة الصيني "سيو- أن- جانج" الذي مر في طريقه إلى الهند بمدينة كوجار سنة 630م، معلومات قيمة على فن المسرح لدى الأويغور، حيث ذكر في كتابه المعورف بـ:" مذكرات عن المنطقة الواقعة غرب سلالة تانج العظمى"، أن: المسرح الأويغوري وصل إلى درجة كبيرة من التطور، وذاع صيتهم في كل المنطقة، ووصل المقام بالموسيقيين الأويغور وفنانيهم المسرحيين إلى الذاهب إلى أداء حفلات موسيقية في الصين، وتَمْثِيل مسرحيات في قصور الأباطرة[3].

تطور فن المسرح لدى الأويغور بعد اعتناقهم الدين الإسلامي بشكل ملحوض، فقد حوّل كُتاب أويغور أمثال: ضياء حمدي، وأحمد ضيائي، ولطف الله مطلب، ومسعود صبري بايقوز، أعمالا تراجيدية ودرامية وكوميدية وموسيقية إلى مسرحيات مشهورة، مثل

[1]- أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص ص، 111-112.

[2]- اوقطاي آصلان آبا: فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص.5.

[3] - أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.113. عن سيو-أن- جانج: مذكرات عن المنطقة الواقعة غرب سلالة تانج العظمى.

مسرحية:"غريب وشاه سنم"، ومسرحية "فرهاد وشيرين"، و مسرحية "طاهر وزهرة"، و"ليلى والمجنون"، و"وامق وعذرا"، و"مسعود ودلارا"، و"ناظوغوم ورابية وسعدين"، و"الجبل الدمى"، و"البنت المسكينة"، و"آرشينى مال آلان"، و"سونكن يول طرزلر"، و"صامصاق آكام قينايدو"، و"آنارخان"[1].

المبحث الثالث: فن التصوير الأويغوري.

اهتم الأتراك الأويغور بالتصوير بشتى أنواعه، مثل: فن تصاوير الكتب، وفن التصوير الملصوق على القماش الكتاني(Lack)، وفن التصوير بشمع العسل المنفذ على الخشب المغطى بالجص، وفن التذهيب على الورق والحرير، وفن التصوير المنفذ على الخيش، والتصوير الجداري حتى أصبح هذا الأخير من الفنون الوثيقة بهم، وقد أسهم الأويغور في ظهور أنواع جديدة في فن التصوير، وأوجدوا تيار جديد في التصوير التركي استمر من سنة 604م إلى غاية 1250م.

أولا: تطور فن التصوير لدى الأويغور.

قبل البدأ في الحديث عن تطور فن التصوير عند الأويغور أريد أن أشير قبل ذلك أنّ الأويغور برعوا في النحت على الحجر، وأغلب المراجع التي تشير إلى تطور هذا النوع من الفنون عند الأتراك ترجعه إلى فترة حكم الأويغور، حيث تم العثور على أشكال حيوانية مجسدة من الحجارة وعليها نقوش مختلفة، تكشف لنا مدى تطور فن النقش على الحجارة لدى الأويغور،(أنظر، الصورة رقم:14+15)[2]، وقد تواجدت هذه الحجارة بكثرة في مقابرهم، وخاصة في عهد "كوك تورك" حيث إشتهر مايسمى فن النحت بالبال(Balbal)[3]، وقد جسدت هذه الآخرى بدقة في عهد كول تكين (Kul Tigin Kagan) القاغان العالم، وهذه المواقع

---

[1] - أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص.113.

[2] - أنظر، الصورة رقم: 14-15، ص. 412-413.

[3] - عند الأتراك مصطلح بالبال هو إسم يطلق على الحجارة التي تقام حول القبور.(أنظر، Yunus Emre : La Tradition de la sculpture chez les turcs et les pierres tombales de femme a l'eoque de la periode ottomane, International Journal of Educatio and Research, Vol.1, No.8August 2013, p.02.)

الأثرية هي في نفس الوقت مصادر للتعرف على الكتابة والأدب التركي المهم في عهد كوك تورك[1].

يتضح من الحفريات المختلفة التي أجريت في بعض المدن والمواقع الأثرية الأويغورية، عن مدى تطور فن التصوير لديهم، فقد كشفت الحفريات التي قام بها "لوكوك"(Von le Coq) و"جرينفيدل"(Grunwedel) بين سنتي 143-226هـ/760-840م، في مدينة قوجو(قاراخوجا الحالية) بالقرب من مدينة طورفان(بصحراء غوبي من أعمال تركستان الصينية) على تواجد أثار لمدينة حاكم الأويغور "أيدي قوت"[2]، وعثر بها على بقايا رسوم حائطية ومخطوطات مزوقة بالتصاوير، ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين[3].

وقد تم العثور أيضا في منطقة دير(طوياق/Toyuk)، وفي أثار بزكلك القريبة من (مورطوق/Murtuk)، وفي منطقة (وادى سانجيم/Sangim)، عن بقايا رسومات جدارية وكتب وأوراق أويغورية مصورة، ترجع إما إلى فترة القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي أو إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[4].

كما كشفت حفريات أخرى في بعض المدن الأويغورية قامت بها بعثة علمية فرنسية تحت إشراف:"بول بليو"(Payl Pelliot)، عن مجموعة من المعابد كانت مزينة برسومات جميلة، وقام أيضا "أريل ستين"(Aurel Stein)، بالتنقيب في المعابد المنحوتة على الصخر، فكشف عن رسومات رائعة تغطي جدرانها وبواطن أساقيفها، كما قامت بعثة يابانية هي الأخرى بحفريات في منطقة المدافن الأويغورية المعروفة باسم (أستانا/Astana) بالقرب من

---

[1] - Yunus Emre : La Tradition de la sculpture chez les turcs et les pierres, op.cit, p.02.

[2]- زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1940م، ص.22؛ زكي محمد حسن: التصوير في الإسلام عند الفرس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014م، ص.28؛ ربيع حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، المرجع السابق، ص.43.

[3]- محمد إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص. 149.

[4]- ربيع حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، المرجع السابق، ص.43.

مدينة طرفان[1].

ومن خلال تلك الحفريات يمكن تقسيم الرسومات الجدارية والتصاوير الأويغورية تم العثور عليها إلى فترتين:

1- **الفترة الأولى:** تعود إلى عهد الدولة الأويغورية الأولى (745-840م)، وهي الفترة الذهبية لفن التصوير الأويغوري، حيث هيمن عليه المعتقد البوذي والمانوي[2].

وقد أثبتت الأثار المكتشفة في منطقة طورفان عن ذلك، حيث تم العثور على بقايا معابد بوذية ومانوية، زينت حيطانها وأسقفها من الداخل برسومات تجسد أساطير، وقصص وصور لحكام أويغور وأخرى لرهبانهم، وبها كتابات أويغورية على أنماط مختلفة، كما تم العثور على ألواح من الخشب محفور عليها كتابات مختلفة، وفي مدينة قوجو الموجودة بمنطقة قاراخوجا، تم إكتشاف معبد يحتوي على رسومات تبين حياة بوذا من أولها إلى آخرها، كانت مرسومة على الحيطان الداخلية للمعبد، وفي منطقة أخرى غير بعيدة في حي بزكليك، تم العثور على معبد آخر يحتوي على رسومات ملونة ومختلفة، وقد تم إكتشاف معبد أويغوري أخر في مدينة قاراشهر، يحتوي على صور عديدة لبوذا[3].(أنظر، الصورة رقم: 15)[4].

وعلى بعد أميال بالجنوب الشرقي من مدينة دونخوانغ تم العثور على معبدين محفورين في الجبال، يبعد الواحد عن الأخر بمقدار 500 متر،(أنظر، الصورة رقم:07)[5] وتم العثور على هياكل مجسمة بداخل المعبدين، وتم إكتشاف رسومات ومكتبة وعينات من صناعة الأويغور، وكل هذه المواد تشهد على مدى تطور فن الرسم لدي الأويغور، وقد أطلق الصينيون إسم "شي أن بتوك" على هذين المعبدين ومعناها "كهوف الأويغور"، وقد تم إكتشاف كهوف أخرى للأويغور في مدينة آنشي، تحتوي بداخلها على أنواع من الرسومات

[1]- ربيع حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، المرجع السابق، ص.43.

[2]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق، ص.44.

[3]- نفسه، ص.93.

[4]- أنظر، الصور رقم: 15، ص. 413.

[5]- أنظر، الصورة رقم: 07، ص. 409.

الحائطية التي تجسد حكامهم مثل ياوجي وتوبا[1].

2- **أما الفترة الثانية**: فتمتد من نهاية القرن الثالث إلى الرابع الهجريين/ التاسع إلى القرن العاشر الميلاديين، وهي الفترة التي رحل فيها الأويغور من منطقة منغوليا إلى تركستان الشرقية، وهيمن على هذه المرحلة المعتقد البوذي والمانوي والديانة المسيحية والإسلامية، وانعكس ذلك على التصاوير[2].

ويلاحظ على الرسومات الأويغورية المنتمية إلى هذه الفترة غلبة الموضوعات الدينية، وتأثرها بمؤثرات صينية وساسانية[3] وهندية ومسيحية، وفي الحقيقة أن الحضارة الصينية تركت تأثيرات بارزة على الأتراك، فكثير من الأحيان كان هؤلاء يستعينون بالفنانين الصينيين من أجل عمل نقوش ورسومات جدارية على مقابرهم، وقد انتقل التأثير الصيني عن طريق الهدايا والتحف والمشغولات الفنية الصينية المزدانة بالرسومات والصور، التي كانت ترسل من قبل أباطرتهم إلى الأتراك وخاصة في عهد أسرة "تانغ"(618-907م)[4]، حيث انتشـــــرت

---

[1]- محمد أمين بوغرا، المرجع السابق ، ص.93.

[2]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.44.

[3]- حكمت الدولة الساسانية الإيرانية خلال الفترة من (226 إلى 651م)، وكانت دولة قوية سياسيا وفنيا، حتى أن فنونها ظلت ذات تأثير على الفنون الإسلامية عامة والإيرانية خاصة فترات طويلة، بالإضافة إلى إيران حكم الساسانيون أجزاء كبيرة من العراق، وكانت لهم علاقات مع عرب الجزيرة، ودخلوا في تحالف مع دولة المناذرة التي حكمت إقليم الحيرة الغربي في جنوب العراق، وقد شاهد العرب الكثير من الكتب الفارسية المصورة.(أنظر، محمد إبراهيم حسين: المدرسة في التصوير الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1988م، ص. 33.)

[4]- تأسست حكومة تانغ في الصين على إثر إنتفاضة قام بها أحد كبار الموظفين في حكومة أسرة سوى، قام به لي يوان(566-635م) في تاييوان، حيث إستولى على تشانغآن ونصب نفسه إمبراطورا سنة 618م، وحمل لقب "قاو تسو"، وبذلك أعلن إنشاء أسرة تانغ(618-907م)، وأعاد هذا الامبراطور الجديد بمساعدة ابنه "لى- شى- مين"(599-649م) حكم طبقة ملاك الأراضي على نطاق البلاد بأسرها، وذلك بعد الانتهاء من قمع انتفاضات الفلاحين وتصفية السلطات المحلية، وتسلم "لى- شى- مين" السلطة من والده في عام 626م، وامتد حكمه ثلاثة وعشرين عاما من 626م إلى عام 649م، وحمل لقب الامبارطور "تانغ- تاى- تسونغ"، اوكان يعد من بين أشهر أباطرة الصين، وقد أحدث تغيرات جدرية في العلاقات الإقتصادية والاجتماعية في المجتمع، اذ استرجع بعض الفلاحين أراضيهم التي استولت عليها أسرة الأشراف والبيروقراطيون في أسرة سوى السابقة، كما تحرروا من الضرائب الفاحشة ومن أعمال السخرة التي فرضتها عليهم الدولة الإقطاعية، وقد ظهر في عهده عدد كبير من المستشارين والوزراء، قدموا مساهمات بارزة في تدعيم حكمه، ومن أبرزهم: "وي- تشنغ"، الذي كان وزيرا حصيفا، استفاد الإمبراطور كثيرا من توجهاته في إدارة شؤون الإمبراطورية وتوطيد سلطتها، حيث قال في معرض تحليه أسباب سقوط أسرة سوى السابقة أن: العلاقة بين الحاكم والمحكوم كالعلاقة بين القارب والماء، فالقارب ظهر بسبب الماء ويغرق بسبب الماء أيضا، ومن بين الحلول التي قدمها للإمبراطور مفادها: يجب على الحكومة إتخاذ سياسات معتدلة لا تتجاوز ما يستطيع الفلاحون أن يتحملوه، وتجعل أعمال السخرة في مواسم الفراغ من الزراعة، والهدف من هذا الإجراء هو محاولة تنمية اقتصاد طبقة ملاك الاراضي ورفع ايراداتها، كما طبق قانون "المساواة في الأرض"، و"ضرائب الزراعة"، و"أعمال السخرة".(أنظر، سلسلة كتب "سور الصين العظيم": تاريخ الصين، **مجلة بناء الصين**، ج.1، بكين، 1986م، ص ص، 83-84.)

الأقمشة الحريرية الصينية في بلاد الأويغور، بعد التبادل التجاري الذي عرفته تلك الفترة لذلك تتضح التأثيرات الصينية في بعض تفاصيل الرسوم الجدارية والصور الأويغورية[1].

أدى تطور فن التصوير في الدولة الساسانية(226-641م) كذلك إلى تأثيره في الفن الأويغوري، ولا سيما في عهد ماني[2] الذي كان ماهر في الخط والنقش، فقد كان يكتب بخط دقيق على قطعة من الحرير الأبيض، إذا تم نزع خيط واحد منها اختفت الكتابة التي كتبها، إضافة إلى ذلك ألف ماني كتابا جامعا لأنواع التصاوير يسمي:"ارزنك ماني"، هو موجود في خزائن غزنة[3]، وقد دعى ماني أتباعه إلى تزيين الكتب الدينة بالصور، وحثهم على استخدام التصوير من أجل نشر مذهبه، وبعد الاضطهاد الذي مورس على أتباعه في منطقة إيران فر الكثير منهم إلى بلاد التركستان[4]، ونشروا مذهبهم هناك.

نتج عن هذا الأمر انتشار المذهب المانوي بين القبائل الأويغورية، وذلك بعدما أمن أحد خاناتهم بالمعتقد المانوي، ونال لقب "مظهر ماني"، وبدأ يترجم النصوص الدينية المانوية إلى اللغة الصغدية، ثم إلى اللغة الأويغورية، وقد عثر على الكثير من تلك النصوص في مدينة

---

[1]- من ذلك مثلا ظهور الملامح الصينية في بعض سحن الأدميين ورسم الثياب وأغطية الرؤس خاصة الشمسيات التي كانت تظهر على الرؤوس كرمز لحكام القاغانات الأتراك، وكذلك يظهر هذا التأثير في رسم الجبال والأشجار والنباتات والزهور ورسم البروج الصينية القريبة من الواقع ورسم الهالات الكبيرة الشبيهة بقوس قزح ومثل رسم بعض الحيوانات الخرافية الصينية كالتنين. (أنظر، ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.45- 46.).

[2]- يعود ماني في أصله إلى أسرة إيرانية عريقة، وتروي الروايات التاريخية أن أمه كانت تنتمي إلى العائلة المالكة الأشكانية التي كانت لا تزال تحكم إيران حين ولد ماني، وليس بعيدا أن يكون أبوه، فاتك، من الأصل نفسه، وقد هاجر هذا الأخير من بلده همدان(أكبتان القديمة) إى بابل حيث أقام في وسط ولاية ميسان، وهناك كان يحضر مجالس إحدى الفرق الدينية المعروفة بـ"المغتسلة"، وفي هذه القرية ولد ماني سنة 215-216، ونشأ على مذهب المغتسلة، ولكنه تعمق بعد ذلك في دراسة أديان زمانه، مثل الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الجنستيكية وخاصة مذهبى ابن ديصان ومرقيون، فترك مذهب المغتسلة، وإدعى بأنه كان يرى الوحي عدة مرات في صورة ملاك اسمه "القرين"، فكان يكشف له عن الحقائق الإلهية، وعلى إثرها بدأ يعلن دعوته، حيث زعم أنه هو "الفار قليط" الذي بشر به عيسى عليه السلام، وإدعى أنه رسول إله الحق إلى أرض بابل، وكان يرى أنه كان في مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة.(أنظر، أرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، المرجع السابق، ص ص، 171-172.)

[3]- أرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، المرجع السابق، ص.191.

[4]- محمد إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص.33.

تورفان، وكانت أغلبها مزينة بتصاوير مانوية ساسانية[1].

تأثر الأويغور بالفن الفارسي الساساني، ويمكن لمس ذلك التأثير في العديدى من الرسومات، وفي طريقة ترتيب الأشخاص على شكل صفوف، وفي طريقة استخدامهم الأفاريز والإطارات المكونة من حبات اللؤلؤ، ورسم الجامات التي تضم بداخلها رسوم طيور تمسك في مناقيرها بما يشبه القلائد، وتتطاير من أعناقها الأشرطة، وتتضح التأثيرات الساسانية كذلك في رسم الوشاح الذي يخرج طرفاه من تحت الإبطين، ورسم الأهلة والأشكال المجنحة، ورسم الأفرع النباتية التي تخرج منها الأزهار، ورسم الكائنات الخرافية مثل: السمور أو السيمرف، ورسم الملابس المزدانة بأشكال بيضاوية أو دائرية، تحتوي بداخلها رسومات لطيور أوحيوانات أو كائنات خرافية[2].

ثانيا: المدرسة الأويغورية في التصوير.

يمكن القول أنّه بالرغم من هذه التأثيرات الفنية الصينية والساسانية على فن التصوير الأويغوري، إلا أن هؤلاء أوجدوا أسلوب جديد خاص بهم يمتاز بالأصالة والواقعية، يمكن تقسيمه إلى عدة أقسام، أجمالها في ما يلي:

1- الرسوم الجدارية[3]: وتنقسم إلى عدة أجزاء:

- رسم الفرسان: منها رسم جداري يجسد فارس على صهوة جواده يعدو، ويرتدي ملابس متمثلة في رداء طويل يصل إلى القدمين، وحزام من جلد يتكون من قطع مستديرة متصلة[4].

- رسوم المناظر الطبيعية: ومن أبرزها رسم يزين قاعدة برج بوذي في مدينة بازكك، يتكون في أعلاه من مجموعة جبال ذات قمم مخروطية الشكل، يتخللها أشجار ومجاري مائية تنساب

---

[1]- أرثر كريستنسن، المرجع السابق، ص.191.

[2]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.47.

[3]- التصوير الجدارى: هو التصوير الذي يطبق على الجدران أو الأسقف بأية وسيلة مستخدمة: كالصور المائية(Fresco) أو الفسيفساء(Mosaic).(أنظر، محمد إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص.34.)

[4]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 48-49.

في بحيرة تتوسط الصورة، ويخرج منها تنين يفتح فمه وألسنة اللهب تخرج منه[1].(أنظر، الصورة رقم:16)[2].

- الرسوم الدينية: وتدور موضوعاتها حول حياة بوذا[3] وأتباعه، أو تمثيل مجموعات من الرهبان البوذيين أو المانويين أو القساوسة النساطوريين(أنظر، الصورة رقم:17)[4] في أوضاع تعبدية مختلفة[5].

---

[1]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 48-49.

[2]- أنظر، الصورة رقم:16، ص. 414.

[3]- إختلف الباحثون حول عصر بوذا وتاريخ ميلاده ووفاته، ويعتقد أنه ولد في عام 560 ق م، وتوفى في عام 480 ق م، وبهذا يكون بوذا معاصر لصاحب الديانة الجينية، وقد ولد بوذا في ولاية بيهار بالقرب من الهملايا، على مسافة مائة ميل من "بنارس" التى تعتبر الآن مدينة مقدسة للهندوس، وكان والده من عائلة آرية، ملكا صغيرا، من الطبقة الثانية، جماعة القواد والعساكر، تربى بوذا في بيت ترف ونعيم، ولكن سرعان ما انقلب على هذه الحياة وما فيها من الترف والبذخ، وأحس بمشكلات الناس ومتاعبهم وآلامهم، ولا سيما طبقة البؤساء والفقراء، فترك كل شيء في القصر وتوجه إلى غابة في جبال الهملايا، وإعتزل الناس وبدأ يتأمل ويتفكر، وذلك لإيجاد نور يهتدى به لإذهاب آلام الناس، إلى أن إخترع دين جديد، عرف بالدين البوذي. (أنظر، محمد اسماعيل الندوي: الهند القديمة حضارتها ودياناتها، مطبوعات دار الشعب، القاهرة، 1970م، ص ص، 145-146.)

[4]- أنظر، الصورة رقم: 17، ص. 415.

[5]- ومن الأمثلة على ذلك رسم جداري يمثل ردبل سدهاتا أو(سدهارتا) من قصر أبيه(قوجو-طرفان) في القرن 9م، ويظهر هذا الرسم سدهاتا على صهوة جواد أبيض، شعر عنقه طويل، وقد أمسك لجامه بيده اليمنى، في الحين يرفع يده اليسرى إلى الأعلى قليلا مشيرا بتلاقي أصابع السبابة بالأبهام وهي علامة التعلم، ويتقدم الجواد خادمه المعروف باسم"تشانا" الذي لم يبقى من رسمه سوى جزء صغير من رأسه، وتعكس ملامح وجه سدهاتا المتمثلة في الوجه المستدير والذقن الصغير والعيون المنحرفة والشعر المموج المنسدل على الكتف إلى خليطا من الملامح الصينية والتركية، ويرتدي سدهاتا ملابس يغلب عليها الطابع الهندي تتمثل في وشاح يضعه على كتفه يكشف عن جزء من صدره وبطنه، ورداء قصير أسفله سروال أخضر اللون، ويتحلى بقرط ويضع أساور في معصم يده، وتحيط برأسه هالة كبيرة خضراء اللون، في حين يزدان غطاء سرج الجواد بزخرفة تشبه قشور السمك، وتظهر خلفية هذا الرسم باللون البرتقالي المائل إلى الإصفرار وقد تخللها أشرطة مشعة تظهر خلف سدهاتا وكأنها تشير إلى بزوغ الشمس أو ضوء القمر، والتفسير الأخير أقرب إلى الصحة، إذ أن رواية خروج سدهاتا تشير إلى أن ذلك كان في شهر يوليو والقمر بدر، ويتضح في هذا الرسم قدرة الفنان الأويغوري على رسم الجواد والتعبير عن أعضائه بمهارة شديدة، كما يتضح أيضا مقدرته على تجسيد شكل سدهاتا بشكل واقعي من حيث التعبير عن النسب التشريحية واستخدام الظلال وخاصة في رسم الملابس وأعضاء الجسم، ورغم وضوح بعض التأثيرات الصينية والهندية في هذا الرسم، إلا أننا نلحظ وجود بعض السمات والخصائص الفنية الجديدة في التكوين وفي التعبير الفني تكشف عن أسلوب التصوير التركي الأويغوري، وذلك عن طريق إستخدام الخطوط الواضحة والقوية والمتصلة.(أنظر، ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.49 فما بعدها.).

- الصور الشخصية: ظهر هذا النوع من الفن عند الأويغور بعد سنة 750م، فإلى هذا التاريخ كان رسم الوجوه- كالأجسام نفسها-، تظهر بطريقة يقرب من كونها مصبوبة في قالب واحد، وكان تمييز كل واحد منها عن الآخر يتم بكتابة لاسم أسفل كل صورة، إلاّ أنّ الأويغور طوروا هذا الفن إلى حد بعيد، ويمكن ملاحظة ذلك في صور الرهبان الذين ينتظمون في صفوف على الرغم من وقفتهم وزيهم المتماثل، ويمكن ملاحظة الواقعية في التصوير الأويغوري، في كثير من الرسوم الجدارية للأمراء والنبلاء الأويغور في المعابد البوذية والمانوية، وهي تكشف عن مدى براعتهم في رسم الصور الشخصية[1].

- رسم الحيوانات والطيور: كشفت هذا الفن البعثة الألمانية العاملة في منطقة(طوياق) بواحة طرفان، حيث عُثِرت على رسم يمثل إفريزا من رسوم رءوس الخنازير مُثلت داخل دوائر تزخرف أطاراتها حبات اللؤلؤ، في حين زينت مناطق تماس الدوائر الكبيرة بدوائر صغيرة، يزخرف أطاراتها أيضا حبات اللؤلؤ، وبداخلها رسوم أهلة[2].(أنظر، الصورة رقم: 18)[3].

2- رسم وتصوير المخطوطات: تكاد ترجع معظم هذه الرسومات والتصاوير إلى فترة ازدهار دولة الأويغور الأولى(128-226هـ/745-840م) في منغوليا،(أنظر، الخريطة رقم: 15)[4] وبالتحديد إلى الفترة التي تَحَّوَلَ فيها الأويغور إلى الديانة المانوية، ما بين سنة: 145هـ/762م في فترة حكم بوغوقاغان(226هـ/840م)[5]، وأغلب هذه الأعمال الفنية التصويرية عُثِر عليها داخل بقايا المباني والمعابد في منطقة طرفان، وفي مدينة قوجو أو قراخوجا، حيث وجدت

[1]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 56-57.

[2]- نفسه، ص.60.

[3]- أنظر، الصورة رقم:18، ص. 415.

[4]- أنظر، الخريطة رقم: 15، ص. 393.

[5]- أدى ذهاب بوغوقاغان إلى الصين إلى تحول تاريخي على الثقافة الأويغورية، فقد تعرف هذا الأخير في الصين على رهبان الصغد المانويين، وعن طريقهم تعرف على المعتقد المانوي، وعند عودته إلى بلاده أحضر معه أربعة رهبان مانيين معه، وبعد فترة قصيرة ترك معتقده وإعتنق المانوية. (أنظر، أركين آلبتكين، المرجع السابق، ص. 20).

العديد من المخطوطات والأوراق المانوية التي كتبت بالأبجدية الصغدية والأويغورية والمانوية[1].

المبحث الرابع: تأثير التصوير الأويغوري على التصوير الإسلامي.

عمل الأويغور بعد دخولهم في لإسلام، على نقل خبراتهم الفنية إلى المسلمين، وقد أدى ذلك إلى تأثيرهم في فن التصوير الإسلامي، وكان ذلك منذ فترة مبكرة، واستمر حتى بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وسوف أحاول عرض إلى مواطن التأثير والفترات التي شهدت ذلك.

أولا: في الفترة العباسية(132-656هـ/750-1258م)[2]:

تعد هذه الفترة من بين الفترات المهمة التي ظهر فيها تأثير أساليب فن التصوير الأويغوري جليا على التصوير الإسلامي، ومَرَدُ ذلك إلى اعتناق الأويغور الإسلام واحتكاكهم بالمسلمين.

بدأ هذا التأثير يظهر بوضوح في منطقة إيران، حيث كشفت الحفريات الحديثة المقامة في مدينة نيسابور[3] عن صور مائية مرسومة على مادة الجص، يرجع تاريخها إلى نهاية القرن

---

[1]- أرثر كريستنسن، المرجع السابق، ص.191.

[2]- حكمت دولة الخلافة العباسية قرابة 524 عاما:(132-656هـ/ 750-1258م)، وابتدأت بأبي العباس السفاح وانتهت بوفاة المستعصم بالله، حيث زالت على أيدي المغول، ولم تكن هذه الفترة على نمط واحد من حيث قدرات الدولة وقوة الخلافة، واتفق المؤرخون على تقسيم تاريخ حكم دولة الخلافة إلة أربعة عصور: العصر الأول وهو عصر القوة والتوسع والإزدهار والذي يمتد من 132هـ/750م إلى 232هـ/847م، والعصر الثاني: وهو العصر الذي سيطر فيه العنصر التركي على مقاليد الحكم في الخلافة، ويمتد من سنة 323هـ/ 847م إلى 334هـ/ 946م، أما العصر الثالث: فعرف سيطرت الفرس البويهيون على الخلافة، وإمتد من سنة 334هـ/946م إلى سنة 447هـ/ 1055م، أما العصر الرابع والأخير، فشهد سيطرة الأتراك السلاجقة على مقاليد السلطة في الخلافة العباسية، وإمتد من سنة 447هـ/1055م إلى سنة 656هـ/ 1258م. (أنظر، محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، المرجع السابق، ص ص، 32-33.).

[3]- نَيْسَابُور: بفتح أوله، والعامة يسمونه نَشَاوور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، وهي منبع العلماء، وقيل أنها سميت بهذا الإسم: أن سابور مر بها وفيها قصب كثير فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقيل لها نيسابور، أما الرواية الثانية فتقول: لما فقد سابور خرج أصحابه يبحثون عنه، ولما بلغوا نيسابور ولم يجدوه، قالوا: نيست سابور: أي ليس سابور، ومن أسماء نيسابور نجد: أبرشهر وإيرانشهر، وخرج منها عدد كبير من العلماء منهم: الحافظ الإمام أبو علي الحسين بن علي بن زيد ابن داود بن زيد النيسابوري الصائغ.(أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.5، ص ص، 331-332.).

الثاني الهجري أو أوائل القرن الثالث/ أواخر القرن الثامن الميلادي، أو أوائل القرن التاسع[1]، ومن بين هذه الصور نجد رسوم لُونَتْ بلون واحد، من بينها صورة محددة باللون الأسود، تمثل صيادا ممتطي جواده وهو يركض، يرتدى ثياب فاخرة، ويضع على رأسه خودة وتمنطق بحزام، وبحوزته سيفان ودرع مستديرة الشكل، ويحمل بازا فوق رسغه الأيسر، وربط إلى سرجه حيوانا أشبه بأرنب برى[2].(أنظر، الصورة رقم:19)[3].

لا يستبعد أن يكون هذا النوع من الرسم الذي يعتمد على اللون الواحد قد أُخذ عن التصوير المانوي، فقد تم العثور على رسم نقشه ماني على طومار يظهر صورا منفردة لأبناء الظلمات، وكان يقصد من خلال هذا الرسم إبغاض الناس من الشر، في حين صور أبناء النور كانت جذابة ليحبب جمالها إلى الناس، وكانت تلك الصور الملائكية والشيطانية كلها تهدف إلى تهذيب حياة الناس[4].

ويذكرنا رسم الفَرس المتقن في الصورة السابقة وهو يركض مسرعا وكذا ملابسه، بنظائرها الموجودة في الفن الساساني، على أننا نلمح تأثيرات آسيا الوسطى في بعض التفاصيل، مثل السيفين والخودة، ويمكن إرجاع تلك الصورة إلى نهاية القرن الثاني أو الثالث الهجريين/ الثامن أو بداية التاسع الميلاديين[5].

وإلى جانب الرسوم ذات اللون الواحد الذى تم العثور عليها في مدينة نيسابور، تم العثور أيضا على صور متعددة الألوان، أستخدم في رسمها الألون مثل: الأسود والأبيض والأزرق والأحمر بدرجات متفاوتة، ومن بينها صورة تمثل وجه بشر وشياطين، وهذا النوع من الرسوم يرتبط إرتباطا بموضوعات التصوير الأويغوري في آسيا الوسطى، التـــــي كانت

[1]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 80-81.

[2]- م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، تر: أحمد محمد عيسى، مر: أحمد فكرى، دار المعارف المصرية، مصر، 1944م، ص.38.

[3]- أنظر، الصورة رقم:19، ص. 416.

[4]- أرثر كريستنسن، المرجع السابق، ص.195.

[5]- م. س. ديماند، المرجع السابق، ص. 38.

تضم بكثرة رسوم الشياطين والمَرَدَة[1].

من بين ما عُثِرَ عليه أيضا في إيران هو جزء من قطعة عليها رسم امرأة تحيط برأسها هالة، وهي محفوظة بمتحف المتروبوليتان، ويذكرنا شَعْر تلك المرأة الأسود المجعد ببعض رسومات قبائل الأويغور التي اكتشفت في مدينة خوجو (Khocho) بالتركستان[2].

بدأ الأويغور- على الأغلب أنهم مانويين - منذ بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، في أثناء خلافة المأمون(813-833م)[3]، الهجرة على شكل جماعات كبيرة من موطنهم الأصلي تركستان، واستقروا في حاضرة العباسيين بغداد، وثبتوا أقدامهم فيها، ونالوا الحظوة لدى الخليفة العباسي، ولكنهم سرعان ما اضطهدوا اضطهادا شديدا في القرن العاش، حيث ذكر المؤرخون أن بغداد شاهدت سنة 923م حرق حوالى أربعة عشر عرارة - لم أجد لها تعريف- من الكتب المانوية، سال منها كم هائل من الذهب والفضة، تأثرت بالفن الأويغوري[4].

وقد إستمر تأثير الفن الأويغوري في بغداد موجود، حيث كشفت لنا حفائر عاصمة الأويغور مدينة خوجو التي قام بها كل من: لوكوك(Le Goq) وجرينقيدل(Grunwedol) عن بقايا رسوم حائطية وكتب مصورة، ترجع إلى القرنين الثامن والتاسع، يمتاز أسلوبها بنفس أسلوب المدرسة الأويغورية المانوية الذي وجد في مدينة بغداد[5].

[1]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.81.

[2]- م. س. ديماند، المرجع السابق، ص ص، 38-39.

[3]- هو أبو جعفر عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد، وأمه أم ولد تعرف باسم "مراجل الباذغيسية"، ولد عام 170هـ/786م، ولاه والده ولاية العهد في سن 13 من عمره، وبويع بالخلافة في سنة 198هـ/813م، وكان حينها بمدينة الري، ودام حكمه من سنة 198هـ/813م إلى 218هـ/833م. (أنظر، محمد طقوش، المرجع السابق، ص.121.).

[4]- م. س. ديماند، المرجع السابق، ص. 41.

[5]- نفسه، ص. 41.

تواصل تأثير الفن الأويغوري في الفن التصوير الإسلامي في عهد الخليفة المعتصم بالله[1]، فبعد بنائه مدينة سامراء[2] (221-276هـ/836-889م)، انتقل الكثير من الأويغور واستـــقروا

---

[1]- هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، ثامن خلفاء بنى العباس، حكم من سنة 218هـ/833م إلى سنة 227هـ/841م، حيث بويع له بالخلافة بعد وفاة أخوه المأمون بطرسوس، وحكم المعتصم الدولة حكما استبداديا مقرونا بشيء من العطف وحسن التدبير، وتميز بالشجاعة والإقدام، وشدة البأس والمهابة، وعرف عنه إستعانته بالعنصر التركي حتى غلبوا على الخلافة العباسية.(أنظر، المرجع نفسه، ص.138.).

[2]- سامَرّاء أو سُرّ مَنْ رأى: وتلفظ: سامَرّاء، ممدودة، أو سامرّا، مقصور، أو مهموز الآخر: سُرّ مَنْ رَأ، أو مقصور الآخر: سُرّ من را، وهي مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة، فوق بغداد بثلاثين فرسخا، وقد خففها الناس فقالوا سامَرّاء، وهي في الإقليم الرابع، طولها تسع وستون درجة وثلثا درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وسدس، وبها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم سيخرج منه، وقد ينسبون إليها بالسُّرّ مَرّي، وقيل إنها بنيت لسام فنسبت إليه بالفارسية: سا راه، وقيل بل هو موضع عليه الخراج، فقيل بالفارسية: ساءِ مُرّه، أي هو موضع الحساب، وكان الرشيد قد حفر عندها نهرا سماه القاطول وأتى الجند وبنى عنده قصرا ثم بنى المعتصم بها قصرا ووهبه لمولاه اشناس، ولما ضاقت بغداد عن عساكره، وأراد استحداث مدينة، كان هذا الموضع على خاطره، فجاءه وبنى عنده سّر من رأى، وقد قيل في سبب إستحداثها أنه في سنة 219م أمر المعتصم أبا الوزير أحمد بن خالد الكاتب بأن يأخذ مائة ألف دينار ويشتري بها بناحية "سر من رأى"، موضعا يبني فيه مدينة وقال له: إني أتخوف أن يصيح هؤلاء الحربية صيحة، فيقتلوا غلماني، فإذا ابتعت لي هذا الموضع كنت فوقهم، فإن رابني رائب أتيتهم في البر والبحر حتى آتي عليهم، فذهب الوزير وإبتاع ديرا كان في الموضع من النصارى، بخمسة آلاف درهم، وابتاع بستانا كان في جانبه بخمسة آلاف درهم، وخرج المعتصم إلى الموضع في سنة 220م ونزل القاطور في المضارب ثم جعل يتقدم قليلا قليلا، وينتقل من موضع إلى أخر حتى نزل الموضع وبدأ بالبناء فيه سنة 221م، ولما ضاقت بغداد عن عسكره وكان إذا ركب يموت جماعة جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لازدحام الخيل وضغطها، وكانت جيوش المعتصم قد كثرت وبلغ عددها سبعين ألفا، فمدوا أيديهم إلى حرم الناس وسعوا فيها بالفساد، فاجتمع أهل الخير على باب المعتصم، وقالوا له: يا أمير المؤمنين ما شيء أحب إلينا من مجاورتك الإنك الإمام والحامي للدين وقد أفرط علينا أمر غلمانك وعمنا أذاهم، فإما منعتهم عنا أو نقلتهم عنا، أما نقلهم فلا يكون إلا بنقلي ولكني أفتقدهم وأنهاهم وأزيل ما شكوتم منه، فنظروا وإذا الأمر قد زاد وعظم وخاف منهم الفتنة ووقوع الحرب وعاودوه بالشكوى وقالوا: إن قدرت على نصفتنا وإلا فتحول عنا، إمّا أن تخرج من بغداد أو نحاربك، فقال: كيف تحاربونني؟ قالوا: نحاربك بسهام السحر، قال: وما سهام السحر؟ قالوا: ندعو عليك، فقال المعتصم: لا طاقة لي بذلك، وخرج من بغداد ونزل سامراء، وسكنها، وبنى بها دارا وأمر عسكره بمثل ذلك، فعمر الناس حول قصره حتى صارت أعظم بلاد الله، وبنى بها مسجدا جامعا في طرف الأسواق، وأنزل أشناس بمن ضم إليه من القواد كرخ سامراء، وهو كرخ فيروز، وأنزل بعضهم في الدور المعروفة بدور العرباني، وتوفى المعتصم بسامراء في سنة 227م، وأقام الواثق بها حتى مات ثم ولي التوكل فأقام بالهاروني وبني به أبنية كثيرة وأقطع الناس في ظهر سر من رأى في الحيز الذي كان احتجره المعتصم، واتسع الناس بذلك، وبنى مسجدا جامعا فأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارة لتعلو أثوات المؤذنين فيها وحتى ينظر إليها من فراسخ فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول، واشتق من دجلة قناتين شتوية وصيفية وتدخلان الجامع وتتخللان شوارع امراء، واشتق نهرا آخر وقدره للدخول إلى الحيز فمات قبل أن يتمم، وحاول المنتصر تتمته ولكنه فشل، ولم يبنى أحد من الخلفاء بسر من رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل، فمن ذلك: القصر المعروف بالعروس، أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم، والقصر المختار خمسة آلاف درهم، والوحيد ألفي ألف درهم، والجعفرى المحدث عشرة آلاف ألف درهم، والغريب عشرة آلاف ألف درهم...، ولم تزل سامراء في زيادة وعمارة منذ أيام المعتصم والواثق إلى آخر أيام المنتصر ابن المتوكل، فلما ولي المستعين وقويت شوكة الأتراك واستبدوا بالملك والتولية والعزل وانفسدت دولة بني العباس لم تزل سر من رأى في تناقص للاختلاف الواقع في الدولة، بسبب العصبية التي كانت بين أمراء الأتراك إلى أن كان آخر من انقل إلى بغداد من الخلفاء المعتضد بالله، وخربت حتى لم يبق منها إلا موضع المشهد الذي تزعم الشيعة أن به سرداب القائم المهدي وحملة أخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامراء وسائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر إليها بعد أن لم يكن في الأرض كلها أحسن منها ولا أجمل منها.(أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.3، ص. 173. فما بعدها.).

بها، وكونوا بسرعة رهيبة مجموعات بشرية قوية، واشتغلوا بالأنشطة الفنية[1].

نتج عن هجرتهم هذه دخول أشكال زخرفية جديدة على العالم الإسلامي، مثل:التفريعات الهندسية ذات الأوراق المستديرة، التي تم العثور عليها في زخارف الجص العباسي بمدينة سامراء، وهي زخارف أصلها من وسط آسيا، حيث عثر عليها في مدينة خوجو(Khocho) عاصمة قبائل الأويغور بالتركستان في القرنين الثامن والتاسع[2].

لا شك أنّ إنتقال فكرة الزخرفة الجديدة إلى البلاد الإسلامية، وخاصة إلى مدينة سامراء، وكذلك إلى غرب أوروبا كان عن طريق تلك القبائل التركية النازحة من وسط آسيا، وعلى رأسهم الأويغور والسلاجقة.

فقد وجدت هذه التأثيرات بشكل واضح في مدينة سامراء العباسية، تم الكشف عنها من قبل أعمال الحفر والتنقيب المبدئية التي قام بها "فيوليه" في سنة 1907م، أما الاكتشافات الأثرية المهمة فقد تمت على يد البعثة الألمانية التي أشرف عليها العالمان: "زاره" و"هرتسفلد"، حيث كشفا عن عمائر مدينة سامراء، وأخرجا تحفها وكنوزها، ومن بينها مجموعة من الصور المائية المرسومة على الجص[3]، وهي رسومات تعطينا نظرة واضحة على مدى تأثر الرسومات الجدارية العباسية بفن التصوير الأويغوري.

من بين أهم رسومات سامرا الجدارية التي يتضح فيها هذا التأثير، تلك الصورة التي عثر عليها في قاعة القبة بجناح الحريم من الجوسق الخاقاني[4]، وهي صورة تمثل: راقصتين في وضع تماثل، ترقصان رقصة مزدوجة، وقد تداخل ذراع إحداهما بذراع

---

[1]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.80.

[2]- م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ص.35.

[3]- محمد إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص. 51.

[4]- يعتبر الجوسق الخاقاني من بين أهم القصور التي شيدها المعتصم بالله في مدينة سامرا، وقد اختار له موضعا يقع على ضفة دجلة الشرقية، جنوبي دار العامة، مطلا على الحير، ويشغل المساحة التي بين شاطئ دجلة والحير، وهي مساحة واسعة جدا، وقد إتخذه المعتصم بالله مقرا له طيلة خلافته، ولما توفى دفن فيه، وقد سكنه المعتز بالله من بعده، وأوكل إلى طوج ابي الفتح بن خاقان امور بنائه والإشراف عليه، وأقطعه وأصحابه الآراضي الموالية للجوسق، فبنوا فيها قصورهم ومساكنهم، وقد اتخذ أغلب خلفاء سامرا بعد المعتصم بالله هذا القصر سكنا لهم، وكان المعتصم قد بنى في الجوسق سجنا لحبس قائده الأفشين، وسماه سجن لؤلؤة، ثم عرف بعد ذلك بالأفشين، ويظهر أن هذا السجن خصص لحبس الأمراء والقواد والسياسيين المغضوب عليهم، فقد حبس المستعين بالله أخويه المؤيد والموفق فيه، كما سجن فيه المعتز بالله القائد التركي كنجور.(أنظر، أحمد عبد الباقي: سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، ج.1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص ص، 80-81.)

الأخرى، ويوجد بينهما طَبَقْ من الفاكهة، وترتدى كلا منهنا رداء له طيات زخرفية على شكل دوائر المياه المتكسرة، ويوجد بوسط كل من الراقصتين حزام لتجسيم البطن أثناء الرقص، وتضع على ذراعيها وشاحا يتدلى طرفاه أسفل الذراعين، وتمسك بإحدى يديها خلف رأسها قنينة ذات العنق الطويل، والجسم الكروي، في حين تمسك باليد الأخرى بطبق مزخرف من الخارج بخطوط رأسيه، وتتعصب كل من الفتاتين بمنديل وتنسدل أربع ضفائر من الشعر، وقصة ترخى بين الصدغ والآذن وتحلى أذنها بقرط، وكل من الراقصتين في وضع ثلاثية الأرباع[1].(أنظر، الصورة رقم:20+21)[2].

يظهر أسلوبان في رسم طيات ثياب الراقصتين، ففوق البطن استخدم أسلوب زخرفي يشبه دوائر المياه المتكسرة، في حين رُسمت ثياب الراقصة اليمنى بين الساقين بأسلوب قريب من الواقع، يمثل في رسم الطيات على هيئة خطوط منسابة، تشع من مركز واحد[3].

إنّ هذه الصورة تتشابه كليا مع صورة جدارية مُنفذة بالألوان المآئية، عُثر عليها في منطقة(باليليك/ Balalik) الأويغورية الموجودة بوسط آسيا، تمثل فتاتين تمسك إحداهن في يدها اليمنى بكأس، وفي يدها اليسرى زهرة[4].(أنظر، الصورة رقم 21)[5].

يتضح التشابه في أسلوب التمثيل في وضعية ثلاثية الأرباع، وطريقة الإمساك بالكأس أو الصحن المزخرف في الصورتين من الخارج بخطوط رأسية، وفي طريقة تصنيف الشَعر والقَصَة المرخاة بين الصدغ والأذن ووضع الأقراط في الأذن، وفي قسمات الوجه مستدير(القمرى)، وفي العيون اللوزية، والحواجب الرفيعة، وفي الأنف المستقيم والفم الصغير

[1]- محمد إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص. 52؛ أنظر، كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي(دراسة حضارية – جمالية – مقارنة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1428هـ/2008م، ص.142.

[2]- أنظر، الصورة رقم: 20+21، ص. 417.

[3]- محمد إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص. 52.

[4]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 81-82.

[5]- أنظر، الصورة رقم: 21، ص. 417.

، وفي غطاء الرأس الشبيه بالمنديل أو العصابة[1].

ومن بين رسوم سامراء الجدارية التي يتم فيها لمس التأثير الأويغوري، لدينا صورة مرسومة على أسطوانة فخارية مطلية بماء الجير، ومرسوم عليها بالألوان، تم العثور عليها مدفونة في إحدى الحفر تحت قاعة من قاعات العرش بالجوسق الخاقاني، وتمثل: الصورة أحد الفتيان المماليك[2] الأتراك، وهو يحمل غزالا فوق كتفه، وهي تحاكي هيئة مواطن تركي في بملابسه الأصلية، حيث يرتدي رداءا غير مفتوح من الجهة الأمامية وله ردنان ضيقان، يصل طوله إلى ما بعد الركبة بقليل، أسفله سروال واسع، ويشد وسطه بحزام رفيع تتدلى منه أطراف جلدية[3].(أنظر، الصورة رقم:22)[4].

يعتقد ربيعة حامد خليفة أن الصورة تمثل صيادا أو مربي للغنم بحزامه الذي يشد به وسطه، وهو حزام يرمز إلى الحرية، بينما تشير الأطراف المتدلية منه إلى القبيلة التي ينتمي إليها، وهذا يدل على مدى تأثير الفن الوافد من آسيا الوسطى(أنظر، الخريطة رقم، 05)[5] في التصوير العباسي، وقد وفد هذا الفن عن طريق الأويغور[6].

من بين الصور التي عُثِر عليها كذلك في سامراء، تلك الصُور لأسطوانات صغير مَرْسُوْم بالجانب منها صورا لأشخاص ملتحين، يرتدون ملابس داكنة اللون تزدان برسم

---

[1]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.82.

[2]- المملوك وجمعه مماليك، اسم مفعول مشتق من الفعل العربي "ملك"، ويقال عبد مملكة بفتح اللام وضمها إذا سُبي ومُلك دون أبويه، ولم يلبث اللفظ أن اتخذ معنى اصطلاحى خاص في التاريخ الإسلامي، فأصبح يقصد بالمماليك، جموع الرقيق الأبيض الذين كانوا يصبحون رقيقا إما نتيجة الأسر في الحروب أو عن طريق الشراء من التجار الذين كانوا يجلبونهم إلى بلاد الإسلام ويطلبون فيهم أموال مرتفعة، وكان الخلفاء العباسيون هم أول من استخدم المماليك أو الرقيق في جيوشهم من أجل توطيد نفوذهم، وخاصة منذ خلافة المأمون، حيث أخذ يخشى من ازدياد نفوذ الفرس، فلجأ إلى الإكثار من شراء مماليك من الترك ليعتمد عليهم في دعم نفوذ العباسيين، وإزداد عددهم مع مجيء المعتصم للخلافة. (أنظر، سعيد عبد الفتاح عاشور:عصر المماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، 1976، القاهرة، ص ص، 1-2)

[3]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.82.

[4]- أنظر، الصورة رقم: 22، ص. 418.

[5]- أنظر، الخريطة رقم:05، ص. 384.

[6]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.83.

صلبان صغيرة متكررة، ومن المحتمل أنها تمثل بعض القديسين أو الرهبان المسيحيين، ولا يستبعد أن يكون الفنانين الأويغور النساطرة قد شاركوا في رسم هذه الجدارية[1].(أنظر لوحة رقم:22)[2].

ويعتقد أن هذه الأسطوانات ما هي إلا قوارير تخزن فيها الخمور، وكانت لها صلة بالجواري المتواجدين بجناح الحريم الخاص بالخليفة في سامراء، وأن صور الأشخاص المرسومة عليها ربما كانت علامات للخمر المعتقة، أما صور القديسين فتشير إلى المسيحيين الذين كانوا يستعملونها دائما[3].

إضافة إلى هذه الصور تم العثور على رسومات تجسد أفاريز الحيوان والطير، مثل رسم البطة ذات الشريط الطائر خلف رقبتها في مدينة سامراء، وهي رسومات كانت موجودة بكثرة لدى الأويغور والأتراك، في منطقة قيزل، وبمنطقة باميان[4]، وسمرقند بالتركستان وآسيا الوسطى[5].

ثانيا: في الفترة السلجوقية(447-656هـ/1055-1258م).

استفاد المسلمون من الخبرات التي كانت موجودة لدى القبائل التركية الرُّحل الذين انتقلوا إلى أراضيهم، واقتبسوا منهم الكثير من لأساليب التي لم تكن معروفة لدى الساسانيين، ولا المسيحيين الشرقيين الذين خبروهم من قبل، ومن ذلك طريقة الحفر المائل التي ظهرت في المنحوتات الحجرية والجصية والخشبية، وقد استفاد العباسيون من خصائص فنون

1- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 83-84.

2- أنظر، الصورة رقم: 22، ص. 418.

3- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق ، ص ص، ص.84.

4- بامِيَان: بكسر الميم وياء وألف ونون، وهي بلدة وكورة في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة، بها قلعة حصينة، وقصبة صغيرة، والمملكة واسعة، بينها وبين بلخ عشر مراحل وإلى غزنة تماني مراحل. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.1، ص. 328.)

5- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق ، ص.84.

السلاجقة وأساليبهم، وهذا التأثير بدى ظاهرا على غالبية المساجد والقصور والمباني التى شيدوها[1].

وكان أمراء السلاجقة وقوادهم يستعنون بخدمات كتاب من أصل أويغوري، حتى أصبحت بطانتهم كلها منهم[2]، وقد تمكن هؤلاء من التأثير عليهم، فيمكن ملاحظة تأثير التصوير الأويغوري في الفترة السلجوقية بكل وضوح، حيث شمل: تصاوير المخطوطات والرسوم الجدارية، وامتد إلى الفنون التطبيقية، مثل: صناعة الخزف ذي البريق المعدني المشهور بصنعه في مدينتاي الري[3] وقاشان[4]، كما إمتد كذلك إلى بعض المنحوتات الجصية والحجرية، خاصة في الفترة الممتدة من نهاية القرن السادس الهجري وبداية القرن الموالي/ بداية القرن الثاني عشر الميلادي وبداية الثالث عشر الميلادي[5].

يمكن دراسة التصوير السلجوقي المتأثر بأساليب التصوير الأويغوري على النحو التالي:

1- تصاوير المخطوطات(أو المخطوطات المزوقة):

بالرغم من أن العرب عرفوا صناعة الورق منذ بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، مع ذلك لم يصلنا من التصوير على الورق شيء على الإطلاق، مِّمَا يُمكننا تحديد خطوات تطورها حتى وصلت إلى درجة من الإتقان والرقي الذي وصلت إليه مدرسة بغداد خلال الفترة الممتدة بين 1150م و1400م[6]، ولم يشهد العالم الإسلامي المخطوطات المزوقة

---

[1]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابقة، 83.

[2]- زكي محمد حسن: الفنون اللإيرانية في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص.22.

[3]- الرَّيّ: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، يصفها ياقوت بأنها مدينة عجيبة الحسن، مبنية بالآجر المنمق، المحكم، الملمع بالزرقة، وإلى جانبها جبل مشرف عليها لا ينبت فيه شيء. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.3، ص ص، 116-117.)

[4]- قاشَان: بالشين المعجمة، وآخره نون، مدينة قرب أصبهان تذكر مع قُم. (أنظر، المصدر نفسه، ج.4، ص.296.).

[5]- ربيع حامد خيفة، المرجع السابق، ص.85.

[6]- كلود عبيد، المرجع السابق، 146.

بالتصاوير إلاّ في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وإن كانت موجودة بعض الأوراق التى وصلت من مدينة الفيوم[1]، ولكن لسوء الحظ أنها اندثرت.

وينقسم المخطوط المزوق بالتصاوير إلى قسمين:

أ- القسم الأول:

يتضمن الكتب والمخطوطات العلمية، والتي لا يترك فيها للفنان إبراز شخصيته وإبداعاته، لأنها نسخة من النسخ الأصلية، فهي لا تختلف عن الأصل ولا يمكن معرفتها إلا بالتاريخ، ومن أمثلة ذلك كتاب: "الحيل الجامع بين العلم والعمل" للجزري[2]، و"الترياق" لجالينوس، ومخطوط "خواص العقاقير" لديسقوريدس، و"منافع الحيوان" لإبن بختيشوع.

ب- أما القسم الثاني:

هي مخطوطات أدبية، حيث يظهر فيها الطابع الفني جليا، لأن المصور لا يهتم بتوضيح النص بقدر ما يركز على تجسيد صورة جمالية يوضح فيها مهارته وقدرته الفنية، ليضيف لها قيمة فنية بجانب قيمتها الأدبية، مثل مخطـــوط "كليلة ودمة"[3]، ومخطوط "مقامات

---

[1]- الفَيُّوم: بالفتح وتشديد ثانيه ثم واو ساكنة وميم، وهي ولاية غربية موجودة بمصر، بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، وبينهما مفازة لا ماء فيها ولا مراعي. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.4، ص.285.).

[2]- مخطوط الحيل الجامع بين العلم والعمل، ألفه الجزري(715هـ/1315م)، والجزرى هو صانع ماهر ومبدع للحياء أو التدابير الميكانيكية، ويتألف عمل الجزري من ستة أجزاء، خصص الجزء الأول في كيفية عمل الساعات، والجزء الثاني في كيفية عمل النماذج، والجزء الثالث في كيفية عمل الأباريق والأكواب لنقل الدم والغسيل، أما الجزء الرابع ففي كيفية عمل الأحواض والنافورات، التي يمكن تغيير أشكالها، والجزء الخامس في كيفية عمل أدوات لرفع الماء من المياه الضحة الجارية، أما الجزء السادس والأخير فكان في كيفية عمل العديد من الأشياء الأخرى المتنوعة، ويبدو أن مؤلف هذا الكتاب إعتمد على معلومات إغريقية قديمة. (أنظر، محمد إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص ص، 146-147.).

[3]- وهو من أقدم النصوص التي زينت برسوم الحيوان والطبيعة، وهو مفوظ في المكتبة الوطنية في باريس، ويرجع إلى عام 1230م، ويشمل على (98) صورة.(أنظر، عفيف بهنسي: جمالية الفن العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير، 1979م، ص.53.)

الحريري"[1]، وكتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني، و"الشاهنامة" للفردوسي[2]. وغيرها.

أتقن الأتراك الأويغور فن كتابة المخطوطات وتزيينها بالرسومات الفنية، وقد أخذوا هذا الفن عن المبشرين المانويين، الذين أخذوه بدورهم عن زعيمهم الروحي ماني، وكان هذا الأخير يُعْتَبَر من بين أعظم المصورين الإيرانيين على الإطلاق، حيث كان يهتم بتزيين كتبه الدينية بالتصاوير، ويطرز مخطوطاته بالذهب، وفي الوقت الذي عطلت فيه شريعة ماني ببلاد إيران، اعتنقتها القبائل الأويغورية بوسط آسيا[3].(أنظر، الصورة رقم:23)[4].

وكان أمراء السلاجقة وقوادهم قد إستعانوا بكتّاب من أصل أويغوري، وبلغوا عندهم أعلى المراتب، وكان لهؤلاء أبلغ لأثر في تأسيس مدرسة العراق[5] المختصة في فن التصويري، وكانت هذه الأخيرة أعظم من تلك التى كونها أتباع المسيحية ببلاد الشام والجزيرة، وخير دليل على ذلك هو العثور على مخطوط من كتاب: "الترياق" لجالينوس،

[1]- هو مخطوط ألفه يحي بن محمد بن يحي الواسطي، عرف بمقامات الحريري، وهو يتألف من مجموعة من القصص، تميزت بدقة الملاحظة وخصب الخيال وبلاغة النص، وكانت لها شهرة شعبية ومكانة في الأدب وهي تحكي قصة أبي زيد السروجي، وهو رجل فصيح اللسان، حاضر البديهة، فكانت رسومه مصدر دراسة لأصول فن التصوير البغدادي، وأساس بعض الدراسات الاجتماعية والفولكلورية والتاريخية، والمخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم: (5847) عربي تضم هذه المجموعة (94) صورة في (99) صفحة بقياس 37 سم + 28 سم، ويطلق على المقامات اسم حريري شيفر(Hariri Schaeffer)، وذلك نسبة إلى مالكها الأصلي الذي أهداها إلى المكتبة الوطنية في باريس، وهي مؤلفة من 165 ورقة وفي كل ورقة 15 سطرا، كتبت بمداد أسود يميل إلى الحمرة، وبالخط النسخي الجميل المنقط والمشكل، وتتألف المقامات من خمسين مقامة، وقد زينت بأربع وتسعين صورة ملونة بعضها رسم على صفحتين، ولم يتقيد الواسطي في عدد ما يحلي به المقامة من المنمنمات، فقد وضح بعضها بصورة واحدة أو بصورتين، وبعضها بثلاث صور، وبعض المقامات بقيت بدون صورة. (أنظر، عفيف بهنسي: المرجع السابق، ص ص، 52 فما بعدها.)

[2]- محمد إبراهيم حسين، المرجع السابق، ص ص، 114-115.

[3]- م. س. ديماند، المرجع السابق، ص. 41.

[4]- أنظر، الصورة رقم:23، ص. 419.

[5]- ظهرت مدرسة العراق أو بغداد في التصوير الإسلاميخلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وكانت عربية أكثر منها إيرانية، فالأشخاص في رسوماتها عليهم مسحة سامية ظاهرة والأسلوب الفني مأخوذ – إلى حد كبير- عن الصور في مخطوطات المسيحيين من أتباع الكنيسة الشرقية، وكانت مدرسة العراق ترسم الأشخاص بالألوان الزاهية والملابس المزركشة والسحنة الهادئة، رسما تبدو فيه البساطة مع قوة التعبير، وكانت الصور في هذا العصر ترسم على الصفحة نفسها، بينما أصبح الشائع في العصور التالية أن ترسم الصورة على حدة ثم تلصق في الفراغ المعدّ لها بين صفحات الكتاب، وفي الحقيقة يمكن إطلاق إسم "المدرسة السلجوقية" على هذه الصور التي تنسب إلى العراق أو بغداد، لأن مركز إنتاجها م يقتصر على بغداد، بل كان يتواجد في كل أملاك السلاجقة المترامية الأطراف، وكان المصورون- يواء أكانوا عربا أم عجما- يشتغلون للطبقة الحاكمة والأمراء السلاجقة. (أنظر، زكي محمد حسَن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، المرجع السابق، ص ص، 84-85.)

موجود بالمكتبة الأهلية في باريس، مُؤرخ بسنة 595هـ/1199م، ويُعتقد أنه كتب بأمر من الأمير الزنكي نور الدين أرسلان شاه الأول 589هـ/ 1193م[1]، بمدينة الموصل، ويلاحظ في بعض تصاوير هذا المخطوط أن رسوم السحن الأدمية، وطريقة تصفيف الشعر شبيهة بتلك الموجودة في الرسوم الجدارية المكتشفة في مدينة طورفان الأويغورية[2].

ونشاهد في إحدى صور هذه النسخة من المخطوط، قَصر الأمير وحديقته مرسومة فوق خلفية حمراء، ومجموعة من سيدات القصر(الحريم) وقد أحطن بالأمير الذي مَثُل للتو من المواجهة، وهو يجلس القرفصاء، ويمسك في يده اليمنى بكأس، وتحيط برأسه هالة مستديرة باللون الذهبي، وتعكس ملامح هذا الأمير وملابسه على الطابع السلجوقي الأويغوري[3].(أنظر، صورة رقم:24.)[4].

وفي مخطوط أخر من نفس الكتاب صورة يرجع نسبتها إلى مدينة الموصل[5] في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، تشمل على ثلاثة مناظر مختلفة، يحكي المنظر الأوسط منها عن واقع الحياة بالقصر، فنجد أحد الأمراء يجلس القرفصاء ومن حولة حرسه وخدمه، وهو يرتدى الملابس التركية[6].

---

[1]- هو نور الدين ارسلان شاه الأول إبن الملك عز الدين مسعود الأول الأتابكي، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 589هـ/ 1193م، وكان يلقب بالملك العادل.(أنظر، القس سليمان صائغ: تاريخ الموصل، ج.1، المطبعة السلفية، مصر، 1343هـ/1923م، ص.195.)

[2]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.86.

[3]- نفسه ، ص.86.

[4]- أنظر، الصورة رقم:24، ص. 420.

[5]- المَوْصِلُ: بالفتح وكسر الصاد وهي مدينة مشهورة على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى، وهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، ويقال أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب المشرق ودمشق لأنها باب الغرب ونيسابور لأن القاصد إلى الجهتين قلّ ما لا يمر بها، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق أو بين دجلة والفرات أو بين سنجار والحديثة، وقيل لأن الملك الذي بناها كان يسمى الموصل.(أنظر، ياقوت الحموي: المعجم، المصدر السابق، ج.5، ص. 223. فما بعدها.)

[6]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.87.

(أنظر، صورة رقم:24.)[1]، وتشبه ملامح وجهه وطريقة تصفيف شعره المتموج المنسدل على كتفه مثيلاتها في الرسوم والصور الأويغورية، بحيث نجد أن هذا الأمير يقبض بيده اليمنى على منديل أبيض اللون، وهو تقليد أويغوري قديم.

يمكن تتبع إستمرارية التأثير الأويغوري في فن التصوير السلجوقي في إحدى الصور الممثلة في فتاة تمسك بابريق في يدها اليمنى، في حين تمسك في يدها اليسرى بمنديل وصولجان، ويتضح من ملابسها وملامح وجهها وطريقة تصفيف شعرها، التأثير الأويغوري[2](أنظر، الورحة رقم: 25)[3].

وقد إمتد تأثير التصوير الأويغوري كذلك إلى تصاوير بعض المخطوطات السلجوقية المنجزة في الأناضول، في عهد سلاجقة الروم، أذكر منها: نسخة من مخطوط (ورقة وكشاه)، المحفوظة بمكتبة متحف طوبقابوسراى، باستانبول وتتضمن إحدى وسبعين تصويرة، وهي النسخة الوحيد المزوقة من المخطوطات المعروفة حتى الأن، وأغلب الظن أنها ترجع إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري/ بداية القرن الثالث عشر الميلادي، أنجزت بمدينة قونية[4] عاصمة سلاجقة الروم، أما ناسخ المخطوط فهو:"محمد الخوى النقاش"، ومزوقه:"عبد المؤمن بن محمد الخوى النقاش"[5].

ويظهر جليا التأثير الأويغوري في تصاوير هذا المخطوط، من خلال استخدام اللون الأحمر والأزرق اللازوردي والأسود، وكذلك من خلال ملامح الأشخاص المتمثلة في الوجوه المستديرة القمرية، والعيون الضيقة اللوزية، والحواجب الرفيعة المقوسة والفم الصغير، وتصفيف الشعر بهيئة ضفائر طويلة، تنسدل على الأكتاف وخلف الرأس، وفي شكل الملابس

---

[1]- أنظر، الصورة رقم:24، ص. 420.

[2]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.87.

[3]- أنظر، الصورة رقم: 25، ص. 421.

[4]- قُونِيَةُ: بالضم ثم السكون، ونون مكسورة، وياء مثناة من تحت خفيفة، وهي من أعظم مدن الإسلام بالروم، وبها وبأَقْصَرَى سكنى ملوكها، وبها قبر أفلاطون الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع. (أنظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج.4، ص. 415.).

[5]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 89-90.

المتمثلة في الأردية القصيرة والسراويل، التي تذكرنا بالملامح الممثلة في التصاوير الأويغورية[1](أنظر، الصورة رقم:26)[2].

2- الرسوم الجدارية:

يحتوي كل من القسم الإسلامي في متحف برلين بألمانيا والمتحف الأهلى في طهران[3] بإيران، على بعض القطع من الصور الجدارية التي ترجع إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، على عصر السلاجقة، ويبدو من سنحة الأشخاص المرسومين بأنها تأثرت بالأساليب التي انتشرت في تركستان الصينية، ولا سيما رسوم قبائل الأويغور التي كشف عنها في مدينة قوجو، ومن الأمثلة على ذلك: رسم يمثل خمسة رسوم آدمية، ثلاثة منها في الصف العلوي واثنين في الصف السفلى، وتكشف ملامح وقسمات الوجوه الآدمية، وطريقة تصفيف الشعر والملابس، عن التأثر بالأساليب الفنية التي ظهرت في التصاوير والرسومات الجدارية الأويغورية[4].

وهناك رسم جداري أخر يعود إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، يمثل مجموعة من الأشخاص بينهم بعض النسوة يتحدثون إلى شخصين أمام قصر يتواجد في خلفية الصورة، يظهر منه عقد مدخله نصف دائري وجزء من واجهته المزدانة بالزخارف الهندسية، وأشكال الكائنات الخرافية، وتأثير مدرسة التصوير الأويغوري تبدو واضحة في هذا الرسم، من خلال ملامح وقسمات الوجوه الآدمية، وطريقة تصفيف الشعر بهيئة لم تنسدل على الجبهة والأردية القصيرة والأحزمة ولأحذية الجلدية ذات الرقبة الطويلة[5].

---

[1]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 89-90.

[2]- أنظر، الصورة رقم:26، ص. 421.

[3]- طِهْرَانُ: بالكسر ثم السكون وراء وآخره نون وهي كلمة عجمية، وهم يقولون تِهْران لأن الطاء ليست في لغتهم، وهي من قرى الرّيّ بينهما نحو فرسخ. (أنظر، ياقوت: المعجم، المصدر السابق، ج.4، ص.51-52.)، وطهران اليوم هي عاصمة الجمهورية الإيرانية.

[4]- ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.91-92.

[5]- نفسه، ص.92.

3- الفنون التطبيقية:

اهتم الأويغور بالفنون التطبيقية ومن بينها عملية الحفر على مادة الخشب، فمتاحف كل من مدينة طاشقند وسمرقند، حافلة بنماذج جميلة من الخشب المحفور في تركستان، وبعض هذه الأنواع موجودة بمساجد مدينة خيوة، حيث يدل أسلوب الزخرفة والحفر فيها على مدى مهارة الفنانون والصناع في هذا المجال، وقد صدّر هؤلاء هذا النوع من الفن إلى المناطق المجاورة، ومنها إلى الدولة الغزنوية أين يعتبر باب مقبرة محمود الغزنوي(998-1030م) المحفوظ بمتحف مدينة أجرا بالهند، من بين القطع الهامة التي يظهر فيها تأثير أسلوب صناع التركستان على الفن الغزنوي، ويتكون الباب من أربع حشوات رأسية تفصل بعضها عن بعض عوارض خشبية، وتزينها سبعة صفوف من النجوم، حفرت عليها تفريعات من الزخارف النباتية ذات الأشكال الهندسية، غالبا ما تتكون من ساقين مختلفين يتصل بعضهما البعض بأشرطة من حبيبات كروية، أما الزخفة المحفورة حفرا عميقا فموزعة على مستويات مختلفة[1].

وقد أثر الفنانون الأويغور في فن النقش على الخشب السلجوقي، ومن بين أبرز التحف التي يظهر فيها هذا التأثير هو منبر جامع علاء الدين بمدينة قونية، الذي يعود تاريخ صنعه إلى سنة 550هـ/ 1155م، وقد كان أية في الجمال، تزينه زخارف نباتية تنتهي أوراقها ومراوحها النخيلية بأشكال أزرار، ويمكن تتبع هذا النوع من الفن في زخارف الخشب المحفورة من القرن الثامن عند قبائل الأويغور بوسط آسيا، ويمكننا رؤية هذا النوع من الزخارف في كل من كرسى مصحف يعود إلى سنة 678هـ/1279م، محفوظ بمتحف قونيا، وكرسى آخر موجود بمتحف تشينيلى كوشك باستانبول[2].

ويعتبر الخزف من أبرز الفنون التطبيقية السلجوقية التي نلاحظ فـــي رسوماته تأثيرات

---

[1]- م. س. ديماند، المرجع السابق، ص.124.

[2]- نفسه، ص.125.

أساليب فنية أويغورية، خاصة في"الخزف المعدني" الذي رسمت زخارفه بمياه متعددة الألوان مع إضافة مادة القصدير إلى مكوناتها، أو في النوع الثاني المعروف بـ"الخزف ذى البريق المعدني"، وقد كان كل من النوعين يُنتجان في مدينتي: الرّي وقاشان، ويكثر في هذين النوعين تمثيل رسوم الأمراء والأميرات بمفردهم أو وسط الحاشية، ورسوم الفرسان وهم يمتطون صهوة جيادهم، وكذلك رسوم الصيد والقتل ورسوم الطرب[1].

كشفت لنا الحفريات التي قام بها كل من: زاره(Sare) وهرتزفيلد(Hersfeld)، في سامراء، أروع الأمثلة من الأواني ذات البريق المعدني[2]، وأظهرت ضروب جديدة ومختلفة من الفخار والخزف التي لم يسبق لها مثيل في جودة الصناعة وجمال الزخارف، ولوحظ نوع جديد من الخزف المبقع غير الذي كان معروف في مدينة البصرة، وهو تحزيز طينة الاناء بمختلف انواع الرسومات النباتية، وأشكال حيوانية وزخارف هندسية قبل أن يطلى بالتزجيج، ويعرف بالخزف المحزز تحت التزجيج أو الدهان (Sgrafflato Ware)، ويعتقد أن هذا النوع من الخزف ظهر لأول مرة في سامرا، ثم انتشر في بقية أنحاء العالم الإسلامي[3].

ويتجلى التأثير الأويغوري في جل هذه الرسوم من خلال أسلوب تمثيل السحن، فملامح الوجه كلها قمرية مستديرة والعيون لوزية، والشعر طويل مصفف إما بهيئة ضفائر تنسدل على الأكتاف وخلف الرأس، أو على هيئة لمم تنسدل على الجبهة والأذنين، ويتجلى التأثير الأويغوري كذلك من خلال الملابس، حيث يرتدى الأشخاص القفاطين القصيرة والسراويل والأحزمة الأويغورية، فضلا عن الأحذية ذات الرقبة الطويلة[4](أنظر، الصورة رقم: 27)[5].

---

[1]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 97-98.

[2]- عفيف بهنسي، المرجع السابق، ص 163.

[3]- نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، ج.7، بغداد، 1985م، ص.314.

[4]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 97-98.

[5]- أنظر، الصور رقم: 27، ص. 422.

ثالثا: في العصر المغولي والتيموري.

1- العصر المغولي (606-736هـ/1258-1336م).

استمرت مدرسة التصوير الأويغورية موجودة في الفترة المغولية، وكانت متمركزة في مدينة قوجو، وأغلب الصور التي رسمت هناك كانت تمثل بوذا وأتباعه، وكان هذا الأخير في بعض الأحيان يُمَثل بملامح مغولية، وقد لقت رسوم الشياطين والعفاريت عناية خاصة من قبل الفنانين الأويغور، فقد كثر في هذا العصر تمثيل رسوم المَرَدة والعماليق، أصحاب العضلات القوية، أو الشياطين ذوي الأشكال الحيوانية والأنياب الحادة[1]. ويرجع هذا الأمر إلى أنّ الأويغور الذين كانوا يقطنون هناك، في الأغلب كانوا لا يزالون يعتنقون البوذية ولم يتحولوا إلى الإسلام بعد، وعلى أغلب الضن أنهم "أويغور إيدقوت".

ذكرتُ سابقا أنه نتج عن إقبال المغول على استخدام الكتبة والفنانين الأويغور من طبقة البخشي، ظهور بعض التأثيرات الأويغورية في الأعمال الفنية التي أنجزت في ذلك العصر، ويُمْكِن ملاحظة بداية ظهور ما يمكن تسميته بالتصوير الديني في العصر الإسلامي، الذي يرجع بالدرجة الأولى إلى مشاركة الفنانين الأويغور في الأنشطة الأدبية والفنية في مراكز الفن المغولية، حيث لقى التصوير الديني إهتماما واسعا من قبل هؤلاء الفنانين[2].

من الأعمال الفنية التي يظهر في تصاويرها التأثر بالأساليب الفنية الأويغورية في هذه الفترة، مخطوط عربي من كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية[3] لصاحبه إبن ريحان البيروني(تم تعريفه سابقا)، المحفوظ بمكتبة جامعة أدنبرغ، نسخه ابن القطبي سنة

---

[1]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 111.

[2]- نفسه، ص. 112.

[3]- يعتبر كتاب:"الآثار الباقية عن القرون الخالية" من أشهر كتب البروني وأغزرها مادة وأغناها ثقافة، ألفه البروني لشمس المعالي قابوس بن وشمكير، وأتمه في سنة 390هـ، والكتاب أشهر بالموسوعة الثقافية الجامعة، والتي من مشتملاتها البحوث الفلكية والتاريخية القيمة، فقد إحتوى على التقويم عن الأمم القديمة، كما اعتمد فيه البيروني على الدراسة المقارنة والوصفية لحقب مختلفة من التقويم، بالإضافة لاحتوائه على قدر كبير من المعلومات المتعلقة بتاريخ الأديان ومأثورات الشعوب، وبهذا يعد الكتاب الأول من نوعه في الفكر العالمي كما أنه لا يزال يتمتع بقدر كبير من الأهمية من الزاوية التاريخية، ويمتاز الكتاب بسلاسة الأسلوب ورقته، ويشتمل الكتاب على مقدمة وعدة فصول جاءت مدعمة بالرسوم التوضيحية، وبكم هائل من الجداول الزمنية المتعددة، فقد استخدم البروني عبارات سهلة شديدة الوضوح، ونظرا لأهمية الكتاب فقد نقل إلى لغات عدة وطبع في ليزج عام 1923م. (أنظر، أشرف صالح محمد سيد: الآثار الباقية عن البيروني، المرجع السابق، ص.20.)

707هـ/1307م، ويحتوي المخطوط على أربع وعشرين منمنة يغلب عليها الطابع العباسي، وفي بعضها نرى الرسول صلى الله عليه وسلم فوق المحراب في حجة الوداع، وفي أخرى نراه ممتطيا جملا بجواره يسوع المسيح يمتطي حمارا، بينما يطل النبي أشعيا عليهما من شرفته[1].

يظهر في هذا المخطوط التأثير الأويغوري جليا في: رسوم طيات بعض الأردية بأسلوب واقعى مفعم بالحيوية، في رسوم بعض الأشخاص وقد تشابكت أيديهم أمام صدورهم بشكل غير ظاهر، وتختفي داخل أكمام أرديتهم الطويلة، وهذا الشكل من تشبيك الأيدي يمكن مشاهدته في الرسومات والتصاوير الدينية الأويغورية، ويظهر التأثير كذلك في رسم بعض صور الملائكة[2].

من الأعمال الفنية التي يمكن نسبتها إلى الفنانين الأويغور في العصر المغولي، هو كتاب:"جامع التواريخ"، الذي أعده وزير الإيلخانيين ومؤرخهم فضل الله رشيد الدين الهمذاني[3]، ويوجد أربع نسخ من المخطوط، إحداها موجود في مكتبة جامعة أدنبرغ رسمت سنة 1307م، وهي مؤلفة من مئة وإحدى وخمسين صفحة، والثانية رسمت سنة 1314م وهي مؤلفة من تسع وخمسين صفحة، ومحفوظة في المكتبة الوطنية الملكية الآسيوية بلندن، والنسختان الأخيرتان في مكتبة صروى كوبر سراي في استانبول، وقد زينت هذه المخطوطات بأكثر من مئتي منمنمة تحمل طابعا أسيويا، ومنها مجموعة تمثل أهم مراحل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، منذ الولادة، فنراه وهو طفلا تحمله الملائكة أمام عيني أمه

---

[1]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص.156.

[2]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.113.

[3]- ولد فضل الله رشيد الدين بن عماد الدولة أبي الخير وحفيد موفق الدولة علي في مدينة همذان، ولد في سنة 638هـ/1240م وتوفي في سنة 718هـ/1318م، وكان رشيد الدين يحترف الطب، ولعل مهارته في هذا العلم هي التي مهدت له السبيل إلى قصر سلاطين فارس المغوليين، وكسبت له ودهم، فقد قضى جزءا من حياته في خدمة خان أبقا وخلفائه، وكانوا جميعهم يعاملونه بإجلاء، والجدير بالذكر أنه لم يشغل وظائف هامة قبل عهد غازان، الذي جلس على العرش سنة 694هـ/1295م، هذا الأخير الذي كان يقدر الكفاءات، لم يلبث أن قدر رشيد الدين، فجعله موضع ثقته، وكثيرا ما كان يتناقش معه حول الدين الإسلامي والتفسير الصوفي لآيات القرآن الكريم، ثم رفعه إلى المنصب الأول في الإمبراطورية، وإختاره وزيرا له، وقد ولي رشيد هذا المنصب بعد نكبة الوزير صدر الدين الزنجاني المسمى صدرجهان، ظل رشيد الدين زمنا طويلا على وهو وزير للإلخانيين. (أنظر، رشيد الدين فضل الله الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ المغول- الإلخانيون تاريخ هولاكو، تر: محمد صادق نشأت وأخرون، مراجعة: يحي الخشاب، مج.2، ج.1، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، د.ت.ن، ص. 05. فما بعدها من عدة صفحات.).

آمنة، ثم فتى يشير إليه الراهب بَحِيرَة، ثم رجلا ذو لحية سوداء يحمل بيده الحجر الأسود أمام باب الكعبة، كما نراه محاورا أبا بكرالصديق – رض - ، وفي أخرى مخاطبا حمزة وعلي – رض-، كما نراه في منمنة أخرى ممتطيا البراق في إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[1]. (أنظر، الصورة رقم:28)[2]

تتمثل التأثيرات الأويغورية في بعض أجزاء تلك النسخ، في: تطويع الألوان لحركة الخطوط، وهي سمة مميزة لأعمال الفنانين الأويغور، وكذلك في إحتواء المخطوط على رسم الملائكة بأجنحة تخرج من الذراعين، ورسم بعض الموضوعات البوذية الموجودة بكثرة في القسم الخاص بتاريخ الهند، وعددها تسع تصاوير، كما تشابهت بعض الموضوعات الممثلة مع موضوعات التصوير الأويغوري، مثل التشابه الواضح بين صورة في مخطوط الجمعية الأسيوية الملكية بلندن وبين رسم جداري أويغوري من بازلكيك موجود بواحة طرفان[3].

يتضح بجلاء أن بعض الصور الموجودة في المخطوطات المغولية قد تأثرت تأثيرا واسعا بفن التصوير الأويغوري، وكان هذا التأثير نابع عن طبقة البخشي الأويغورية التي كانت تسيطر على الإدارة والكتابة والفن في عهد المغول.

2- العصر التيموري (771-906هـ/1369-1500م).

إتخذ تيمورلنك[4](771-808هـ/1370-1405م)(أنظر، الصورة رقم:29)[5] من مدينة سمرقند عاصمة لإمبراطوريته،(أنظر، الخريطة رقم:26)[6] وجمع فيها أشهر الفنانين وأصحاب الصناعات الدقيقة، للعمل على تجميلها، من بينهم المصور "نقاش السلطان" الذي

---

[1]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص.156.

[2]- أنظر، الصورة رقم:28، ص. 423.

[3]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 115. فما بعدها.

[4]- إسمه تيمور بتاء مثناة مكسورة فوق، وياء ساكنة مثناة تحت، وواو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة، وقالوا تارة تمور وأخرى تمرلنك، ومعناه بالتركية الحديد، وهو ابن ترغاي بن أبغاي، وتعتبر قرية خواجة إيلغار هي مسقط رأسه، وتتواجد هذه القرية في أعمال الكش الواقعة ببلاد ما وراء النهر، تبعد عن مدينة سمرقند بحوالى ثلاثة عشر شهرا، وكان تيمورلنك وواده ينتمون إلى طبقة الفدادين (الفلاحين)، وقي ان والده كان إسكافيا فقيرا. (أنظر، ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008م، ص ص، 02-03.).

[5]- أنظر، الصورة رقم:29، ص. 424.

[6]- أنظر، الخريطة رقم:26، ص. 403.

عمل في بلاط السلطان الجلائري، وغياث الدين أحمد، اللذي قام بتزويق مخطوط "خواجد كرماني" الموجود في المتحف البريطاني. وقد نال فن العمارة اهتمام تيمور أيضا، وحفلت سمرقند بالعديد من العمائر المغطاة بالبلاطات الخزفية الدقيقة، وبالزخارف الرائعة، أظهرت نماذجا جديدة في التصاوير المعاصرة[1].

إستمرت طبقة البخشي الأويغورية موجودة في العصر التيموري، حيث أشار الشاعر التيموري علي شيرنوائي (1441-1501م): أن البخشي كانوا هم كتبة ملوك تركستان، وكانوا على معرفة تامة باللغة التركية واللغة الفارسية، فكانت لهم إزدواجية الثقافة، وقد ظهر ذلك بجلاء في تقاليد كتابة فن الكتاب في آسيا الوسطى في أيام تيمورلنك[2].

يُذكر أنّ الشاعر والمزوق والخطاط علي شيرنوائي(1441-1501م) المولود في مدينة هراة[3]، كان أبنا لشخص أويغوري من طبقة البخشي، وأنّ أسرته من ناحية أمه كانت من الأسر التي أشتهرت بِنَظْمِ الشعر بالتركية، وقد أصبغ علي شيرنوائي عطفه على محمود بخشي الأويغوري، وكان هذا الأخير يرسم الصور العجيبة والغريبة، وعمل وزيرا لدى السلطان حسين ميرزا بايقرا(1486-1506م)، حيث كان يعتبره من أصغر الكتبة من طبقة البخشي، بعد ذلك إنتقل للعمل في بخارى وظل بها إلى عام 1541م[4].

أنتج هؤلاء البخشي عدد من المخطوطات، من بينها مخطوطتين موجودتين في المتحف البريطاني ترجعان إلى عصر السلطان "تيمورلنك"، تمثلان حلقة اتصال بين المدرسة الفارسية المغولية والمدرسة التيمورية، المخطوط الأول هو عبارة عن نسخة من قصائد "خواجو كرماني"، يشرح فيها غرام المير الفارسي "هماي" بإبنة إمبراطور

[1]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص ص، 157-158.

[2]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 119.

[3]- هَرَاةُ: بالفتح، وهي مدينة كبيرة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة، وبها علماء كثر . (أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان ، المصدر السابق، ج.5، ص. 396.

[4]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 120-121.

الصين:"همايون"، (أنظر، الصورة رقم:30)[1] خطه الخطاط الفارسي الشهير "مير علي التبريزي"، أما المخطوط الثاني فهو يشمل عدة قصائد منها تاريخ منظوم كتبه "أحمد التبريزي" لفتوحات جنكيزخان[2].

يظهر التأثير الأويغوري في التصوير التيموري كذلك في نسخة من مخطوط يتعلق بنسب أسرة جنكيزخان، محفوظة بمكتبة طوبقابواسرى في استانبول، خزانة رقم:"2152"، يعود إلى ما قبل سنة 1423م، وهو يجسد صور شخصية للأمراء التيموريين، مثل السلطان خليل الذي حكم في الفترة من(1384-1411م)، ويُعتقد أن المخطوطة أُنْجزت في بلاط أحد أبناء زادة خان محمد سلطان أو خليل سلطان،أو في فترة حكم أخيهما غير الشقيق بير محمد[3].

كتبت هذه النسخة بالخط الأويغوري على يد الخطاط والمزوق "شين/Chin" ابن علي شاه ، ووقع عليها بالتركية، وكتب بجانبها بالخط العربي العبارة التالية:"عمل العاشق بالله شين بن على شاه الزهرى"، ويعتقد أن هذا الأخير يكون ابن علي شاه بخشي، الذي عاش قبل عام 1414م، وأكتسب شهرته من تدوين شعر حيدر طلبي بالخط الأويغوري[4].

يلاحظ على مجموعة الصور الشخصية التي ظمها هذا المخطوط، والتي يبلغ عددها خمسة وخمسين صورة، أنها منفذة بالحبر وغير ملونة، باستثناء صورتين فقط، هما صورة تيمورلنك(771-808هـ/1370-1405م) وصورة جاني بك(1341-1356م)[5] ابن محمد أوزبك(712-742هـ/1313-1342م) حاكم القبيلة الذهبية، وقد مُثلت أعضاء الأسرة الجنكيزية فيما عدا جنكيزخان وأجداده، إما وهم جالسون على عروشهم أو جالسون القرفصاء، وصُور بعض أمراء جنكيزخان اللّذين لم يحكموا وهم قاعدون علـــى ركبة واحدة، أما الأمراء

[1]- أنظر، الصورة رقم:30، ص. 425.

[2]- زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 39.

[3]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 122.

[4]- نفسه، ص.122.

[5]- هو السطان جلال الدين أبو المظفر محمود جاني بك خان ابن السلطان القبسلة الذهبية المعظم أوزبك خان، كان هو ولده الأوسط، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه سنة 742. (أنظر، الرمزي: تلفيق الخبار، المصدر السابق، ج.1، ص. 525.)

الذين تولوا حكم المقاطعات فقد مثلوا وهم قاعدون على الركبتين[1].(أنظر، الصورة رقم:31)[2].

في حين مُثّل الحكام غير المسلمين بوجوه دائرية وشعور رأس طويلة، ويذكرنا هذا الآمر بما ورد عن أوصافهم في الرسوم الأويغورية المنجزة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وهم يرتدون القفاطين التركية، ويظعون على رؤسهم قبعات كبيرة ذات حافة عريضة مفرطحة، بينما كانت أغطية رؤس السيدات في المخطوطة ذات قِمة ثُلاثية تشبه إلى حد كبير أغطية رؤس السيدات في الرسوم الأويغورية، ويمكن مشاهدة ذلك في الصورة الشخصية التي تُمثل "ألان- قوا" وزوجته، كما نلمس ذلك في الصورة الشخصية التي تمثل "أبنية – بك"، وفي الصورة الشخصية التي تمثل "أبنية - جاني بك"، التي جسدت وهي جالسة وتمسك في يدها اليمنى بمنديل، أما الملوك والحكام المسلمين فقد مثلوا في هذه المخطوطة وهم ملتحون، وتظهر فوق رؤسهم العمائم الكبيرة أو التيجان التي تشبه أغطية الرؤوس التركية المعروفة باسم (bork)[3].

يمكن القول أنّ الصحوة الفنية التيمورية بدت ملامحها القوية في عصر حفيد تيمورلنك السلطان شاه رخ(809-850هـ/1407-1447م)[4]، الذي حكم خرسان وبلاد ما وراء النهر،(أنظر، الخريطة رقم:18)[5]، فقد أقام علاقات صداقة مع الصين، وكان قد إتخذ من مدينة هراة عاصمة له، وجعلها مركزا للثقافة والفن في وسط آسيا، وجمع فيها أرباب الفن والعلم والأدب، كما أنشأ بها مكتبة ضخمة، وضم إليه مجموعة من المصورين أمثال: "ميرزا

---

[1]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 123.

[2]- أنظر، الصورة رقم: 31، ص. 426.

[3]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 123.

[4]- بعد موت تيمورلنك اقتسم كل من شاه روخ وأولوغ بك إمبراطوريته بينهما، وقد قام خليل سلطان (1405-1409م) ابن ميران شاه بالاستيلاء على عرش تيمور العظيم، وانفصل بإيران الربية وأذربيجان، وأعلنت العائلة التركمانية الكبيرة قاراكيونيل استقلالها، وقد تمكن شاه روخ بعد عام 1410م إلى حد ما، من تحقيق استقرار الأوضاع الداخلية في البلاد، وقد استمرت حالات التمرد والفوضى هنا وهناك، مثل تمرد: سيد علي وبير علي تاز، جعل شاه روخ مدينة جيرات عاصمة لدولته، وبعد صراع طويل خلال سنوات 1405 إلى 1409م نجح شاه روخ في توطيد سلطانه على بلاد ما وراء النهر ونصب ابنه البكر أولوغ بك حاكما على تلك المناطق وأضاف إليه تركستان، وأقطع ابن اخته مرزا محمد جهان جير خيسارى شادمان، وأسند إلى مرزا ميراك أحمد بن عمر شيخ حكم فرغانة خلفا لأبيه. (أنظر، العرب والإسلام في أوزبكستان، المرجع السابق، ص ص، 224-225.).

[5]- أنظر، الخريطة رقم:18، ص. 396.

غياث الدين"، وخليل الذي كان أحد المصورين الأربعة الكبار في ذلك الوقت، عملوا جميعهم على إخراج مجموعة من أجمل المخطوطات[1].

كان لمدينة"هرات" مدرسة خاصة بها في فن الرسم والتصوير، وأنجبت العديد من الفنانين أعظمهم "بيهزاد"[2]، الذي ولد حوالى عام 1440م، وكان فنه فريد في نوعه حيث أبدع هذا الأخير صور رائعة كانت تحاكي ما أبدعته ريشة المصور الكبير ماني، وعندما برز فنه طمست ذكرى أعمال غيره من المصورين، فقد فاقت صوره صور غيره من سائر الفنانين، وكانت ريشته تبعث الحياة في الجمادات[3].

أنجز هؤلاء الفنانين عديد من الصور، من أهمها المخطوطة التي تمثل وصول الأمير هماى إلى بلاط إمبراطور الصين، وهي موجودة في متحف الفنون الزخرفية في باريس، يرجع تاريخها إلى سنة 834هـ/1430م، ويظهر فيها مزيج متناسق من رشاقة الصناعة الفارسية ومن جمال الفن الصيني الذي كان منتشر في عصر مانج[4].(أنظر، الصورة رقم:30)[5].

كما تتمثل إبداعات تلك المدرسة في مخطوط:"كليلة ودمنة" تعود إلى سنة 1430م المحفوظ في متحف توبكابي باستنبول، ونسخة من الشاهنامة تعود إلى سنة 1430م المحفوظة في المتحف البريطاني، وشاهنامة أخرى سنة 1440م موجودة في المكتبة الآسيوية في لندن[6].

[1]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص. 158.

[2]- René Grousset : Histoire de l’Asie, op.cit ,p 68

[3]- وبعد هزيمة الأسرة التيمورية على يد الشيبانيين سنة 1507م، بقى بهزاد بمدينة هراة في خدمة سلطان الأوزبك الشيباني خان، إلا أنه بعد أن سقطت هذه المدينة حوالى سنة 1510م في أيدي الشاه إسماعيل الصفوي(1502-1524م)، انتقل بهزاد منها إلى تبريز، وأسس في غرب إيران مدرة فنية كان لها أثر كبير في تقدم التصوير الإيراني فيما بعد، وفي سنة 1522م عين الشاه إسماعيل بهزاد قيّمًا على المكتبة الملكية التي ألحق بها معهد لفنون الكتاب.(أنظر، م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ص ص، 56-57.).

[4]- زكي محمد حسن: مرجع سابق، ص44.

[5]- أنظر، الصورة رقم:30، ص. 425.

[6]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص. 158.

ومن المخطوطات الهامة التي ترجع إلى العصر التيموري، وتكشف تصاويرها عن جانب من التّأثر بالأساليب الفنية للتصوير الأويغوري، نسخة من مخطوط "معراجنامه" أو كتاب: "الأنبياء"، محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس، كتبها الخطاط "ملك بخشي لشاه رخ" في مدينة هراة سنة 840هـ/1436م، وإنتهى من نسخها في 21 ديسمبر 1436م، وقد أمر العاهل التيموري "شاه رخ" بتزويقها بالصور[1]،(أنظر، الصورة رقم:32)[2] ويعتقد الباحث م.س. ديماند في كتابه:"الفنون الإسلامية"، أنّ هذه المخطوطة منزوعة من نسخة من الشاهنامة[3].

يوجد في المخطوطة نص مكتوب باللغة الإيغورية، مضاف إليها كتابات باللغة التركية والعربية والفارسية، ترافقه مجموعة من إحدى وستين منمنة، تصور رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة، ابتداءا من منمنة يظهر فيها جبريل الذي ينبئه بأن الله دعاه للصعود إلى السماء، مرورا بمنمنمة البُراق ودخول القدس والمسجد الأقصى، ثم التقاءه بآدم وبالديك الأبيض والملاك، وإلتقاؤه بزكريا وابنه يحي بعد مروره بملك الموت وملاك الصلاة، ثم إلتقاؤه بالأنبياء، بعد ذلك نراه في منمنمة وهو يرفع إلى سدرة المنتهى، حيث يلتقي كبار الملائكة قبل أن يعبر طبقات الفردوس، ويطير البراق بالرسول صلى الله عليه وسلم نحو جهنم حيث يجدها سوداء مظلمة، فيها نار لا تنطفئ وفي وسطها البخلاء والجاحدون والمستكبرون والمداحون الكذبة، والزنات[4].

تعد صور هذا المخطوط من أهم المنمنمات التي تصور الجنة والنار، وموضوعات البعث والحساب كما تصورها الفكر الإسلامي من خلال قصمة المعراج، إلا أنه يبدو أن "ملك بخشي" قد أستلهم بطريق مباشر أو غير مباشر بعض إتجاهاته من فن الكُتّاب عند الأويغور، سواء في إستخدام اللغة والحروف الأويغورية، أو في إستخدام بعض المفردات والمفاهيم

[1]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.124.

[2]- أنظر، الصورة رقم:32، ص. 427.

[3]- م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ص.54.

[4]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص. 159.

الكونية، والأشكال التصويرية البوذية، التي تبدو في كثير من الأحيان وكأنها نماذج منقولة عن أمثلة من التصوير الأويغوري[1].

إستخدم مزوق هذا المخطوط نوعا من الهالات النورانية تشبه هالة اللهب أو الشعلة،(أنظر، الصورة رقم:33)[2] تحيط عادة بالنصف الأعلى للنبي صلى الله عليه وسلم، وأحيانا بالجسم كله، كما تشاهد أيضا حول رؤوس بقية الأنبياء والرُسل، بل والملائكة مثل جبريل وميكائيل، وقد صَوَرَ المخطوط رسوم لملائكة كبيرة ذات رؤس متعددة، ومن أمثلتها صورة وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المَلِك الذي له سبعون رأسا. الذي يذكرنا بأسلوب الرسومات الأويغورية التى وجدت في مدينة طرفان، تمثل بوذا صاحب الرحمة اللامتناهية والمعروفة بصورة "أفالوكسيفارا" قادما، ذو الأحد عشر رأسا،(أنظر، الصورة رقم:34)[3]. ويلاحظ أيضا أن هناك تشابه بين أسلوب تصفيفات شعر بعض رسوم الملائكة في مخطوط معراجنامه، وبين أسلوب هذه التصفيفات في بعض الرسوم والصور الأويغورية البوذية، مثل: تشابه طريقة تصفيف شعر الملائكة على هيئة ضفيرتين[4].

تابع السلطان التيموري بايسنقر(900-906هـ/1495-1500م) المسيرة في الإهتمام بالفنون والفنانين، حيث أسّس مجمعا للفنون في مدينة هراة جمع فيه صفوة الفنانين، من بينهم أربعون فنانا موزعين بين مصورين ومذهبين وخطاطين ومجلدين، وقد أخرج ذلك المجمع الفني الذي توفرت له عناصر التفوق والإبداع إحدى أطول النسختين اللتين وصلت إلينا من الشاهنامة، المعروفة بـ"شاهنامة بايسنقر"، وهي محفوظة اليوم في متحف قصر جلستان بطهران، تعود إلى سنة 833هـ/1429-1430م[5].(أنظر، الصورة رقم:35)[6].

---

[1]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 125.

[2]- أنظر، الصورة رقم:33، ص. 208.

[3]- أنظر، الصورة رقم:34، ص. 429.

[4]- ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 125-126.

[5]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص. 160.

[6]- أنظر، الصورة رقم:35، ص. 430.

لم تكن تلك المخطوطة التيمورية الرائعة معروفة للعالم الغربي حتى سنة 1931م، حيث ظهرت لأول مرة بلندن في معرض الفن الفارسي، تتمثل في صورها الإثنتين والعشرين أسمى ما وصلت إليه مدرسة هراة من إبداع في فن التصوير، وتمتاز صور تلك النسخة بألوانها الزاهية، وطابعها الخاص، كما تمتاز بكثرة التفاصيل التي تذكرنا بالرقش المعاصر لها[1].

ويوجد نسخة من تلك المخطوطة في دار الكتب المصرية، كتبها لطيف الله بن يحي بن محمد في شيراز سنة 796هـ/1393م، وفيها صحيفة مزخرفة وسبع وستون صورة مصغرة، تشبه المناظر الطبيعية والملابس والسحنة الواردة فيها مخطوطة من كليلة وديمنة محفوظ في المكتبة الأهلية بباريس، وفي مجموعة المستر شستر بيتي (Chester Beatty)، شاهنامة أخرى كتبت في شيراز سنة 801هـ/1397م، موجودة في مجلد واحد مع جزء من مخطوط محفوظ بالمتحف البريطاني، يحتوي عدة قصائد على نمط الشاهنامة، وصور هذين المخطوطين أدق صناعة من الصور الموجودة في شاهنامة دار الكتب المصرية، فألوانها أكثر تناسبا، ورسومها أكثر تنوعا وإبداعا[2].

أظهرت هذه الأخيرة على جانب قيمتها الفنية العالية بعض ميول بايسنقر إلى ممارسة هواية الصيد، فأول صفحتين تمثلان هذا الأخير وهو في رحلة صيد، على عكس ما كان متبعا في الصفحات الافتتاحية من تصوير السلطان محاطا بالأتباع[3].

من هنا أقول ان الأويغور لعبوا دورا مهما في تطوير فن الرسم الإسلامي بمختلف أنواعه، وكان ذلك على عدة مراحل، إبتداء من العصر العباسي إلى العصر السلجوقي والعصر المغولي وصولا إلى العصر التيموري، وقد تجسدت ملامحه في عدة أعمال فنية، من بينها الرسومات الجدارية والزخارف والصور المتنوعة.

---

[1]- م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ص. 54.

[2]- زكي محمد حسن: التصوير في الإسلام عند الفرس، المرجع السابق، ص. 58. فما بعدها.

[3]- كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص. 160.


خاتمة

أولا: يعود الأويغور في أصلهم إلى القبائل التركية، وقد عرفوا بـ"أون أويغور" ومعناها الأويغور العشرة، والأويغور لفظ يعني "المتحضر أو المتحد أو المستوطن"، وذلك لأنهم كانوا أكثر تحضرا من القبائل التركية الأخرى، وتعتبر منطقة التركستان في آسيا الوسطى هي الموطن الأصلي لهم، وليس كما توهم الكثير من الأبحاث الصينية بأن منغوليا هي الموطن الأصلي للأويغور، لكي تجد المبرر التاريخي بأن مقاطعة التركستان الشرقية أو ما تعرف بـ"سنقيانق/سنجيانج" التي تحتلها اليوم هي منطقة تابعة لها منذ القديم، لمواصلة إحتلال تلك البلاد.

ثانيا: لم يكن للدين تأثير كبير على تاريخ الأويغور ما عدى المانوية والإسلام، فقد كان همهم الوحيد مُنصب على انجاح الحس القومي لهم، ومواصلة العيش في إتحاد وترابط دائم، لذلك كانوا ينتقلون من معتقد إلى أخر بحثا منهم عن مصالحهم السياسية، فقد عَبدوا قوى الطبيعة واعتنقوا الشامانية عندما كانوا تحت حكم دولة "الكوك تورك" في منغوليا، وبعدها تبنوا البوذية لما كانت لهم علاقات تجارية مع الصين، وفي فترة أخرى اتخذوا من المانوية ذريعة للتدخل في سياسة أباطرة الصين الداخلية، ثم إعتنقوا النسطورية بعدما أصبحت تسيطر على التجارة العابرة ببلاد ما وراء النهر.

ثالثا: لم تعرف الديانة اليهودية أي طريق لها بين قبائل الأويغور، ولم تمدني المصادر والمراجع بأي معلومات عن هذه النقطة، ومرد ذلك في إعتقادي إلى أن اليهودية ديانة غير تبشيرية بطبيعتها، فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار لا يحق لأي جنس الضفر بهذا التشريف.

رابعا: أسس الأويغور أول دولة لهم على أنقاض دولة "الكوك تورك" التركية في واد أورخون بمنغوليا في الفترة الممتدة بين سنة 745 وسنة 840م، وربطوا علاقات وطيدة مع أباطرة الصين بحيث تزوجوا بأميرات صينيات، وفي هذه الفترة تأثر الأويغور بالحضارة الصينية وتبنى حكامهم الكثير من التقاليد أباطرتها.

خامسا: سقطت دولة الأويغور الأورخونية على يد قبائل القرغيز التركية في سنة 840م، وهاجر معضمهم منطقة منغوليا وإنقسموا إلى ثلاثة مجموعات رئيسية، توجهت مجموعة إلى

منطقة لانجو في شمال الصين وأسسوا هناك ما يعرف بمملكة الأويغور الصفر، ودخلوا في علاقة وطيدة مع الصين ووصل بهم الحال إلى أن كونوا أسرا حاكمة فيها، أما المجموعة الثانية فإستقرت في شمال شرق التركستان، وكونوا هناك مملكة أصبحت تعرف بأويغور "إيدي قوت"، وقد بقت هذه الأخيرة بوذية إلى أن إنضمت إلى المغول، أما المجموعة الثالثة فإستقرت في منطقة تركستان وإعتنقت الدين الإسلامي، وأسست الدولة القراخانية.

سادسا: تعتبر الدولة القراخانية أول دولة تركية أويغورية مسلمة أسسها الحاكم ستوق بوغراخان، وقد أطلق عليها المؤرخون والباحثون عدة أسماء منها: دولة أل أفرسياب والدولة الخاقانية والدولة الخانية والإيليكية، وهذا اللقب الأخير أطلقه عليهم المؤرخون الغربيون، وهو لقب يحتاج إلى إعادة نظر لأن الإيليك لقب كان يطلق على الوالي الحاكم في الدولة وليس على الخان، كما أطلق لقب القراخانية على هذه الدولة وهو أقرب إلى الصواب في رأيي.

سابعا: كانت علاقة هذه الدولة بالقوى المجاورة متذبذبة، فقد دخلت في حرب مع الدولة السامانية في الغرب وأسقطتها ثم إستولت على أراضيها في بلاد ما وراء النهر، وبعدها دخلت في نزاع مع الدولة الغزنوية على أراضي منطقة خراسان، وقد أراد الأويغور التوسع نحو الغرب من أجل إتصالهم مباشرة بالخلافة العباسية، وكسب ودها وإفتكاك إعتراف رسمي منها بحكم منطقة يلاد ما وراء النهر وخرسان، وقد نجحوا في إقناع الخلافة بالإعتراف لهم بحكم المنطقة الأولى، وفشلوا في الثانية لأنها بقت منطقة نزاع مع الدولة الغزنوية ثم السلاجقة.

ثامنا: لعبت الدولة الأويغورية القراخانية دورا سلبيا في عدم مواصلة السلطان محمود الغزنوي فتوحاته في بلاد الهند، خاصة بعد تمكن هؤلاء من إسقاط الدولة السامانية وتقاسم أراضيها مع الغزنويون، وأصبحت حدود الدولتين ملتسقة، وهنا بدأ النزاع بين الطرفين على منطقة خراسان، مما جعل السلاطين الغزنوين يوقفون فتوحاتهم في الجهة الغربية بتجاه الهند.

تاسعا: كان للدولة القراخانية دورًا بارزًا في تحديد سير هجرة القبائل التركية التي لم تعتنق الإسلام، من بلاد تركستان إلى الجهة الغربية صوب أراضي الخلافة العباسية، وعلى رأسهم السلاجقة الذين إعتنقوا الإسلام وتبنوا المذهب الحنفي وخلصوا الخلافة من نير البويهيون، ولعبوا دورا بارزا في إسترجاع بلاد الشام التي إنتزعها الشيعة الفاطميون

من الخلافة، كما أحرزوا إنتصارات هامة على قوات الإمبراطورية البيزنطية، ومن أهمها الفوز في معركة ملازكرد في سنة 1071م، التي ترتب عليها توسعهم على حساب أراضي الأناضول، وأسسوا ما يعرف بـ"سلاجقة الروم"، ومهدوا إلى تأسيس الدولة العثمانية التي تولت إسقاط الإمبراطورية البيزنطية نهائيا.

عاشرا: تولت الدولة الأويغورية المسلمة الدفاع عن أراضي الخلافة العباسية من ضربات القبائل التركية الوثنية في الجهة الشرقية، وبذلك أصبحت هذه الدولة الحاجز الطبيعي تحول دون مرور تلك القبائل إلى الأراضي العباسية وتحدث لها القلاقل، وبهذا ساهمت هذه الدولة في العمل على إستقرار الخلافة سياسيا.

الحادى عشر: إلتزم الحُكام الأويغور القراخانيون بعد إسلامهم بتعاليم الدين الإسلامي، بحيث إبتعدوا عن شرب الخمر، وإجتهدوا في أداء الصلاوات مع الجماعة في المسجد، وإجتهدوا في تطبيق مبادئ الإسلام على الرعية، وتوخوا إقامة العدل بين رعيتهم، كما ضربوا بيد من حديد على اللصوص وقطاع الطرق.

الثاني عشر: لعب الحكام الأويغور القراخانيون دورا بارزا في نشر الإسلام على المذهب الحنفي السني بين القبائل التركية الوثنية القاطنة في أقصى شرق دولتهم، وقد أدى هذا الأمر إلى توسيع رقعة انتشار الإسلام في تركستان الشرقية وأجزاء من مناطق الإستبس ومنغوليا، وأضاف هذا الأمر شعوب جديدة إلى التركيبة الاجتماعية للمجمع الإسلامي.

الثالث عشر: تولى الأويغور القراخانيون حماية الخلافة العباسية من تسرب المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى آسيا الوسطى، وبهذا قدموا خدمة جليلة للخلافة العباسية بمنع نجاح الدعوة الشيعية الفاطمية في بلاد ما وراء النهر والتركستان، وبذلك أسهموا في إجهاض الدعوة الإسماعيلة وإطالة عمر الخلافة.

الرابع عشر: إهتم الأويغور المسلمون في تشييد المباني والمنشأة الدينية لنصرة الدين الجديد، فقد أنجزوا العديد من المساجد والربط، وكانت العملية متفاوتة بين حاكم وأخر، وقد تبنى

الأويغور نفس نمط المدارس والمؤسسات التعليمية الإسلامية التي كانت موجودة لدى السامانيون.

الخامس عشر: يعتبر الأويغور هم أول من عمل على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركية الأويغورية، ولا شك أن هذا الأمر كان إسهام من إسهاماتهم، ساعد على تعزيز كتاب الله تعالي، عن طريق تقريب معانيه إلى بني جلدتهم من الأتراك، وقد ساهم هذا الأمر في تحويل عدد كبير منهم إلى الإسلام.

السادس عشر: إهتم الحكام الأويغور بالعلم وخاصة العلم الشرعي، حتى أن أحد الحكام تنازل بعرشه لإبنه وإهتم بتحصيل العلم، وقد أولى الحكام الأويغور إهتمامهم بالعلماء بحيث كانوا يرعونهم ويتفقدون أحوالهم، وقد شاع هذا الأمر في الأقطار حتى أصبحت الدولة الأويغورية ملاذا للعلماء الفارين من بطش حكامهم.

السابع عشر: برز عدد كبير من العلماء في عهد الدولة الأويغورية القراخانية، وكان مستواهم أحسن مقارنة بالعلماء الموجودين في كنف الدولة الغزنوية، وقد إتضح ذلك من الرسالة التي بعثها السلطان محمود الغزنوي إلى حاكم الدولة القراخانية، يطلب فيها تبيين بعض المسائل التي أشكلت على علمائه، وقد أجابه العلماء القراخانيون على كل تلك المسائل.

الثامن عشر: كانت عملية التواصل العلمي بين علماء الدولة القراخانية ونضرائهم من الخلافة العباسية نشطة، بحيث رحل عدد كبير من علماء بلاد ما وراء النهر والتركستان إلى عاصمة العباسيين بغداد، وإلى بلاد الشام، ومصر، وبلاد المغرب، وحتى الأندلس للإستزادة في العلم، وقد تبوؤا مناصب مرموقة هناك، في المقابل رحل الكثير من علماء الخلافة إلى مدن الدولة الأويغورية للإستزادة في العلم.

التاسع عشر: لعب المانويون دورًا مهمًا في نقل الخط الأرامي القديم الذي كان موجود في بابل إلى الصغديون في بلاد ما وراء النهر، وإستعمله هؤلاء في كتابتهم، وقد نقل الصغديون هذا الخط إلى الأويغور وإستعملوه بعد إعتناقهم الإسلام في تدوين لغتهم، فأصبحت تكتب على الطريقة العربية من اليمين إلى اليسار.

<u>عشرون:</u> بعد إعتناق الأويغور الإسلام طرأ على اللغة الأويغورية تطور ملحوض، حيث تسربت العديد من الألفاظ العربية والفارسية إلى القاموسها اللغوي، ومن هنا نشأ مجموعة من الأدباء والشعراء يكتبون باللغتين، من بينهم: "يوسف خاص حاجب" الذي ألف كتاب: "قوتادغوبيليك"، ومحمود الكاشغري الذي ألف كتاب: "ديوان لغات الترك"، وأحمد يوكنيني الذي ألف كتاب: "هبة الحقائق".

<u>واحد وعشرون:</u> إهتم الحكام الأويغور بعد إعتناقهم الإسلام بتشييد المباني المعمارية، فبنوا الكثير من المدن والمساجد والمدارس والقصور، وأقاموا الطرق وقنوات السقي، وكانت المدن الأويغورية محصنة بالأصوار العالية ويحفر حولها الخنادق، وفي وسطها تبنى قلعة السلطان وبجانبها المسجد، وكانت تلك المباني أية في الجمال.

<u>إثنان وعشرون:</u> إهتم الأويغور بالفن وعلى رأسها المسرح والموسيقى، وقد تطور هذا الآخير حتى أصبحت البعثات الصينية تأتي إلى عواصم الدولة القراخانية من أجل تعلم فن العزف على الآلات الموسيقية وخاصة الجديدة منها، في المقابل كانت الفرق الموسيقية والمسرحية الأويغورية تقدم العروض والحفلات في قصور أباطرة الصين.

<u>ثلاثة وعشرون:</u> إشتغل الفنانون الأويغور بالتصوير بشتى أنواعه، فبرعوا في التصوير على الجدران والتصوير الملصوق بالقماش والنقش على الخشب، وتزيين الكتب بالصور والزخارف، وكان يغلب على فن التصوير الأويغوري قبل الإسلام بالطابع الديني، حيث ركزوا على رسم الشخصيات الدينية ويرجع ذلك إلى تأثرهم بفن الرسم المانوي.

<u>رابع وعشرون:</u> أثبتت الإكتشافات التي قامت بها البعثات الأثرية الأوروبية في مدن الخلافة العباسية وخاصة في مدينة سمراء أن فن التصوير الإسلامي تأثر بنضيره الأويغوري، فقد تم إكتشاف الرسومات في مدينة نيسابور وخراسان وسامراء، فقد أدخل الفنانون الأويغور أساليب وأشكال جديدة في فن الرسم الإسلامي، مثل التفرعات الهندسية ذوات الأوراق المستديرة، والحفر على الخشب والجص والزخرفة على المواد المعدنية وزخرفة الآواني، وبذلك ساهم الأويغور رفقة الأتراك الأخرين في تأسيس مدرسة بغداد المختصة في الفن والتصوير.

<u>الخامس وعشرون:</u> إن الأويغور الذين سيطروا على وسط آسيا مدة طويلة من الزمن، قد لعبوا دور الوسيط في التبادل الحضاري بين الصينين والهنود والأتراك والمسلمين، في مجالات مختلفة، ومن هنا أفادوا وإستفادوا من الشعوب المجاورة.

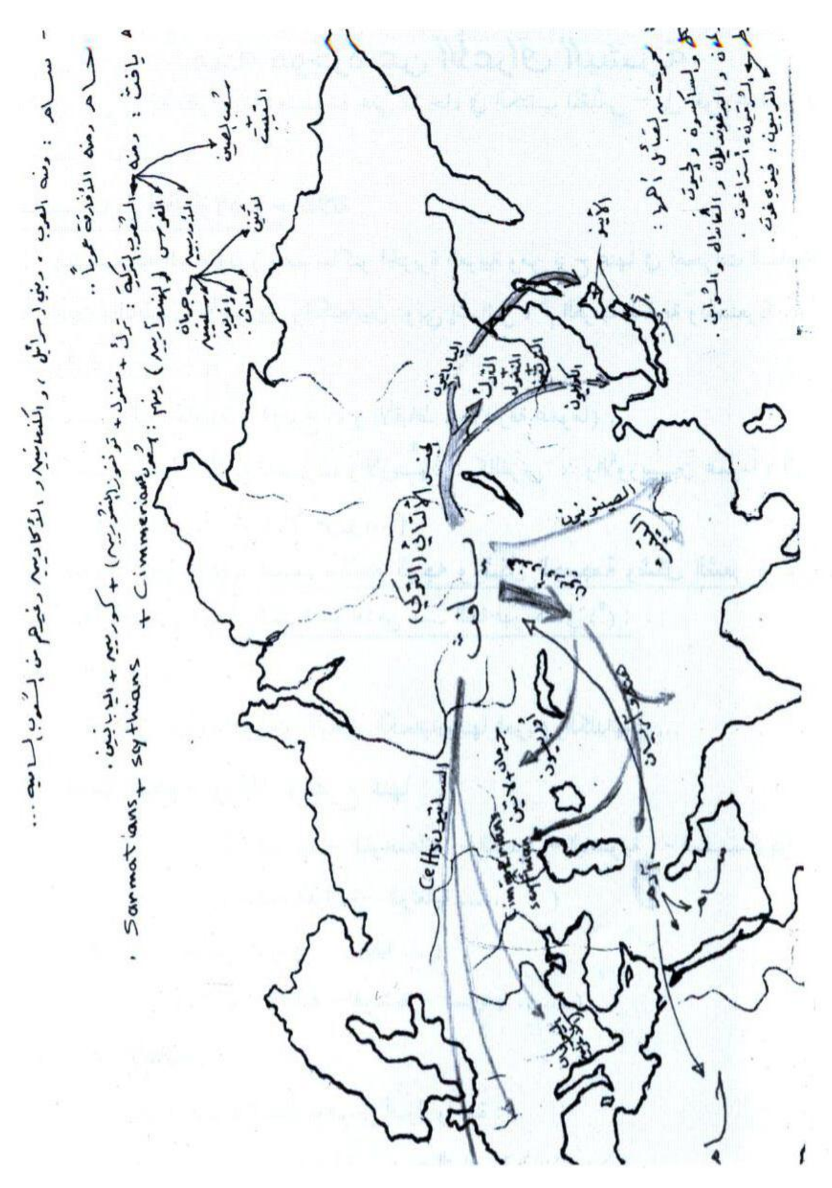
الملاحق

1- ملحق الخرائط.
2- ملحق الصور.
3- ملحق الجداول.

ملحق الخرائط

خريطة رقم:01

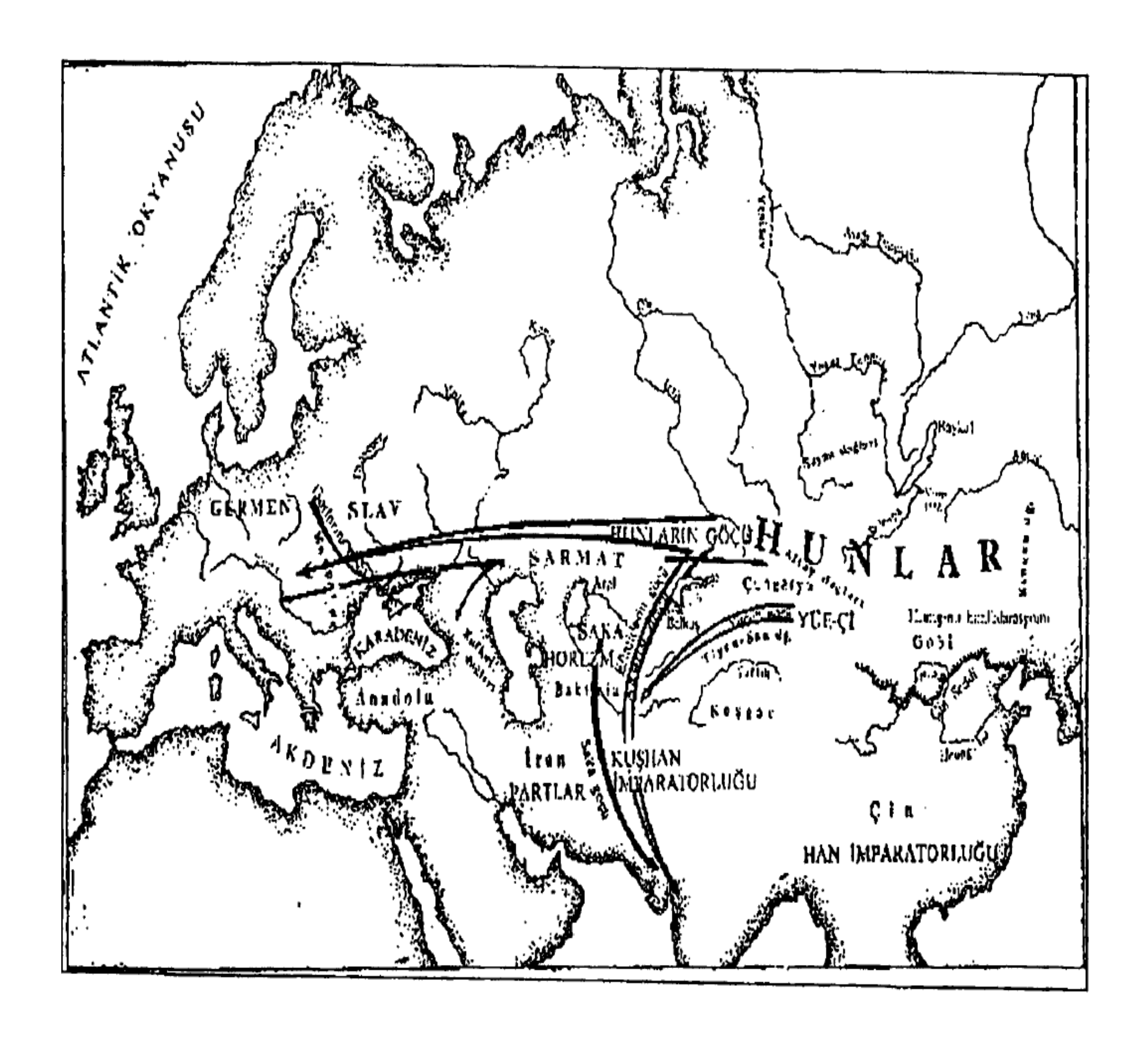
توضح أماكن الأجناس البشرية وموطن الأتراك



أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص.14.

خريطة رقم: 02

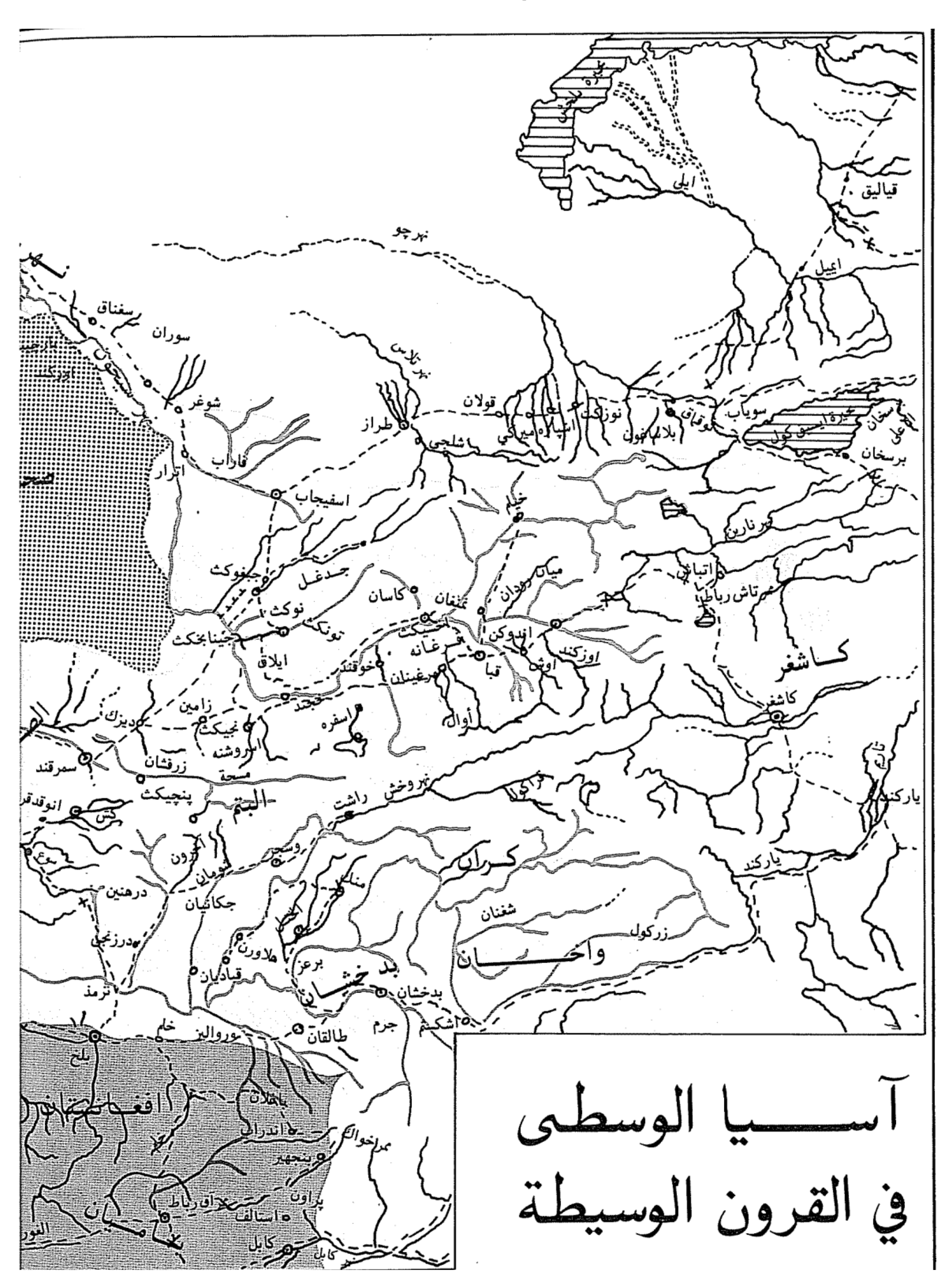
توضح مناطق توزيع الأجناس التركية



الصفصافي أحمد القاطوري، المرجع السابق، 46.

7- خريطة رقم:03

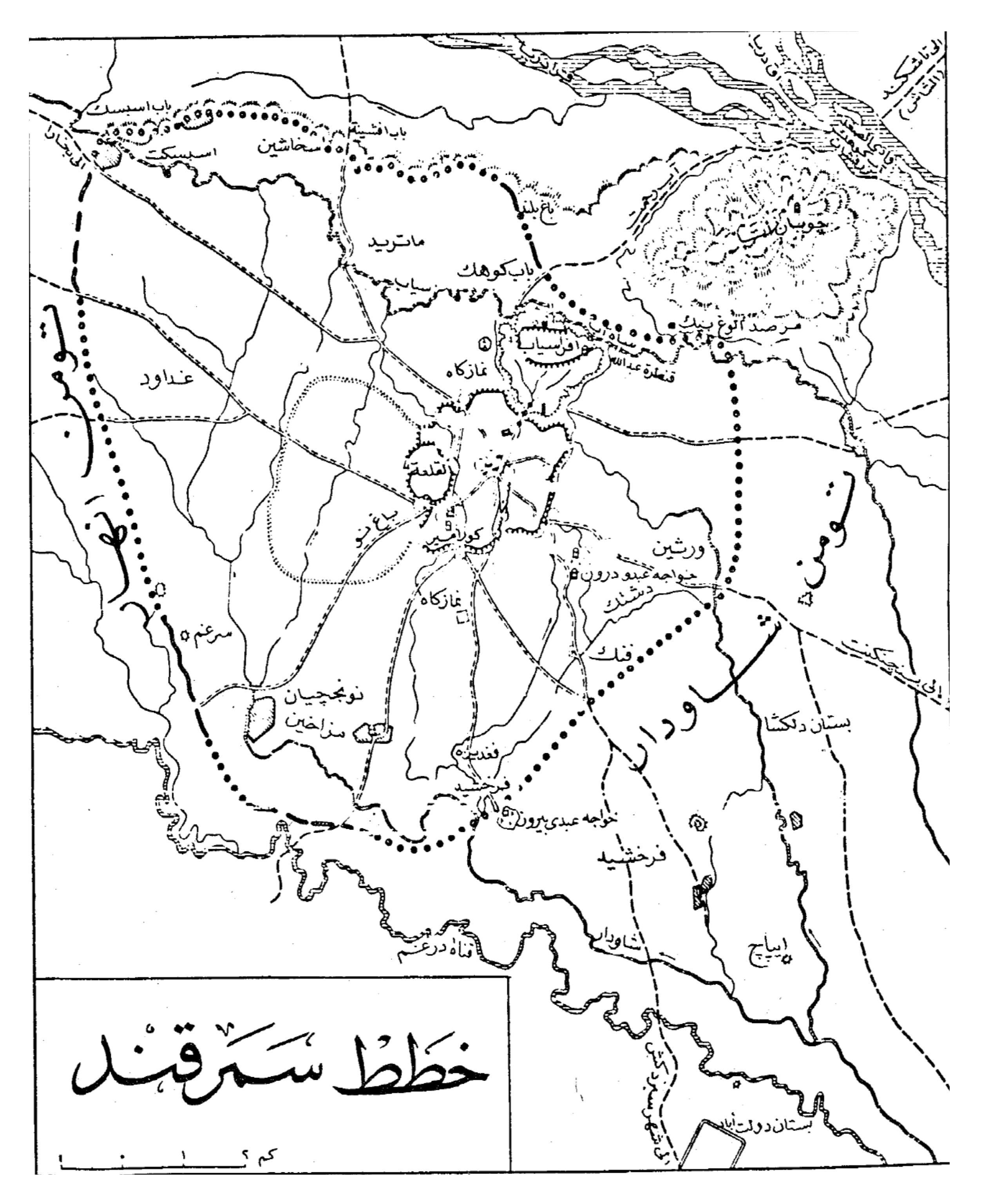
8- توضح أسيا الوسطى



محمد على البار، المسلمون في الإتحاد السوفياتي، المرجع السابق، ج.1، ص.226.

خريطة رقم: 04

توضح خطط مدينة سمرقند



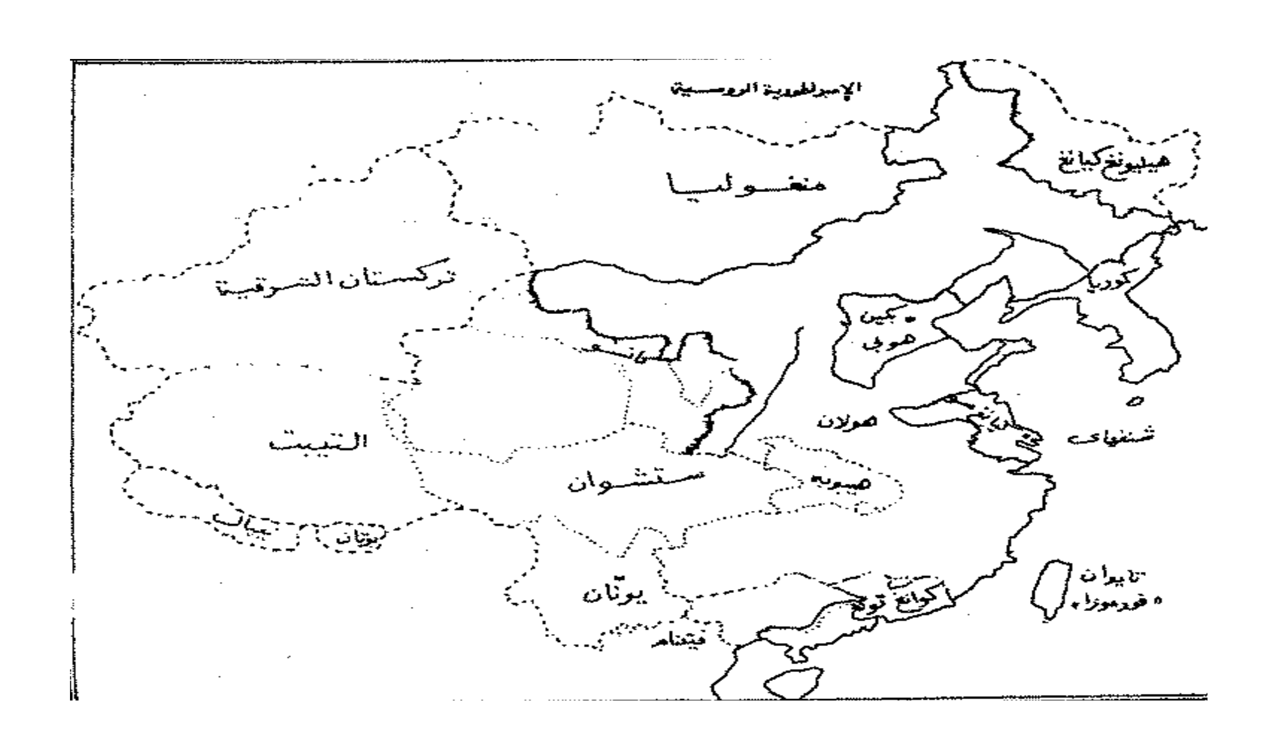
بارتولد، التركستان..، المرجع السابق، ص.179.

خريطة رقم: 05

خريطة توضح منطقة تركستان وخريطة للتركستان الشرقة والغربية



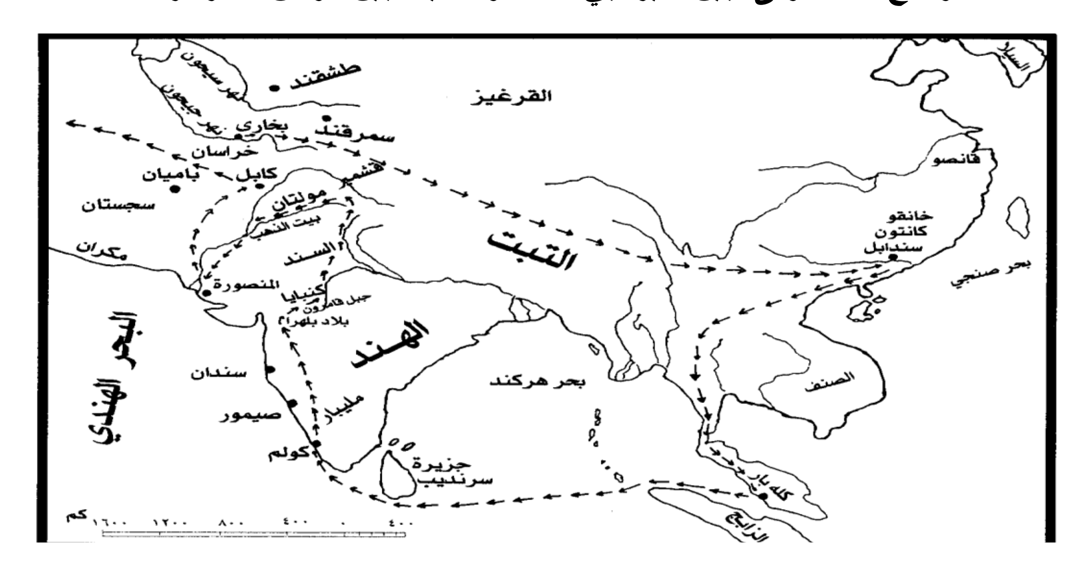
عبد الجليل طوران تركستاني: مجزرة تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني في عيون الصحافة العالمية، مجلة المنار الجديد، العدد 23، 2003م، ص. 01.



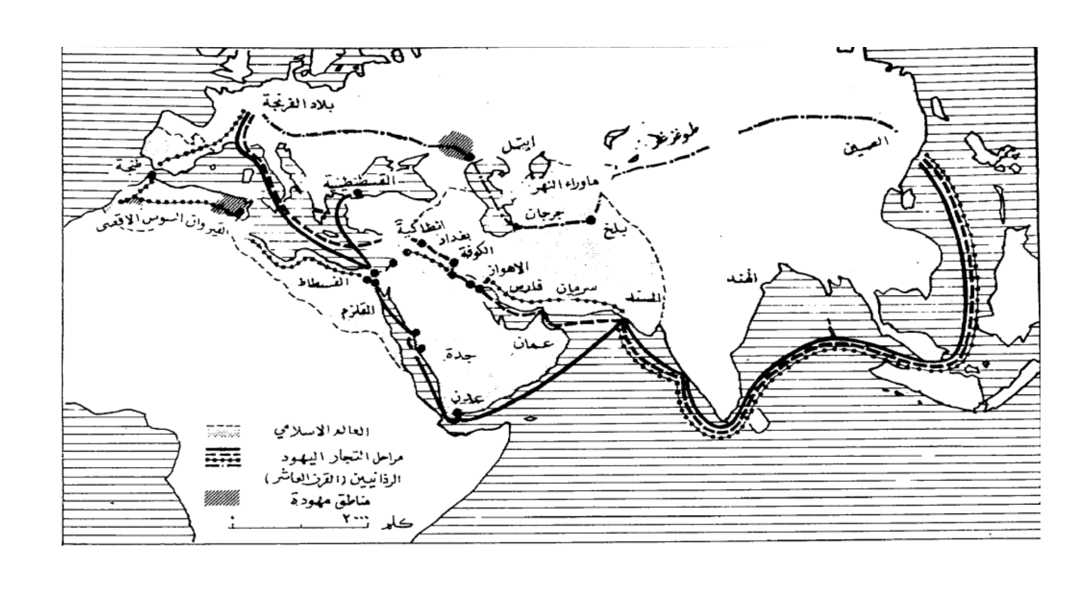
عفاف مسعد العبد: دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ت.ن، ص.326.

خريطة رقم 06

توضح خط الأولى تبين سير أبي دلف، والثانية تبين موطن التغزغز



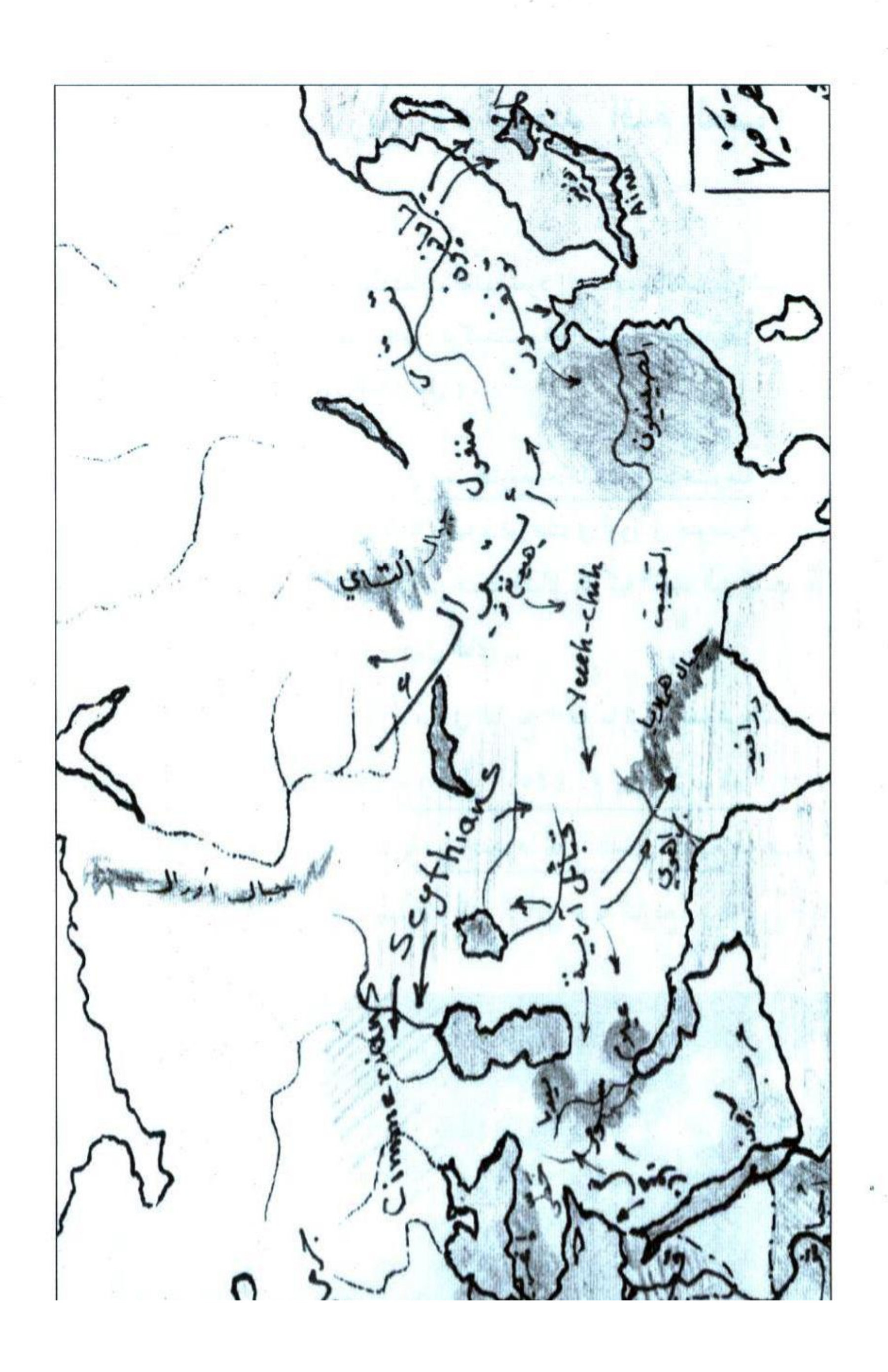
أبي دلف: الرسالة الأولى، المصدر السابق، ص.34.



مورس لومبار: الإسلام في مجده الأول من القرن 2 إل القرن 5هـ(8-11م)، تر: إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، 2003م، ص.320.

خريطة رقم:07

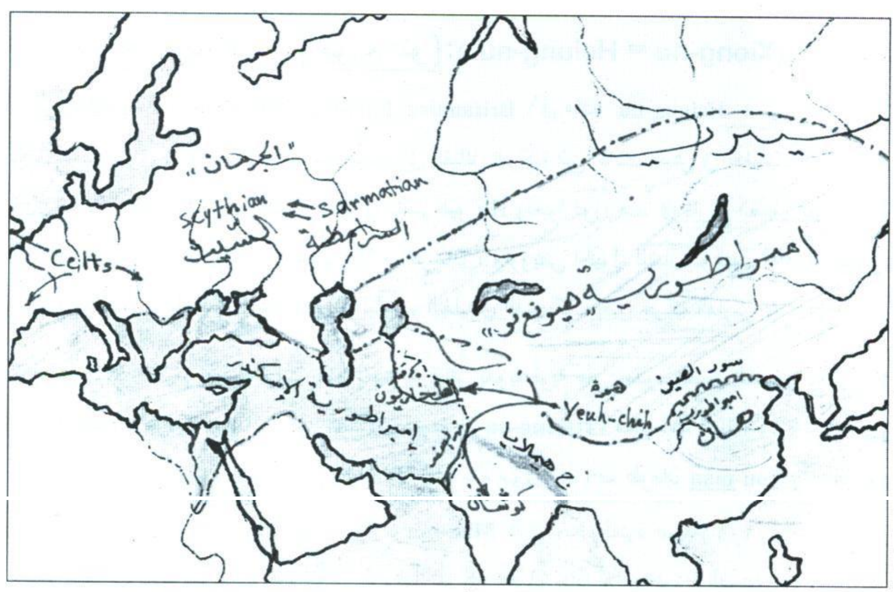
تبين موطن الأتراك.



أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص. 18.

خريطة رقم: 08

توضح إمبراطورية هان الصينية وإمبراطورية هيونغنو ووقبائل يويه-تشي وإمبراطورية كوشان وإمبارطورية الإسكند المقدوني



<u>مصور تاريخي للعالم السياسي في أواخر القرن الـــثالث ق.م ، نشاهد فيه :</u>

١- **إمبراطورية "هـــيونغ نو** "(القرن ٣ ق.م- ١٥٠م) و هي أقدم إمبراطورية تركية في التاريخ .

٢- **إمبراطورية هانHan** الصينية (٢٠٦ ق.م-٢٢٠م) وقد ورثت إمبراطورية تشين (٢٢١-٢٠٦) ق.م .

٣- تحت ضغط قبائل الهيونغ نو ، نزحت **قبائل يويه- تشيه Yueh-cheh** الطورانية من إقليم قانصو الواقع في شمال غرب الـــصين نحو بلاد ما وراء النهر و أفغانستان و شمال الهند حيث أسسوا هناك عدداً من الإمبراطوريات كان أهمها :

إمبراطورية كوشان Kushanسنة ١٢٨ ق.م.و يعد الطخاريون بطناً من بطون قبائل يويه-تشيه المذكورة .

٤- **إمبراطورية الإسكندر المقدوني** (ت-٣٢٣ ق.م)في أقصى اتساعها بعد أن أخـــضعت إمبراطوريـــة الأخميـــــــــين(الفارســـية) و إمبراطورية كوشان .

٥- **ظـــهور السرامطة Sarmtians** في القسم الشرقي من سهوب أوراسيا و إزاحتهم التدريجية **للسيث Scythian** الـــذين كـــانوا يسيطرون – قبل ذلك ، و لبضعة قرون من الزمن – على جميع المساحات الممتدة مابين نهر الفولغا و بحر البلطيق .

أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص. 25

خريطة رقم: 09

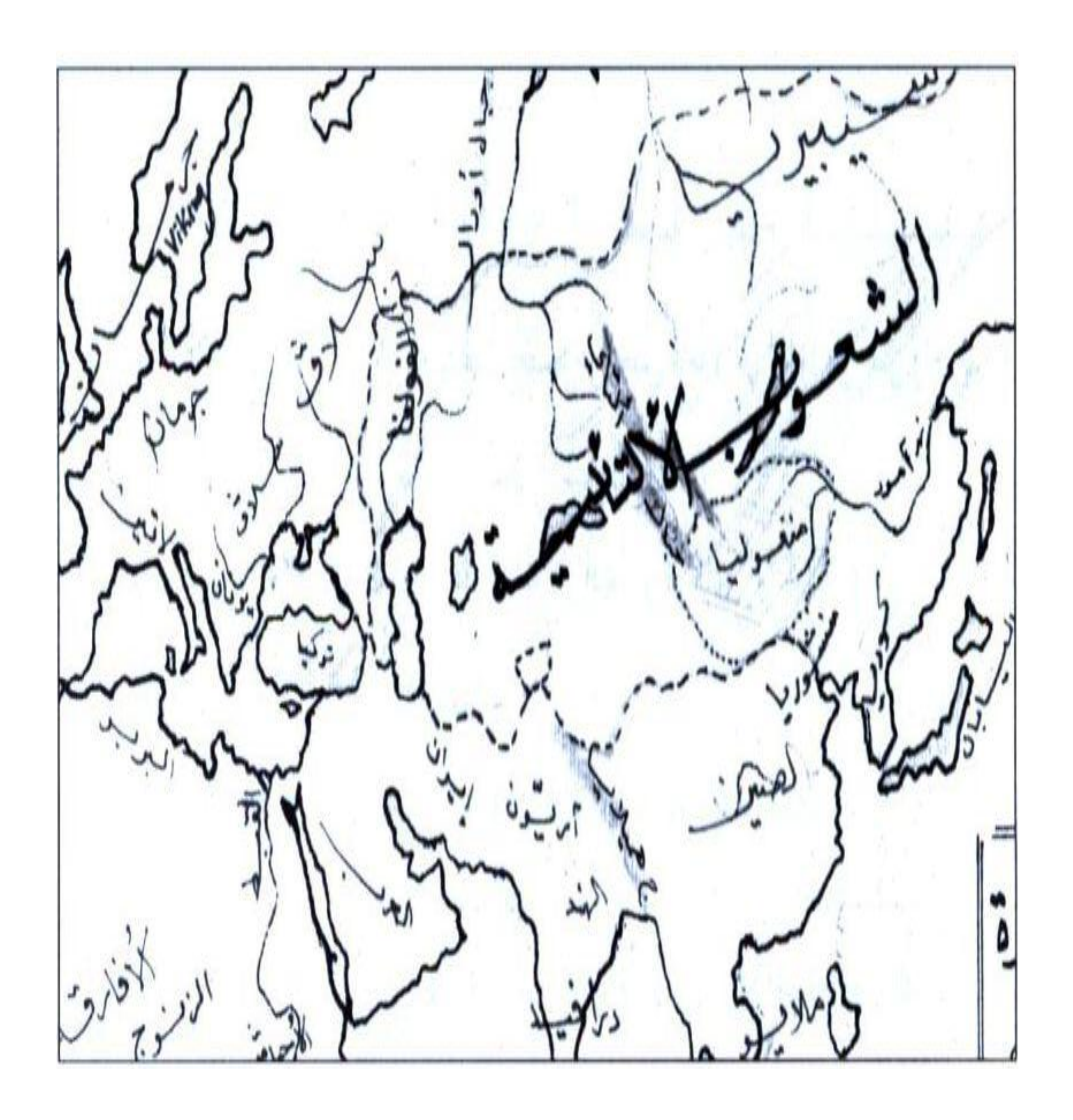
توضح (ستجيانج)تركستان الشرقية.



La Chine : l'Atlas historique de Georges Duby, larousse, p.232.

خريطة رقم: 10

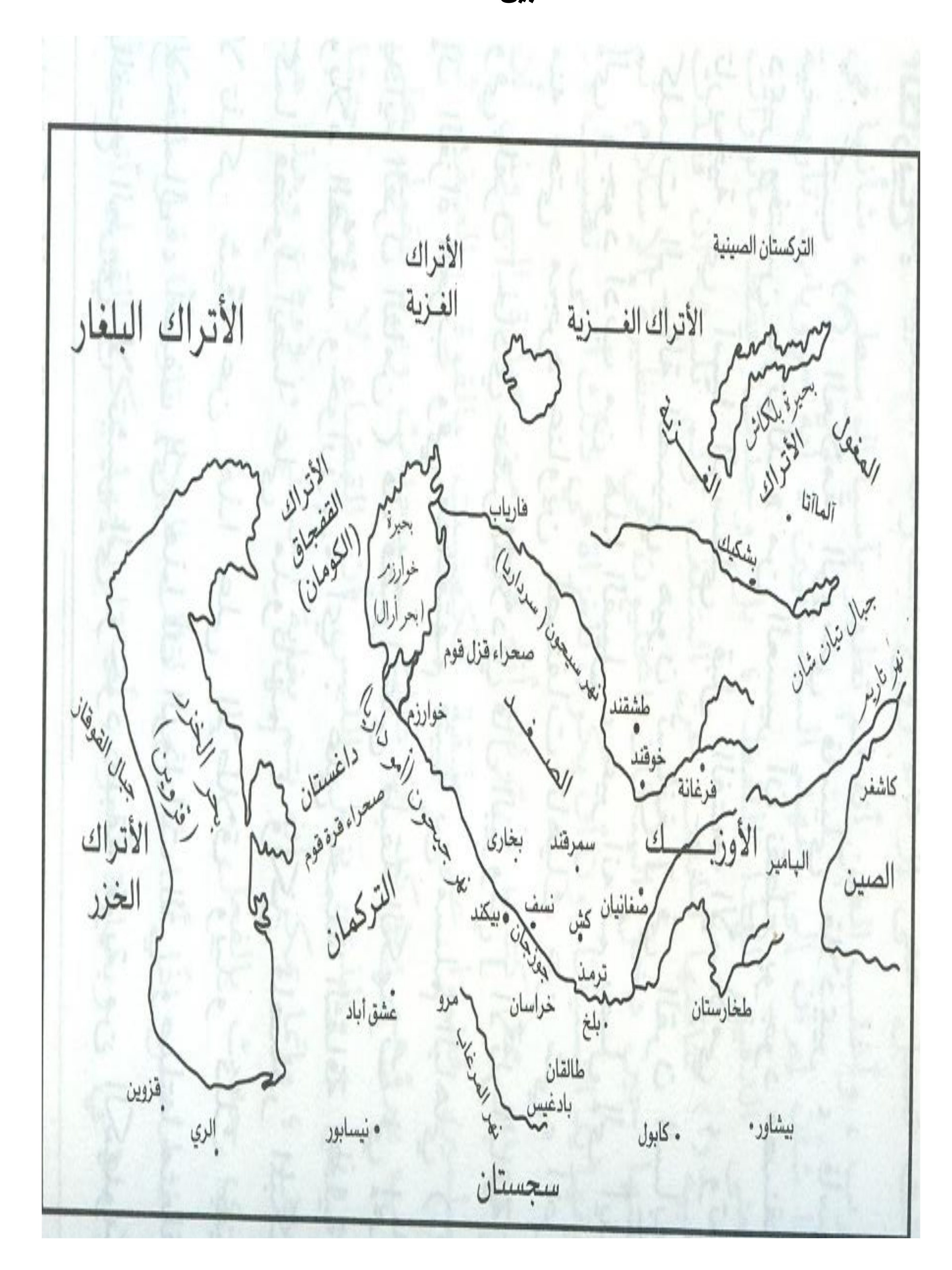
تبين منطقة شعوب الألتاي



أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص.14.

خريطة رقم: 11

تبين منطقة الصغد



أحمد عادل كمال، الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى، المرجع السابق، ص.09.

خريطة رقم: 12

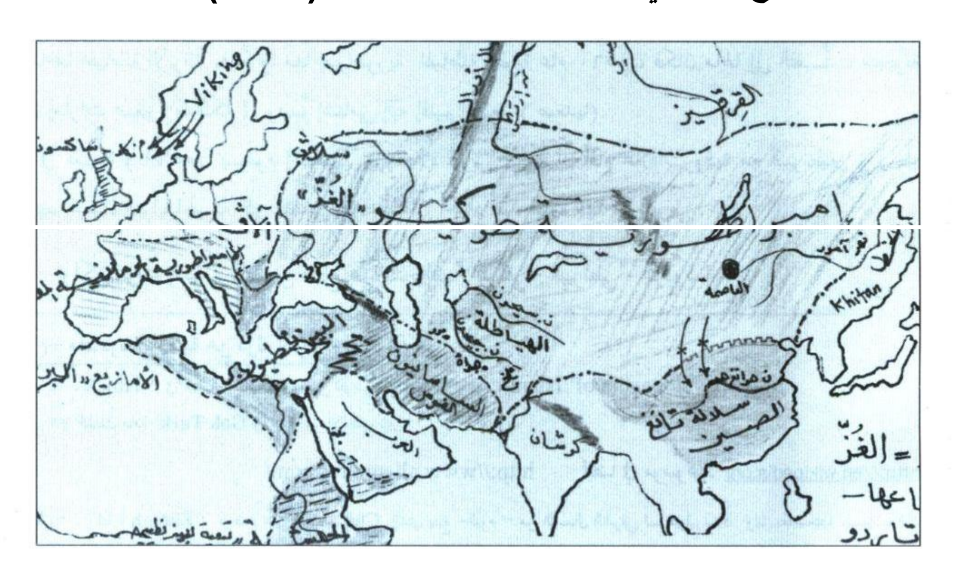
توضح إمبراطورية الهاون التركية.



أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص.22.

خريطة رقم: 13

توضح أراضي إمبراطورية كوك تورك(طوكيو)



أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص. 35.

خريطة رقم: 14

تبين إنقسام إمبراطورية كوك تورك وإمبراطورية تانغ الصينية

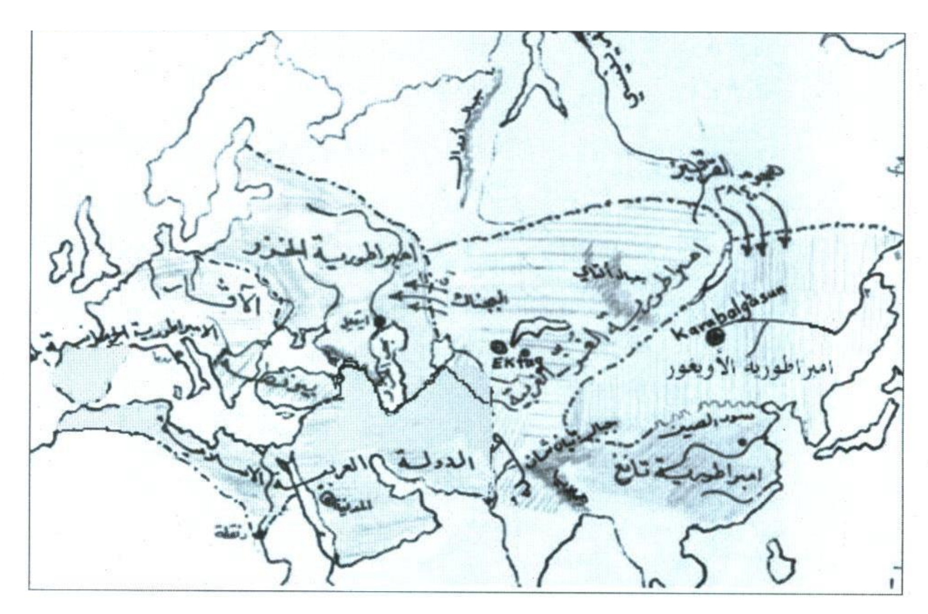


في أواخر القرن السابع الميلادي تواجدت في العالم ثلاث إمبراطوريات تركية (الآفار و الخزر والغز)

المرجع نفسه، ص. 44.

خريطة رقم: 15.

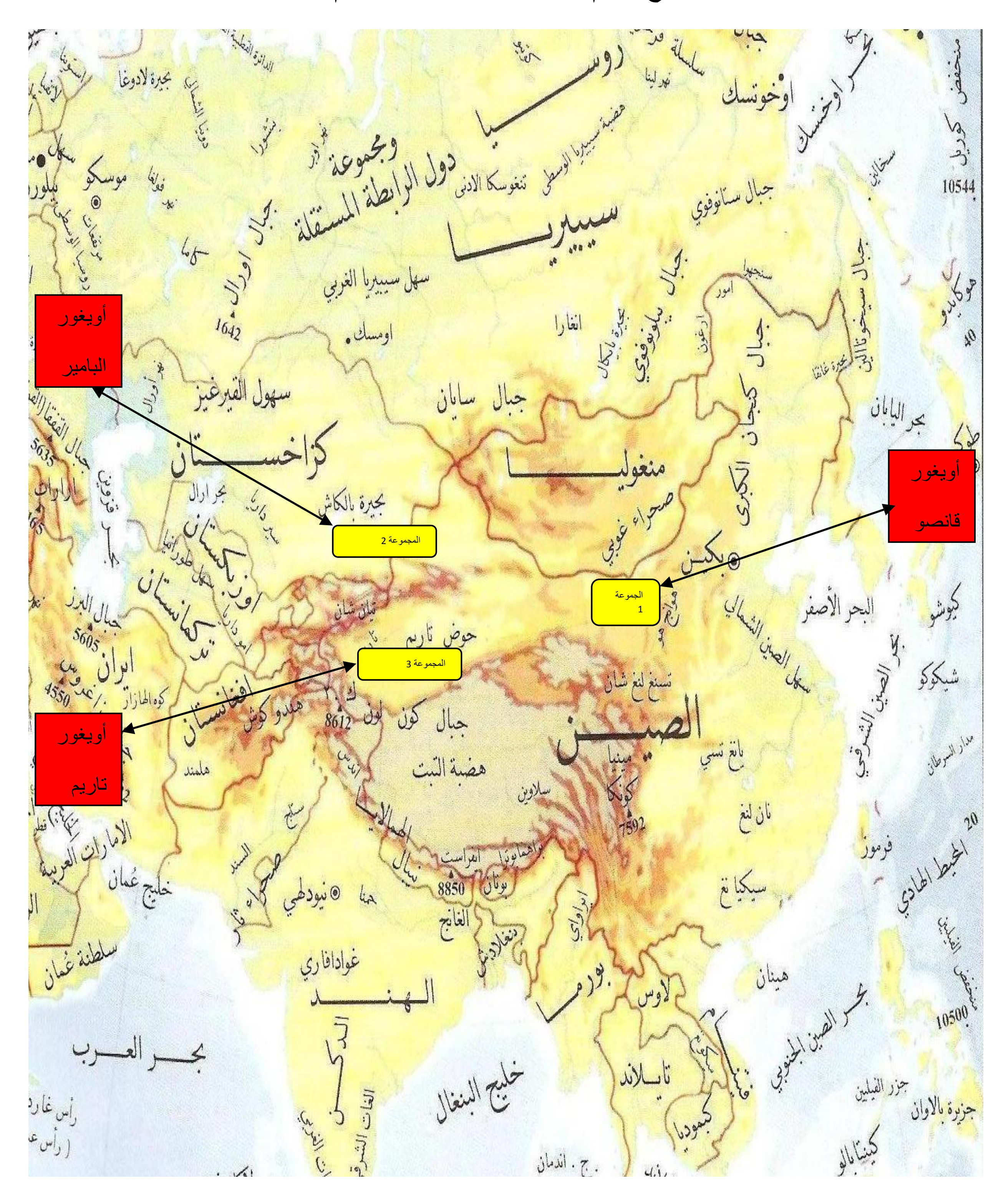
توضح إمبراطورية الأويغور في منطقة أورخون وإمبراطورية تانغ الصينية.



أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص. 51.

خريطة رقم: 16

توضح إقليم قانصو والبامير والتاريم

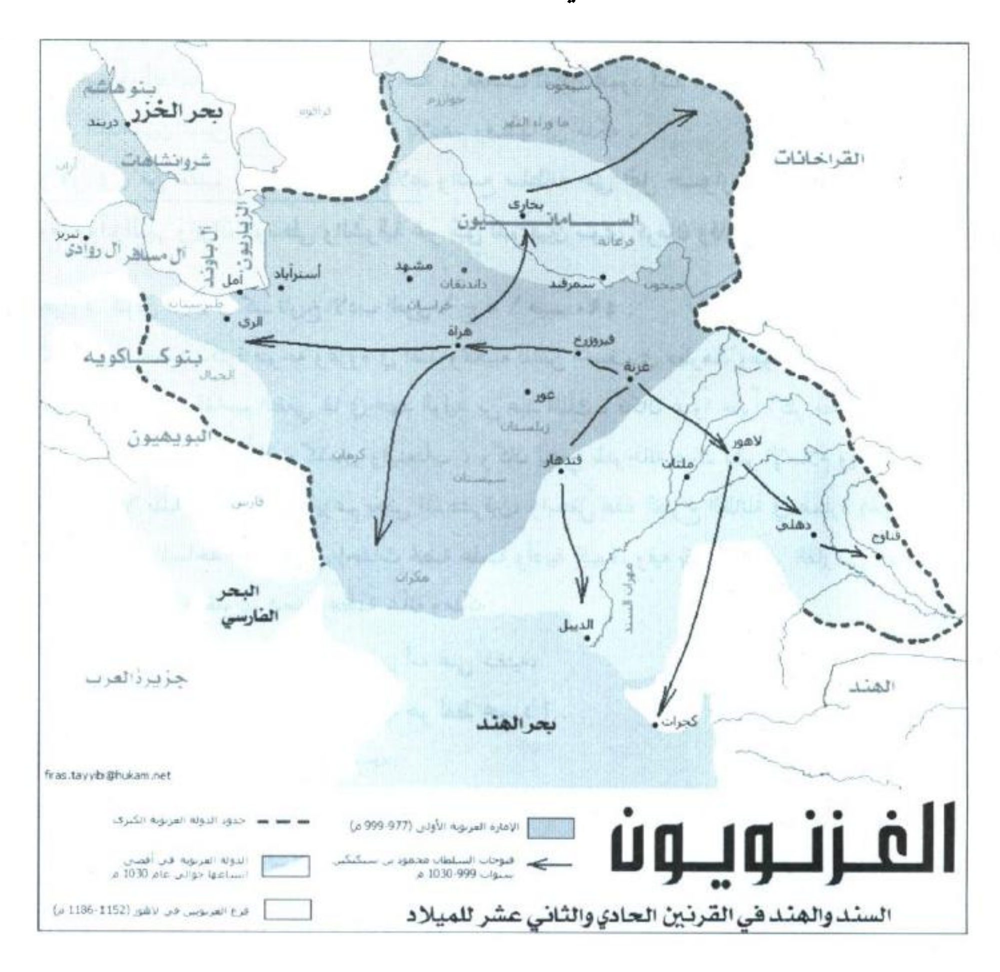


ملاحظة: الخريطة لا تعود إلى ذلك العصر، وقد إستعملتها لتوضيح الصورة.

شبكة مهاجرون الإسلامية، موسوعة أطلس العالم، ص.58. بتصرف.

خريطة رقم: 17

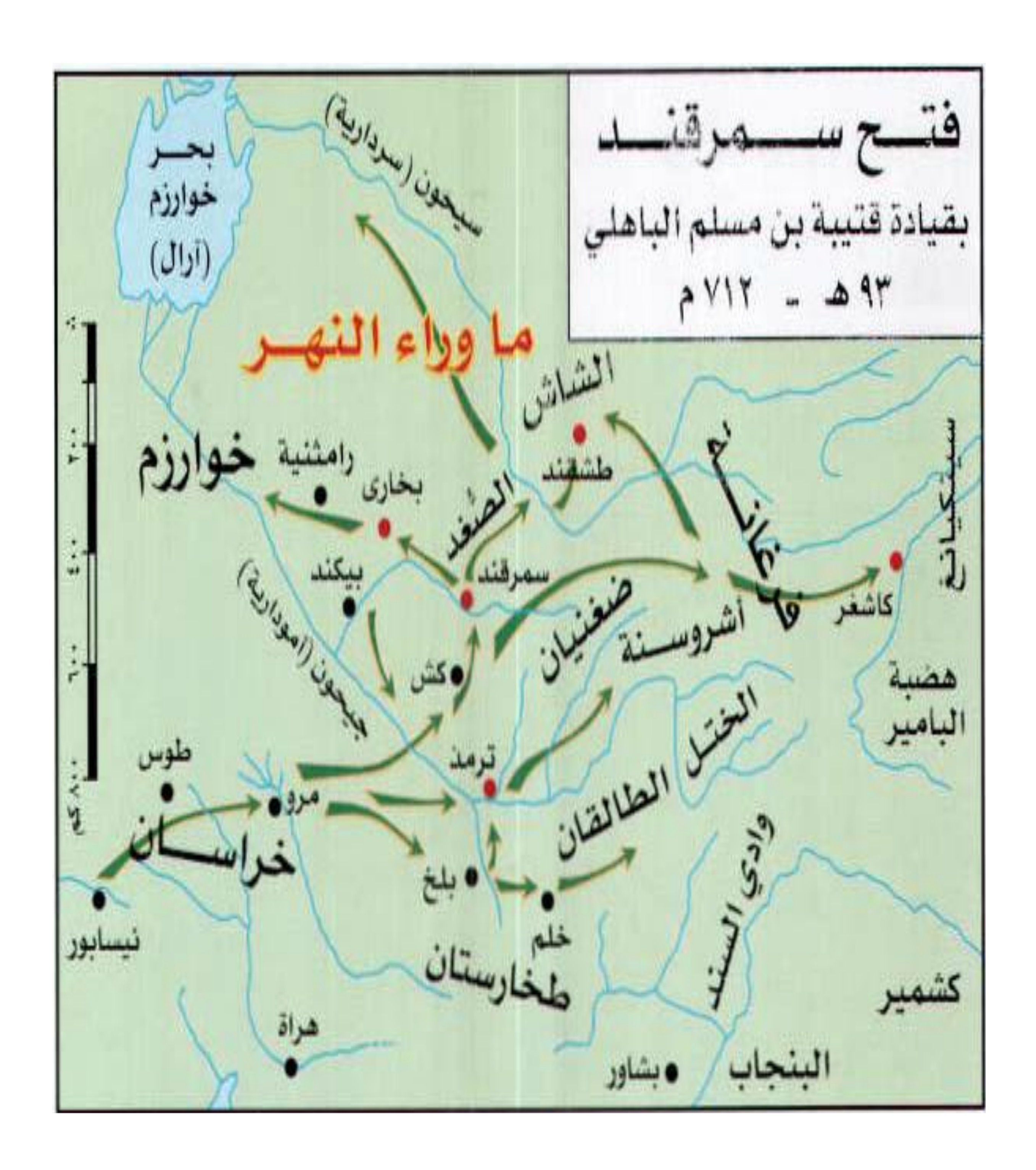
تبين أراضي الدولة القراخانية



أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص.213.

خريطة رقم:18

تبين بلاد ما وراء النهر



أطلس التاريخ العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص.99.

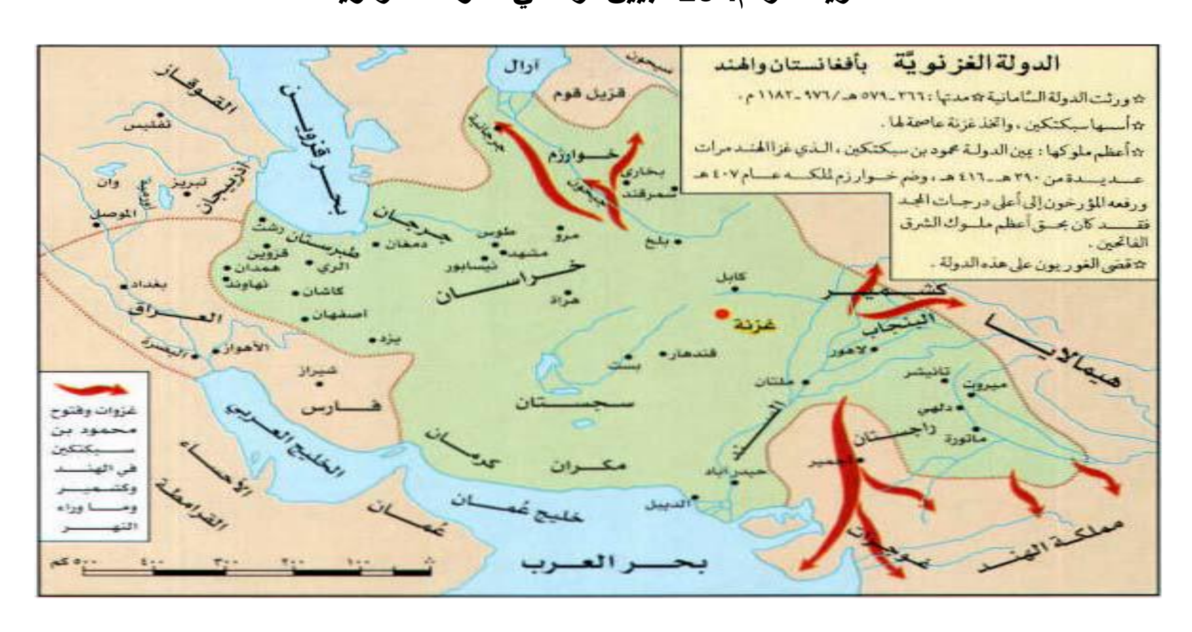
خريطة رقم:19

تبيين أراضي الدولة السامانية



أطلس التاريخ العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص. 53.

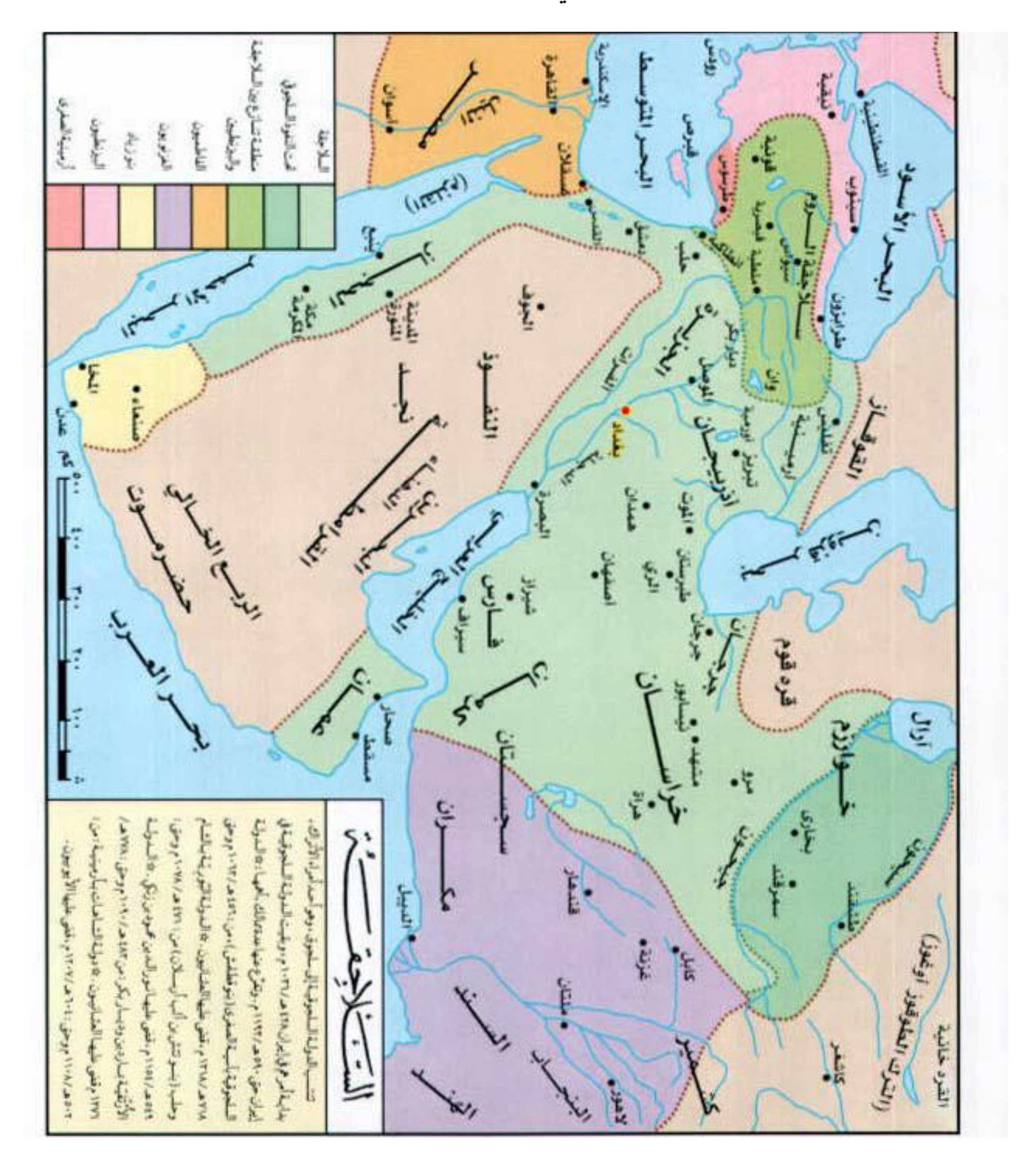
خريطة رقم: 20 تبيين أراضي الدولة الغزنوية



المرجع نفسه، ص.62.

خريطة رقم: 21

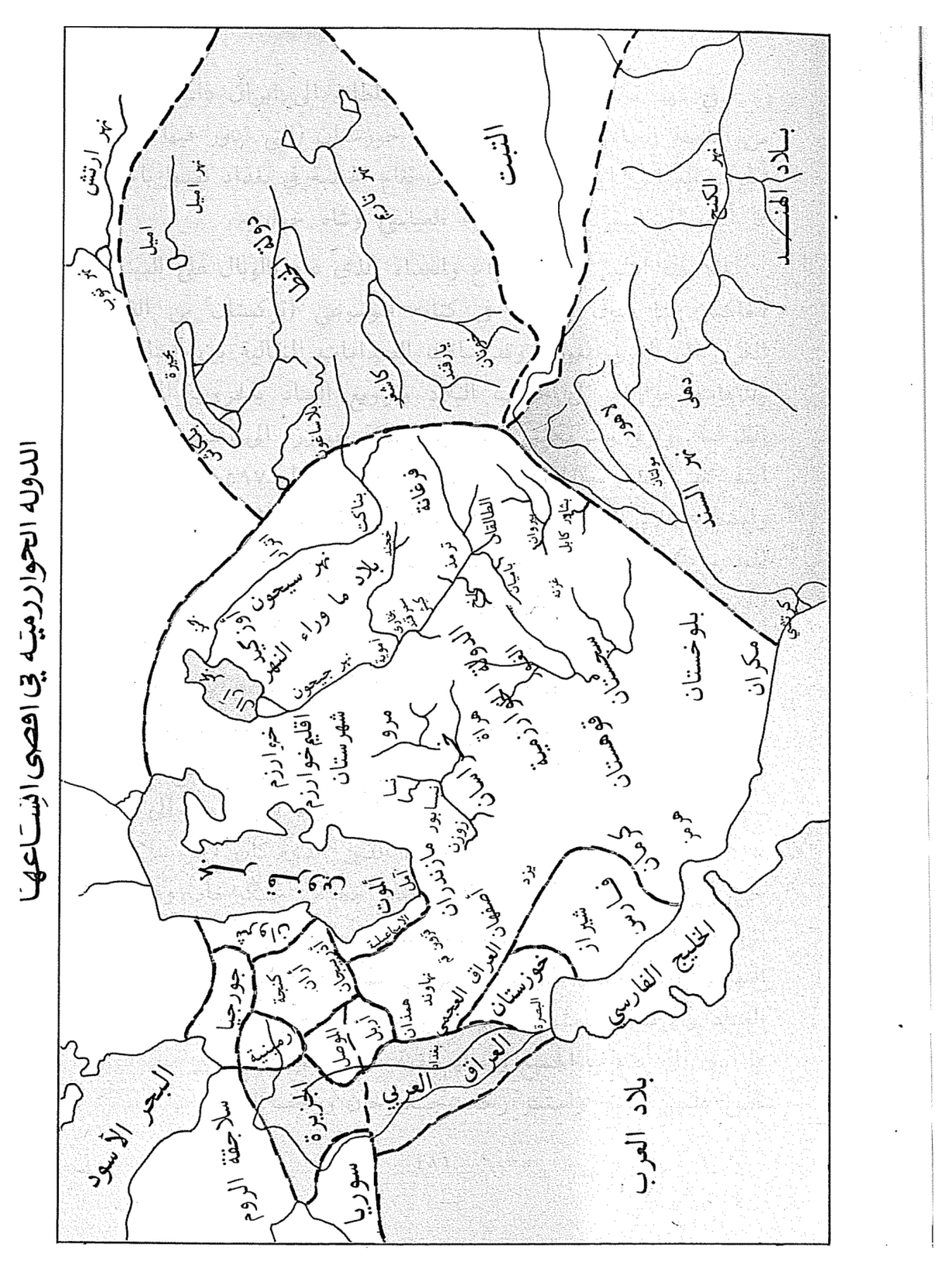
تبين أراضي الدولة السلجوقية



أطلس التاريخ العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص.64.

خريطة رقم:22

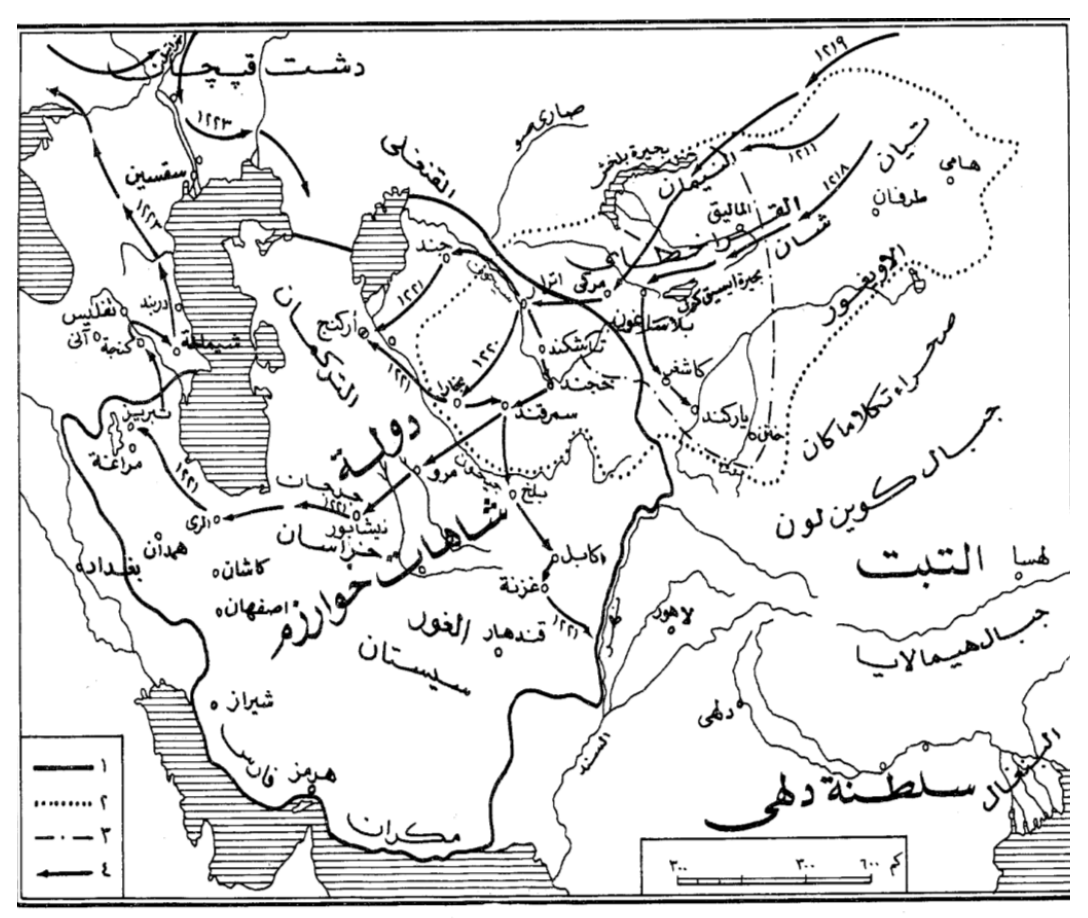
تبين حدود دولة الخطا والدولة الخوارزمية



محمد علي البار: المسلمون في الإتحاد السوفياتي، المرجع السابق، ج.2 ص.481.

خريطة رقم:23

تبين غزو المغول للعالم الإسلامي



الغزو المغولي للعالم الاسلامي

١ - حدود دولة شاهات خوارزم حوالي عام ١٢١٩ ـ ٢ - الحدود التقريبية لدولة القراخطاي

٣ - دولة النيمان (١٢١٠ - ١٢١٩) ـ ٤ - خط سير حملات جنكيزخان وأولاده وقواده

بارتولد، التركستان...، المرجع السابق، ص.647.

خريطة رقم:24

الصورة تبين إمبراطورية المغول بعد إتساعها



امبراطورية المغول في القرن الثالث عشر

١- أولوس جوچي الاورد والذهبي ٣- أولوس هولاكو (ايلخانات الفرس)

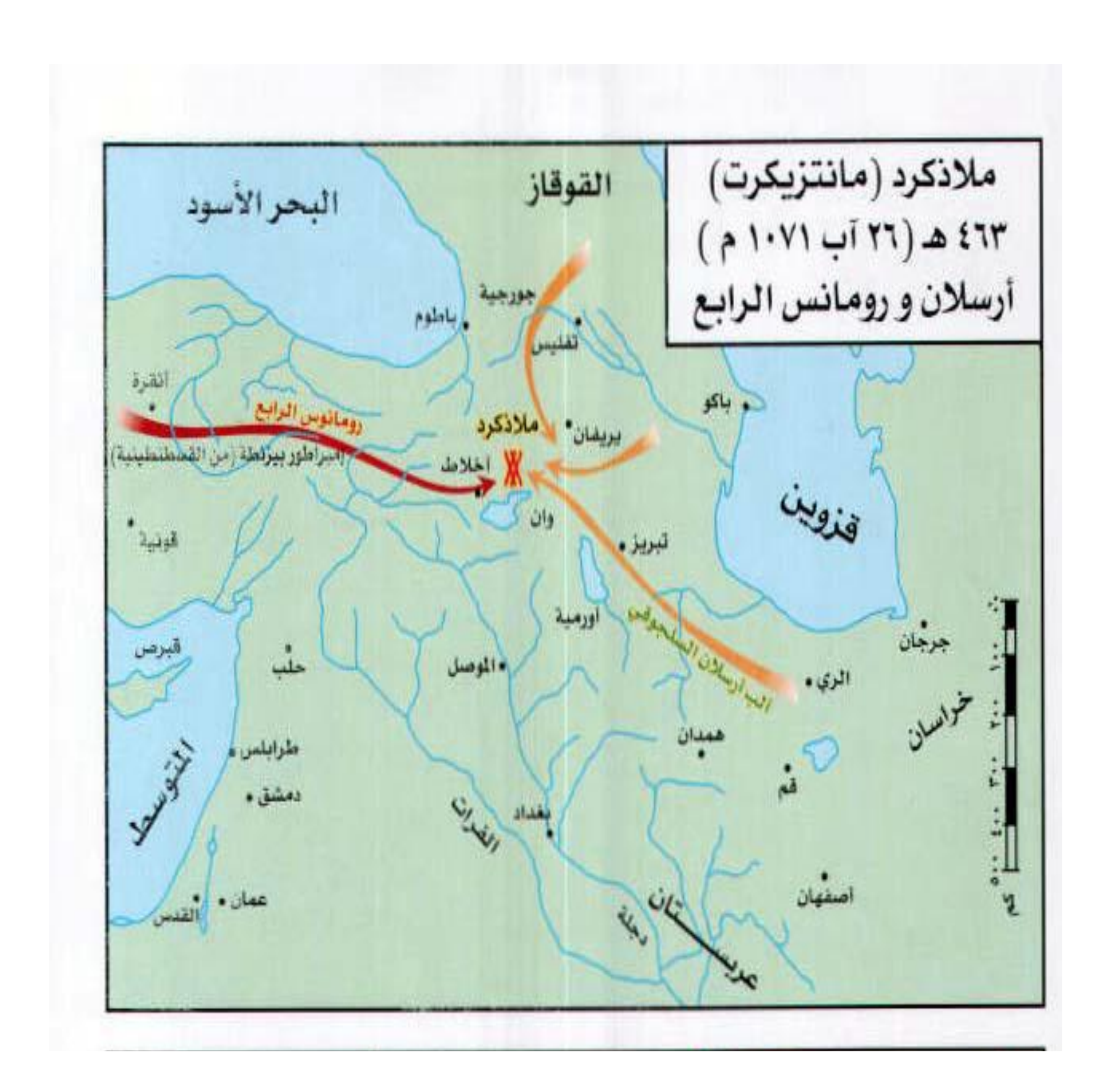
٢- أولوس جغتاي. ٤- أولوس القاآن الأكبر

٥- الإمارات الروسية الخاضعة للأورد والذهبي

بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، المرجع السابق، ص. 713.

خريطة رقم رقم:25

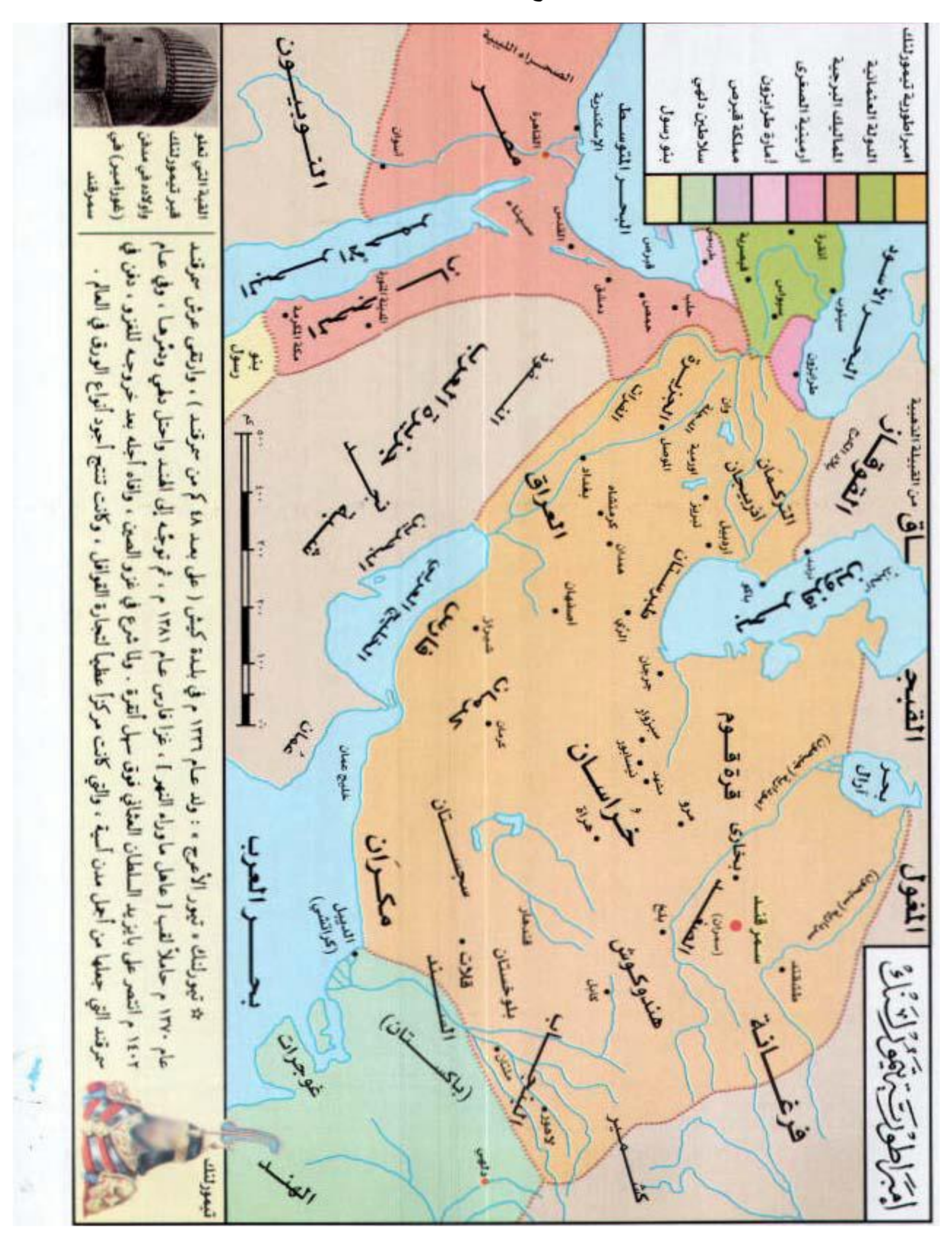
توضح معركة ملازكرد



أطلس التاريخ العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص. 101.

خريطة رقم:26

خريطة توضح إمبراطورية تيمورلنك.



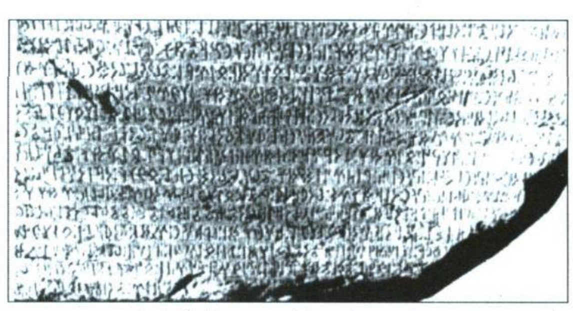
أطلس التاريخ العربي الإسلامي، المرجع السابق، ص. 71.

ملحق الصور

الصورة رقم: 01

لوحة توضح نقوش أورخون

صورة من نقوش أورخون بالأبجدية الرونية(أقدم أبجدية تركية)

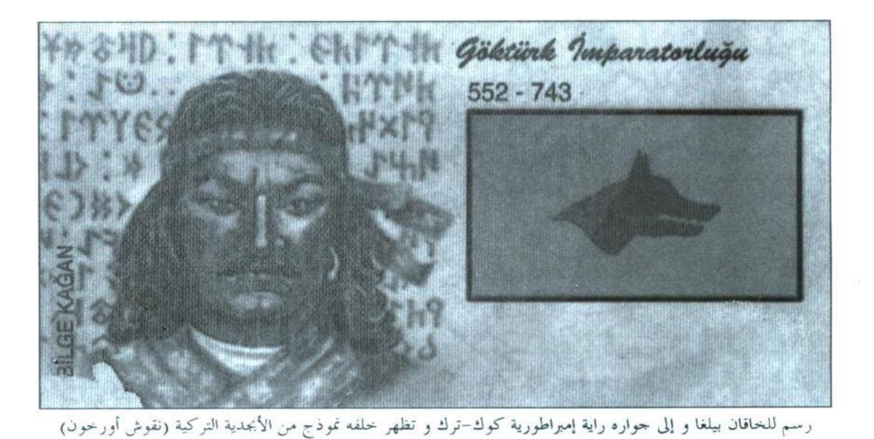


حجر منقوش بأبجدية أورخون التركية القديمة

أسامة أحمد تركماني: جولة سريعة في تاريخ الترك والتركمان..، المرجع السابق، ص.40.

اللوحة:02

لوحة تبين الخاقان بيلغا بجانبه راية إنبراطورية كوك تورك وتظهر خلفه نقوش أورخون



رسم للخاقان بيلغا و إلى جواره راية إمبراطورية كوك-ترك و تظهر خلفه نموذج من الأبجدية التركية (نقوش أورخون)

المرجع نفسه، ص.39

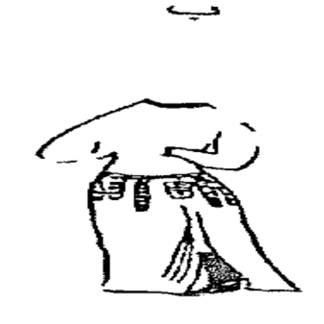
صورة رقم: 03

لوحة توضح زي الأويغور

أ



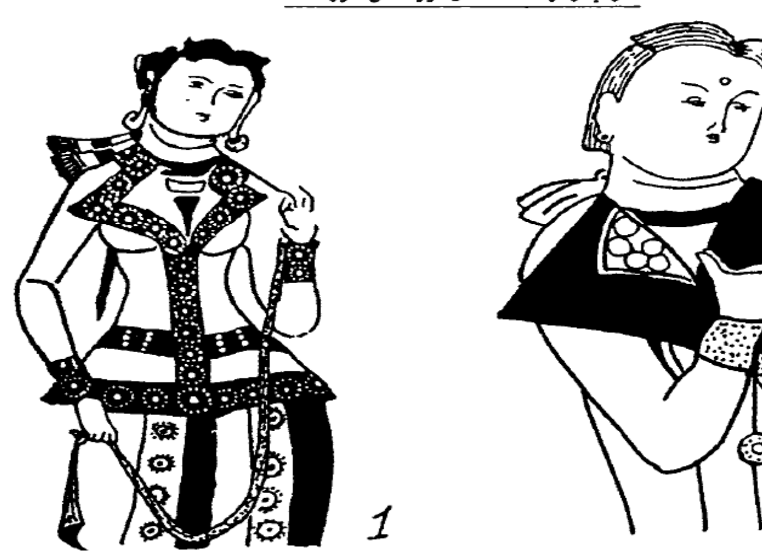
ب



ربيعة حامد خليفة، فن التصوير ، المرجع السابق، ص ص، 150.



تجار في زيارة قاغان الأويغور " من طورفان "



الصفصافي أحمد القاطوري، المرجع السابق، ص.75.

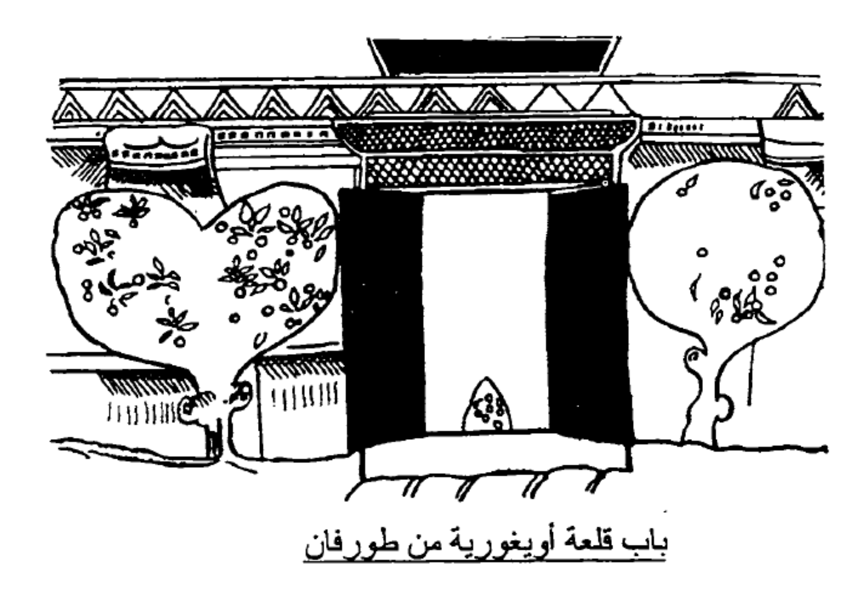
صور رقم:04

اللوحة الأولى تبين قلعة أويغورية وأبراجها



قلعة تركية — اويغورية و أبراجها " من طورفان "

اللوحة الثانية تبين باب قلعة أويغورية

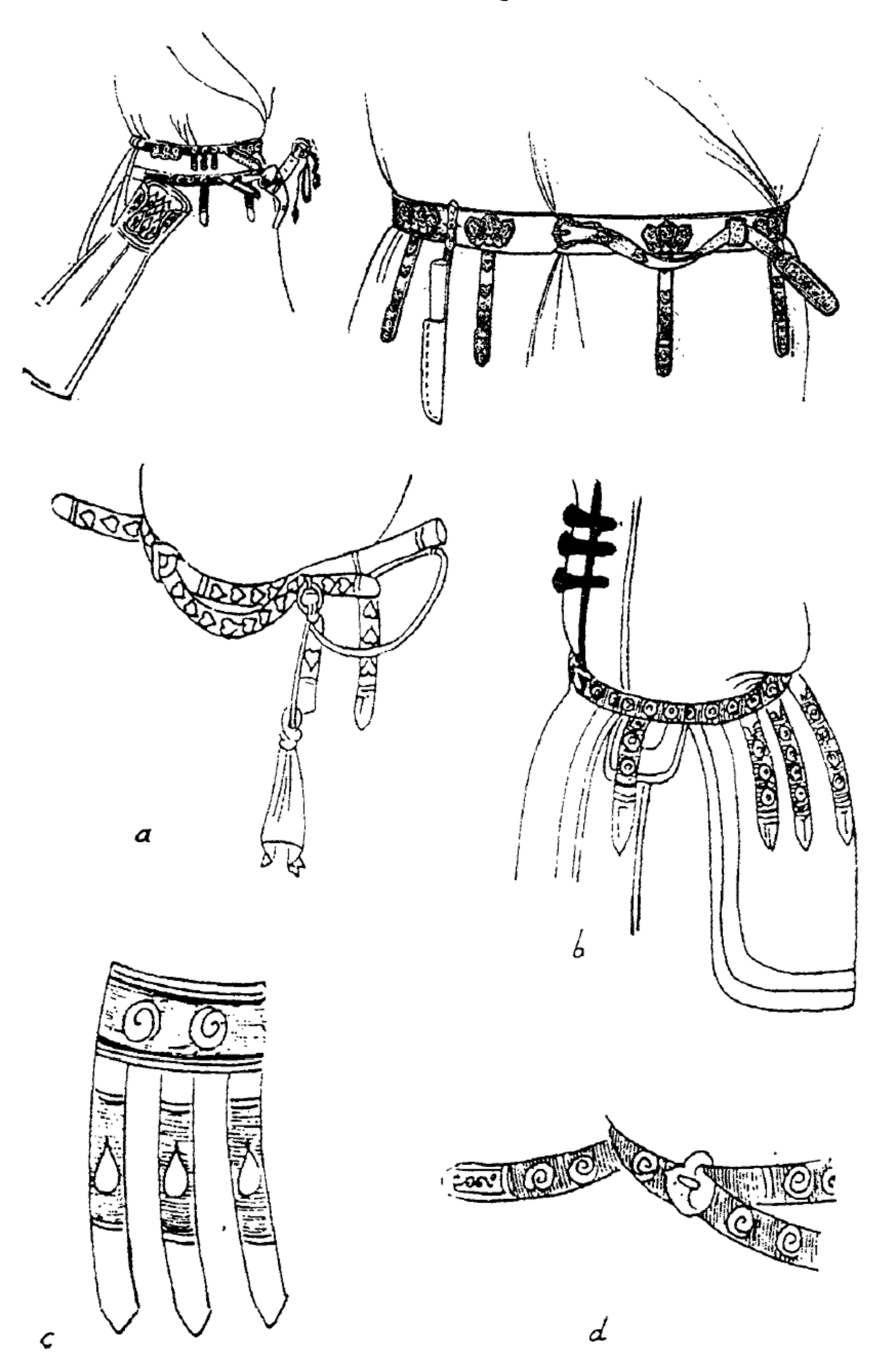


باب قلعة أويغورية من طورفان

الصفصافي أحمد القاطوري، المرجع السابق، ص ص، 241-242.

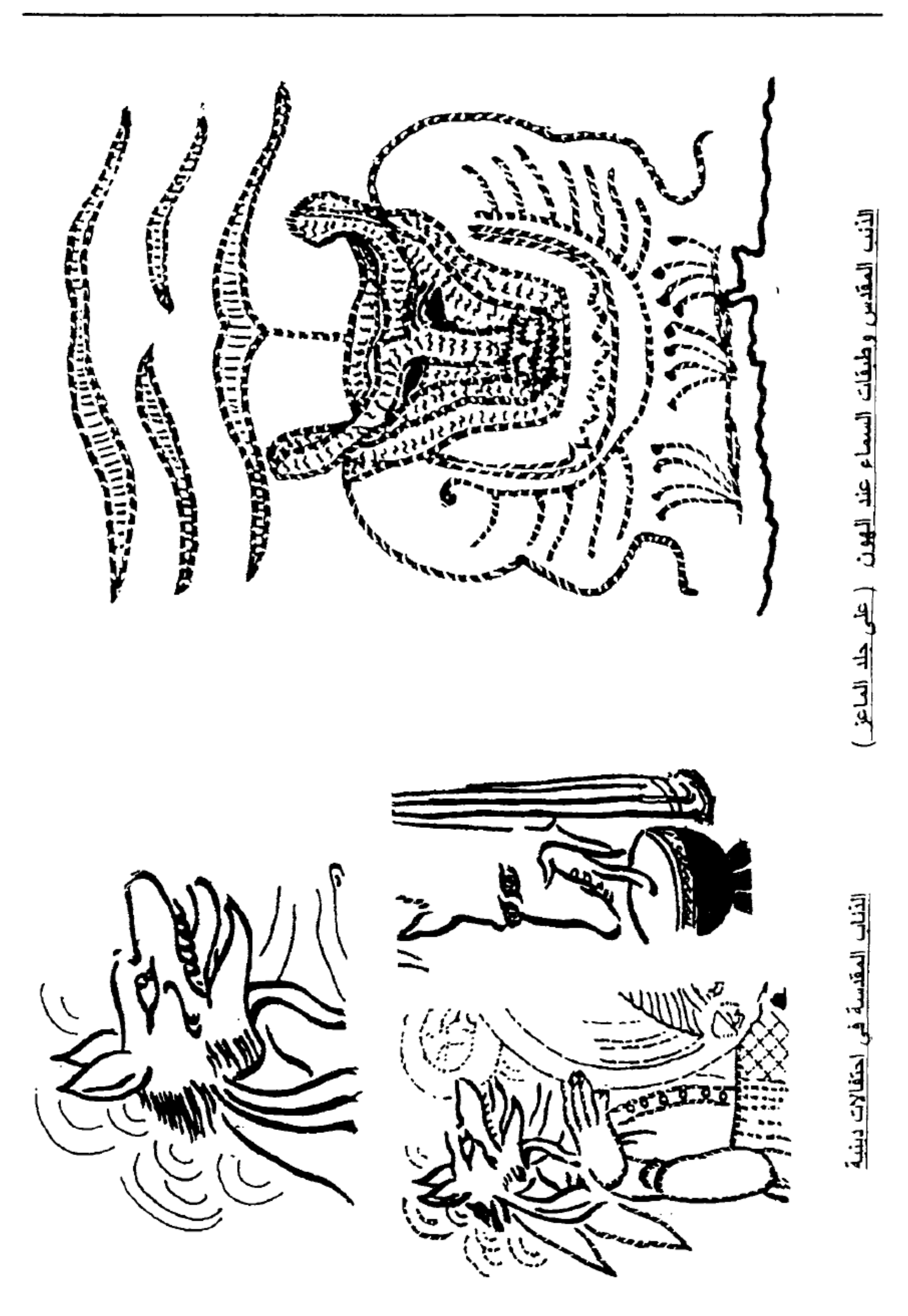
صور رقم:05

لوحات توضح أحزمة الأويغور



الصفصافي أحمد القاطولي، المرجع السابق، ص ص، 260-261.

صور رقم:06

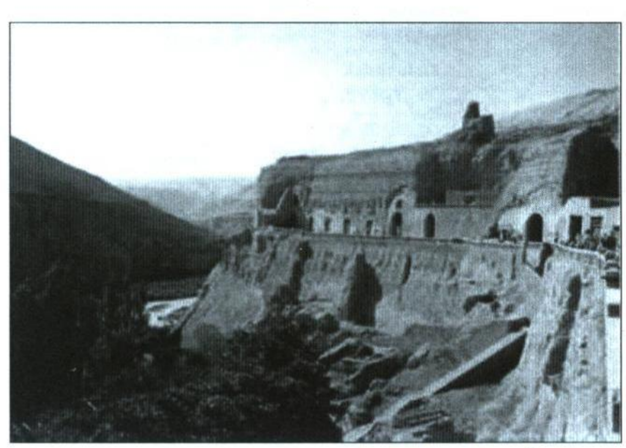


الصفصافي أحمد القاطوري، المرجع السابق، ص. 60.

صور رقم:07

تبين المعبد البوذي الأويغوري





معبد بوذي أويغوري منحوت في الجبل في تركستان الشرقية(الصين)Bizaklik رسم لمعبد بوذي أويغوري- ق١٠م

(قبل دخولهم في الإسلام في القرن ٤هـ/١٠م)

أسامة أحمد تركماني: جولة سريعة في تاريخ الترك والتركمان..، المرجع السابق، ص.48.

صورة رقم:08

توضح ملامح ستوق بوغراخان



Sultan Satuk Buğra Han

السلطان ساتوق بغرا خان

أول من أسلَمَ من ملوك الترك القرخانيين

المرجع نفسه، ص. 112.

صورة رقم:09 تبين العملة القراخانية



درهم ضرب في أخسيكات
للقرخانيين

أسامة أحمد تركماني: جولة سريعة في تاريخ الترك والتركمان..، المرجع السابق، ص.112.

الصورة رقم:09

تبين ملامح محمود الغزنوي



غياث الدين الغوري
مؤسس دولة الغوريين

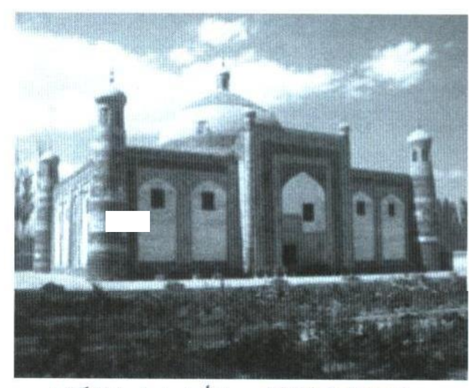


السلطان محمود الغزنوي
أعظم السلاطين الغزنويين

المرجع نفسه ، ص. 107.

الصورة رقم: 11

تبين مسجد أويغوري

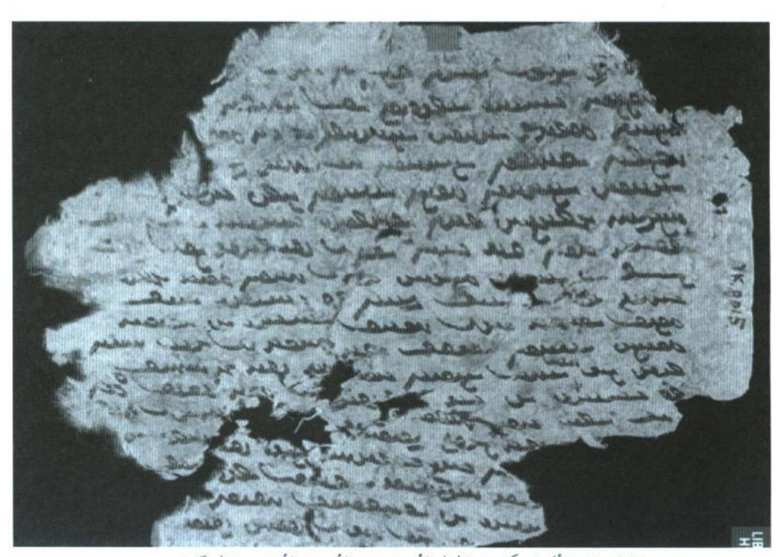


Abakh-hoja-tomb مسجد أويغوري في مدينة كاشغر
بناه الأتراك الأويغور المسلمون على قبر الشريف أبي حجة

أسامة أحمد تركماني: جولة سريعة في تاريخ الترك...، المرجع السابق، ص.51

الصورة رقم: 12

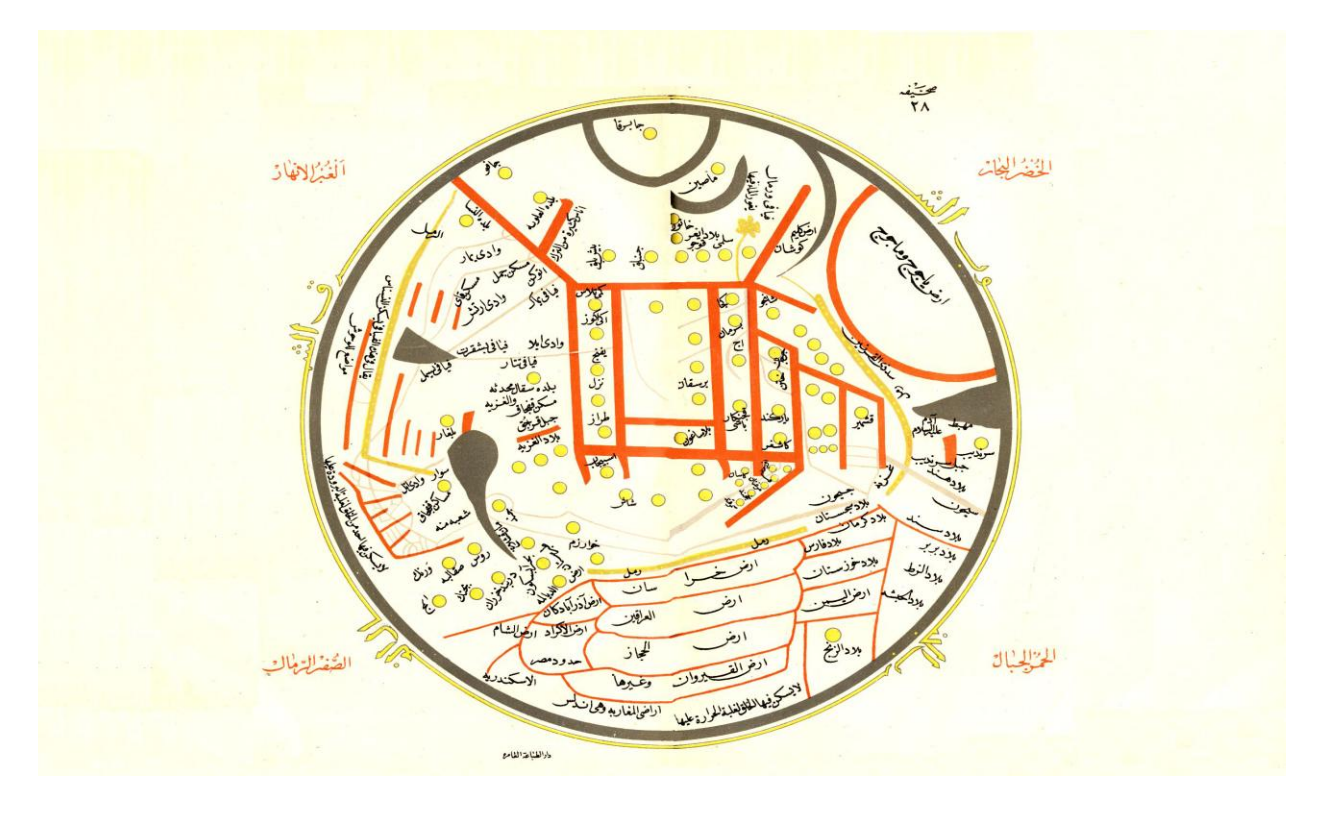
توضح الأبجدية الأويغورية



بقايا صفحة أثرية مكتوبة بالخط الأويغوري (الأبجدية الأويغورية التركية)
بهذا الخط كانت تكتب سجلات الإمبراطورية المغولية–هذه الوثيقة محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني

أسامة أحمد تركماني: جولة سريعة في تاريخ الترك...، المرجع السابق، ص. 226.

الصورة رقم:13 توضح صورة الأرض عند الكاشغري



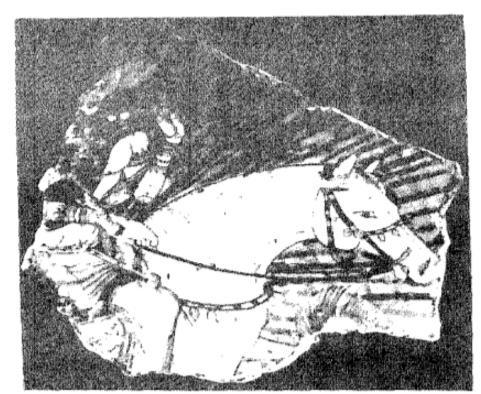
محمود الكاشغري: ديوان لغات الترك، مج المصدر السابق، ص.24.

الصورة رقم: 14
تبين النقوش الأويغورية على الحجارة



نقوش أويغورية على تمثال أويغوري أثري
في موقع عاصمتهم الأثرية قره بلغاسون في منغوليا

الصورة رقم:15
تبين تصاوير لبوذى رسمها الأويغور



رسم جدارى يمثل رحيل سدهارتا (بوذا) (أويغورى) قوجو ــ طرفان القرن ٩م.



رسم جدارى يمثل بوذا الجالس (أويغورى) مورطوق ـ طرفان القرن ٨م.



لوحة رقم (٥) : رسم جدارى يمثل بوذا الراكع (أويغورى)
بازكلك - طرفان القرن ٩م.



لوحة رقم (٦) : رسم جدارى يمثل مجموعة من الرهبان البوذيين يتعبدون. صورجوق - قراشهر
القرن ٨ - ٩م.



لوحة رقم (٢٠) : تصويرة تمثل بوذا الأويغورى. طرفان القرن ٩م.

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.154-155- 162.

الصور رقم:16
تجسد لوحة أويغورية مجسدة للطبيعة



لوحة رقم (١) : رسم جدارى يمثل فارس على صهوة جواده (أويغورى) طرفان القرن ٨م.



لوحة رقم (٢) : رسم جدارى يمثل منظر طبيعى (أويغورى)
بازكلك طرفان القرن ٩م.

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 153.

صورة رقم: 17



لوحة رقم (٩) : رسم جدارى يمثل مجموعة من الرهبان النساطرة (أويغورى) قوجو القرن ٩م.

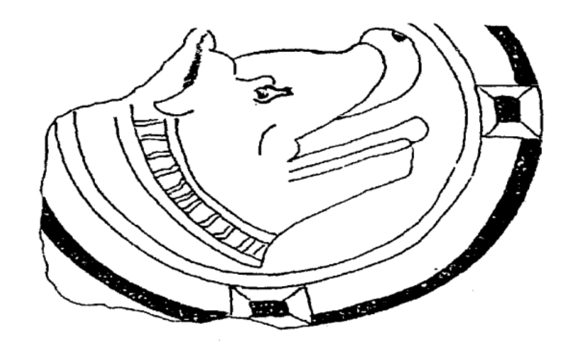
ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 157.

الصور رقم:18

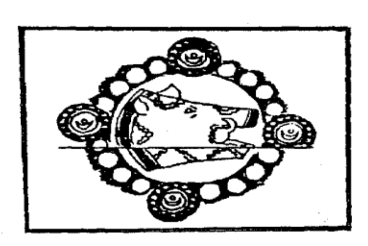
صورة تبين رؤس الخنازير



شكل رقم (٢) : يوضح افريز رءوس الخنازير. (طوياق)



شكل رقم (٣) : يوضح افريز رءوس الخنازير. (باميان)



شكل رقم (٤) : يوضح افريز رءوس الخنازير. (افراسياب ـ سمرقند)

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.148.

صورة رقم: 19

المبينة للفارس الممتطى جواده



الصفصافي أحمد القاطوري، المرجع السابق، ص. 173.

الصورة رقم: 20

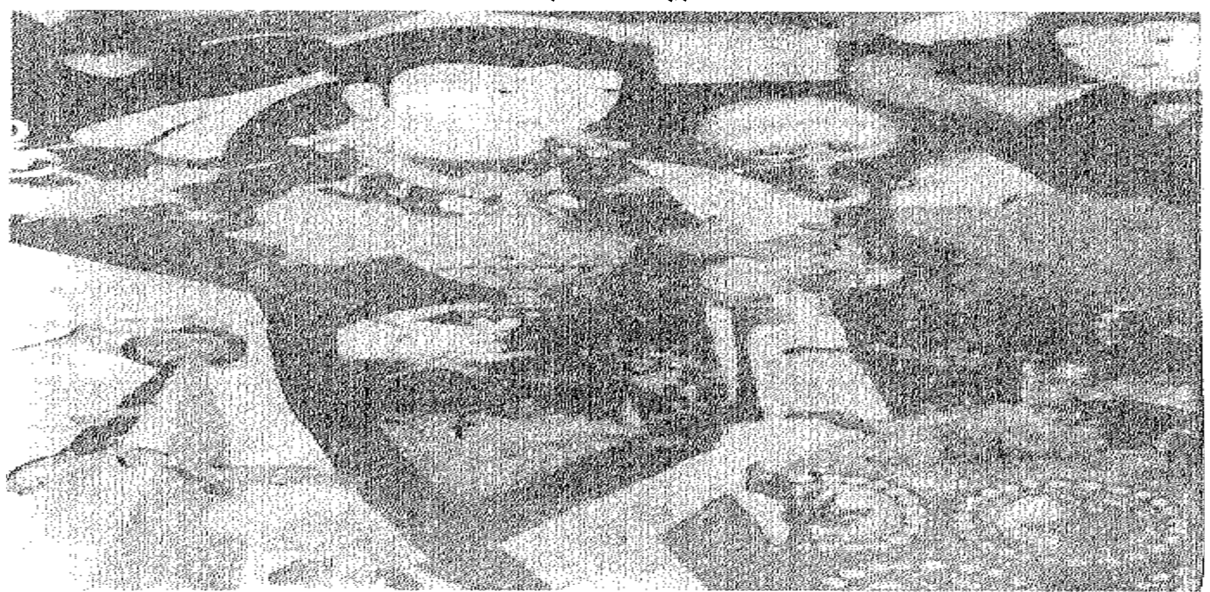
تبيين راقصتين، فريسكو، بجناح الجوسق الخاقاني بمدينة سامراس، النصف الأول من القرن 3هـ/9م.



محمد إبراهيم حسين، المدرسة في التصوير الإسلامي، المرجع السابق، ص.332.

صورة رقم:21

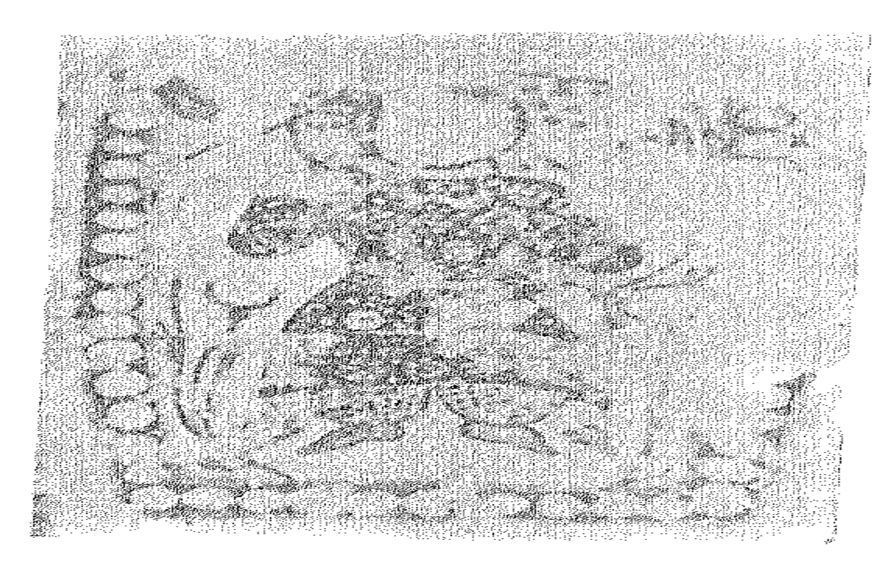
المبينة للتشابه



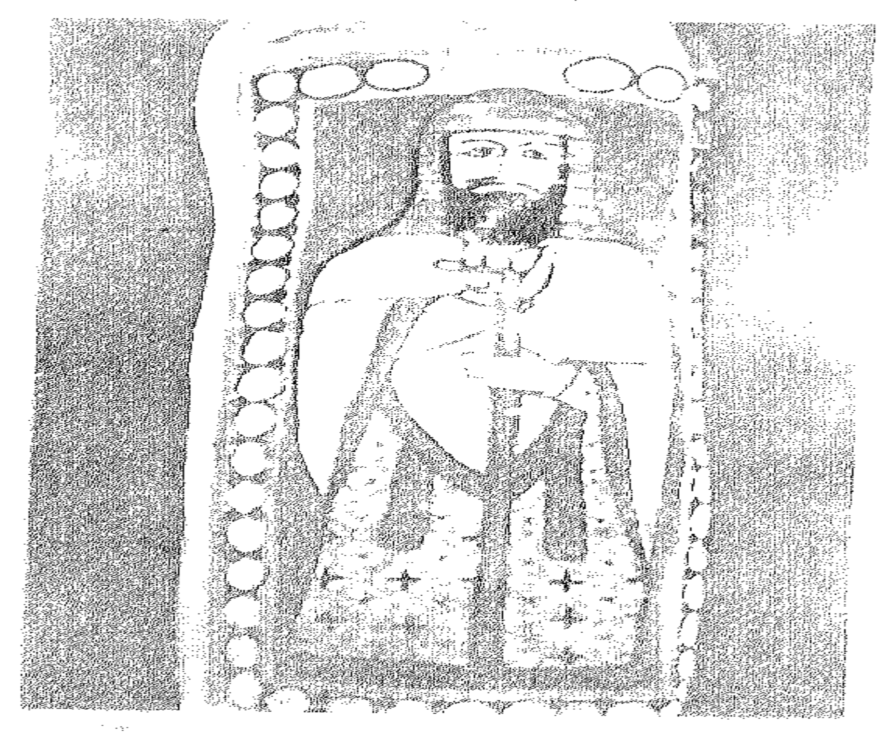
وحة رقم (٢٧) : رسم جدارى يمثل فتاتين تمسكان بالزهور والأ
آسيا الوسطى - بالبليك.

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.166.

أنظر، الصورة رقم:22
المبينة للفتى المملوكي والقساوسة



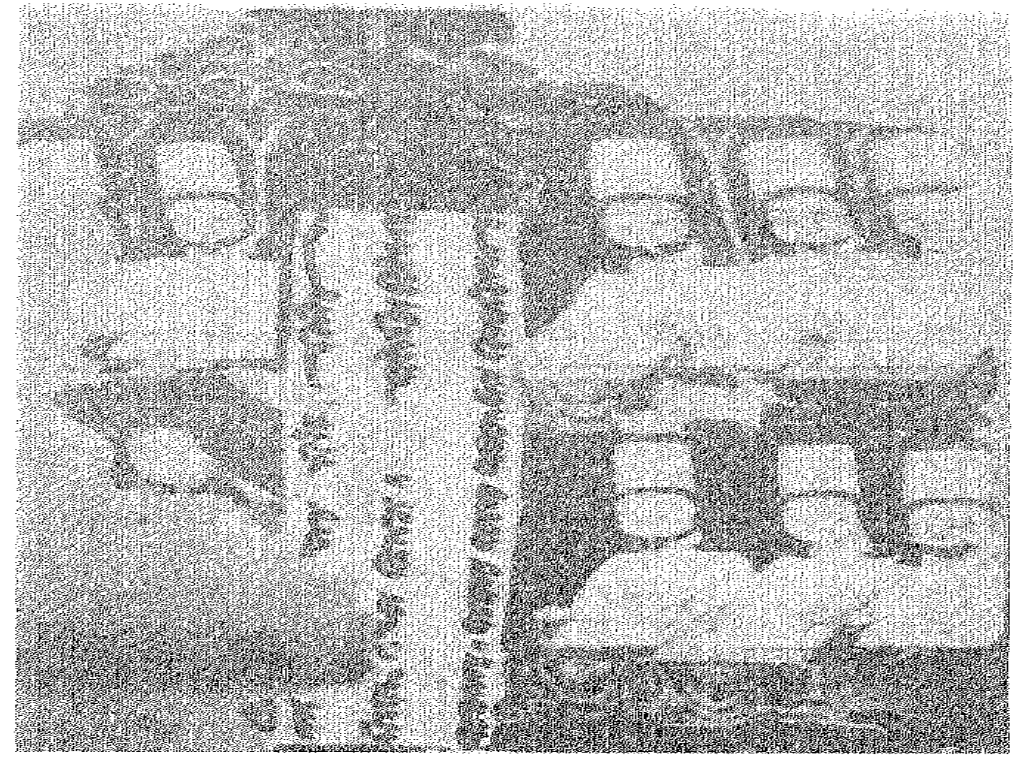
رسم جداري يمثل مملوك تركي. سامرا.



رسم جداري يمثل أحد القساوسة. سامرا.

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 167.

صورة رقم: 23
توضح الكتبة البوذيون والمانويون



تصويرة تمثل مجموعة من الكتبة المانويين.
طرفان القرن ٩م.

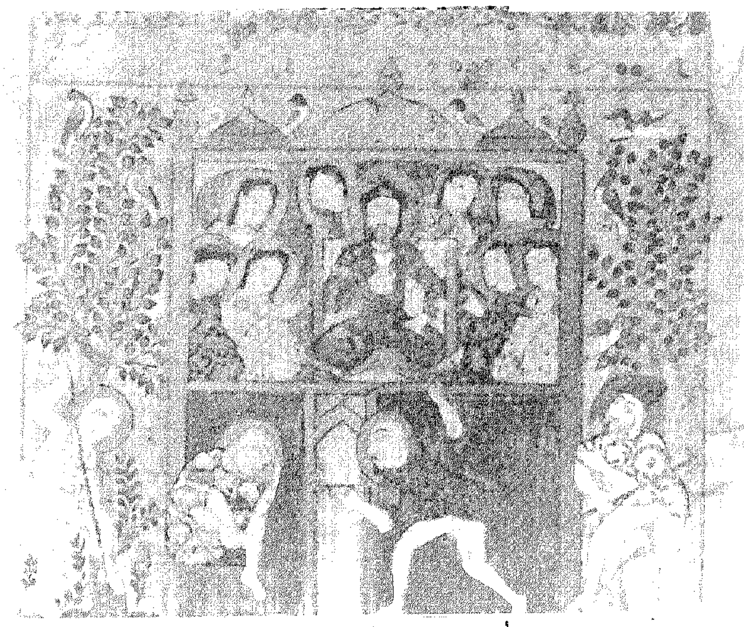


تصويرة تمثل مجموعة من الكتبة البوذ
طرفان القرن ٩م.

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.160.

صورة رقم:24

توضح لوحتان مرسومتان للحريم يتجلى فيهما التأثير الأويغوري



أمير بين حاشيته. تصويرة مـن مخطـوط
الترياق (٥٩٥هـ) المكتبة الأهلية فى باريس.

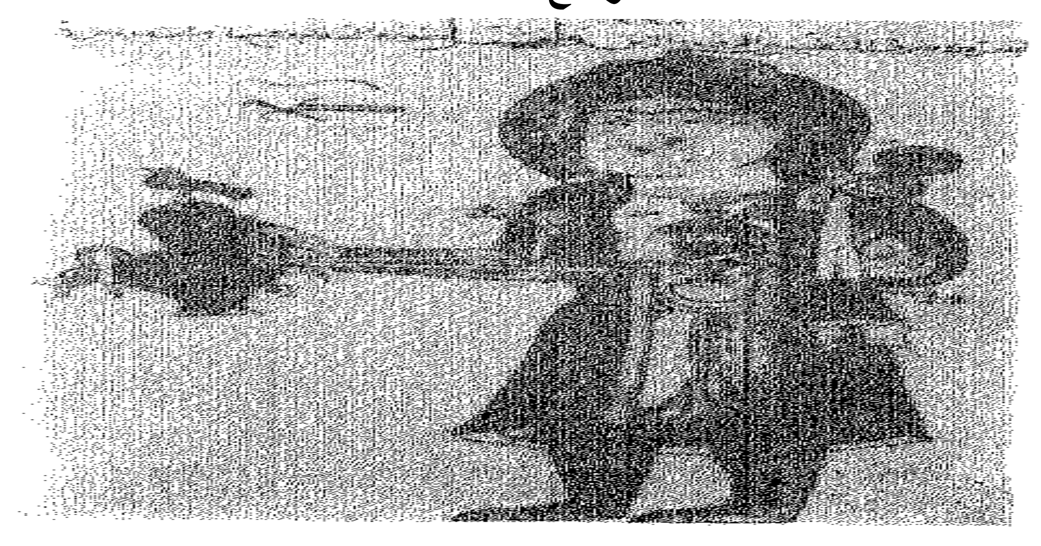


لوحة رقم (٣٢) : حـاكم يجلس على عرشه وحوله الحاشـية،
تصويرة من مخطوط الترياق بداية القرن
٧هـ/١٣م. المكتبة الأهلية فى فيينا.

ربعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 168-169.

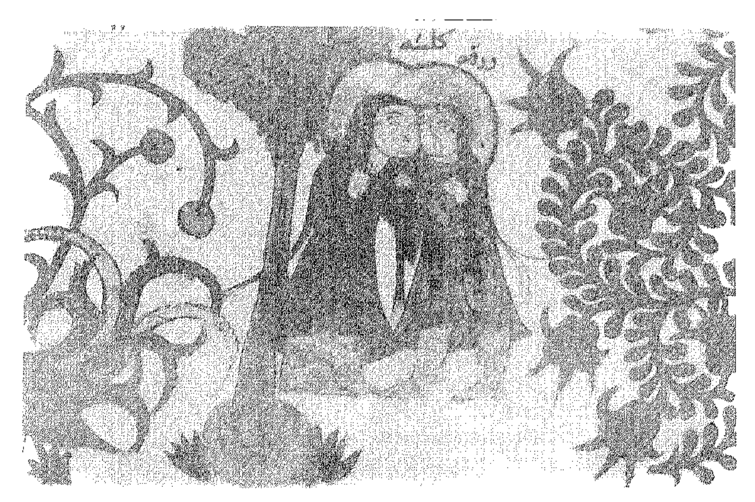
صورة رقم:25

توضح الفتات



جهاز بهيئة فتاة. تصويرة من مخطوط الحيل (٦٠٥هـ/١٢٠٦م) مكتبة متحف طوبقا بوسراى.

صورة رقم: 26

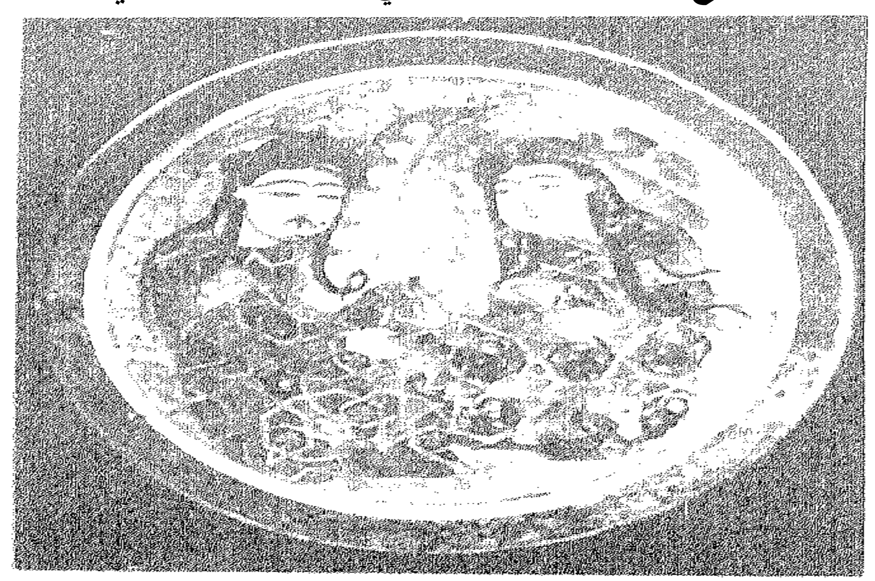


تصويرة من مخطوط ورقة وكَلشاه (بداية القرن ٧هـ ـ ١٣م) مكتبة متحف طوبقا بوسراى.

ربيعة حامد خليف، المرجع السابق، ص.169-170.

صورة رقم:27

توضح تأثر الخزف السلجوقي بالخزف الأويغوري.



سلطانية من الخزف المينائى.
(٧هـ/١٣م) ايران.



قدر من الخزف المينائى.
(٧هـ/١٣م) ايران.

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.173.

صورة رقم:28



مخطوط جامع التواريخ لرشيد الدين(707هـ/1307م)، مكتبة ادنبره، إلقاء سيدنا مسى في اليم



نفس المخطوط،(714هـ/1314م) محفوظ في الجمعية الآسيوية الملكية بلندن، جبال الهند.



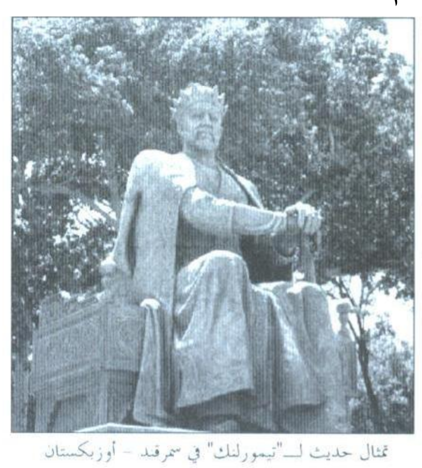
نفس المخطوط، الطريق إلى بلاد التبت.

محمد إبراهيم حسين، المدرسة في التصوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ص.347-348.

صورة رقم:29



رسم هندي قديم لـ"تيمورلنك"



تمثال حديث لـ"تيمورلنك" في سمرقند - أوزبكستان

أسامة أحمد تركماني: تاريخ الأتراك والتركمان ماقبل الإسلام وما بعده، المرجع السابق، ص.229.



تيمور لنك. تصويرة من مخطوط فى نسب الأسرة الجنكيزية (تيمورى).

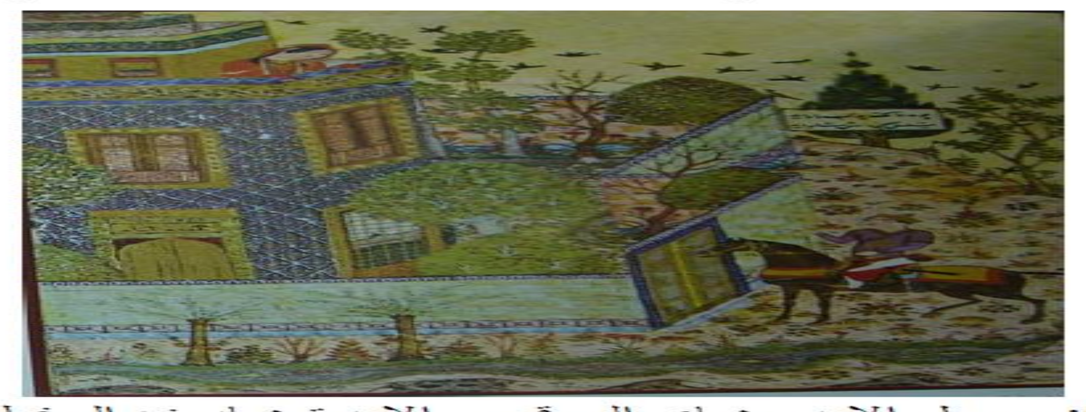
ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.180.

صورة رقم:30



مبارزة بين الأميرة همايون والأمير هماي

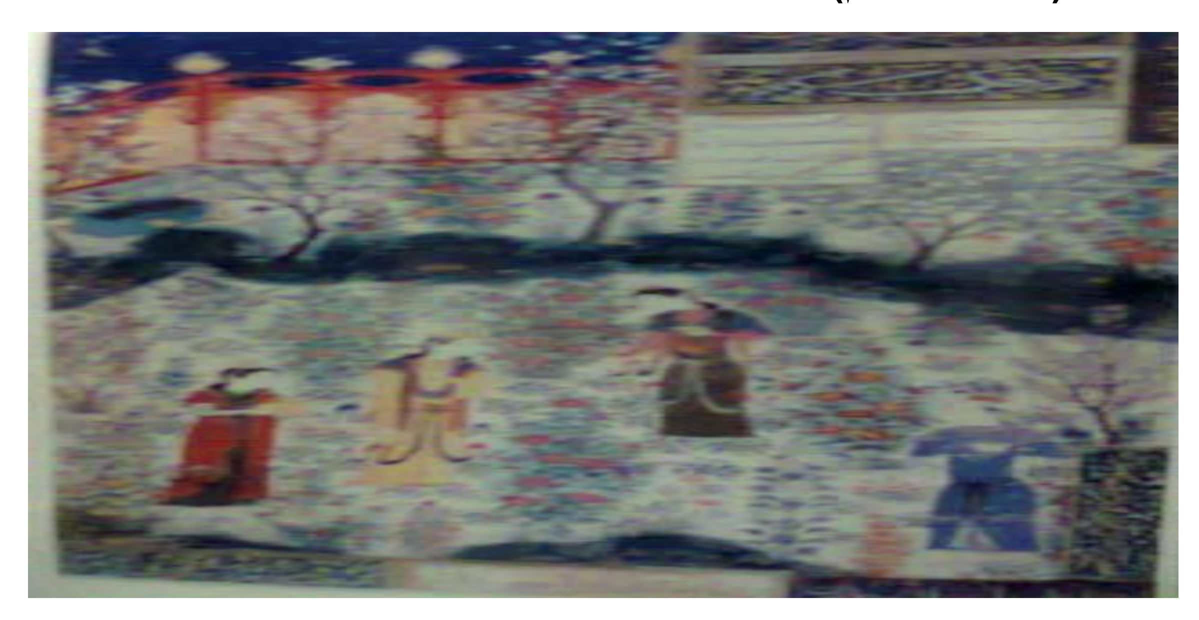
ديوان خواجه كرماني (٧٩٨هـ-١٣٦٩م) المتحف البريطاني



): وصول الامير هماي الى قصر الاميرة همايون، المخطوط

محمد إبراهيم حسين، المدرسة في التصوير الإسلامي، المرجع السابق،ص.352-353.

لوحة توضح مقابلة بين هماى وهمايون في حدائق القصر ببكين، مخطوط هماى وهمايون(831هـ/1428م)، متحف الفنون الزخرفية بباريس.



المرجع نفسه، ص.357.

صورة رقم:31



تيمور لنك. تصويرة من مخطوط فى
نسب الأسرة الجنكيزية (تيمورى).



أبتة جانى بك.
تصويرة من المخطوط السابق

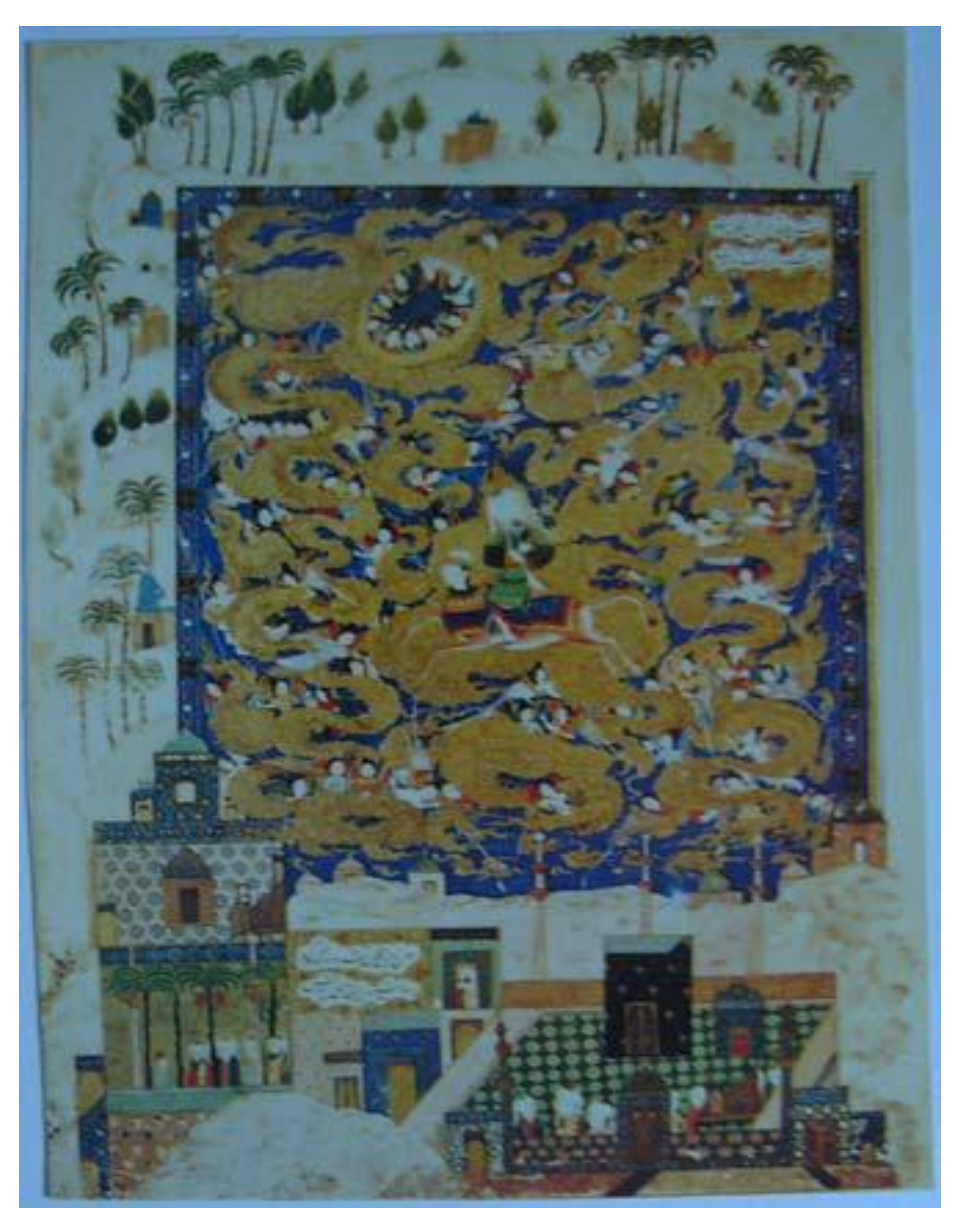


الآن قوا وزوجته.
تصويرة من المخطوط السابق.

أنظر، ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص.180.

صورة رقم:32

رحلة المعراج، مخطوط معراج نامة(840هـ/1436م)، المكتبة الأهلية بباريس.



محمد إبراهيم حسين، المدرسة في التصوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ص.360.

صورة رقم:33

توضح أشكال الهالة النورانية.



يوضح شكل الهالة النورانية
(مخطوط معراجنامه)

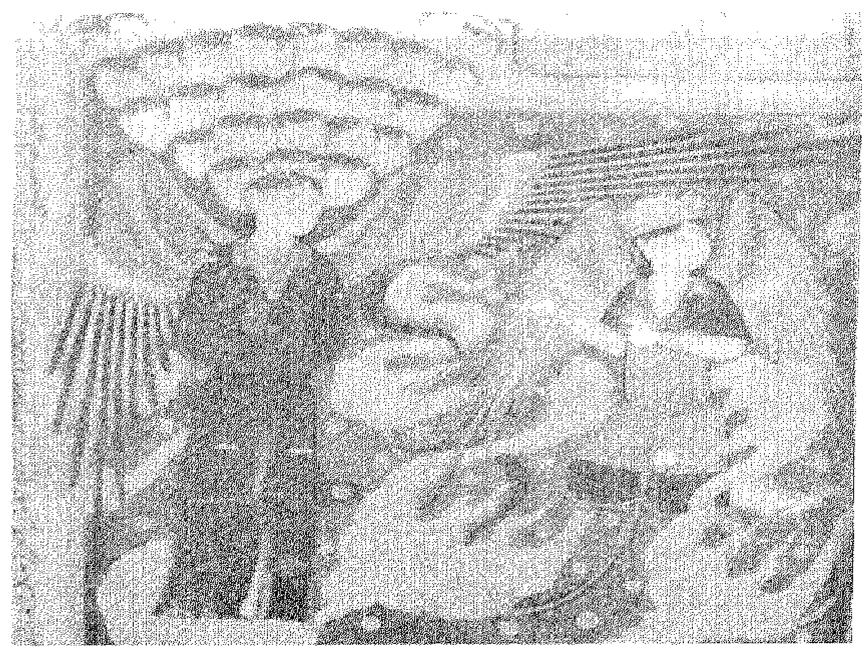
يوضح شكل الهالة النورانية
(صورة بوذا الصينى)



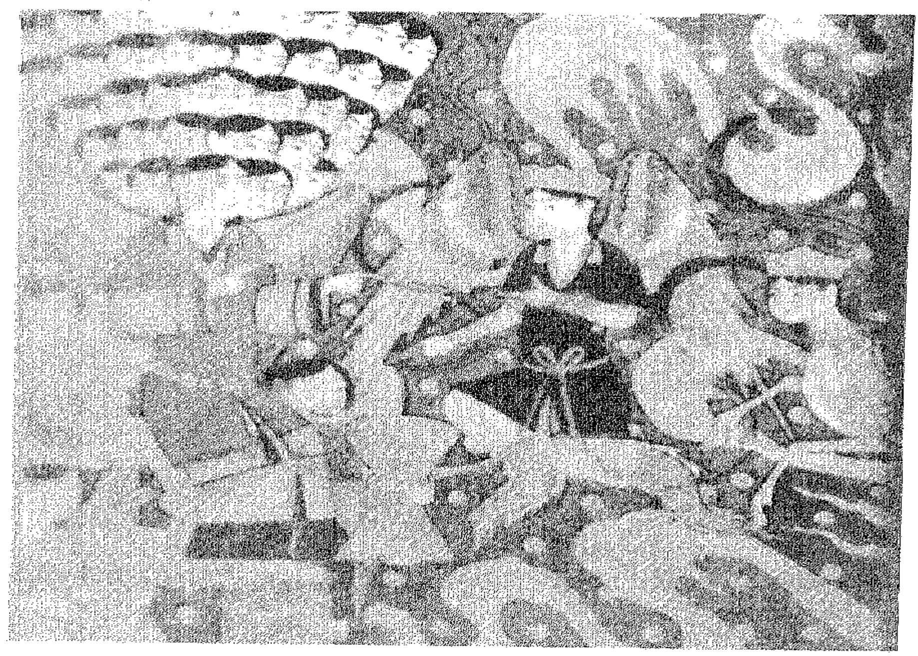
يوضح شكل خدم النار (الزبانية)
(مخطوط معراجنامه)

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 152.

صورة رقم:34



ملك بعدة رءوس. تصويرة من مخطوط معراجنامه (٨٤٠هـ/١٤٣٦م).



تصويرة من المخطوط السابق.

ربيعة حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 181.

صورة رقم:35

لوحتان توضحان صورة مزدوجة تمثل الأمير بايسنقر في رحلة صيد، مخطوط الشاهنامة (834هـ/1430م)، متحف قصر جلستان بطهران.



محمد إبراهيم حسين، المدرسة في التصوير الإسلامي، المرجع السابق، ص ص.357.

ملحق الجداول:

جدول رقم:01

جدول يوضح الحكام القراخانيون.

القاراخـــانيون

#	الحاكم	الفترة	#	الحاكم	الفترة
١ ـ الحكام الكبار للقاراخانيين					
١	كول بيلكه خان	٨٤٠ ـ ؟	٦	أحمد خان الأول	٩٩٨ ـ ١٠١٦=١٨
٢	بازر خان		٧	منصور خان	١٠١٦ ـ ١٠٢٤=٨
٣	عبد الكريم صاتوق بوغرا خان	؟ ـ ٩٥٥	٨	أحمد خان الثاني	١٠٢٤ ـ ١٠٢٦= ٢
٤	باتياش موسى خان	٩٥٥ ـ ؟	٩	يوسف خان	١٠٢٦ ـ ١٠٣٢= ٦
٥	علي خان	؟ ـ ٩٩٨			
٢ ـ الحكام الشرقيون للقاراخانيين					
١	سليمان خان	١٠٣٢ ـ ١٠٥٦= ٢٤	٧	أحمد خان	١١٠٣ ـ ١١٢٩= ٢٦
٢	محمد خان الأول	١٠٥٦ ـ ١٠٥٧= ١	٨	إبراهيم خان الثاني	١١٢٩ ـ ١١٥٩= ٣٠
٣	إبراهيم خان الأول	١٠٥٧ ـ ١٠٥٩= ٢	٩	محمد خان الثاني	١١٥٩ ـ ؟
٤	محمود خان	١٠٥٩ ـ ١٠٧٥= ١٧	١٠	يوسف خان	؟ ـ ١٢٠٥
٥	عمر خان	١٠٧٥	١١	محمد خان الثالث	١٢٠٥ ـ ١٢١٠= ٥
٦	حسن خان	١٠٧٥ ـ ١١٠٣= ٢٨			

يالماز أوزتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص. 177.

جدول رقم: 02

يوضح حكام القراخانيون الغربيون.

م	الحاكم	الفترة	م	الحاكم	الفترة
. ـ الحكام الغربيون للقاراخانيين					
١	محمد خان الأول	١٠٤٢ ـ ١٠٥٣ = ١١	١٠	جبرائيل خان	١٠٩٩ ـ ١١٠٢= ٣
٢	إبراهيم خان الأول	١٠٥٣ ـ ١٠٦٨= ١٥	١١	محمد خان الثاني	١١٠٢ ـ ١١٣٢= ٣٠
٣	نصر خان الأول	١٠٦٨ ـ ١٠٨٠= ١٢	١٢	إبراهيم خان الثاني	١١٣٢
٤	خضر خان	١٠٨٠ ـ ١٠٨١؟= ١؟	١٣	محمود خان الثاني	١١٣٢ ـ ١١٤١= ٩
٥	أحمد خان الأول	١٠٨١؟ ـ ١٠٨٩= ٨؟ + ١٠٩٤ ـ ١٠٩٥= ١= ٩؟	١٤	إبراهيم خان الثالث	١١٤١ ـ ١١٥٦= ١٥
٦	يعقوب خان	١٠٨٩	١٥	علي خان	١١٥٦ ـ ١١٦٠= ٤
٧	مسعود خان الأول	١٠٩٥ ـ ١٠٩٧=٢	١٦	مسعود خان الثاني	١١٦٠ ـ ١١٧٨= ١٨
٨	سليمان خان	١٠٩٧	١٧	إبراهيم خان الرابع	١١٧٨ ـ ١٢٠٤= ٢٦
٩	محمود خان الأول	١٠٩٧ ـ ١٠٩٩= ٢	١٨	عثمان خان	١٢٠٤ ـ ١٢١٢ = ٨
٤ ـ حكام فرغانة					
١	حسين خان	١١٤١ ـ ١١٥٦ =١٥	٧	حسام الدين خان	
٢	محمود خان	١١٥٦ ـ ١١٦٥= ٩	٨	عماد الدين خان	؟ ـ ١٢١٢
٣	إبراهيم خان الرابع	١١٦٥ ـ ١١٧٨= ١٣	٩	أرسلان خان الأول	١٢١٢ ـ ؟
٤	نصر خان	١١٧٨ ـ ١١٨٢= ٤	١٠	أرسلان خان الثاني	؟ ـ ١٢٢٢
٥	محمد خان	١١٨٢ ـ ١١٨٤= ٢	١١	محمد سيونج قوتلوغ أرسلان خان	١٢٢٢ ـ ؟
٦	جلال الدين خان	١١٨٤ ـ ؟			

يالماز أوزتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص. 177.

جدول رقم: 03

يوضح حكام الدولة السامانية.

1- نصر الأول بن أحمد (261هـ/874م.

2- إسماعيل بن أحمد (279هـ/892م).

3- أحمد بن إسماعيل (295هـ/907م).

4- نصر الثاني بن احمد (301هـ/913م).

5- نوح الأول بن نصر (331هـ/943م).

6- عبد الملك الأول بن نوح (343هـ/954م).

7- منصور الأول بن نوح (350هـ/961م).

8- نوح الثاني بن منصور (366هـ/977م).

9- منصور الثاني ابن نوح الثاني (387هـ/997م).

10- عبد الملك الثاني بن نوح الثاني (389هـ/999م).

ثم ولى خانات الدولة القراخانية والغزنويون.

عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص ص، 403-404.

جدول رقم:04

يبيين حكم الخلفاء العباسيون

خلفاء العصر العباسى الثانى

(٢٣٢ - ٤٤٧/٨٤٧-١٠٥٥)

	هجرية	ميلادية		هجرية	ميلادية
١ ٠ المتوكل	٢٣٢	٨٤٧	٢٨- المستظهر	٤٨٧	١٠٩٤
٢ المنتصر	٢٤٧	٨٦١	٢٩- المسترشد	٥١٢	١١١٨
٠٣ المستعين	٢٤٨	٨٦٢	٣٠- الراشد	٥٢٩	١١٣٥
٤ - المعتز	٢٥٢	٨٦٦	٣١- المقتفى	٥٣٠	١١٣٦
٥ المهتدى	٢٥٥	٨٦٩	٣٢- المستنجد	٥٥٥	١١٦٠
٦ ٠ المعتمد	٢٥٦	٨٧٠	٣٣- المستضىء	٥٦٦	١١٧٠
٧ المعتضد	٢٧٩	٨٩٢	٣٤- الناصر	٥٧٥	١١٨٠
٨ المكتفى	٢٨٩	٩٠٢	٣٥- الظاهر	٦٢٢	١٢٢٥
٩ المقتدر	٢٩٥	٩٠٨	٣٦- المستنصر	٦٢٣	١٢٢٦
١٠ القاهر	٣٢٠	٩٣٢	٣٧- المستعصم	٦٤٠/	١٢٤٢/
١١ الراضى	٣٢٢	٩٣٤		٦٥٦هـ	١٢٥٨
١٢ المتقى	٣٢٩	٩٤٠			
١٣ - المستكفى	٣٣٣	٩٤٤			
١٤ - المطيع	٣٣٤	٩٤٦			
١٥ الطائع	٣٦٣	٩٧٤			
١٦ القادر	٣٨١	٩٩١			
١٧٠٠ القائم	٤٢٢	١٠٣١			
١٨ المقتدى	٤٦٧	١٠٧٥			

عصام الدين عبد الرؤوف الفقى: الدول المستقلة، المرجع السابق، ص.40.

جدول رقم: 05

جدول يوضح الحكام الغزنويون

الغزنويون

م	سم	التاريخ	م	الاسم	التاريخ
	ألب تكين ـ تيكين	٩٦٢ ـ ٩٦٣ = ١	١٢	السلطان علي	١٠٤٩ ـ ٠٥١
	إبراهيم	٩٦٣ ـ ٩٦٦ = ٣	١٣	السلطان عبد الرشيد	١٠٥١ ـ ١٠٥٢ ء
	بيلكه تكين	٩٦٦ ـ ٩٧٢ = ٦	١٤	السلطان طغرل	١٠٥٢ ـ ١٠٥٣ = ،
٤	بيري تكين	٩٧٢ ـ ٩٧٧ = ٥	١٥	السلطان فروخ ـ زاد	١٠٥٣ ـ ١٠٥٩ = ٦
٥	سبوك تكين	٩٧٧ ـ ٩٩٧ = ٢٠	١٦	السلطان إبراهيم	١٠٥٩ ـ ١٠٩٩ = ٤٠
٦	إسماعيل	٩٩٧ ـ ٩٩٨ = ١	١٧	السلطان مسعود الثالث	١٠٩٩ ـ ١١١٥ = ١٦
٧	السلطان محمود	٩٩٨ ـ ١٠٣٠ = ٣٢	١٨	السلطان شير ـ زاد	١١١٥ ـ ١١١٦ = ١
٨	السلطان محمد	١٠٣٠+١٠٤٠ ـ ١٠٤١ =١	١٩	السلطان أرسلان شاه	١١١٦ ـ ١١١٧ = ١
	السلطان مسعود الأول	١٠٣٠ ـ ١٠٤٠ = ١٠	٢٠	السلطان بهرام شاه	١١١٧ ـ ١١٥٢ = ٣٥
	السلطان مودود	١٠٤٠ ـ ١٠٤٨ = ٧	٢١	السلطان خسرو شاه	١١٥٢ ـ ١١٦٠
	السلطان مسعود الثاني	١٠٤٨ ـ ١٠٤٩ = ١	٢٢	السلطان خسرو ـ ملك (ملك شاه)	١١٦٠ ـ ١١٨٧

يالماز أوزتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص. 191

جدول رقم:06

جدول يوضح الحكام السلاجقة

أولا- السلاجقة العظام: من 1040 إلى 1157م= 116 عاما وأحد عشر شهرا وسبعة أيام.

1- السلطان محمد طغرل (1040/05/23 إلى 1063/09/04م)

2- السلطان محمد ألب أرسلان (1063/09/04 إلى 1072/10/25 م).

3- السلطان جلال الدولة ملك شاه (1072-1092م).

4- السلطان محمود (1092-1093م).

5- السلطان ركن الدين بركياروق (1093-1104م).

6- السلطان ملك شاه الثاني (1104-1105م).

7- السلطان محمد طابار (1105-1118م).

8- السلطان معز الدين سنجر (1118-1107م).

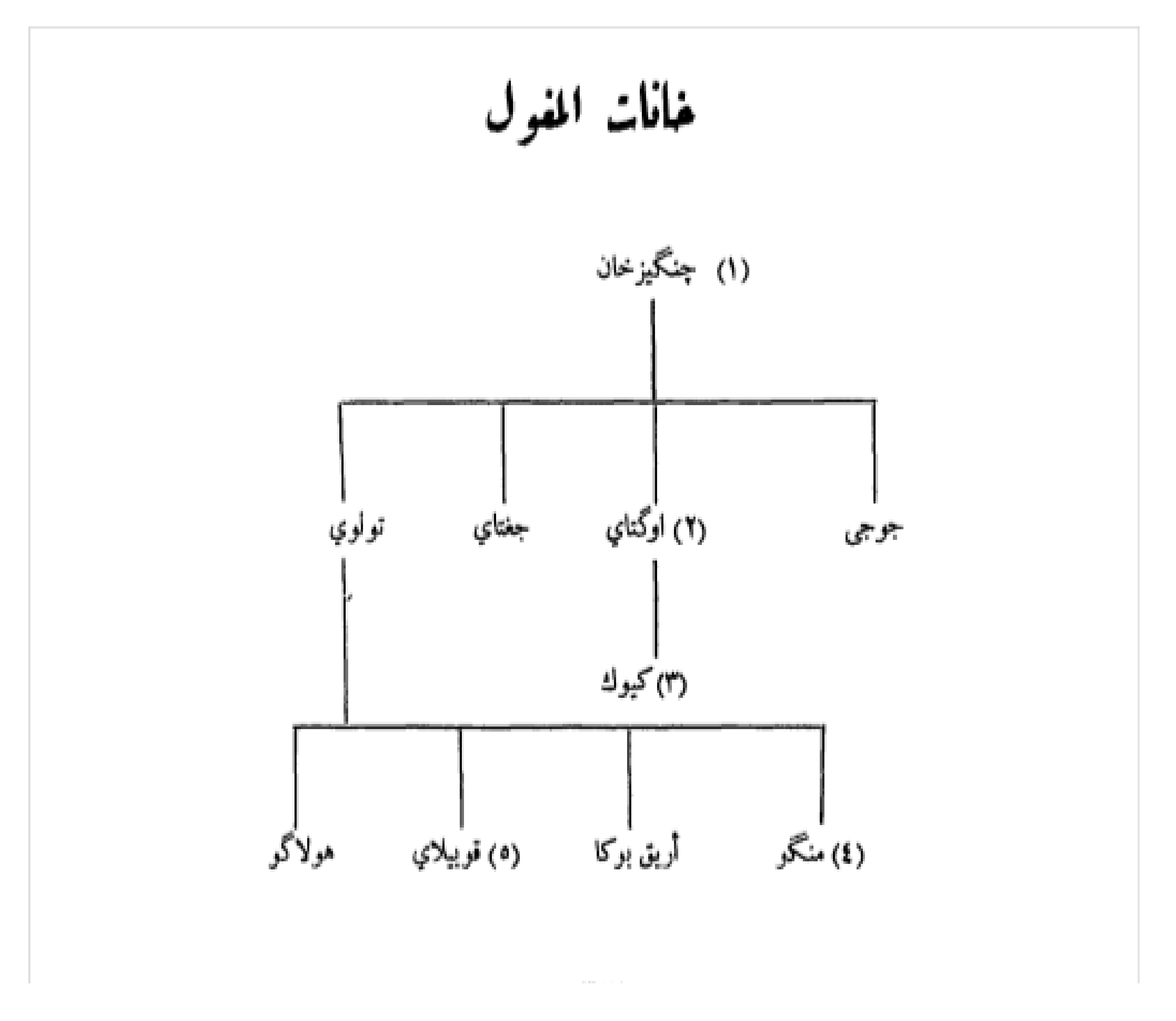
ثانيا- سلاجقة العراق: 1118/04/05 إلى 1194/03/25م = 75 عاما و 11 شهر و 20 يوما.

1- السلطان محمود (1118-1131م).
2- السلطان داوود (1131-1132م).
3- السلطان طغرل الأول (1132-1134م)
4- السلطان مسعود (1134-1151م).
5- السلطان ملك شاه (1151-1153م).
6- السلطان محمد (1153-1159م).
7- السلطان سليمان شاه (1159-1161م).
8- السلطان أرسلان شاه (1161-1177م).
9- السلطان طغرل الثاني (1177-1194م).

يالماز أوزتونا، المدخل إلى التاريخ التركي، المرجع السابق، ص ص، 278-279.

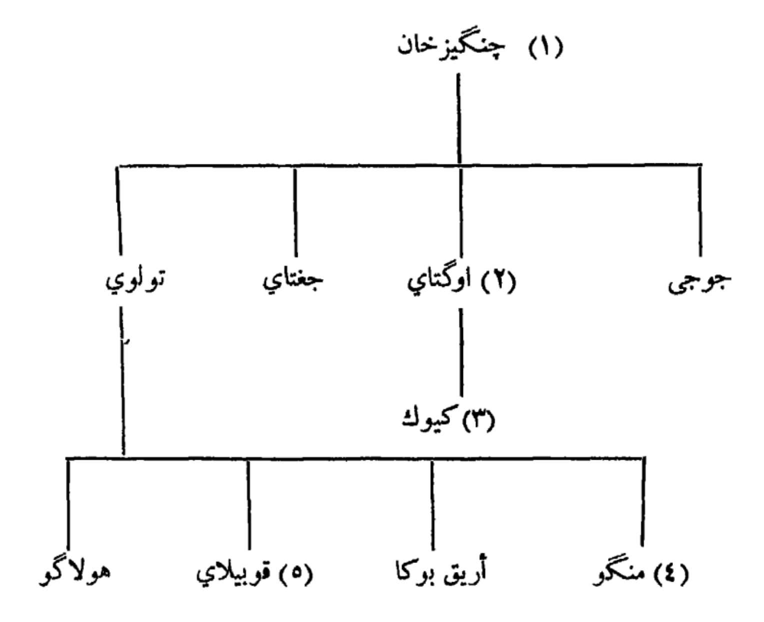
جدول رقم: 07

يبين الحكام الخوارزميون



عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، المرجع السابق، ص. 389.

جدول رقم:08
يوضح الحكام المغول



الصياد، المرجع السابق، ص.387.

قائمة المصادر والمراجع.

- القرآن الكريم برواية حفص.

أولا: المصادر.

- الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، 1423هـ/2002م. ج.1 + ج.2.

- ابن الأثير الجزري عز الدين:

1- اللباب في تهذيب الأنساب، ج.2، مكتبة المثنى، بغداد.

2- الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م، بيروت. مج.7، مج.8،

- الأصفهاني عماد الدين محمد بن محمد بن حامد: كتاب دولة أل سلجوق، اختصره: الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، مطبعة الموسوعات، مصر، 1318هـ/1900م.

- البيهقي أبو الفضل: تاريخ البهقي، تر: يحي الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، مكتبة الأنجلو المصيرية، مصر، د ت ن.

- التميمي الداري الغزي المضري الحنفي تقي الدين بن عبد القادر (ت 1005هـ): الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد الحلو،ج.2، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، السعودية، د.ت.ن.

- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ج.1، مكتبة الخانجي، القاهرة،1384-1964م.

- الجويني علاء الدين عطا ملك: تاريخ فاتح العالم"جهانكشاي"، تر: السباعي محمد السباعي، مج.1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007م.

- الحموي ياقوت: معجم البلدان، مج.3، دار صادر، بيروت، د.ت.ن.

- الخزرجي ابي دلف مسعر بن المهلهل: رحلة أبي دلف، الرسالة الأولى، تح.مريزن سعيد مريزن عسيرى، معهد البحوق العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي،جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1416 هـ-1995م

- الذهبي أحمد بن عثمان:

1- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1409هـ/1988م.

2- سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط.11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج.18.

- السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطار، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط.2،1424هـ/2003م.

- السمعاني أبي عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/1166م): الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1400هـ/1980م،كل الأجزاء(من ج.1 إلى ج.12).

- الصيرفي رزق الله منقريوس: تاريخ دول الإسلام، مج.2، مطبعة الهلال، مصر، 1325هـ/1907م.

- الطوسي نظام الملك (ت:485هـ): سير الملوك أو سياسة نامه، تر، يوسف بكار، وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، 2012م.

- ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بم أحمد بن محمد (ت 1036-1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج.5، تح، عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1410هـ/1989م.

- العيني بدر الدين: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد"شيخ المحمودي"، حققه نسيم محمد علوى شلتوت، راجعه، محمد مصطفى زيادة،ط.2، دار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1998م.

- الفدا: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينيين، مصر، مج.2.

- الفوطي الشيباني كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف (ت 723هـ): مجمع الآداب في معجم الألقاب، تح، محمد الكاظم، ج.5، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، قم، إيران، 1416هـ.

- القرماني أحمد بن يوسف (ت 1019هـ/1610م): أخبار الدّول وأثار الأُوَل في التاريخ ، تح: أحمد حطيط و فهمي سعد، مج.2، عالم الكتب، لبنان، 1416هـ/1996م.

- القلقشندي: الصبح الأعشى في صناعة الإنشي، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ج.4.

- الكاشغري محمود بن الحسين بن محمد: ديوان لغات الترك، دار الخلافة العلية- مطبعة عامره، 1333هـ. ج1+ج.2+ج.3.

- الكرديزي أبي سعيد عبد الحي ابن الضحاك بن محمد (ت: 443هـ): زين الأخبار، تر: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م.

- المسعودي أبي الحسن علي بن الحسن بن علي:

1- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج.1، ط.5، دار الفكر، بيروت، 1293هـ/1973م.

2- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس، بيروت، 1416هـ/1996م

- المقدسي شمس الدين ابي عبد الله محمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ، دار صادر، بيروت، 1909، ص. 266؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت. مج.3.

- المقريزي تقى الدين أحمد بن علي: إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح:محمد حلمى محمد أحمد، ج.2، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، القاهرة، 1416هـ/1996م.

- ابن النديم محمد ابن اسحاق: الفهرست، تح: رضا تحدد، ج.9، حقوق الطبع محفوظة للمحقق.

- النرشخي: تاريخ بخارى، تعريب وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، ط.3، دار المعارف، القاهرة،1993م.

- النسفي نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد (ت 537): القند في ذكر علماء سمرقند، تح، نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، 1416هـ/1991م، المملكة العربية السعودية.

- الهمذاني أحمد بن محمد بن اسحاق ابن الفقيه: نصوص لم تحقق من كتاب أخبار البلدان"السودان، الأهواز، الترك"، تح: ضيف الله يحي الزهراني ومريزن سعيد عسيري، مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ/1997م.

- الهمذاني رشيد الدين:

1- جامع التواريخ- تريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قآن إلى تيمور قآن، تر: فؤاد عبد المعطي الصياد ويحي الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983م.

2- جامع التواريخ، تاريخ المغول- الإلخانيون تاريخ هولاكو، تر: محمد صادق نشأت وأخرون، مراجعة: يحي الخشاب، مج.2، ج.1، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، د.ت.ن.

- الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، 1884م.

- ابن الوردي سراج الدين لأبي حفص: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، د.د.نش، د.س.

- الوطواط رشيد الدين: حدائق السحر في دقائق الشعر، تر: إبراهيم أمين الشواربي، تق: أحمد الخولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009م.

- أبي الوفاء محي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن سالم بن القرشي الحنفي(696-775هـ): الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تح، عبد الفتاح محمد الحلو،ج.3، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، السعودية، 1413هـ/1993م.

- ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996.

- ابن خرداذبة ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن، مطبعة برلين، 1889م.

- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري، القاهرة + دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، ج.4.

- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح:إحسان عباس، ج.4، دار صادر،بيروت.

- ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008م.

ثانيا:المراجع.

أ- المراجع باللغة العربية.

- أحمد أمين سليم: تاريخ العراق- إيران- أسيا الصغرى، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2000م.

- أركين توختي آرخون:

1- قراءات في قضية مسلمي تركستان الشرقية – مقاطعة شينجيانج أويغور الذاتية الحكم التي تحتلها الصين الشيعية-، د.د.ن، د.م.ن، د.س.ن.

2- تركستان الشرقية البلد الإسلامي المنسي،ج.3، دار الأندلس الخضراء، جدة،1460هـ/2000م.

- ألب تكين عيسى يوسف: قضية تركستان الشرقية، تر: إسماعيل حقى شن كولر منصور، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، د.ت، د.س.

- البار محمد على:

1- التركستان مساهمات وكفاح، الدار السعودية لنشر والتوزيع، جدة، 1411هـ/1990م.

2- المسلمين في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة، 1403هـ/1983م، ج.1.

- ألبتكين أركين: أتراك الأويغور، سلسلة دراسات تركستان الشرقية (1)، تر. محمد السيد محمد جاد الحق، وقف تركستان الشرقية، يناير، 2012م.

- البخاري الأنديجاني منصور بن عبد الباقي: علماء ما وراء النهر المهاجرون للحرمين، دار الميراث النبوي، المدينة المنورة، 1434هـ/2013م.

- الخالدي إسماعيل عبد العزيز: العالم الإسلامي والغز والمغولي، مكتبة الفلاح الكويت، بيروت، 1404هـ/1984 م.

- الزركان محمد علي: معاجم الأبنية في العربية "ديوان الأدب" للفرابي نموذجا، مجلة مجمع اللغة العربية، مج.78، ج.3، دمشق، د.ت.ن.

- الساداتي أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية و حضارتها، ج.1، مكتبة الأدب، القاهرة، د.ت.

- الشيخ محمد محمد مرسي: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م.

- الصراف أحمد حامد: عمر الخيام، عصره، سيرته، أدبه، فلسفته، رباعياته، تر، أحمد حامد الصراف، مطبعة دار السلام، 1350هـ.

- الصفصافي أحمد القطوري: إطلالة على ثقافة الترك وحضارتهم القديمة (الترك في موكب الحضارة [1])،مطبعة النسر الذهبي، القاهرة، 2006م.

- الصلابي علي محمد، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006م.

- الصياد عبد المعطي: المغول في التاريخ، ج.1، دار النهضة العربية، ببيروت، 1980م.

- الطائي سعاد هادي حسن أرحيم: القراختنيون دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية(315-607هـ/927-1210م)، دار صفحات، دمشق، 2016م.

- الطيرازي نصر الله مبشر: تركستان ماضيها وحاضرها، مكتبة الآداب، القاهرة، 1431هـ/2010م.

- العرينى السيد الباز: المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1406هـ/1986م.

- القاطولي الصفصافي أحمد: إطلالة على ثقافة الترك وحضارتهم القديمة، مطبعة النسر الذهبي، القاهرة، 1427هـ/2006م.

- المصري حسن مجيب :

1- تاريخ الأدب التركي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، د.ت.ن.

2- تاريخ الدولة البويهية"السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي –مقاطعة فارس-"(334-447هـ/945-1055م)، دار الجامعية، 1407هـ/1987م.

3- صلات العرب والفرس والترك، ط.1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1421هـ/2001م.

- الندوي محمد اسماعيل: الهند القديمة حضارتها ودياناتها، مطبوعات دار الشعب، القاهرة، 1970م.

- النصر محمد عبد العظيم: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2001م.

- أوزتونا يالماز:

1- المدخل إلى التاريخ التركي، تر. أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات،1426 لبنان، هـ/2005م.

2- تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سليمان ومحمود الانصاري، مج.1، منشورات مؤسسة فيصل للتميل، استانبول، تركيا، 1990.

- بارتولد:

1- تاريخ الترك في أسيا الوسطى، تر. أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م.

2- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1401هـ/1981م.

3- تاريخ الحضارة الإسلامية، تر، حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، 1966م.

- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

- بهنسي عفيف: جمالية الفن العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، فبراير، 1979م.

- بوريبوي أحمدوف وزاهد الله منروف: العرب والإسلام وأوزبكستان تاريخ أسيا الوسطى من أيام الأسر الحاكمة حتى اليوم، مر: نعمت الله ابراهيموف، ط.2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1999م.

- بوغرا محمد أمين: تاريخ تركستان شرقية، تر، محمد قاسم أمين، دار تكلماكان الأويغورى، إستنبول، 2005م.

- بياني شيرين: المغول التركيبة الدينية والسياسية، تر: سيف علي ونصير الكعبي، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، 2013م.

- تشادويك نوراك و جيرمونسكي فيكتور: ملاحم أسيا الوسطى الشفوية، تر: رباب ناصف، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م.

- توران عمرو: الأتراك البخاريون، جمعية أتراك السعودية، د.ت.ن.

- تورفاني بولات: تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، تر: اسلام صلاح عبد الفاتح، دار اليسر، القاهرة، 1431هـ/2010م.

- تورفاني بولات: تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني، تر: إسلام صالح عبد الفاتح، دار اليسر، القاهرة، 1431هـ/2010م.

- جقمجقجي حودت: المعاجم اللغوية، مقرر اللغة التركية، جامعة الملك سعود، كلية اللغات والترجمة، قسم اللغات الآسيوية والترجمة، الرياض، 1428م.

- جنكيزخان عبد العزيز: تركستان قلب أسيا، الجمعية الخيرية التركستانية، د.ت.ن.

- حجار طارق بن عبد الله عبد القادر: المدارس الوقفية في المدينة المنورة دراسة تاريخية وصفية، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة، 1422هـ/2001م.

- حسين زكي محمد:

2- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1940م.

1- الرحالة المسلمين في العصور الوسطى، دار الراشد العربي، بيروت، 1401هـ/1981م.

3- التصوير في الإسلام عند الفرس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014م.

- حسين محمد إبراهيم: المدرسة في التصوير الإسلامي، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1988م.

- حلمر بدر فاروق: تاريخ أفغانستان من قبل الفتح الاسلامي حتى وقتنا الحاضر، ملتزم للطبع والنشر، القاهرة، 1980م.

- حلمي محروس اسماعيل: الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997م.

- خليفة ربيع حامد: فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، كلية الأثار، جامعة مصر، 1996م.

- درويش هدى: دور التصوف في نشر الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 2004م.

- ديماند م.س.: الفنون الإسلامية، تر: أحمد محمد عيسى، مر: أحمد فكرى، دار المعارف المصرية، مصر، 1944م.

- سلسلة كتب"سور الصين العظيم"، تاريخ الصين، **مجلة بناء الصين** ، ج.1، دار مجلة بناء الصين، بكين،الصين، 1986.

- سلطان طارق فتحي: نشأة الإمارة الغورية 543هـ/1148م، مجلة، أفاق الثقافة والتراث، العدد 54، جمادى الآخر 1427م.

- سيد أشرف صالح محمد: الآثار الباقية عن البيروني(362-440هـ/973-1048م)، دار النشر الإلكتروني كتب عربية، القاهرة، 2007م.

- سيمينوفا ليدينا أندريفنا: صلاح الدين والمماليك في مصر، تر، حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998م.

- شوا إيمي: عصر الإمبراطورية كيف تتربع القوى المطلقة على عرش العالم وأسباب سقوطها، تر: منذر محمود صالح محمد، العبيكان للنشر، المملكة العربية السعودية، 1430هـ/2009م.

- صائغ القس سليمان: تاريخ الموصل، ج.1، المطبعة السلفية، مصر، 1343هـ/1923م.

- طقوش محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، لبنان، 1430هـ/2009م.

- عادل كمال أحمد: الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 1427هـ/2006م.

- عاشور سعيد عبد الفتاح: عصر المماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، 1976، القاهرة.

- عبد الباقي أحمد: سامرا عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين، ج.1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

- عبيد كلود: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي(دراسة حضارية – جمالية – مقارنة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1428هـ/2008م.

- عطا زبيدة: بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، د.م.ن،د.ت.ن.

- غنيم اسمت: إمبراطورية جستنيان، دار المجمع العلمي، جدة 1397هـ/1977م.

- فامبرى ارسنيوس: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى الحصر الحاضر، تر، أحمد محمود الساداتي ويحي الخشاب، تركيا.

- فامبري أرمينيوس: تاريخ بخارى من أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تر: أحمد محمود الساداتي ويحي الخشاب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، د.ت.ن.

- فيرسرقس ولتر: أصول الحضارة الشرقية، تر: رمزي يسى، مر: أنور عبد العليم، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، مصر، 1960م.

- كريستنسن أرثر: إيران في عهد الساسانيين، تر: يحي الخشاب، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت.

- محمود حسن أحمد: الإسلام في أسيا الوسطى (بين الفتحين العربي والتركي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973م.

- معروف ناجى: تاريخ علماء المستنصرية، وزارة المعارف، بغداد، 1379هـ/1959م.

- منصور رمضان محمد عاطف: النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2008م.

- منيمنة حسن: تاريخ الدولة البويهية"السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي –مقاطعة فارس-"(334-447هـ/945-1055م)، دار الجامعية، 1407هـ/1987م.

- موسكاني سبتينو: الحضارات السامية القديمة، تر: يعقوب بكر، دار الرّقي، بيروت، 1986م.

- ناظم محمد: السلطان محمود الغزنوي حياته وعصره، تر: عبد الله سالم الزليتني، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2007م.

- نصّار حسين: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج.2، ط.2، مكتبة مصر، 1968م.

- وسير توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامي، تر: حسين إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م.

- ولبر دونالد: إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1405هـ/ 1985م.

- أصلان آبا اوقطاي: فنون الترك وعمائرهم، تر: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، إستانبول، 1987م.

ب- الرسائل الجامعية.

- تركستاني هاجر بنت عبد الحميد محمد: التعليم في تركستان الغربية منذ الفتح الإسلامي الأول حتى بعد الاستقلال، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التربة الإسلامية والمقارنة، سنة 1426هـ/2004م.

- العلي البسام عبد الله هيفاء: الوزير السلجوقي نظام الملك، ماجستير، اشراف: د. حسام الدين السامرائي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1399-1400هـ/1979-1980م

- الوزنه يحي حمزة عبد القادر: الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر(490-552هـ/1096-1157م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، إشراف: أ.د أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1414هـ/ 1993م.

- عبد الحكم عبد الناصر إبراهيم: خراسان في عهد السامانيين: 286-389هـ/899-999م، رسالة ماجستير، إشراف: عصام الدين عبد الرؤوف ألفقي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، القاهرة، 1416هـ/1995م.

- الورداني فرج عز الدين أحمد: تركستان الشرقية تحت الحكم الشيوعي الصيني في الفترة(1949-2002م) – دراسة حضارية-، أطروحة دكتوراه، إشراف: رأفت غنيمي الشيخ و ماجدة مخلوف، قسم الحضارات الآسيوية، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق.

- لبد سمير محمود: المسائل النحوية في تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري – دراسة وصفية تحليلية)، ماجستير، إشراف، محمود محمد العامودي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية – غزة-، 1430هـ/2009م.

ج- المجلات.

- إبراهيم: ماذا تعرف عن تركستان الشرقية، مجلة تركستان الإسلامية، تصدر في تركستان،العدد الأول، شعبان 1429هـ/يوليو2008م.

- أسين أمل:

صفحات من إهتداء تركستان الشرقية إلى الإسلام ستوق بغراخان، جريدة "صوت تركستان الشرقية"، العدد الأول، المجلد الأول، مركزا النشر لتركستان الشرقية، يناير 1984م، تركيا، إستانبول.

صفحات من اهتداء تركستان الشرقية إلى الإسلام مدينة كاشغر في عهد الخاقاني الثاني، **مجلة تركستان**، السنة الأولى، مج.1، مركز النشر لتركستان الشرقية، العدد الثاني، شعبان 1404هـ/ ماي 1984م، استنبول- تركيا.

- الدّاقوقي حسين علي: الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، بحث منشور في مجلة دراسات العلوم الإنسانية، المجلد 20، العدد 2، جامعة بغداد، 1993م.

- الطائي سعاد هادي حسين: الحركة العلمية في بلاد ما وراء النهر في عهد الإمارة القراخانية(315-609هـ)/(927-1212م) خلال العصر العباسي من سنة (350-609هـ)/(961-1212م)، مجلة كلية التربية، العدد السادس، بغداد، 2005م.

- الغامدي مسفر بن سالم بن عرج: علاقات القراخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة، ودورهم في نشر الإسلام(382-482هـ/992-1089م)، مجلة أم القرى، السنة.3، العدد.5، 1411هـ، مكة المكرمة.

- المنوفي فاطمة إبراهيم:

1- مسلمو الأويغور ثبات على الإسلام رغم عذابات الصينيين، **صوت تركستان الشرقية،** العدد السادس، ربيع الثاني 1431هـ/2009م.

2- مقال بعنوان: من هم الأويغور؟ مجلة مسلم أون لاين، العدد 3.

- أوغلو حبيب:

1- صوت التركستان، العدد الثاني، مطابع دار الكتاب العربي، شوال 1372هـ/ يوليو 1953م.

2- لمحات من تاريخ التركستان، الإسلام في تركستان الشرقية، مجلة صوت التركستان، العدد الرابع، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، أغسطس 1372هـ/1953م.

- رحمتي رحمة الله أحمد: التهجير الصيني في تركستان الشرقية، مجلة دعوة الحق، السنة الثامنة، العدد: 93، سنة 1410هـ/1989م.

- سلطان طارق فتحي: نشأة الإمارة الغورية 543هـ/1148م، مجلة، أفاق الثقافة والتراث، العدد 54، جمادى الآخر 1427م.

- مخلوف ماجدة: تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، مجلة المنار الجديد، العدد 23، يوليو 2003م.

د- الأطالس والموسوعات.

- الحنفى عبد المنعم: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرشاد، 1413هـ/1993م، مصر.

- العفيفي عبد الحكيم: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1421هـ/2000م.

- المغلوث سامي بن عبد الله بن أحمد: أطلس الأديان، ط.1، مكتبة العبكان للنشر، الرياض، 1428هـ/2007م.

- حميد عيسى سلمان: العمارات الدينية، موسوعة حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين، ج.09، بغداد، 1985م.

- المقالات والبحوث.

- الغامدي عبد الله بن سعد ، انتشار الإسلام في أسيا الوسطى، جامعة أم القرى، 1428هـ/2006م.

- الكاشغري عبد الرحمان جمال: الأديب الأويغوري أحمد يوكنكي ومؤلفه عتبة الحقائق، مقال منشور في منتدى المنى والآرب الثقافية، سير وأعلام وشخصيات، الموضع مضاف إلى الموقع في 2010/05/05م، على 04:57 د، ورفعته يوم 2015/08/11م على 18:59د.

- الهواش زياد محمد : القراخانيون في تركستان تاريخ منسي وحضارة باقية (349-609هـ/960-1212م)، بحث، جامعة محمود الكاشغري للدراسات الشرقية، بشكك.

- بيرزين ألكسندر: التفاعل التاريخي بين الثقافتين البوذية والإسلامية قبل الإمبراطورية المنغولية، التحولات الدينية للأويغوريين، مقال موجود في موقع أرشيف بيرزين، 1996م روجع في يناير 2003م وديسمبر 2006م.

هـ - المراجع الأجنبية:

- CORDIER Henri : HISTOIRE GENERALE DE LA CHINE, 1…-907, Librairie Paul Geuthner, Paris, 1920.

- GROUSSET René : L'EMPIRE DES STEPPES ATTILA , GENGIS-Khan , René Tamerlan, Payot, Paris, 1965.

- AUBIN Françoise :L'arriere-plan historique du nationalisme ouigour le turkestan oriental des origines au xxe siecle,Cahiers d'études sur la Méditerranée oriental et le mond turco-iranien, N.25, janvier-juin 1998.

- Bazin Louis: Les Etats nomades en Asie central, HISTOIRE DE L'HUMANITE, voluke. IV, Publié par l'Organisation des Nations Unies, Paris, 2008.

- Les peuples turcs et mongols de la steppe : le nomadisme pastoral, HISTOIRE DE L'HUMANITE , Volume IV, Editions UNESCO,Paris, 2008.

- TANG Li Paper Series: A History of Uighue Religious Conversions(5th-16th Centuries) , Asia Research Institute working, No.44, National University of Singapore, June 2005.

- GREGOIRE-BLAIS MARIE-LOU: Crise identitaire au sein de communaté ouigouer de la région autonome xinjing, Mémoire, Université du québec a montréal, Décembre, 2006.

- AKINCI Mehmet-Ali : La REFORME DE L'ECRITURE TURQUE, Revue DYALANG, Rouen : Publications de l'Université de Rouen, 2005.

- Marsone Pierre: La dynastie Khitan(Liao) : une double identité, Etudes chinoises, V.XXIII, 2004.

- KOUZNIETSOV Pierre : LA LUTTE DES CIVILISAIONS ET DES LANGUES DANS L'AIE CENTRALE, Thése pour le Doctorat, Faculté des lettres de L'université de pare, Jouve Cie éditeurs 15 rue Racine, paris, 1912.

- Emre Yunus : La Tradition de la sculpture chez les turcs et les pierres tombales de femme a l'eoque de la periode ottomane, International Journal of Educatio and Research, Vol.1, No.8August 2013.

- REMUSAT Abel : Recherches sur les langues tatares, ou mémoires sur différens points grammaire et de la littérature, des mandchous, des mongols, des ouigours et des tibetains, tome 1, L'imprimerie royale, paris, 1820.

الفهارس

1- فهر الأعلام.
2- فهرس الأماكن والمدن.
3- فهرس الموضوعات.

1- فهرس الأعلام.

ع

ص

ض

ط

ظ

س

ش

ز

م

ك

ل

ق

غ

ف

2- فهرس الأماكن والمدن.

ي

3- فهرس الموضوعات

الملخص

1- باللغة العربية:

يسعى الموضوع إلى دراسة تاريخ شعوب آسيا الوسطى المعتنقة للدين الإسلامي، والتركيز على دراسة تاريخ الأتراك الأويغور، الذين كانوا يعتبرون أكثر تحضرا مقارنة بالشعوب التركية الآخرى، وركزت الدراسة على تتبع تاريخهم السياسي والديني قبل إعتناقهم الإسلام، كما أبرزت الدور المهم الذي لعبوه بعد إسلامهم، حيث أصبحوا وسطاء بين شعوب أقصى الشرق وشعوب الخلافة العباسية، فعملوا على تقريب الحضارات فيما بينها، فأفادوا وإستفادوا. وتسعى الدراسة إلى التعريف بالإسهامات التي قام بها الأتراك الأويغور في الحضارة الإسلامية، في شتى المجالات، السياسية والدينية والعلمية والمعمارية والثقافية، والفنية.

2- باللغة الإنجليزية:

Thread seeks to study the history of the peoples of Central Asia espoused Islamic religion, and focus on the study of the history of Turkish Uighurs, who were considered more civilized compared to the Turkish peoples Other, the study focused on tracing the political and religious history before their conversion to Islam, also highlighted the important role they played after their Islam, where they became intermediaries between the peoples of the Far East and the peoples of the Abbasid caliphate, they kept on bringing civilizations among them, Vovedua and benefited. The study seeks to publicize the contributions made by the Uighur Turks in the Islamic civilization, in all fields, political, religious, scientific, architectural, cultural, and artistic.